

مِنْ لَهْبٍ

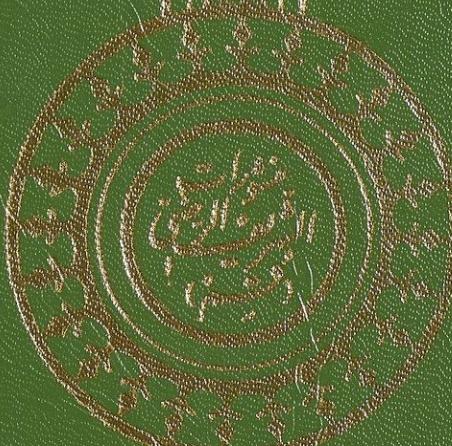
أُلْفَى

مُرْكَبَةُ الْأَيْمَى

مُنْجَبَةُ الْأَوَّلِ

مُنْجَبَةُ الْأَخِيرِ

أَعْلَمُ الْأَعْلَمَ





قصصُ الْعَرَبُ

تألِيف

محمد أبو الفضيل برهانيم على محمد الجاوي
محمد أحمد جاد المولى

ابْنُ حِزْرَةِ الشَّافِي

الطبعة الرابعة
[فيها زيادة ضبط وشرح وتحقيق]
١٣٨٢ - ١٩٦٢ م

مكتبة لسان العرب
www.lisanarab.com

جَارِ الْحَيَاةِ الْكَيْدُ الْعَرَبِيَّةُ
يسى البابي الجلبي وشراة

الباب الأول

١٥٣

١٥٤

٢٠٢

في القصص التي تشرح ما أثير عنهم من عادات وشمائل
في الأسباب الدائرة بينهم، وتبيّن ما اتّه جوه في مواسمهم
وأعيادهم وأفراحهم وأعراسهم، مما يمثل حياتهم الاجتماعية
أصدق تثليل.

الكتاب قصص العرب

المؤلف محمد أحمد

على أحفد

محمد أبوالفضل إبراهيم

الناشر منشورات الرضي - قم

القطع وزيرى

المطبعة مطبعة أمير - قم

المطبوع ١٠٠ نسخة

الطبعة الخامسة

سنة الطبع ١٣٦٤ هـ ش

عدد الأجزاء أربعة

عدد الصفحات ١٨٦٢ صفحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَدَّمِّةٌ

الطبعة الأولى

تُمْدُدُ القصة أقدر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق ، وتصوير العادات ، ورسم خلجان النفوس ؟ كما أنها - إذا شرف غرضها ، وبنبل مقصدها ، وكرمت غايتها - تُهذّب الطياع ، وتُرْقَق القلوب ، وتدفع الناس إلى المثل العليا : من الإيمان بالواجب والحق والتضحية والكرم والشرف والإيثار .

وقد كانت القصة - ولا تزال - ذات الشأن الأسنى في آداب الأمم قد يهداها وحديتها ، فقد وردت في التوراة ، وجاءت في الإنجيل ، وزخرت بها آيات الذكر الحكيم . ثم هي في شعر الإغريق ومختلفاتِ الرومان وأناز المصريين القدماء .

والعرب من الأمم التي أخذت بنصيب من هذا الفن الجليل ، وأثّرَ عنها فيوضُّ من ذلك الأدب الرفيع ؟ ييد أن بعضًا من الباحثين المحدثين قد جحدوا نصيبيهم من هذا الفن ، وهضوم حقّهم في ذلك الباب ، ووصّوم بالخيال العقيم ، وعابوا عليهم الفكر القريب ؟ ولكن التسفيه بهم قد خالهم عن هذا الجحود ، ولم يرقهم ذلك النكرا ، فاعتبروا للعرب بالقصص التي ترجموها عن الفرس والمنود ، وتزيدوا عليها في القاهرة وبنداد ، وتحذّروا للناس عن قصص عترة وذات الهمة ، وجلّوا عليهم ألف ليلة وليلة وأخبار ابن ذي يزن .

وهذه القصص - وإن كانت قد نجحت نجاحاً تاماً في تصوير المصور التي وضعَت فيها، ورَسَّمت لنا البيئة التي بُنيت منها - كثيرون منها تابهُ الفرض مُبْتَدِئاً القصدَهُ ردِيُّ اللغة والأسلوب . وفي قصر قصص العرب عليها جَهْدٌ للآداب العربية فضلها ، وإنكار عليها مفاخرها . . . وإنَّ فَيْنَ هُنَاكَ قصصاً زُخْرُتْ بها مجالس الخلقاء ، وسواسِرَ الْأَمْرَاء ، وملائِتَ الْكِتَبِ الَّتِي انحدرت إلينا عن للتلذُّفِينَ الْقَدِيمَاءَ : وما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يَرِدُوا شَرِيفَتِها ، أو يَجْنُوا أَطَايِبَها ، إِلَّا مَانِيَتْ به هذه الْكِتَبِ من اضطراب الترتيب ، وردِيُّ الطَّبِيعَ ، وتحريف النَّاسِجِينَ .

وكتابنا هذا جمعنا فيه هذه القصص : ما انتبذ منها وما شرد ، وألقنا ما تماهى وافتقر ، وجعلناه أقساماً ، وقسمناه أبواباً ؛ جمعنا كلَّ قصة إلى مثيلها ، وضممنا كلَّ طرفة إلى شبيهها ؛ ليجتمع إلى غرض القصة - من تهذيب الطياع وترقيق النفوس - عَرْضٌ شامل لحياة العرب : مدنיהם وحضارتهم ، وعلومهم و المعارف ، وأدواتهم وعَقائدهم ، وذَكْرٌ لموائعهم وشمائلهم ، وما طبعوا عليه من كريم الغرائز ، وحدة المذكاء ؛ ثم ما كان للمرأة عندهم من سامي السكانه وعظيم المنزلة ، وما أثَرَّ عنهم من أخبار صوروا بها حبِّهم المغيف ، وغزلهم الرقيق ، وعشاقهم الشَّرِيف ؛ ولم يخل كتابنا مما كان لم من محاورات ومساجلات ، ومطابيات ومناقلات ، وما قلل الرواة من أحوال العامة وللملوك ، وطرف القضاة والولاة ، وأخبار الأيام والمحروق ، وغير هذا مما سيعرض مفصلاً في أبواب الكتاب .

ولم تقف في اختيار القصة على تعريف خاص ، أو حدَّ مرسوم ؛ ففيما اختربناه ماذكره من طريف الأخبار وشائق الأحداث ، وما وضوه مصوّرين به المجالس والأشخاص ، وما صنعوا على ألسنه الطير والحيوان ، وما تخيلوه من أخبار الشياطين والجان ؛ إذ كان الفرض تقييف الأذهان بذكر الطرائف؛ وانشراح العصور بعرض اللطائف .

مع كشف نواحي التاريخ ، وإظهار مفاخر العرب .
ولعل القاريء يروقه ماتدىء فيها من شريف الخصال فيحتذىها ، أو تتجبه
كراءم العادات فيطبع نفسه عليها ، إلى ما في هذا من بعث فصيح الألفاظ ، وإحياء
رائع الأساليب . ولعله يكون فيها مبادئ صالحة وأسس قوية لمن يريد أن ينشيء
قصصاً طويلة على أساس ، أو يقيم روايات على بناء .

وكان من هنـا أن نحرص على اختيار القصص كأوصيـوها ؛ إلا ما كان من
زيادة انتصـاها اختلاف الروايات ، أو تـسـير لـكلـمات لا تـأـلـفـها الآدـابـ ، أو حـذـفـ
عبـارات لـاغـنـاءـ فيها .

ولقد بذلـنا من الجـهدـ في ضـبـطـ الأـلـفـاظـ ، وـكـشـفـ النـقـابـ عنـ المـعـانـيـ ، وـتـرـاجـمـ
الـأـشـخـاصـ ، وـذـكـرـ الـمـارـجـعـ مـاـرـجـوـ أنـ يـكـونـ بـهـ جـنـيـ الـكـتـابـ قـرـيبـاـ ، وـمـنـهـ
عـذـبـاـ ، وـورـدـ سـانـقاـ ، وـطـرـيقـ سـهـلاـ مـعـبـداـ .

ونـسـأـلـ اللـهـ أـنـ يـنـفـعـ بـهـ ؟ عـلـىـ مـاـصـدـقـنـاـ فـيـ الـبـيـةـ وـرـجـوـنـاـ مـنـ الـخـيـرـ مـاـ

المـؤـلفـونـ

جـادـىـ الـآـخـرـةـ سـنـةـ ١٣٥٨ـ }
(يـوـلـيـةـ سـنـةـ ١٩٣٩ـ) }

مقدمة الطبعة الابعة

هذا كتابنا «قصص العرب» نقدمه إلى أدباء العربية في طبعته الرابعة ، بعد أن نفذت طبعته الثالثة ، وازداد الأدباء إقبالاً على اقتنائه وتقديراته .

وكما قد تلقينا رسائل من بعض ألاضلال الأدباء يرغبون إلينا فيها أن نذلل الطريق إلى قراءة الكتاب؛ فنذكر من ضبط الكلمات ، وززد من شرح المفردات ، فصلنا على تحقيق رغبتهم ، وبذلنا غاية الجهد في تحريره وتحقيقه . وزدنا في شرح كلامه وضبط أعلامه .

ونرجون أن يكون ذلك كفاه لما تلقينا من رسائل الأدباء ، ولما تقضلت به صحف الشرق العربي من إشادة .

ونسأل الله أن يزيد به النفع بقدر ما بذلنا من جهد ، ورجونا من خير .

المؤلفون

الحرم سنة ١٣٨٢
يونيه سنة ١٩٦٢

القاهرة
(جيم الحقق محفوظة)

١ - شبَّ عَمْرُو عن الطُّوق*

كان جَذِيْه (١) الأَبْرَش ملْكُ الْحِيَرَة قد جَعَ غِلْمَانًا من أَبْنَاء الْمَلُوك يَخْدُمُونَه؛
مِنْهُمْ عَدَى بْنُ نَصْر بْنِ رَبِيعَة الْلَّخْمِيَّ، وَكَانَ لَهُ حَظٌّ مِنَ الْجَالِ؛ فَقَالَتْ لَهُ رَقَاشِ
أَخْتَ جَذِيْه: إِذَا سَقَيْتَ الْمَلَك فِسْكَرْ فَأَخْطُبْنِي إِلَيْهِ؛ فَسَقَى عَدَى جَذِيْه لِيْلَةً،
وَالْلَّطْفَ لَهُ فِي الْخَدْمَةِ، وَلَمَّا أَسْرَعَتِ الْخَرْ فِيهِ، قَالَ لَهُ: سَلَّنِي مَا أَخْبَيْتَ، فَقَالَ:
أَسْأَلُكَ أَنْ تَزْوِجْنِي رَقَاشِ أَخْتَكَ. قَالَ: مَا بِهَا عَنْكَ رَغْبَةٌ، قَدْ فَعَلْتَ!

فَدَخَلَ بِهَا، وَأَصْبَحَ فِي ثِيَابِ جَدُّه وَطَيْبِه. فَلَمَّا رَأَاهُ جَذِيْه قَالَ: يَا عَدَى! مَا هَذَا
الَّذِي أَرَى؟ قَالَ: زَوَّجْتَنِي أَخْتَكَ رَقَاشِ الْبَارِحةَ، قَالَ: مَا فَعَلْتَ إِنْمَمْ وضع
يَدِهِ فِي التَّرَابِ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ بِهَا وَجْهَهُ وَرَأْسَهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى رَقَاشِ فَقَالَ:

حَدَّيْنِي وَأَنْتَ غَيْرُ كَذُوبٍ أَبْحَرْ زَانِيْتَ أَمْ بَهَجِينَ
أَمْ بَعَدِيْنَ وَأَنْتَ أَهْلٌ لِعَبْدٍ أَمْ بَدُونِيْنَ وَأَنْتَ أَهْلٌ لِدُونَ
فَاجْبَاتَه رَقَاشِ :

أَنْتَ زَوَّجْتَنِي وَمَا كَنْتُ أَدْرِي أَنْتَ النِّسَاء لِلتَّزِينِ
ذَالِكَ مِنْ شُرْبِكَ الْمَدَامَةَ (٢) صِرْفًا وَتَمَادِيكَ فِي الصَّبَا وَالْمَجُونَ (٣)
فَأَطْرَقَ جَذِيْه، فَلَمَّا رَأَاهُ عَدَى قدْ فَعَلَ ذَلِكَ خَافَهُ عَلَى نَفْسِه فَهَرَبَ مِنْهُ، وَلَقَّ
بِقَوْمِه وَبِلَادِه، فَاتَّهَاكَ .

* الأمثال : ٢ - ٢٥ ، القاموس المحيط - مادة طوق ، بلوغ الأربع : ١٧٧ - ٢ ،
السعودي : ١ - ٧٥ .

(١) جَذِيْه الأَبْرَش ثالث ملوك الدولة التوتونية في العراق ، عاش في الجاهلية عمرًا طويلاً، وكان يقال له الواضح والأبرش لبرس فيه ، وهو الذي جاء إلى الزباء فقتلته بناؤاً إليها (٢) المدامه : الخر .
وصرف : غير ممزوج (٢) المجنون : المزل .

ثُمَّ ولدت رِفَاش غلاماً ، فسماه جَذِيْة عَرَّا وَتَبَنَّاه ، وَأَحْبَه جَبَا شَدِيداً - وَكَان
جَذِيْة لَا يُولَد لَه .

فَلَمَّا بَلَغَ الْفَلَامُ ثَمَانِيْ سَنِينَ كَانَ يَخْرُجُ فِي عَدْوَةٍ مِنْ خَدْمِ الْمَلَكِ يَعْتَنُونَ لَه
الْكَمَاءَ ، فَكَانُوا إِذَا وَجَدُوا كَمَاءَ خَيَاراً أَكْلُوهَا وَرَاحُوا بِالْبَاقِي إِلَى الْمَلَكِ . وَكَانَ
عَرُو لَا يَأْكُلُ مَا يَنْهَا ، وَيَأْتِي بِجَذِيْةٍ فِي ضَمِّهِ بَيْنَ يَدِيهِ ، وَيَقُولُ :
هَذَا جَنَّاتِي وَخَيَارِهِ فِيهِ إِذَا كُلَّ جَانِيَدُهُ إِلَى فِيهِ
ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ يَوْمَا وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَحْلَمٌ ، فَأَسْتَطَعْتُهُ وَفَقِدْ زَمَانًا ، وَضَرَبَ فِي
الآفَاقِ فَلَمْ يُوْجَدْ ، وَأَتَى عَلَى ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ وَجَدَهُ مَالِكٌ وَعَقِيلٌ ابْنَا فَارِجٍ ، وَهَا رِجَالٌ كَانَا مُتَوَجِّهِينَ إِلَى الْمَلَكِ
بِهِدَايَا وَتُحَفَّ ، فَبَيْنَمَا بَوَادِي فِي السَّمَاءِ اتَّهَى إِلَيْهِمَا عَرُو بْنُ عَدَى ، وَقَدْ
عَفَتْ^(١) أَظْفَارُهُ وَشَعْرُهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ : ابْنُ التَّنْوُخِيَّةِ ؛ فَلَمَّا عَنْهُ،
وَقَالَ الْجَارِيَّةُ مَعْهُمَا : أَطْعَمْنَا فَأَطْعَمْتُهُمَا ؛ فَأَشَارَ عَرُو إِلَى الْجَارِيَّةِ أَنَّ أَطْعَمْنِي
فَأَطْعَمْتُهُ ، ثُمَّ سَقَاهُمَا ، قَالَ عَرُو : اسْقِنِي . قَالَتِ الْجَارِيَّةُ : لَا تَنْظِمْ^(٢) الْعَبْدَ
الْكَرَاعَ قَيْطَمْعُ فِي الدَّرَاعِ^(٣) .

ثُمَّ إِنَّهَا حَلَّاهُ إِلَى جَذِيْةٍ فَرْفَفَهُ ، وَنَظَرَ إِلَى فَتِي مَا شَاءَ مِنْ فَتَيَّ ! فَضَمَّهُ وَقَبَّلَهُ
وَقَالَ لَهُ : حَكَمْتُكَ . فَسَأْلَاهُ مَنْادِمَتِهِ ، فَلَمْ يَرِدْ لَهُ نَدِيمَيْهِ حَتَّى فَرَقَ الْمَوْتُ بَيْنَهُمْ ؛
وَبَعْثَ عَرَّا إِلَى أُمِّهِ ، فَأَدْخَلَتِهِ الْحَمَامُ ، وَأَبْلَسَتِهِ ثِيَابَهُ ، وَطَوَّقَهُ طُوقَانًا كَانَ لَهُ مِنْ
ذَهَبٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُ جَذِيْةٌ قَالَ : كَبِيرٌ عَرُو عَنِ الطَّوقِ^(٤) !

(١) عَنْا الشِّعْرُ وَغَيْرُهُ : كَذَرْ (٢) ذَهَبَتْ مَثْلًا (٣) الْكَرَاعُ فِي الْبَقْرِ وَالْفَمِ كَالْوَظِيفُ فِي الْفَرْسِ ،
وَالْبَيْرُ وَهُوَ مُسْتَدْقَنُ السَّاقِ . وَالْتَّرَاعُ أَفْضَلُ مِنَ الْكَرَاعِ لِأَهْلِهِ فِي الْبَدْرِ ، وَالْكَرَاعُ فِي الرَّجْلِ .

(٤) ذَهَبَتْ مَثْلًا ، يَضْرِبُ لِلْأَبْسِ مَاهُ دُونَهُ .

٢ - الحديث ذو شُجُونَ *

كان لِضَبَّةٍ بْنَ أَدِي إِبْرَاهِيمَ ؛ يقال لأَحَدِهَا سَعْدٌ وَالآخَرُ سَعِيدٌ ؛ فَنَرَتْ إِبْلٌ
لِضَبَّةٍ نَمْتَ اللَّيلَ ؛ فَوَجَهَ ابْنِهِ فِي طَلْبِهَا ؛ فَتَفَرَّقَا . فَوَجَدَهَا سَعْدٌ ، فَرَدَهَا . وَمَضَى
سَعِيدٌ فِي طَلْبِهَا ؛ فَلَقِيَهُ الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ - وَكَانَ عَلَى النَّفَلَامِ بُرْدَانَ - فَسَأَلَهُ إِلَيْهَا ،
فَأَبَى عَلَيْهِ ، فَقَتَلَهُ ، وَأَخْذَ بُرْدَاهُ .

فَكَانَ ضَبَّةً إِذَا أَمْسَى فَرَأَى نَمْتَ اللَّيلَ سَوَادًا قَالَ : أَسْعَدُ أَمْ سَعِيدٌ^(١) ؟
فَكَثُرَ ضَبَّةُ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ . ثُمَّ إِنَّهُ حِجَّةٌ ؛ فَوَاقَ عُكَاظُ ،
فَلَقِيَ بَهَا الْحَارِثُ بْنَ كَعْبٍ ؛ وَرَأَى عَلَيْهِ بُرْدَاهُ ابْنَهُ سَعِيدَ ، فَرَفَهَا ، قَالَ : هَلْ
أَنْتَ تَخْبُرُنِي : مَا هَذَا الْبَرْدَانُ الْلَّذَانِ عَلَيْكَ ! قَالَ : لَقِيتُ غَلَامًا وَهُمَا عَلَيْهِ ؛
فَسَأَلَهُ إِيَّا مَا فَأَبَى عَلَى قَتْلِهِ ؛ وَأَخْذَتْ بُرْدَاهِ هَذِينِ .

فَقَالَ ضَبَّةً : بِسِيفِكَ هَذَا ؟ قَالَ : نَمْ ! قَالَ : فَأَعْطِنِيهِ أَنْظُرْ إِلَيْهِ فَإِنِّي أَظْنَهُ
صَارِمًا ، فَأَعْطَاهُ الْحَارِثُ سَيْنَهُ ، فَلَمَّا أَخْذَهُ مِنْ يَدِهِ هَزَّهُ ، وَقَالَ : الْحَدِيثُ^(٢)
ذُو شُجُونٍ ، نَمْ ضَرَبَ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ ؛ فَقَيْلَ لَهُ : يَا ضَبَّةً ؛ أَفَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ ؟ قَالَ :
سِبْقُ السَّيْفِ الْعَدْلُ !

* الإنسان - مادة شجن ، أمثال المidanī : ١ - ١٨٠

(١) ذُمِّتْ مثلاً ، ويضرب في النجاح والخيبة (٢) فُهِّبَ مثلاً .

٣ - جَوْعَ كَلْبِكَ يَتَبَعُكَ*

كان أحد ملوك حمير عيناً على أهل ملكته، يفرضهم أو مالم، ويسألهم ما في أيديهم، وكانت السكينة تخبره أنهم سيقتلونه، فلا يحفل بذلك.

وسمعت أسراته أصواتَ السؤال؛ فقالت: إني لأرسم هؤلاء؛ لما يلقون من الجهد، ونحن في العيش الرغد، وإن لأخاف عليك أن يصيروا سباءاً، وقد كانوا لنا أتباعاً؛ فرد عليها وقال: جَوْعَ كَلْبِكَ يَتَبَعُكَ^(١)!

فثبت بذلك زماناً، ثم أغزاهم، ففتنوا، ولم يقسم فيهم شيئاً، فلما خرجوا من عنده قالوا الأخيه - وهو أميرهم : قد ترى مانحن فيه من الجهد، ونحن نشكرون خروج الملك منكم - أهل البيت - إلى غيركم؛ فساعدنا على قتل أخيك، واجلس مكانه .

وكان قد عرف بفتحه واعتداءه عليهم؛ فأجابهم إلى ذلك؛ فوثبوا عليه فقتلوه ! فرّ به عاص بن جذيمة - وهو مقتول - وقد سمع بقوله: جَوْعَ كَلْبِكَ يَتَبَعُكَ - فقال: ربما أكل الكلب مؤدبه إذا لم ينزل شبهة !

* الأمثال: ١ - ١٥٠

(١) مثل بضرب في معاشرة اللئام ، وما ينفع أن يعاملوا به .

٤ — عند مجھينة الخبر اليقين *

أحدث الأخنس بن كعب في قومه حدّنا ، فرج هارباً ، فلقيه الحصين بن عمرو الكلابي ، فقال له : من أنت ؟ تكللت أملك ! فقال له الأخنس : بل من أنت تكللت أملك ! فردد هذا القول حتى قال الأخنس : أنا الأخنس بن كعب ، فأخبرني من أنت ، وإلا أخذت قلبك بهذا السنان . فقال له الحصين : أنا الحصين ابن عمرو الكلابي .

قال له الأخنس : فما الذي تريده ؟ قال : خرجت ليخرج له الفتىان . قال الأخنس : وأنا خرجت مثل ذلك . فقال له الحصين : هل لك أن تتعاقد إلا نافق أحداً من عشيرتك أو عشيرتي إلا سلبناه ؟ قال : نعم ؛ فتعاقدا على ذلك ؛ وكلاما فاتك يمذر صاحبه !

فلقيا رجلاً فسلياه ، فقال لهما : هل لكما أن تردا على بعض ما أخذتما مني وأدلّكما على مضم ؟ قالا : نعم . قال : هذا رجل من نلم ، قد قدم من عند بعض اللوك بضم كثير ، وهو خلق في موضع كذا وكذا . فرداً عليه بعض ماله ، وطلبا اللئى ، فوجداه نازلاً في ظل شجرة وقد آمه طعام وشراب ، فبياه وحياه ، وعرض عليهما الطعام ، فكره كل واحد أن ينزل قبل صاحبه فيفتاك به ، فنزل جيماً ، وأكلوا وشربوا مع اللئى .

ثُمَّ إِنَّ الْأَخْنَسَ ذَهَبَ لِبَعْضِ شَأْنِهِ، فَرَجَعَ وَالْجَهْنَى يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ^(١). فَقَالَ
الْجَهْنَى - وَهُوَ الْأَخْنَسُ - وَسَلَّ سِيفَهُ لِأَنَّ سِيفَ صَاحِبِهِ كَانَ مَسْلُولًا : وَيَمْكُثُ !
فَكَتَ بِرْجَلٍ قَدْ تَحْرَمَنَا بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ، فَقَالَ : أَعْدَ يَا أَخَا جَهَنَّمَهُ ؟ فَلَهُذَا وَشَبَهَهُ
خَرْجَنَا . فَشَرِّبَ أَسْاعَةً وَتَحْدَنَا .

ثُمَّ إِنَّ الْحَصِينَ قَالَ : يَا أَخَا جَهَنَّمَهُ ؟ أَتَدْرِي مَا صَعْلَةُ وَمَا صَعْلَلُ^(٢) ؟ قَالَ الْجَهْنَى :
هَذَا يَوْمٌ شَرَبَ وَأَكَلَ ؛ فَسَكَتَ الْحَصِينُ حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّ الْجَهْنَى قَدْ نَسِيَ مَا يُرِدُّ بِهِ
قَالَ : يَا أَخَا جَهَنَّمَهُ ؟ هَلْ أَنْتَ لِلْعَلِيزَاجِرَ ! قَالَ : مَا ذَاكَ ؟ قَالَ : مَا تَقُولُ هَذِهِ الْعُقَابَ
الْكَاسِرَ ؟ قَالَ الْجَهْنَى : وَأَيْنَ تَرَاهَا ؟ قَالَ : هِيَ ذَهِ، وَتَطَاوِلُ وَرْفَعَ رَأْسَهِ إِلَى السَّمَاءِ ،
فَوُضِعَ الْجَهْنَى بِإِدَرَةِ السِيفِ فِي نَحْرِهِ ، قَالَ : أَنَا الرَّاجِرُ وَالنَّاجِرُ ! وَاحْتَوَى عَلَى
مَتَاعَهُ وَمَتَاعَ الْغَمِيِّ ، وَانْصَرَفَ راجِمًا إِلَى قَوْمِهِ .

فَرَرَ بِيَطْنَيْنِ مِنْ قَيْسٍ يَقَالُ لَهُما : مَرَاحٌ وَأَمَارٌ ، فَإِذَا هُوَ بِأَمْرَأَةٍ تَنْشُدُ الْحَصِينَ ،
قَالَ لَهَا : مَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا صَخْرَةُ أُخْتِ الْحَصِينَ ، قَالَ : أَنَا قَاتِلُهُ . قَالَتْ :
كَذَبْتَ ! مَا مِثْلِكَ يُقْتَلُ مِثْلَهُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَمْ يَكُنْ الْحَىٰ خَلْوًا مَا تَكَلَّمْتَ بِهِذَا . فَانْصَرَفَ
إِلَى قَوْمِهِ فَأَصْلَحَ أَمْرَمْ ، ثُمَّ جَاءَهُمْ ، فَوَقَفَ حِيثَ بِسَمْهِمٍ وَقَالَ :

وَكَمْ مِنْ ضَيْفَمْ وَزَدِ^(٣) تَهْمُوس^(٤) أَبِي شِيلِينْ مَسْكَنَهُ الْعَرَبِينْ
عَلَوْتَ بِيَاضِ مَتْرِيقَه^(٥) بِعَضْبِي فَأَضْحَى فِي الْفَلَلَةِ لَهُ سَكُونٌ
وَأَضْحَتِ عِزْسَهُ وَهَا عَلَيْهِ - بُعِيْدَ هَدْوَهُ لِيَلْتَهَا - رَنِينُ
وَكَمْ مِنْ فَارِسٍ لَا تَزْدَرِيهِ إِذَا شَخَصَتْ لِوْقَهُ الْمَيُونَ

(١) يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ : يَتَخْبَطُ فِيهِ وَيَضْطَرِبُ وَيَتَرْغَبُ (٢) الصَّعْلَةُ : النَّعَامَةُ ، وَالصَّعْلَلُ : الظَّلِيمُ .

(٣) الْوَرْدُ : الْأَسْدُ ، وَلَوْنُهُ بَيْنَ الْكَيْتِ وَالْأَشْقَرِ (٤) التَّهْمُوسُ : السِّيَارُ بِاللَّيلِ (٥) الْمَرْقُ : وَسْطُ الرَّأْسِ .

كصخراً إذ تُسائلُ فمراح وأئمار وعلمها ظنون
 سائل عن حسين كل ركبٍ وعند جهينة الخبرُ اليقين
 فن يكُّ سائلًا عنه فتدى لصاحبِ البيان المستين
 جهةٌ عشرى وهو ملوك إذا طلبوا المعالى لم يهونوا

هـ - يَخْتَمُ الصَّاحِبُ إِذَا تَكُونُ كَرِيمَةً*

تزوج أبو كَيْر^(١) الْهَذَلَ أَمَّ تَابِطَ شَرَا^(٢) - وكان غلاماً صغيراً - فتقرب له ، وعرف ذلك أبو كَيْر في وجهه ، إلى أن ترَعَّرَ الغلام ، فقال أبو كَيْر لزوجه : وَيَحْكِ ، قد وَاللَّهِ رَابِّنِي أَمْرُ هذا الغلام ، ولا آمنه . قالت : فاحتلْ دلياً حتى تقتله .

قال له ذات يوم : هل لك أن تنزو ؟ فقال : ذاك من أمرى . قال : فامضِ بنا ، فخرجا غازِيْن ولا زادَ معها ، فسارا ليلاً ما ويوهها من الفد ، حتى ظنَّ أبو كَيْر أن الغلام قد جاع . فلما أُمْسِي قصدَ به أبو كَيْر قوماً كانوا له أعداء ، فلما رأيا نارَهُم من بُعد قال له أبو كَيْر : ويحك ، قد جُعْنَا ! فلو ذهبتَ إلى تلك النار فالتمست لنا منها شيئاً

* خزانة الأدب ٣ - ٤٦٧ (طبعة بولاق) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٦٥٢ ، شرح ديوان الحماسة : ١ - ١٩

(١) أبو كَيْر المُهَنْدِل : اسمه عامر بن الحليس . (٢) هو ثابت بن جابر ، كان أسمع العرب وأبصرهم وأكيدتهم ، وكان أعدى رجال ؛ ينظر إلى الضباء فيتنق على نظره أسمتها ، ثم يمدو خلفه خلا يفوتها . وأخباره في هذا الباب كثيرة ، توفي نحو سنة ٨٠ ق . هـ

فُضِيَ تَأْبِطَ شَرًا ، فُوجِدَ عَلَى النَّارِ رَجُلَيْنِ مِنَ الْأَصْمَانِ يُكَوِّنُونَ مِنَ الْعَرَبِ
— وَإِنَّمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا أَبُوكَبِيرَ لِيُقْتَلَاهُ — فَلَمَّا رَأَيْاهُ قَدْ غَشِيَ نَارَهَا وَبَنِيَ عَلَيْهِ ، فَرَمَى
أَحَدَهُمَا وَكَرَّهُ عَلَى الْآخَرِ فَرِمَاهُ ، فَقُتِلَاهُ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى نَارِهَا فَأَخْذَ الْخَبَزَ مِنْهَا ، فَجَاءَ
بِهِ إِلَى أَبِيهِ كَبِيرٍ ، فَقَالَ لَهُ : كُلْ ، لَا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَكَ ! وَلَمْ يَأْكُلْ هُوَ ، فَقَالَ :
وَيَحْكُمُكَ ! أَخْبَرْنِي عَنْ قَصَّتِكَ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَازْدَادَ خَوْفًا مِنْهُ .

ثُمَّ مُضِيَّا فِي لَيْلَتِهِمَا فَأَصَابَا إِبَلًا ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُ أَبُوكَبِيرَ تِلَاثَ لِيَالٍ : اخْتَرْ
أَيَّ نَصْفِ الْلَّيلِ شَتَّتَ تَحْرِسَ فِيهِ وَأَنَامْ ، وَتَنَامُ النَّصْفُ الْآخَرُ ، فَقَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ ،
اخْتَرْ أَيَّهُمَا شَتَّتَ ، فَكَانَ أَبُوكَبِيرُ يَنَمُّ إِلَى نَصْفِ الْلَّيلِ وَيَحْرُسُهُ تَأْبِطَ شَرًا ،
فَإِذَا نَامَ تَأْبِطَ شَرًا نَامَ أَبُوكَبِيرٌ أَيْضًا لَا يَحْرُسُ شَيْئًا حَتَّى يَسْتَوِيَ التِّلَاثُ .

فَلَمَّا كَانَ فِي الْلَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ ظَنَّ أَنَّ النَّعَسَ قَدْ غَلَبَ عَلَى النَّفَلَامْ ، فَنَامَ أَوْلَى الْلَّيْلَاتِ
إِلَى نِصْفِهِ ، وَحَرَسَهُ تَأْبِطَ شَرًا ، فَلَمَّا نَامَ الْفَلَامْ قَالَ أَبُوكَبِيرٌ : الْآزِنَ ، يَسْتَقْلُ نَوْمًا
وَتَمْكِنُ فِيهِ الْفَرَصَةُ ؟ فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهُ اسْتَقْلَلَ أَخْذَ حَصْبَبَةً صَفِيرَةً ؛ فَحَذَفَ^(١) بِهَا ؛
فَقَامَ كَتْيَامَهُ الْأَوَّلَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا الَّذِي أَسْمَعْتُمْ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي لَمْ يَلْعَبْ بَعْضَ
الْإِبْلِ تَتْحِرَّكَ ؟ فَقَامَ وَطَافَ فِيمَا يَرَى شَيْئًا ، فَمَادَ فَنَامَ ، فَأَخْذَ حَصَّةً أَصْغَرَ مِنْ تِلْكَ ،
فَرَمَى بِهَا فَوْتَبَ ، فَطَافَ وَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا هَذَا ؟ إِنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ أُمْرَكَ ؛
وَاللَّهِ لَئِنْ عَدْتُ أَسْمَعْ شَيْئًا مِنْ هَذَا لَأَقْتُلَنَكَ ! قَالَ أَبُوكَبِيرٌ : فَبِتُّ وَاللَّهُ أَحْرَسَهُ خَوْفًا
أَنْ يَتَحْرَّكَ شَيْءًا مِنَ الْإِبْلِ فَيَقْتَلَنِي !

فَلَمَّا رَجَعَا إِلَى حَيَّهُمَا قَالَ أَبُوكَبِيرٌ :
وَلَقَدْ سَرِيتُ عَلَى الظَّلَامِ بِهَفْشَمَ جَلْدٌ مِنَ الْفَتَيَانِ غَيْرَ مَثَقَلٌ^(٢)

(١) حَذَفَ بِهَا : رَمَى (٢) الْمَفْشَمُ : الَّذِي لَا يَنْتَهِ شَيْءٌ . وَالْجَلْدُ : الْفَوْيُ . وَغَيْرَ مَثَقَلٌ : أَيْ
حَسْنُ الْقَبْوَلِ حَبْبٌ لِلْأَقْلُوبِ .

يُمْنَ حَلْنَ بِهِ وَهُنَّ عَوَادُ حُبُكَ النَّعَافِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهْبَلٍ^(١)
 حَلَتْ بِهِ فِي لِيَلَةِ مَزَوْدَةَ كَرْنَمَا وَعِقَدْ نِطَاقُهَا لَمْ يُحَلَّ^(٢)
 فَاتَّ بِهِ حَوشَ النَّوَادِ مُبَطَّنًا سُهْدَأْ إِذَا مَا نَامَ لَيلُ الْمَوْجَلِ^(٣)
 وَإِذَا نَبَذَتَ لَهِ الْحَصَّةَ رَأَيْتَهُ يَنْزُو لَوْقَهَا طَمُورَ الْأَخَيْلِ^(٤)
 كَرْتُوبَ كَعْبِ السَّاقِ لِيَسْ بِزُمْلِ^(٥) مَا إِنْ يَمْسِ بِالْأَرْضِ إِلَّا مُنْكِبٌ^(٦)
 مِنْهُ وَحْرَفُ السَّاقِ عَلَى الْمَحْلِ^(٧) وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْنُو يَخَارِمَهَا هُوَيَّ الْأَجْدَلِ^(٨)
 بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ التَّهَلَّلِ^(٩) وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسِرَّةِ وَجْهِهِ
 يَحْمِي الصَّاحِبَ إِذَا تَكُونَ كَرِيْهَةَ وَإِذَا مُنْ زَلَوا فَلَوْيَ الْعَيْلِ^(١٠)

- (١) الضمير النساء ، وإن لم يغير لهن ذكر ، وضم حلن معنى علقن فقدى بالباء ، وعواقد يحيى
 حالدة ، والمبك جمع جباك : وهو ما يشد به النطاق ، والنطاق شفة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم
 ترسل الأعلى على الأسفل إلى الركبة ، والأسفل ينجر على الأرض . والهبل الذي يدعى عليه
 بقوم : هبلته أمه ، أوى نكلته ، أو الكثير العم . والمعنى أن هذا النلام حلت به أمه وهي متيبة
 من الخدمة فشتاً محموداً مرضياً ، لم يدع عليه بالشكل والمبدل ، وهذا في زعم العرب (٢) مزءودة:
 مروعة ، والعرب تزعم أن المرأة تتوجب إذا حلت منقبة (٣) حوش الفؤاد : ذكر كيس ،
 والبلعن : المحبس البطن . والسهـد : قليل النوم ، والموجـل : التقيل الكـلـان ، والأـمـوجـ (٤) يـنـزوـ
 يـقـنـزـ ، والـطـمـورـ : الـوـتـبـ ، والأـخـيـلـ : الشـامـينـ ، وـهـوـ مـنـ الطـيـورـ الـجـارـحةـ (٥) رـأـيـهـ : أـيـ
 رـأـيـتـ رـتـوـبـ الـكـعـبـ اـتـصـابـهـ ، وـرـتـوـبـ الـزـمـلـ : الـضـعـيفـ ، وـالـمـلـئـ : أـنـهـ إـذـ استـيقـظـ منـ مـنـاهـ
 اـتـصـابـ السـاقـ (٦) يـقـولـ : إـنـهـ مـدـمـعـ الـحـلـقـ إـذـ اـضـطـجـعـ لـاـ يـنـبـسـ عـلـىـ الـأـرـضـ وـلـاـ يـتـكـنـ
 مـنـهـ بـأـعـضـائـهـ كـلـهاـ وـلـاـ يـعـسـ الـأـرـضـ بـعـنـكـهـ ، فـهـرـزـ فـذـكـ مـثـلـ حـرـةـ السـيـنـ حـيـنـ طـوـرـهـ
 (٧) الـفـجـاجـ : جـمـعـ فـجـعـ وـهـوـ الـطـرـيقـ الـوـاسـعـ فـيـ الـجـبـلـ أـوـغـيـرـهـ . الـمـوـيـ : الـقـصـدـ إـلـىـ أـسـفـلـ ، وـالـخـارـمـ
 جـسـعـ عـرـمـ وـهـوـ مـنـقـطـعـ أـنـقـ الجـبـلـ . وـالـأـجـدـلـ : الـصـقـرـ . وـهـذـاـ الـكـلـامـ كـنـايـةـ عـنـ كـوـنـهـ صـاحـبـ هـمـ
 إـذـ يـنـطـتـ بـهـ الصـابـ ذـلـلـهاـ (٨) الـأـسـرـةـ : الـخـلـوطـ الـتـيـ فـيـ الـجـبـهـ ، يـقـولـ : إـذـ نـظـرـتـ فـيـ وـجـهـ
 وـأـيـتـ أـسـارـيـرـ وـجـهـ تـشـرـقـ إـشـرـاقـ السـحـابـ التـشـقـقـ بـالـبـرـقـ . يـصـفـهـ بـجـسـنـ الـبـشـرـ وـطـلـاقـ الـوـجـهـ
 (٩) الـعـيـلـ : جـمـعـ عـائـلـ وـهـوـ الـقـيـرـ ، يـصـفـهـ بـأـنـهـ شـجـاعـ كـرـمـ .

٦ - تأبَط شرًا وابن براق*

أغار تأبَط شرًا ومعه ابن (١) براق على بحيلة ، فاطردا لها نعماً ، وندِرت (٢)
بها بحيلة فرجت في آثارها ، ومضيا هاربين في جبال السرآة ، وركبا الحزن ،
وعارضتها بحيلة في السهل ، فسبقوها إلى الوهْط (٣) ، فدخلوا لها في قصبة العين ،
وجاءا - وقد بلغ العطش منها - إلى العين .

فلا وقعا عليها ، قال تأبَط شر الأبن براق : أقل من الشرب فإنها ليلة طرد ،
قال : وما يدريك ؟ قال : والذى أعدُّو بطيره (٤) ، إنَّ أسمى وجيب (٥) قلوب
الرجال تحت قدمي - وكان من أسمى العرب وأكيدم - فقال له ابن براق : ذاك
وجيب قلبك . فقال له تأبَط شرًا : والله ما وجبَّ قط ولا كان وجتابا ، وضرب
بيده عليه ، وأصانع نحو الأرض يستمع ، فقال : والذى أعدُّو بطيره ؛ إنَّ أسمى
وجيب قلوب الرجال . فقال له ابن براق : فإني أنزل قلبك .

فنزل فبرك وشرب ، وكان أكلَّ القوم عند بحيلة شوكة ، فتركوه ومم في
الفلمة . ونزل ثابت (٦) ، فلما توسط الماء وثبوا عليه ، فأخذوه وأخرجوه من العين
مسكتُوا ، وابن براق قريبُ منهم لا يطعون فيه لما يعلمون من عدوه . فقال لهم
ثبت : إنه من أصلف الناس وأشدُّهم عجبًا بعدوه ، وسأقول له استأسر (٧) معي ،

* الأغانى : ١٨ - ٢١١ (طبعة السادس) ، بلوغ الأربع : : ٢ - ١٤٣

(١) اسمه عمرو بن براق (٢) نذر به : علم (٣) الوهْط : ماء بالطائف (٤) يقال :
طير افة لا طيرك . أى فعله وحكمه (٥) وجب القلب : اضطرب (٦) ثابت : اسم تأبَط شرًا
(٧) استأسر : كن أسيرا .

(٢ - قسم العرب - ٢)

فسيدغوه هُجْبَه بعدهو إلى أن يمدو بين أيديكم ، وله ثلاثة أطلاق ^(١) ؛ أو لما كان مع الماية ، والثاني كالنفس الجواه ، والثالث يكتبو فيه ويشر . فإذا رأيتم منه ذلك فتنوه ؛ فإني أحب أن يصير في أيديكم كما صرت إذ خالقني ، قالوا : فافل .

فصلح به تأبِط شرًا : أنت أخى في الشدة والرخاء ، وقد وعدنى القوم أن ينتوا عليك وعلى ، فاستأسِرْ وواسنى بنفسك في الشدة كاً كنت أخى في الرخاء ؛ فضحك ابن براق ع وعلم أنه قد كادم ، وقال : مهلاً يا ثابت ، أستأسِرْ من عنده هذا العدو ؟ ثم عدا ، فعدا أول طلاق مثلَ الريح كاً وصف لم ، والثاني كالنفس الجواه ، والثالث جعل يكتبو وبعثرويقع على وجهه ؛ فقال ثابت : خذوه ؛ فعدوا بأجمعهم ، فلما أن نفَسوا عنه شيئاً عدا تأبِط شرًا في كتافه ، وعارضه ابن براق قطع كتافه وأفلتا جميعاً ، فقال تأبِط شرًا قصيدة القافية في ذلك :

ياعيد ^(٢) مالك من شوقٍ وإبراقٍ ومرّ طيفٍ على الأهوال طرّاقٍ
يسرى على الأئن ^(٣) والحيات مختفيًا

(١) الطلاق : الشوط (٢) العيد : ما اعتاده الإنسان من هم أو شوق أو مرض ، ومالك من شوق : يعني ما أعظمك ، والإبراق مصدر آرقه ، وطرّاق : أى يأن ويطرق في الليل .

(٣) الأئن : الذكر من الحيات ، وعطف : حاف غير متسل .

٧— أَتَكَ بِحَائِنِ رِجْلَاهُ *

كان المنذر بن ماء السماء ^(١) يناديه رجالان من العرب : خالد بن المضلل ، وعمر بن مسعود الأسديةان ، فشرب ليلةً معهما ، فراجعته الكلام ، فأغضباها ، فأسر بها قفتلا وجعلا في تابوتين ، ودفنا بظاهر الكوفة .

فلا أصبح وصاحا سألهما فأخبر بذلك ، فندم وركب حتى وقف عليهما ؛ فأسر بينيات الغريين ^(٢) ، وجعل لنفسه في كل سنة يومين : يوم بؤس ، و يوم نعيم .

فكان يضع سريره بينهما ؛ فإذا كان يوم نعيم فأول من يطلع عليه - وهو على سريره - يعطيه مائة من إبل الملوكة ، وأول من يطلع عليه في يوم بؤسه يعطيه رأس طربان ^(٣) ويأس به فيذبح ، ويُفرّى بدمه الغريان .
فلم يزل كذلك ماشاء الله .

فيينا هو ذات يوم من أيام بؤسه ، إذ طلع عليه عبيد بن الأبرص ^(٤) ، فقال له الملك : ألا كان الذبح ^(٥) غيرك يا عبيد ! فقال : أَتَكَ بِحَائِنِ رِجْلَاهُ .

قال له الملك : أوَ أَجَلْ قد بلغ إناه ! ثم قال يا عبيد : أَنْشَدْنِي فقد كان يعجبني

* مذهب الأغانى : ٢ - ٢٠٧ ، بلوغ الأربع : ١ - ١٢٨ ، ذيل الأمالى ١٩٩ (الطبعة الأميرية)
الشعر والشعراء : ١٤٤ (طبعة أوربا) .

(١) في كتاب المارف أن الذى قتل عبيداً هو النعسان بن المنذر ، وهو صاحب الفريين (راجع صفحة ٢٨٣ ، وانظر الفضة رقم ٦٥ من الجزء الأول من هذا الكتاب) (٢) الفريان : سبياً بذلك لأنك كان يغريهما بدم من يقتله يوم بؤسه (٣) دوبية شبه الكلب أصم الأذنين طوبى المرطوم متن الراحة (٤) عبيد بن الأبرص : شاعر جاهلي قديم من المغاربة : كان شاعر بنى أسد غير مدافم (٥) الذبح : ما يذبح .

شِعْرُكَ ، فقال : حال الْجَرِيفُ دون القرِيفُ^(١) ، وبلغ الحزامُ الطَّبِيَّينَ^(٢) ،
قال : أنسدني :

أقْفَرَ مِنْ أهْلِهِ مَلْحُوبٌ^(٣) فَالقطبيات^(٤) فالذَّنُوب^(٥)

قال :

أقْفَرَ مِنْ أهْلِهِ عَبِيدٌ فَالْيَوْمَ لَا يُبَدِّى ولا يُعِيدُ
عَنَّتْ لَهُ مِعْنَةً^(٦) نَكُودْ وَحَانَ لَهُ مِنْهَا وُرُودْ

قال : أنسدني هبْلَتَكَ أُمْكَ ! قال : المَنَابِيَّا عَلَى الْحَوَالِيَا^(٧) . قال
بعضُ القوم : أنسدَ الْمَلَكَ ؟ هبْلَتَكَ أُمْكَ ! قال : لَا يَرْحُلُ رَحْلَكَ مَنْ
لِيسَ مَعَكَ .

قال له آخر : ما أَشَدَّ جَرْعَكَ مِنَ الْمَوْتِ ! قال :

لَا غَرَوَ مِنْ عِيشَةِ نَافِدَهُ وَهُلْ غَيْرُ مَاءِ مِيَّتَهُ وَاحِدَهُ
فَأَبْلَغَ بَنَىٰ وَأَعْمَامَهُمْ^(٨)
لَمَادُّهُ فَنَفُوسُ الْبَنَادِ
فَلَا تَجْزِعُنَا حَمَارِ دَنَا فَلِمَوْتِ مَاتَلَهُ الْوَالِهُ

قال له التذر : لا بدَّ منَ الْمَوْتِ ! ولو عرضَ لِأبِي فِي هَذَا الْيَوْمِ لَمْ أَجِدْ بَدْأًا
مِنْ ذِنْجَهُ . فَأَمَا إِذْ كُنْتَ لَهَا وَكَانَتْ لَكَ ، فَأَخْتَرْ خَصْلَةً مِنْ ثَلَاثَ خَصَالٍ : إِنْ
شَتَّتَ مِنَ الْأَكْحَلِ^(٩) ، وَإِنْ شَتَّتَ مِنَ الْأَبْجَلِ^(١٠) ، وَإِنْ شَتَّتَ مِنَ الْوَرِيدِ^(١٠) .

(١) مثل يضرب لأمر يعوق دونه عائق . والجريف : الغصن . والقريف : الشجر (٢) مثل يضرب إذا اشتد الأمر وتتفاقم . والطبي : حلقات الفرع (٣) ملعوب : موضع القطبيات : جمع قطبية ، وهي ماء (٤) الذنوب : موضع . (٥) أصل المنة : المرأة تفترض في كل شيء (٦) الملوية : كسراء يموجي حول سنان البعير ثم يركب ، ومنعنه : قد تأتي المنية الشجاع وهو على سرجه . (٧) الأكحل : عرق في اليد (٨) الأبجل : عرق غليظ في الرجل أو في اليد يزايه الأكحل (٩) الوريد : عرق في المنق .

قال : ثلث خصال ؛ مقادُها شرُّ مقاد ، وحادِيهَا شرُّ حاد ، ولا خيرَ فيها
لمُتَاد ؛ فَإِنْ كُنْتَ لابدَّ قاتلِي فاسقِي الْخَرَّ حَتَّى إِذَا ذَهَلْتَ هَذَا هَاهِلَّ ، وَمَاتَتْ
هَا مَفَاصِلِي ؛ فَشَأْنِكَ وَمَا تَرِيدُ !

فَأَسْرَ المَنْذُرَ لِهِ بِمَحاجِتِهِ مِنَ الْخَرَّ ، فَلَمَّا أَخْذَتْ مِنْهُ وَقْرَبَ لِيَذْبَحَ قَالَ :
وَخَيْرِنِي ذُو الْبُؤْسِ فِي يَوْمِ بُؤْسِهِ خِلَالًا أَرَى فِي كُلِّهَا الْمَوْتَ قَدْ بَرَّقَ
كَمَا خَيْرِتَ عَادَ مِنَ الدَّهْرِ سَرَّةً سَحَابَةَ مَا فِيهَا لِذِي خَيْرٍ أَنْقَ (١)
سَحَابَةَ رِيحٍ لَمْ تَوَكَّلْنَ بِسَلَادَةٍ فَتَنَزَّهَ كَمَا إِلَّا كَمَا يَلْهُلُ الْعَلْقَ (٢)
وَأَسْرَ بِهِ فَفُصِّدَ ، فَلَمَّا مَاتَ طُلُّ بِدْمِهِ الْغَرِيانَ .

(١) الأنق : الإعجاب بالشيء (٢) العلق : سير الليل لو رد الفب ، وهو أن يكون بين الإبل وبين الماء ليثان ؟ فالليلة الأولى يعلى الراعي إبله إلى الماء ويندر كما مع ذلك ترعى وهي تسير ليلتنا ، فهي ليلة العلق ، والليلة الثانية ليلة القرب ، وهو السوق الشديد .

٨ - السليميُّك بن السليْكَة ورفيقاه *

كان السليميُّك ^(١) من أشد رجال العرب وأنكرم ^(٢) وأشعرم ، وكان أدل الناس بالأرض ، وأنعلمهم بمسالكها ، وأبشدُم عدواً على رجليه لا تعلق به الخيل ، وكان يقول : اللهم إناك تهبي ما شئت لما شئت إذا شئت ، اللهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ، ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إني أعود بك من الخيبة ، أما المحبة فلا هيبة ^(٣) .

ذكروا أنه أملق ^(٤) مرأة حتى لم يبق له شيء فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غرفة من بعض من يمر به ، فيذهب يابله ، حتى أمسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة مقمرة ، فاشتمل الصماء ^(٥) ، ثم نام .

فيديما هو نائم إذ جنم عليه رجل فقد على جنبه ، وقال : استأثر ^(٦) ! فرفع السليميُّك إليه رأسه ، وقال : الليل طويل وأنت مقرئ ^(٧) ؟ فقبل الرجل يلتهزه ^(٨) ويقول : ياخبيث ، استأثر ، فلما آذاه بذلك أخرج السليميُّك يده ، وضم الرجل إليه ضمة صرخ منها ، وهو فوقه ، ثم قال : من أنت ؟ فقال : أنا رجل افتقرت ،

* الأغان : ١٨ - ١٣٤ (طبعة الساسي) ، الأمثال : ١ - ٤١٨

(١) كان السليميُّك من تميم ، وأمه أمة سوداء اسمها السليكة ، وهو من أشد رجال العرب وأنكرم ، وأكثرم عملا بالأرض وأعلمهم بمسالكها ، وله في ذلك أخبار كثيرة . قتله أسد بن مدرك سنة ١٧ ق م تقريباً (٢) التكارة : الدمام . (٣) أى رهاب أحداً (٤) أملق : افتقر (٥) اشتمل الصماء : اشتغل الصماء أن يرد فضلة نوبه على عضده الميغ ثم بنام عليها (٦) استأثر : كن لي أسيراً (٧) ذهبت مثلا ، وأفتر الرجل : ارتقب طلوع القمر (٨) يلتهزه : يلسمه .

قلت : لاخرجن فلا أرجع إلى أهل حتى أستغنى فاتيهم وأنا غنى . قال الرجل : انطلق معى .

فانطلق فوجدا رجلاً قصته مثل قصتهما ، فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجوف ^(١) ؛ جوف مراد ، فلما أشرفوا عليه فإذا فيه نعم ^(٢) قد ملا كل شيء من كثريه ، هبوا أن ينبروا فيطردوا ^(٣) بعضها ، فيلحقهم الطلب ، فقال لها سليمك : كونا قريباً مني حتى آتي الرعاء ^(٤) ، فأعلم لكما علم الحى : أقرب أم بعيد ، فإن كانوا قريباً رجعت إليكما ، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولوا أوحى إليكما به فأغيرا .

فانطلق حتى آتي الرعاء فلم يزل يتسلطهم ^(٥) حتى أخبروه بمكان الحى ، فإذا هم بعيد ، إن طلبوا لم يذركوا ؟ فقال السليمك للراغعاء : ألا أغنيكم ؟ فقالوا : بلى ! غتنا ، فرفع صوته وغنى :

يا صاحبى ألا لا حى بالوادى سوى عبید وآم بين أذوايد ^(٦)
أتنظران قريباً ريث غفلتهم أم تندوان فإن الربع للقادى
فلا سما ذلك أتيا السليمك ، فأطردوا الإبل ، فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصريح ^(٧)
الحى ؟ فباتوم بالإبل .

(١) موضع بأرض مراد (٢) النعم : واحد الأنعام ، وهى الإبل والشاة .

(٣) قال في اللسان : طردت الإبل : أى ضممتها من نواحيها (٤) الرعاء : الرعاء (٥) تسقطه : عالمه ليروح بما عنده (٦) أذوايد : جم ذود ، ثلاثة عشرة لى عشرة (٧) الصريح . المستفيض كالصارخ .

٩ - السَّلِيلُكَ يُقْتَلُ وَيُنَهَّبُ *

زعموا أن السَّلِيلَكَ بن السَّلَكَةِ خرج يربد أن ينير في ناسٍ من أصحابه ؛ ففرَّ على بني شيبان ، في ربيع ، والناس مخصوصون في عشية فيها ضباب ومطر ؛ فإذا هو بيبيت قد اغفرد عن البيوت عظيم ، وقد أمسى .

قال لأصحابه : كونوا بمكان كذا وكذا حتى آتى هذا البيت ، فلعل أصيَّبُ خيراً ، أو آتكم بطعام . قالوا له : افل .

فانطلق إليه وجَّنَ عليه الليل فإذا البيت بيت يَزِيدَ الشَّيْبَانِي ، وإذا الشيخ واسأته بفناء البيت ؛ فاحتال السَّلِيلَكَ حتى دخل البيت من مؤخره ؛ فلم بلثت أن أرَاه ^(١) ابنُ الشَّيْخَ يابله في الليل ، فلما رأاه الشَّيْخُ غضب ، وقال : هلا كنت عشيتها ساعةً من الليل ! قال ابنه : إنها أبْتِ العشاء ! فقال يَزِيدَ : إن العاشية تهيج الآية ^(٢) !

نم نفس الشيخ ثوبه في وجهها ، فرجعت إلى مراتعها ، وتبعها الشيخ حتى مالت لأدْنِي روضة ؛ فرتفعت فيها ، وقدم الشيخ عددها يتعشى ، وقد حَنَسَ ^(٣) وجهه في ثوبه من البرد .

* الأمثال : ١ - ٤١٧

(١) الإراحة : رد الإبل والقم من المتنى إلى مراتعها ، حيث رَأَى إِلَيْهِ لِبَادَ ، وقد أراهم بارعيها

(٢) أى إذا رأى تأبي الرعي ^١ التي تتعشى حاجتها للرعي ، فربعت معها .

(٣) حَنَسَ . قَبَضَ .

وتبعد السليم حين رأه انطلق ؟ فلما رأه مُعْتَزِّاً^(١) ضربه من ورائه بالسيف ،
فأطاح رأسه ، وأطْرَد إبله .

وبقي أصحاب السليم - وقد ساء ظُلْمُه ، وخافوا عليه ، فإذا به يُطْرِد
الإبل ، فاطردوها معه !

١٠ - السخي العَدَم *

قال رجلٌ من بني تميم :

كنتُ عند المهاجر بن عبد الله وإلى الميامة ؟ فأتني بأغراضي قد كان معروفاً
بالسرق^(٢) ؟ قال له : أخبرني عن بعض عجائبك . قال : إنها لكثيرة ، ومن
أغجَّها :

أنه كان لي بغير لا يستيقن ؛ وكانت لي خيل لا تلحق ، فكنت لا أخرج
فارجع خاتماً ، ففرجت يوماً ، فاحترشت^(٣) ضيًّا ، فعلقته على قببي^(٤) ، ثم
صررت بخباة سري^(٥) ليس فيه إلا عموز ، قلت : أخلق بهذا الخباء أن يكون له
راحمة من غنمٍ وإبلٍ ، فلما أمسكت إذ يابلٍ مائة ، فيها شيخ عظيم البطن ،
مُندَن^(٦) اللحم ، ومعه عبد أسود وغد^(٧) .

(١) اعتز : تتعنى .

* عيون الأخبار : ١ - ١٨٧

(٢) السرق : السرقة (٣) احترش القب : اصطاده (٤) القب : الإكاف الصغير على قدر
ستان البعير (٥) السري : من له مروءة في شرف (٦) مشنن اللحم : كثيرة (٧) الوغد : الدنة
التي يخدم يقطنه .

فَلَمَّا رَأَى رَبَّ بَيْ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاقَةٍ فَاحْتَلَبَهَا ، وَنَالَنِي الْمُلْبَةُ فَشَرِبَتْ مَا يَشْرَبُ الرَّجُلُ ، فَتَنَاهَى الْبَاقِي ، فَضَرِبَ بِهِ جَبَهَتَهُ ، ثُمَّ احْتَلَبَ تَسْعَ أَيْنَقَ ، فَشَرِبَ الْبَاهِنَةَ ، ثُمَّ نَحَرَ حِوَاراً^(١) فَطَبَغَهُ ، ثُمَّ أَتَى عَظَامَهُ بِيَضْنَا ، وَحَنَّ كُومَةً مِنْ بَطْحَاءَ^(٢) وَتَوَسَّدَهَا ، وَغَطَّ غَطِيطَ الْبَكَرَ .

فَقَلَتْ : هَذَا وَاللَّهِ الْغَنِيَّةُ ! ثُمَّ قَاتَ إِلَى فَعْلَ إِبْلِهِ خَطْمَتَهُ^(٣) ، ثُمَّ قَرَنَتْهُ إِلَى بَعِيرِي ، وَصِحْتَ^(٤) بِهِ ، فَاتَّبَعَنِي الْفَعْلُ ، وَاتَّبَعَهُ الْإِبْلُ ، فَسَارَتْ خَلْقِي كَانَهَا حَبْلٌ مَدْدُودٌ ، فَضَيَّبَتْ أَبَادِرَ ثَنَيَّةِ^(٥) بَيْنِ وَيْنَهَا مَسِيرَةُ لَيْلَةِ الْمُسْرِعِ ، فَلَمْ أَزِلْ أَفْرَبَ بَعِيرِي بِيَدِي سَرَّةً ، وَأَفْرَعَهُ بِرَجْلِ أُخْرَى ، حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ .

فَأَبْصَرَتِ الثَّنَيَّةَ ، فَإِذَا عَلَيْهَا سَوَادُ ، فَلَمَّا دَنَوْتُ^(٦) إِذَا أَنَا بِالشِّيخِ قَاعِدًا وَقُوْسُهُ فِي حِجْرِهِ ، قَالَ : أَضَيْفَنَا ؟ قَلَتْ : نَعَمْ ! قَالَ : أَتَسْخُونَ فَسْكَ عنْ هَذِهِ الْإِبْلِ ؟ قَلَتْ : لَا .

فَأَخْرَجَ سَهْمًا كَانَ نَصَّهُ لِسانُ كَلْبٍ ، ثُمَّ قَالَ : أَبْصِرْ بَيْنَ أَذْنَيِ الْضَّبِّ ، ثُمَّ رَمَاهُ فَصَدَعَ عَظْمَهُ عَنْ دَمَاغِهِ ، وَقَالَ : مَا تَقُولُ ؟ قَلَتْ : أَنَا عَلَى رَأْيِ الْأُولَى ! قَالَ : انْظُرْ هَذَا السَّهْمَ الثَّانِي فِي فَقْرَةِ ظَهْرِهِ الْوَسْطَى ! ثُمَّ رَمَى بِهِ ؛ فَكَانَمَا قَدَرَهُ بِيَدِهِ ، ثُمَّ وَضَعَهُ يَا صِبِيعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَرَأَيْتَ ؟ قَلَتْ : إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْتَبَثَ . قَالَ : انْظُرْ هَذَا السَّهْمَ الثَّالِثَ فِي عُكْنَوَةِ^(٧) ذَنَبِهِ ، وَالرَّابِعَ وَاللَّهُ فِي بَطْنِنِكَ . ثُمَّ رَمَاهُ فَلَمْ يَخْطُطِ الْعُكْنَوَةُ ، قَلَتْ : أَنْزِلْ أَمْنًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَنَزَلتُ^(٨) . فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ خِطَامَ فَعْلِهِ ، وَقَلَتْ : هَذِهِ إِيلَكَ لَمْ يَذْهَبْ مِنْهَا وَبَرَّةً – وَأَنَا أَنْتَظِرُ مَتَى

(١) الموار : ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمها (٢) البطحاء : مسيل واسع فيه دفاف المحي

(٣) خطمه : وضع فيه الخطام : وهو ما وضع في أقف البعير ليقاد به .

(٤) الكوة : أصل الذنب .

يرمي بسهم ينقطم قلبي . فلما تحيت قال لي : أقبل ، فاقبّلتُ والله خوفاً من شره ،
لا طمعاً في خبره .

قال : أى هذا ؟ ما أحسبك جشمتَ الليلةَ ما جشمتَ إلا من حاجة . قلت :
أجل ! قال : فاقرُنْ من هذه الإبل بغيرين وامض لطيتك ، قلت : أما والله حتى
أخبرك عن نفسك قبلًا !

ثم قلت : والله مارأيت أعرابياً قط أشدَّ ضرراً ، ولا أعدى رجلاً ، ولا أرثى
يداً ، ولا أكرم عفواً ، ولا أخني نفساً منك !

* ١١ - زَيْدُ الْخَيْلِ ^(١)

أخبر شيخ من بني نهان قال :

أصابت بني شيبان سنة ذهبت بالأموال ؛ فخرج رجل منهم يعاليه حتى أزلم الخيرة ، فقال لم : كونوا قريباً من الملك يُصْبِّنُكُم خيراً حتى أرجع إليكم ، وآل آلية ^(٢) ؛ لا يرجع حتى يكتبهم خيراً أو يموت .

فنزلَ زاداً ثم مشى يوماً إلى الليل ، فإذا هو به مقيداً ، حول خباء ، فقال : هذا أول الفنية ، وذهب يحثله ويركبه ، فندوى : خل عنه واغنم نفسك . فتركه .

ومضى سبعة أيام حتى انتهى إلى عَطَان ^(٣) إبل مع تعظيل ^(٤) الشمس ، فإذا خباء عظيم وقبة من أَدَم ، فقال في نفسه : ما لهذا الخباء بُدُّ من أهل ، وما هذه القبة بُدُّ من رب ، وما لهذا العَطَان بُدُّ من إبل . فنظر في الخباء فإذا شيخ كبير قد اختللت قرقوتاه كأنه نسر .

قال : جلست خلفه . فلما وجدت ^(٥) الشمس إذا فارس قد أقبل لم أر فارساً قط أعلم منه ولا أجسم ، ومعه أسودان يمشيان جنبيه ، وإذا مائة من الإبل مع

* الأغان : ١٦ - ٤٧ (طبعة الأساسي) .

(١) هو زيد بن مهليل ، كان فارساً مغواراً مظفراً شجاعاً بعيد الصيت في الجاهلية ، وكان شاعراً عسناً خطياً لسناً ، كرعاً ، وأدرك الإسلام ، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع ، وسرّ به وقرره وساه : زيد المثير . وسمى في الجاهلية بزيد الخيل لكثرته خيله . توفي سنة ٩ هـ (٢) آلى آلية : حلف عيناً ^(٣) العطن : مبرك الإبل ^(٤) تعظيل الشمس : ميلاً للغروب ^(٥) ووجبت الشمس : مالت للغروب .

فَحَلْهَا ، فَبَرَكَ الفَحْلُ ، وَبَرَّكَتْ حَوْلَهُ ، وَنَزَلَ الْفَارِسُ ؛ فَقَالَ لِأَحَدَ عَبْدِيَّهُ : احْلُبِ
الْفَلَانَة^(١) ، ثُمَّ اسْقِ الشَّيْخَ ، خَلْبٌ فِي عُنْقٍ حَتَّى مَلَأَهُ وَوَضْعَهُ بَيْنَ يَدَيِّ الشَّيْخِ ،
وَتَنْحَىَ ، فَكَرَعَ مِنْهُ الشَّيْخُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ نَزَعَ^(٢) ، فَثُرَّتْ إِلَيْهِ فَشَرَّبَهُ ، فَرَجَعَ
إِلَيْهِ الْعَبْدُ قَالَ : يَا مُولَايِ ؟ قَدْ أَنِّي عَلَى آخِرِهِ . فَرَحَ بِذَلِكَ وَقَالَ : احْلُبِ
خَلْبَهَا ، ثُمَّ وَضَعِ الْمُعْسَنَ^(٣) بَيْنَ يَدَيِّ الشَّيْخِ ، فَكَرَعَ مِنْهُ وَاحِدَةً ، ثُمَّ نَزَعَ ، فَثُرَّتْ إِلَيْهِ
فَشَرَّبَتْ نَصْفَهُ ، وَكَرِهَتْ أَنْ آتَى عَلَى آخِرِهِ فَأَتَاهُمْ ، فَجَاءَ الْعَبْدُ فَأَخْذَهُ ، وَقَالَ لِمُولَاهِ
قَدْ شَرَبَ ، فَقَالَ : دَغْهٌ .

ثُمَّ أَمْرَ بِشَاةٍ فَذَبَحَتْ ، وَشَوَى لِلشَّيْخِ مِنْهَا : ثُمَّ أَكَلَ هُوَ وَعَبْدَاهُ . فَأَمْهَلَتْ
حَتَّى إِذَا نَامُوا وَسَمِعَتِ الْفَطِيطَ^(٤) ثُرَّتْ إِلَى الْفَحْلِ ، خَلَّتِ عِقَالَهُ وَرَكِبَتْهُ ، فَانْدَعَفَتِ
وَتَبَعَّتِ الْإِبَلُ . فَشَيْتُ لِيَلَى حَتَّى الصَّبَاحِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَتْ نَظَرَتُ فَلَمْ أَرْ أَحَدًا ، فَسَلَّتْهَا سَلَّا عَنِيفًا ، حَتَّى تَعَالَى النَّهَارُ ، ثُمَّ
الْتَّفَتْ التَّفَاتَةً ، فَإِذَا أَنَا بِشَيْءٍ كَانَهُ طَائِرٌ ، فَازَالَ يَدْنُو حَتَّى تَبَيَّنَتْهُ ، فَإِذَا هُوَ فَارِسٌ
عَلَى فَرْسٍ ، وَإِذَا هُوَ صَاحِبٌ بِالْأَمْسِ ، فَقَلَّتْ الْفَحْلُ ، وَثَلَّتْ كَنَانَتِي ، وَوَقَتَتْ بَيْنِي
وَبَيْنِ الْإِبَلِ ، فَقَالَ : احْلُلْ عِقَالَ الْفَحْلِ . فَقَلَّتْ : كَلا وَاللهُ ، لَقَدْ خَلَّتْ نُسَيَّاتِ
بِالْحِيَةِ ، وَآلَيْتُ أَلْيَةً لَا أَرْجِعُ حَتَّى أَفِيدَهُنَّ خَيْرًا أَوْ أَمْوَاتٍ ، قَالَ : فَإِنَّكَ لَمَيِّتٌ ؛
حَلَّ عِقَالَهُ لَا مُمْلِكَ لَكَ ! فَقَلَّتْ : مَا هُوَ إِلَّا مَا قَلَّتْ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّكَ لَمْ فَرُورٌ ، انصَبْ لِي
خِطَامَهُ ، وَاجْعَلْ فِيهِ خَسْ عَبْجَرَ^(٤) ؟ فَقَعَلَتْ ، فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ أَنْ أَضْعِفَ سَهْمِيَّ ؟
فَقَلَّتْ : فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . فَكَانَتْ مَا وَضَعَهُ بِيَدِهِ .

(١) الفلانة : كناية عن غير الإنسان (٢) نزع : انْهَى (٣) غطيط النائم : غثيده .

(٤) العجرة : المقدة .

ثُمَّ أَقْبَلَ يَرِى حَتَّى أَصَابَ الْمَحْسُ بِخَمْسَةِ أَسْهَمٍ ، فَرَدَدَتْ نَبِيلَ^(١) ، وَحَطَطَتْ قَوْسِي ، وَوَقَتَتْ مَسْتَلَماً ؛ فَذَنَا مِنِّي وَأَخْذَ السِيفَ وَالْتَوْسَ ثُمَّ قَالَ . ارْتَدَفَ^(٢) خَلْقَ ، وَعَرَفَ أَنِّي الرَّجُلُ الَّذِي شَرَبَتُ الْبَنَ عَنْهُ ؛ فَقَالَ : كَيْفَ ظَنَّكَ بِي ؟ قَلَتْ : أَحْسَنَ ظَنَ . قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَلَتْ : مَا لَقِيْتَ مِنْ تَبَّ لِيْلَتَكَ وَقَدْ أَغْفَرْتَ اللَّهَ بِي . قَالَ : أَتَرَانَا كَنَا نَهِيجُكَ وَقَدْ بَتَ تَنَادِمَ مَهْلِلَ^(٣) ! قَلَتْ : أَزِيدَ الْخَلِيلَ أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَنَا زَيْدُ الْخَلِيلَ ، قَلَتْ : كُنْ خَيْرًا آخِذَ . قَالَ : لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسَ . وَمَضَى إِلَى مَوْضِعِهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ : أَمَا لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْإِبْلُ لِي سَلَّمَتْهَا إِلَيْكَ ، وَلَكَنْهَا لَبْنَتْ مَهْلِلَ ، فَأَقْمَ عَلَى^(٤) فَانِي عَلَى غَارَةِ .

فَأَقْتَلَ أَيَامًا ، ثُمَّ أَغَارَ عَلَى بَنِي نَمِيرٍ فَأَصَابَ مَائِةَ بَعِيرٍ ، قَالَ : هَذِهِ أَحْبَبُ إِلَيْكَ أَمْ تَلَكَ ؟ قَلَتْ : هَذِهِ . قَالَ : دُونَكَهَا ، وَبَثَتْ مِنِّي تَحْفَرَاءَ مِنْ مَاءٍ إِلَى مَاءٍ حَقِّ وَرَدَوا بِالْحَيْرَةِ ، فَلَقِينِي نَبَّطِلِي^(٥) . قَالَ : يَا أَعْرَابِي ، أَيْسَرُكَ أَنْ لَكَ يَابِلَكَ بُسْتَانًا مِنْ هَذِهِ الْبَسَاتِينِ ؟ قَلَتْ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : هَذَا قُرْبُ بَخْرَجِ نَبِيٍّ يَخْرُجُ ، فَيَمْلِكُ هَذِهِ الْأَرْضَ ، وَيَحْوِلُ بَيْنَ أَرْبَابِهَا وَبَنِيهَا ، حَتَّى إِنَّ أَحْدَمَ لِيَبْغَاعَ الْبَسَاتِنَ مِنْ هَذِهِ الْبَسَاتِينِ بِشَمْنِ بَعِيرٍ .

قَالَ : فَاحْتَمَلْتُ بِأَهْلِ حَتَّى اتَّهَيْتُ إِلَى مَوْضِعِ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى مَاءِ لَنَا ، جَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَنَا ، وَمَا مَضَتْ أَيَامٌ حَتَّى اشْتَرِيتُ^(٦) بِشَمْنِ بَعِيرٍ مِنْ إِبْلِ بَسَاتِنَا بِالْحَيْرَةِ .

(١) النَّبِيلُ : السَّهَامُ الْمَرْيَةُ ، وَلَا وَاحِدُ لَهَا (٢) الْرَّتَدَفُ : الرَّاصِبُ خَلْفُ الرَّاكِبِ

(٣) مَهْلِلُ : أَبُو زَيْدِ الْخَلِيلِ .

١٢ — وَادِ الْبَنَاتُ *

روت الرواية أن صَفَصَعَةَ بْنَ نَاجِيَةَ لَمَّا آتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ
قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ إِنِّي كَنْتُ أَعْمَلُ عَمَلاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، أَفَيَنْفَعُنِي ذَلِكُ الْيَوْمُ ؟ قَالَ :
مَا عَمَلْتَ ؟ قَالَ : أَضَلَّلْتُ ^(١) نَاقَتِينْ عَشَرَ اُوْبِنْ ^(٢) فَرَكِبْتُ جَحَّلًا ، وَمَضَيْتُ فِي بُغَاثِهِما ،
فَرَفَعَ لِي يَدِتْ حَرِيدَ ^(٣) ، فَقَعَدَتْهُ : فَإِذَا شَيْخٌ جَالِسٌ بِفَنَاءِ الدَّارِ ، فَسَأَلَتْهُ عَنِ النَّاقَتِينِ ،
فَقَالَ : مَانَارُهُمَا ^(٤) ؟ قَلَتْ : مِيْسَمُ بْنِ دَارَمَ ، فَقَالَ : هَا عَنِي ، وَقَدْ أَجِبَ اللَّهُ بِهِمَا
قَوْمًا مِنْ أَهْلِكَ مِنْ مُضَرَّ ؟ فَلَبِسْتُهُ مَعَهُ لَتُخْرِجَ جَاهِلًا ، فَإِذَا عَجُوزٌ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ
كِنْسِرِ الْبَيْتِ ، فَقَالَ لَهَا : وَضَعَتْ ؟ فَإِنْ كَانَ سَقْبًا ^(٥) شَارَكَنَا فِي أَمْوَالِنَا ، وَإِنْ
كَانَتْ حَائِلًا ^(٦) وَادِنَاهَا . فَقَالَتِ الْعَجُوزُ : وَضَعَتْ أَنِّي ، فَقَلَتْ : أَتَبِعِيهِمَا ؟ قَالَ :
وَهُلْ تَبِعُ الْعَرَبَ أَوْ لَادَهَا ؟ قَلَتْ : إِنَّمَا أَشْتَرَى مِنْكَ حَيَاتَهَا ، وَلَا أَشْتَرَى رِقَابَهَا .
قَالَ : فَبِكِمْ ؟ قَلَتْ : احْتَسِكِمْ . قَالَ : بِالنَّاقَتِينِ وَالْجَلْلِ . قَلَتْ : ذَلِكُ لَكَ ، عَلَى أَنْ
يَلْفَنِي الْجَلْلُ وَإِيَّاهَا . فَفَعَلَ .

فَأَمْنَتْ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَقَدْ صَارَتْ لِي سُنَّةً فِي الْعَرَبِ ، عَلَى أَنْ أَشْتَرِي
كُلَّ مُوْدَدَةَ بِنَاقَتِينْ عَشَرَ اُوْبِنْ وَجَلْلَ ، فَعَنِي إِلَى هَذِهِ الْفَاتِحَةِ ثَمَانُونَ وَمَا تَنَا
مُوْدَدَةَ ، قَدْ أَنْفَذَتْهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا يَنْفَعُكَ ذَلِكَ ؛ لَأَنَّكَ
لَمْ تَتَبَعْ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ ، وَإِنْ تَعْمَلْ فِي إِسْلَامِكَ عَلَلًا صَالِحًا ثَبَّ عَلَيْهِ .

* الكَاملُ لِلْمَرْدَ : ١ - ٢٨٩ ، أَمْثَالُ الْمِدَانِ : ٣٨٩ - ١

(١) أَضَلَّلْتَ : صَادَقْتَهَا ضَالَّتِينَ (٢) عَشَرَ اُوْبِنْ : الْمُشْرَاءُ : النَّاقَةُ الَّتِي قَدْ أَتَى عَلَيْهَا مِنْذَ حَلَتْ
عَشْرَةَ أَشْهُرَ (٣) بَيْتُ حَرِيدَ : مَنْجَنَعَ عَنِ النَّاسِ (٤) مَانَارُهُمَا : مَا وَسَهَمَا (٥) السَّقْبَ : الذَّكَرُ
مِنْ وَلَدِ النَّاقَةِ سَاعَةَ يُولُدَ (٦) الْحَالِلُ : الْأَنْتَيْ مِنْ أَوْلَادِ الْإِبْلِ سَاعَةَ تَوْضِيمِ .

١٣ - أَعْجَبُ السَّرَّافَاتِ *

قَالَ أَبُو الْهَيْمَنَ :

اجتمع مالكُ بْنُ (١) الرَّبِيبِ وَأَبُو حَرَدَةَ وَشِظَاظَ يَوْمًا ، قَالُوا : تَمَازَّا تَحْدَثُ
بِأَعْجَبِ مَا عِلِّنَا فِي سَرْقَتَا ، قَالَ أَبُو حَرَدَةَ :

أَعْجَبُ مَا صَنَّتُ وَأَعْجَبُ مَا سَرَقْتُ أَنِّي صَحِبْتُ رَفْقَةً ، فِيهَا رَجُلٌ عَلَى
رَحْلٍ فَأَنْجَبَنِي ، قَلَّتْ لِصَاحِبِي : وَاللَّهِ لَأُسْرِقَنَّ رَحْلَهُ ، ثُمَّ لَمْ لَرْضِيَتْ أَوْ آخَذَ عَلَيْهِ
جِنَائِةَ (٢) .

فَرَمَقْتُهُ حَقْ رَأْيِهِ قَدْ خَفَقَ بِرَأْسِهِ ، فَأَخْذَتْ بِخَطَامَ (٣) جَمَلِهِ قَدْتُهُ ،
وَعَدَلَتْ بِهِ عَنِ الطَّرِيقِ ، حَتَّى إِذَا صَبَرَتْهُ فِي مَكَانٍ لَا بَيْثَانٌ فِيهِ إِنْ اسْتَفَاثَ أَنْتَخْ
الْبَعِيرَ وَصَرْعَتْهُ ، فَأَوْتَقْتُ يَدِيهِ وَرَجْلِيهِ وَقَدَتْ الْجَلْ فَنِيَّتْهُ ، ثُمَّ رَجَسْتُ إِلَى الرُّغْقَةِ ،
وَقَدْ قَدُوا صَاحِبِهِمْ فَهُمْ يَسْتَرْجِعُونَ (٤) ، قَلَّتْ : مَا لَكُمْ؟ قَالُوا : صَاحِبُ لَنَا قَدْنَاهُ ؛
قَلَّتْ : أَنَا أَعْلَمُ النَّاسَ بِأَثْرِهِ ؟ فَبَعْلَوْا لِي جَمَالَةً ، فَرَجَتْ بِهِمْ أَتَبَعَ الْأَثْرَ حَتَّى وَقَفَوا

* الأغاني : ١٩٠ - ١٦٣ (طبعة السامي)

(١) هو مالك بن الرب كان من أهل العرب وأئيمهم، ومر به سعيد بن عثمان بن عفان - لا ولاء
محاوية خراسان ، ومالك في ذكر من أصحابه - قال له : ومحك يا مالك ! ما الذي يدعوك إلى ما
يلتقى عنك من المداء وقطع الطريق ؟ قال : أصلح أهلاً أمير ؟ الجز عن مكافأة الإخوان ، قال :
فليأت أنا أغيثك واستصحبتك أتک حما تقبل ؟ قال : نعم ! كف كأحسن ما حك أحد .
فاستصحبه وأجرى عليه خسائرة دينار ، وكان منه حتى قتل بخراسان ، ثم مكت مالك بخراسان
حتى مات هناك (٢) الجملة : ما يفرض على العمل (٣) الخدام : الزمام (٤) استرجع عند المصيبة:
قال : إنا ناه وإنا إلية راجعون .

عليه فقالوا : مالك ؟ قال : لا أدرى ، نَعْشَتُ ، فَانْبَهَتُ لِخَسِينَ فَارِسًا قد أخذوني ؟
فَقَاتَلْتُهُ فَغَلَبْتُهُ !

قال أبو حَرَّدَةَ : بَعْلَتْ أَضْحَكَ مِنْ كَذْبِهِ ، وَأَعْطَوْنِي جِمَاعَتِي ، وَذَهَبَا
بِصَاحْبِهِ .

وأعجب ما سرقت : أنه مرَّ بِرَجُلٍ مَعْهُ نَاقَةٌ وَجَلٌ وَهُوَ عَلَى النَّاقَةِ ، قَالَتْ :
لَا أَخْذَنَهُمَا جِيمًا ، بَعْلَتْ أَعْارِضَهُ وَقَدْ رَأَيْتَهُ قَدْ خَفَقَ بِرَأْسِهِ ، فَدُرْتُ فَأَخْذَتُ الْجَلَّ
خَلَلَتُهُ وَسَقَتُهُ ، فَنَبَيَّنَتِهِ فِي الْقَصِيمِ ^(١) ، ثُمَّ اتَّبَعَهُ فَالْتَّفَتَ فَلَمْ يَرِجِلَهُ ، فَنَزَلَ وَعَقَلَ رَاحِلَتِهِ ،
وَمَضَى فِي طَلَبِ الْجَلَّ ، وَدُرْتُ ؟ فَخَلَلَ عَقَالَ نَاقَتِهِ ، وَسَقَتَهَا !

قال الأبي حِرَدَةُ : وَيَحْكُمُ الْخَتَامَ تَكُونُ هَكَذَا ؟ قَالَ : اسْكُنْتُو فَكَانَ كَمْبِي
قَدْ تَبَثَّتُ ، وَاشْتَرَيْتُ فَرَسًا وَخَرَجْتُ ، فَبَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ إِذْ جَاءَنِي سَهْمٌ كَأَنَّهُ قَطْمَةً
رِشَاءً ^(٢) فَوَقَعَ فِي نَحْرِي فَتَثْبَيْدًا .

قال الرَّاوِي : فَكَانَ كَذَلِكَ ؛ تَابَ وَقَدِمَ الْبَصَرَةَ ، فَاشْتَرَى فَرَسًا ، وَغَزَ الرُّومَ
فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فِي نَحْرِهِ ؛ فَاسْتَشَدَهُ

نَمْ قَالُوا لِشَظَاطَ : أَخْبَرْنَا أَنْتَ بِأَعْجَبِ مَا أَخْذَتِ فِي لِصُوصِيتِكَ وَرَأَيْتِ فِيهَا ؟
فَقَالَ : نَمْ ، كَانَ فَلَانُ (رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرَةِ) لَهُ بَنْتٌ عَمَّ ذَاتٍ مَالٍ كَثِيرٍ ، وَهُوَ
وَلِيُّهَا ، وَكَانَتْ لَهُ نِسْوَةٌ ، فَأَبْتَأَتْ أَنْ تَنْزُوْجَهُ ، خَلَفَ الْأَيْلَانَ يَرْوِجَهَا مِنْ أَحَدٍ ضِرَارًا لَهَا ،
وَكَانَ يَخْطَبُهَا رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرَةِ ، فَأَبْتَأَيْتَ أَنْ يَرْوِجَهَا مِنْهُ ، ثُمَّ إِنْ وَلَىَ الْأَمْرَ
حِجَّ ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بِالدُّوْ ^(٣) مَاتَ فُدْنَ بِرَأْيَةٍ وَشَيْدَ عَلَى قَبْرِهِ ، فَتَزَوَّجَتِ الرَّجُلُ
الَّذِي كَانَ يَخْطَبُهَا .

(١) القصيم : الموضع الذي كانوا يسرقون فيه (٢) الرشاء : رسن الدلو (٣) الدلو : مكان على مرحلة من البصرة .

قال شظاظ : وخرجت رفقةٌ من البصرة معهم بُرٌّ ومتاع ، فبصريتهم وما معهم واتبعتهم حتى نزلوا ، فلما ناموا بيتهم^(١) وأخذتُ من متاعهم . ثم إن القوم أخذوني وضر بوني ضرباً شديداً وجراً دوى ، وذلك في ليلة قرة^(٢) ، وسلبني كل قليل وكثير ؛ فتركتني عرياناً ونماوت لم ، وارتحل القوم ، فقلت : كيف أصنع ؟ ثم ذكرت قبر الرجل ، فأتيته فنزعت لوحًا ثم احتفرت فيه سرّباً^(٣) ؛ فدخلت فيه ؛ ثم سَدَّدتْ على اللوح ، وقلت : لعلَّ الآن أدفع فأتابهم .

ومن الرجل الذي تزوج بالمرأة في الرفقة . فر بالغير الذي أنا فيه فوق عليه وقال لرفقه : والله لأنزلن إلى قبر فلان ، حتى أنظر هل يحيى الآن فلانة !

قال شظاظ : فعرفت صوته فقلعت اللوح ، ثم خرجت عليه بالسيف من القبر ، وقلت : يلي ورب السكبة لأحينها ، فوق والله منشيأ عليه لا يتحرك ولا يعقل ، فخلست على راحلته ، وعليها كل أداة وثياب وتقدي كان معه ، ثم وجهتها قصد مطلع الشمس هارباً من الناس فنجوت بها ؛ فكنت بعد ذلك أسمعه يحدّث الناس بالبصرة ويحلف لم أن الليت الذي كان منه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره ، والناس يعجبون منه ؛ فما قلّم يكذبه ، والأحق منهم بصدقه ، وأنا أعرف القصة فأضحك منهم كالمتوجب !

قالوا : فزدنا . قال : فأنا أزيدكم أعجب من هذا وأحق من هذا : إني لأمشي في الطريق أبتنى شيئاً أسرقه فلا والله ما وجدت شيئاً ، وإذا أنا بشجرة يناس من تحتها الركبان في مكان ليس فيه ظلٌّ غيرها ، وإذا أنا بргل يسير على حار له ،

(١) بيت فلان بني فلان : إذا نائم ليل ، فكبشهم ومغارون (٢) ليلة قرة : باردة .

(٣) السرب . يبت في الأرض .

فقلت له : أَتَسْمِعُ ! قال : نعم . قلت : إِنَّ الْقَيْلَ الَّذِي تَرِيدُ أَنْ تَقْبِلَهُ يَخْسَفُ^{*}
بِالدَّوَابِ فِيهِ ، فَاحْذَرْهُ . فلم يلتفت إلى قوله ، ورمقته حتى إذا نام أقبلت على حماره
فاستفتقته ، حتى إذا بَرَّأَتْ بِهِ قطعت طَرَفَ ذَنْبِهِ وَأَذْنِيْهِ ، وأخذت الحمار ثباته
وأبصرته حين استيقظ من نومه ، فقام يطلب الحمار وَيَقْتُلُ أثْرَهُ ؛ فبينما هو كذلك
إذ نظر إلى طَرَفَ ذَنْبِهِ وَأَذْنِيْهِ ، فقال : لَعْنِي لَقْدْ حُذِرْتُ لَوْ نَعْنَى الْحَذْرُ ؟ وَاسْتَمِرْ
هارباً خوفاً أن يخسف به . فأخذت جميع ما بقي من رحله فحملته على الحمار !

١٤ - أعرابى في عُرس*

قال الفضل بن العباس الماشي :

كان ناهض بن ثومة الكلابي يقد على جَدَّى قُمَّ ، فيمدحه وبصله جدي
وغيره ، وكان بدويًا جافياً كأنه من الوحش ؛ إلا أنه طيب الحديث .
حدثه يوماً : أنهم اتجمعوا ناحية الشام فقصد صديقاً له من ولد خالد بن يزيد
ابن معاوية ؛ كان ينزل حلب وكان برأ به .

قال : فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عاصي الملالي ، فرأيت دُوراً مُتباعدة
وخصوصاً^(١) قد فُرمَ بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناسٌ كثيرون مقبلون ومذبون ،
عليهم ثياب تخفى ألوان الزَّهْر ، فقلت في نفسي : هذا أحد العيدان : الأضحى
أو الفطر ، ثم ثاب إلى ماعزَّب عن عقلي قلت : خرجت من أهل في بادية البصرة
في صَفَر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما هذا الذي أرى !
وينما أنا واقف متعجب أتاني رجل ، فأخذ بيدي فأدخلني داراً قَوْراء^(٢) ،
وأدخلني منها ينتأ قد نجَّدت فيه فرش ومهدت ، وعليها شاب يَنال فرعُ شعره
منكبيه ، والناس حوله سِاطان^(٣) ، فقلت في نفسي : هذا الأمير الذي حُكِيَ لـنا
جلوسه ، وجلس الناس بين يديه . قلت - وأنا مائل بين يديه : السلام عليك
أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . فخذَّبَ رجل يدى وقال : اجلس ، فإن هذا ليس

* الأغانى : ١٢ - ٣٣ ر

(١) المخاس : جمِّ حسن ، وهو ... من القصب (٢) دار قوراء : واسعة .

(٣) السبط : الصف .

بأمير . قات : فَمَنْ هُو ؟ قال : عَرْوَسٌ^(١) . فقلت : وانكِلْ أَمَاهَا لَرْبُّ عَرْوَسٍ
رأيته بالبادية أهون على أهله من هنَّة^(٢) !

فلم أُنْشَب^(٣) أن دخل رجال يحملون آنات^(٤) مُدَوَّرات ، أمّا ما خفت منها
فيُحَمَّل حَلَّا ، وأما ما كَبَرَ وَتَقْلُلَ فَيُدْحَرَج ، فوضع ذلك أمانا ، وتحلق القوم عليه
حَلَّتا ، ثم أتيتنا بخزنة بعض فَالْقِيَّـت بين أيدينا ، فظننتها نيايَا ، وهمت أن أسأل
ال القوم منها خِرْقاً أَرْقَعُ إِلَيْها قيمى ، وذلك أنني رأيت نَسْجَـاً مُتَلَاحِـا ، لا يبيّن له
سَدَى ولا لُحْمة^(٥) ؛ فلما بسطه القوم بين أيديهم إذا هو يتمزق سريعاً ، وإذا هو
فيها زعموا صِنْفَـاً من الخبز لا أعرفه .

نم أَتَيْـنا بـطـعـامـ كـثـيرـ بـيـنـ حـلـوـ وـحـامـضـ ، وـحـارـ وـبارـدـ ، فـاـكـثـرـ مـنـهـ ،
وـأـنـاـ لـأـعـلـمـ مـاـقـ عـقـيـهـ مـنـ التـخـمـ وـالـبـشـمـ ، نـمـ أـتـيـناـ بـشـرـابـ أـحـرـفـ شـنـ^(٦) ، فـقـلـتـ:
لـأـحـاجـةـ لـيـ فـيـهـ فـإـنـ أـخـافـ أـنـ يـقـتـلـنـيـ ، وـكـانـ إـلـىـ جـنـبـيـ رـجـلـ نـاصـحـ - أـحـسـنـ اللهـ
جـزـاءـ ، فـإـنـهـ كـانـ يـنـصـحـ لـيـ مـنـ بـيـنـ أـهـلـ الـمـجـلـسـ - فـقـالـ : يـأـعـرـابـيـ ؛ إـنـكـ قـدـ
أـكـثـرـ مـنـ الطـعـامـ ، وـإـنـ شـرـبـتـ المـاءـ هـاـ^(٧) بـطـنـكـ ، فـلـمـ ذـكـرـتـ الـبـطـنـ
تـذـكـرـتـ شـيـنـاـ أـوـصـانـيـ بـهـ أـبـيـ ، وـالـأـشـيـاـخـ مـنـ أـهـلـيـ ؛ إـذـ قـالـواـ : لـأـتـزـلـ حـيـاـ مـادـامـ
بـطـنـكـ شـدـيـداـ ، فـإـذـاـ اـخـتـلـفـ فـأـوـصـ . فـشـرـبـتـ مـنـ ذـكـ الشـرـابـ لـأـنـداـوىـ بـهـ ،
وـجـلـتـ أـكـثـرـ مـنـهـ فـلـأـمـلـ شـرـبـهـ ، فـقـدـاخـايـ منـ ذـكـ صـلـفـ لـأـعـرـفـ مـنـ
نـفـسـ ، وـبـكـاءـ لـأـعـرـفـ سـبـيـهـ ، وـلـأـعـهـدـ لـيـ بـتـهـ ، وـاقـدـارـ عـلـيـ أـمـرـ أـغـلـنـ مـعـهـ أـنـيـ

(١) العروس : الرجل والمرأة ماداما في أعيادهما ، ومم عرس ، وهن عرايس . (٢) المنهـةـ :
كتابة عن خيـسـ الشـيـ (٣) لم أُنـشـبـ : لم أـبـتـ ، قـالـ فـالـلـاسـانـ : وـحـقـيـقـتـهـ لـمـ يـتـعلـقـ بـهـيـ غـيـرـهـ ،
وـلـأـشـتـفـلـ بـسـوـاهـ (٤) آنـاتـ : جـمـعـ غـيـرـ قـيـاسـ لـإـنـاءـ (٥) السـدـىـ مـنـ خـيوـطـ الثـوـبـ : مـاـمـدـ مـنـهاـ
طـلـواـ ، وـالـلـحـمـةـ : مـاـمـدـ مـنـهاـ عـرـضاـ (٦) الشـنـ : التـرـبةـ المـلـقـ الصـفـرةـ (٧) هـاـ : سـالـ .

نَوْأَرْدَتُ نَيْلَ السَّقْفَ لِبَلْغَتُهُ، وَلَوْ شَأْوَتُ الْأَسْدَ لِتَقْتِلَهُ؛ وَجَعَلَتِ الْأَنْفَتَ إِلَى الرَّجُلِ
النَّاصِحِ، فَحَدَّثَنِي شَسِي بَهْتَمَ أَسْنَاهُ، وَهَشَمَ أَنْفَهُ، رَأَمْ أَحْيَا نَانَ أَشْتِيمَهُ.

فَيَبْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ هَجَّ عَلَيْنَا شَيَاطِينُ أَرْبَعَةٍ: أَحَدُهُمْ قَدْ عَلَقَ فِي عَنْقِهِ
جَبَّابَةً فَارِسِيَّةً، مَفْتَحَةُ الْعَرْفَيْنِ، دَقِيقَةُ الْوَسْطِ، قَدْ شُبِّكَتْ بِخِيوْطٍ، وَأَبْلَسْتَ
قَطْعَةً فَرْزَوْ، كَانُوهُمْ يَخْلُفُونَ عَلَيْهَا الْقَرَّ. ثُمَّ بَدَرَ الثَّانِي، فَاسْتَخْرَجَ مِنْ كَمَهُ هَنَّةً
سُودَاءً فَوْضَهَا فِيهِ، وَأَخْرَجَ صَوْتاً لَمْ أَسْمَعْ - وَبَيْتُ اللَّهِ - أَعْجَبَ مِنْهُ، فَاسْتَمِّرَ بِهَا
أَسْرَمْ، ثُمَّ حَرَكَ أَصْبَعَهُ فِيهَا فَأَخْرَجَ مِنْهَا أَصْوَاتَنَا لَيْسَ كَمَا بَدَأْ، وَلَكِنَّهُ أَتَى مِنْهَا - لَا
حَرَكَ أَصْبَعَهُ - بِصَوْتٍ عَجِيبٍ، مَتَلَاثِمٌ مِنْهَا كُلُّ بَعْضِهِ لَبَعْضٍ، كَانَهُ - عَلَمُ اللَّهِ - يَنْطَقُ
بِهِ. ثُمَّ بَدَأَ ثَالِثُهُ وَجْهَهُ ^(١) كَزْ ^(٢) مَقِيتٌ أَعْلَيْهِ قَيْصَرٌ وَسَخْ وَمَعْهُ مَرَأَتَانِ، فَجَعَلَ
يَصْفُّ بِهِمَا يَبْدِيهِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، فَغَالَطَ بِصَوْتِهِ مَا يَفْعَلُهُ الرِّجَالُانِ. ثُمَّ بَدَأَ رَابِعَ
عَلَيْهِ قَيْصَرٌ، وَسَرَاوِيلُ قَصِيرَةٍ، وَخُفَّانٌ أَجْذَمَانٌ، لَا سَاقٌ لَوْاحدٍ مِنْهُمَا، فَجَعَلَ
يَقْفَزُ كَانَهُ يَثْبُتُ عَلَى ظَهُورِ الْعَقَارِبِ، ثُمَّ تَلْبَطَ ^(٣) عَلَى الْأَرْضِ، فَقَلَتْ: مَعْتُوهُ وَرَبُّ
الْكَعْبَةِ لَنَمْ مَا بَرَحَ مَكَانَهُ حَتَّى كَانَ أَغْبَطُ الْقَوْمِ عِنْدِي، وَرَأَيْتَ الْقَوْمَ يَحْذِفُونَهُ ^(٤)
بِالْبَرَامِ حَذْفًا مَنْكَرًا؛ ثُمَّ أَرْسَلَ النِّسَاءَ إِلَيْنَا: أَنْ أَمْتَعِنُوا مِنْ لَوْكَمْ هَذَا؛ فَبَعْثَوْا بِهِمْ،
وَجَعَلُنَا نَسْمَعُ أَصْوَاتَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ.

وَكَانَ مَعْنَا فِي الْبَيْتِ شَابٌ لَا آبَهُ لَهُ، فَعَلَّتِ الْأَصْوَاتُ ^(٥) بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالدُّعَاءِ
لَهُ، فَصَرَخَ وَجَاهَ بِخَشْبَةٍ عَيْنَاهَا فِي صَدْرِهَا، فِيهَا خِيوْطٌ أَرْبَعَةٌ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْ خَلَالِهَا
عَوْدًا، فَوَضَعَهُ خَلْفَ أَذْنِهِ، ثُمَّ عَرَكَ آذَانَهَا، وَحَرَكَهَا بِخَشْبَةٍ فِي يَدِهِ، فَنَطَقَتْ وَرَبُّ

(١) وَجْهٌ كَزْ : فَيَعْ

(٢) تَلْبَطُ : اضْطَبَعَ وَتَرَغَّ

(٣) يَحْذِفُونَهُ : يَرْمُونَهُ .

الكعبة ! وإذا هي أحسنُ قَنْيَةً^(١) رأيتها فَقَطْ ! فأطر بني حتى استغفني من مجلسه ،
فوثبتت وجلست بين يديه ، وقلت : بأبي أنت وأمي ! ما هذه الدابة ؟ فلست أعرفها
ملاً عرب ، وما أراها خلقت إلا قريباً ! فقال : هذا البرّ بط^(٢) . قلت : بأبي أنت
وأمي ! فما هذا الخليط الأسفل ؟ قال : الزير^(٣) . قلت : فالذى يليه ؟ قال : المتن^(٤) .
قلت : فالثالث ؟ قال : المثلث^(٥) . قلت : فالأعلى ؟ قال : اليم^(٦) . قلت : آمنت
بإله أولاً ، وبك ثانياً ، وبالبرّ بط ثالثاً ، وباليم رابعاً .

قال الفضل : فضحك أبي والله حتى سقط ؛ وجعل ناهض يَعْجِبُ من ضحكته !
ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا الحديث ؛ ويُطْرَفُ به إخوانه فيضحكون منه .

(١) القنية : الأمة المتنية (٢) البرّ بط : العود مغرب (برّ بط) - بكسر الراء - وهو آلة من المعاوز

(٣) الزير : من أوتار العود (٤) المتن : الذى يلي الزير (٥) المثلث : الذى يلي المتن

(٦) اليم : الذى يلي المثلث ، وهو أغلظ الأوتار .

صنع عبد الملك^(١) بن مروان طعاماً فما كثُر وأطاب^(٢) ، ودعا إليه الناس فـأكلوا . فقال بعضهم : ما أطيب هذا الطعام ! مانعى أن أحداً رأى كثرة منه ولا أكل أجلب منه . فقال أعرابي من ناحية القوم : أنا أكثُر فلا ، وأمأطيب^{*} قد والله أكلت أطيب منه . فلطفقا يضحكون من قوله .

فأشار إليه عبد الملك فأذنَّ منه ؛ فقال : ما أنت بمحقِّ فيما تقول إلا أنْ مخربى بما يَبَينُ به صدقك . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ بينما أنا بهجر^(٣) في بَرْث^(٤) أحرف أقصى حَبْز^(٥) إذ توْقَّ أبي ، وتركَ كَلَّا^(٦) وعيالا ، وكان له نخل ، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها ، كان عمرها أَخْفَافُ الْرِّبَاعِ^(٧) ، لم يُرَأْ تمرٌ قطُّ أغْلَظ ولا أصلَّبُ ولا أصْغَرُ تَوَّى ولا أَحْلَى حلاوةً منه .

وكانت تَطْرُقُها أَنَانٌ وحشية قد أَلْقَتها تأوي الليلَ تحتها ، فكانت تُثَبَّتُ رجليها في أصلها ، وترفع يديها ، وتَمْطُو^(٨) بفيها فلا تَرْكُ فيها إلا النبيذ^(٩) والمفرق ؛ فاعظمي ذلك ووقع مني كلَّ موقع .

فانطلقت بقوسي وأسهمي ، وأنا أظنُّ أنَّ أرجع من ساعتي ؛ فشكست يوماً

* الأغاني : ٨ - ٤٠ (طبعة دار الكتب)

- (١) من أعظم الخلفاء ، نشأ في المدينة ، واستعمله معاوية عليها ، وانقلت إليه الخليفة سنة ٥٦٥ هـ ، وتوفى سنة ٨٦ هـ (٢) أطباب الشيء : طيبة (٣) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بالتمر (٤) البرث : الأرض الباردة السهلة (٥) في أقصى حجر : أى في أبعد ناحية (٦) الكل : العيال والثقل (٧) الرباع : جم دبع وهو الفصيل ينبع في الربع (٨) تَمْطُو : تتناول (٩) النبيذ : النبيذ .

وليلة لا أراها ، حتى إذا كان السحر أثبت ، فتهيات لما فرشتها فأصبتها ، وأجهزت عليها ، ثم عدت إلى سرتها فاقتذتها ، ثم عدت إلى حطب جزل فجعنته إلى رَضْف^(١) ، وعَدَتْ إلى زَنْدِي قدحَتْ ، وأضرمت النار في ذلك الحطب ، وألقيت سرتها فيه ، وأدركتني نوم الشباب فلم يُوْقظِ إِلَّا حر الشمْس في ظهري ، فانطلقت إليها فشكفتها وألقيت ما عليها من قَدَّى وسود ورماد ، ثم قلبت منها مثل الملاعة البيضاء ، فألقيت عليها من رُطْب تلك النخلة الجَزْعَة^(٢) والنصفة ، فسمعت لها أطيطا^(٣) كتداعي عاص وغَطَّافَانْ ، ثم أقبلت أتناول الشَّحْمَة واللحمة فأصبعها بين التترین وأهوى بها إلى في ، فما أحلف إنما أكلت طعاماً مثله قط !

قال له عبد الملك : لقد أكلت طعاماً طيباً فن أنت ؟ قال : أنا رجل جانبي عنقنة^(٤) نيم وأسد ، وكشكشة^(٥) ربيعة ، وحُوشَة^(٦) أهل العين - وإن كنت منهم . فقال : من أبهم أنت ؟ قال : من أخوالك من عذرَة . قال : أولئك فصحاء الناس ؟ فهل لك علم بالشعر ؟ قال : سُلْنَى عَمَا بَدَأَ لَكَ يَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينْ . قال : أى بيت قالته العرب أُمْدَح ؟ قال : قول جرير :

الْسُّمْ خَيْرٌ مِنْ رَكِبَ الطَّابَاءِ وَأَنْدِي الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحِ^(٧)

وكان جرير في القوم ؛ فرفع رأسه وطالع لها . ثم قال : فَأَى بيت قالته العرب أُغْرِي ؟ قال : قول جرير :

(١) الرَّضْف : المجاورة المحسنة بالنس أو النار (٢) جزع البسر : إذا بلغ الإرطاب بضمه .. ونصف البسر : إذا بلغ الإرطاب نصفه (٣) الأطيط : الصوت (٤) العنقة : إبدال العين من الممزدة (٥) الكشكشة : [ج]ل الشين مكان الكاف (٦) المُوشَى : الفامض (٧) راح : جمع راحة ، وهي الكتف .

إذا غضبَتْ عليكَ بُنُوْتُمْ حَسِبَتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَصَاً با
فَتَعَرَّكَ لِهَا جَرِيرٌ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : فَأَيْ بَيْتٍ أَهْبَى ؟ قَالَ : قَوْلُ جَرِيرٍ :
فَغُصَّ الْطَّرْفُ إِنْكَ مِنْ تُمَيِّزُ فَلَا كَعَباً بَلْ فَتَّ وَلَا كِلَادَا
فَأَسْتَرْفَ لِهَا جَرِيرٌ . ثُمَّ قَالَ : فَأَيْ بَيْتٍ أَغْزَلَ ؟ قَالَ : قَوْلُ جَرِيرٍ :
إِنَّ الْعَيْوَنَ الَّتِي فِي طَرْفَهَا مَرَضٌ قَتَلْنَا نَمْ لَمْ يُحْيِنْ قَتْلَانَا
فَاهْتَزَ جَرِيرٌ وَطَرَبٌ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : فَأَيْ بَيْتٍ قَالَهُ الْعَرَبُ أَحْسَنَ تَشْبِيهًَا ؟ قَالَ :
قَوْلُ جَرِيرٍ :

سَرَّى نَحْوَمْ لِلْيَلْ مَكَانْ نَجْوَمَةٍ فَنَادَيْلُ فِينَ الدَّبَالِ^(١) الْمَفْتَلُ
فَقَالَ جَرِيرٌ : جَائِزَنِي لِلْمُدْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكَ : لَهُ مُثْلُهَا مِنْ
بَيْتِ الْمَالِ ، وَلَكَ جَائِزَتُكَ يَا جَرِيرٌ لَا تُنْتَقِصُ مِنْهَا شَيْئاً . وَكَانَتْ جَائِزَةُ جَرِيرٍ أَرْبَعَةٌ
آلَافُ دَرْهَمٍ وَتَوَابِعُهَا مِنْ الْخَلَانِ وَالْكَسْوَةِ . فَرَجَعَ الْمُدْرِي وَفِي يَدِهِ الْيُمْنِيَّةُ هَمَانِيَّةٌ
آلَافُ دَرْهَمٍ ، وَفِي الْيَدِ الْيَسْرِيِّ رِزْمَةُ ثِيَابٍ !

(١) التَّبَلَّهُ : الْقُبَّلَةُ الَّتِي تَوَضُّعُ فِي الْمَذَبِيلِ ، يَوْضُعُ فِيهِ الرَّبِّطُ لِيُسْتَعْنَاهُ بِهِ .

كان جَحَدَر بن ربيعة من لصوص العرب وشياطينهم ، يُفبر على أحياهم فينَهَا ، وربما فتك بمن تعرّض له ؛ واشتدَّ شَرُّهُ في أيام الوليد بن عبد الملك ، حتى أبادَ خلْفًا كثيرًا .

فبلغ أمرُه الحجاجَ ^(١) ؛ فكتب إلى عامله باليمامة ، يُؤنبه لعجزه عن الضرب على يديِ ذلك الفاتك ، وأمره أن يُوْقَعَ به ، أو يحمله إلىه أسيراً .
فأوْطَأَ ^(٢) العاملُ جماعة من فتية بني حنظلة ، وجعل لهم الجمايل ^(٣) العظيمة إن هم أتوه به مَغْلُولًا ^(٤) أو مقتولاً !

فأرسلوا إليه يقولون : إنهم يريدون الانقطاع إليه ، والخلصوع لأمره ؛ فأَخْلَدَ جَحَدَر إلى قولم ، وأدخلهم في صحبته . فأخذوا ينهبون تحت لوائه ، إلى أن صادفوا منه غررة ^(٥) ، فشدُّوا وثاقه ، وقدموا به إلى العامل الذي وجههم به إلى الحجاج .
فلمَّا مَثَلُوا بين يديه قال الحجاج : أنت جَحَدَر ؟ قال : نعم ، فقال : وما جرأك على ما بلغنى عنك ؟ قال : جرأ الزمان ، وجراة الجنان ! قال : وما بلغ من أمرك ؟
قال : لو ابتلاني الأمير ، وجعلني مع الفرسان لرأى مني ما يتعجبه .
قال : يا جَحَدَر ؟ إنَّ قادفَ ^٦ بك إلى حفيرة بها سبع شرِس ، فإن قتلت

* المستطرف : ١ - ٢٢٤ ، الحasan والمساوي : ٧٧ (طبع ليزج) .

(١) نَفَأْ بالطائف ، وولى العراق والشرق ، وملك بواسط سنة ٩٥هـ ^(٢) أوْطَأ جماعة : اتفق معهم ^(٣) الجمالة ما جعل للانسان من شيء على فعل ^(٤) الفعل : طوق من الحديد يجعل في الصنف ^(٥) الفرة : الفلة .

كفاناً مثُونتك ، وإن قتلتَه عفونا عنك لشجاعتك ! فقال : أصلح الله الأمير !

لقد قرُب الفرج !

فأمر المجاج بحبسه ، وكتب إلى العامل أن يرتاب^(١) له سُبًّا عَنِّي^(٢) ، ويحمله إليه . فارتاد له أسدًا خبيثًا ، كريه النغار ، قد أفنى جميع ما بالبيامة من حيوان ، ووضعه في قفص من حديد ، وأنفذه إلى المجاج .

فأمر أن يُلْقِي في الحفيرة ، ولا يُطْمِم شِبَّانًا ثلاثة أيام ، حتى إذا ما اشتد به الجوع ، أخرج إِلَيْهِ جَهَنَّمَ ، وَمَا أَعْطَى إِلَّا سِيفًا ، وَالْحَجَاجُ مُشْرِفٌ عَلَى الْحَفِيرَةِ ؛
وَالنَّاسُ حَوْلَهُ يَنْظَرُونَ إِلَى الْأَسْدِ مَا هُوَ صَانِعٌ بِغَرِيبِتَهِ !

فلم ارفع^(٢) له نهض ورأز زئراً رجَّ الجبال ، وراغ الحاضرين ، فأنشد جدر :
ليثُ وليثُ في مجالِ ضنكِ كلاماً ذو قوتهِ وسقتكِ
وصولةٍ وبطشةٍ وفتىكِ إن يكشفَ الله فناعَ الشكِ
فأنتَ لى في قبضتي وملْكى

ثم أدلى به ، فوق عليه وقوع الصاعقة ، فصرخ الأسدُ عند رؤيته صرخة عظيمة ، فأجابه هو بأعظم منها ، وضربه بسيفه ضربة فلتَّ هامته ؟ فكثير الناس ، وأعجب به الحجاج ، وقال . الله دراك ^(٤) ! ما أبجدك ^(٥) !

ثم خيره بين أن يُقيم عنده مكرماً، أو يلحق بيلاده على ألا يؤذى أحداً،
ولا يحدث حدناً؟ فاعتذر جدر الإقامة معه، وأحسن أدبه، حتى حظي عنده وجعله
من سماره وخواصه؛ وبعد ذلك بزمن غير طويل ولأه الجماعة، ومكث فيها مدة،
قام فيها بأعباء الولاية خيراً قيام.

(١) يرتاد: يطلب (٢) المقصى: ما جاوز الحد، ويقصد: الشديد المائل (٣) رفم: ظهر من جديد

(٤) الدر : العمل من خير أو شر ؟ وفة درك أى همة عملك ؟ يقال لمن يدح ويتعجب من عمله .

(٤) ما أندك : ما أشحوك فيها يجز عنه غرك .

١٧ - صديقا ابن سُرِيج على قبره *

حدَث إسحاق بن يعقوب عن أبيه قال :

إنا لبعناء دار عمرو بن عقان بالأبطح في صُبح خامسة من المثان^(١) ، فما زانْ
درَيْتُ إلا بِرجل على راحلة ، على رَحْلِ جمِيل وأدَأَهُ حسنة ، معه صاحب له
على راحِلَة قد جنَبَ^(٢) إليها فرساً وبغلًا ، فوقا على وسائلاني ، فانتسبت لها
عَمَانِيَا ، فنزلَا وقلَا : رجالان من أهْلِك أقدَّمتنا حاجة نحبُّ أن تغصيها قبل أن
نُشَدَّه^(٣) بأمر الحجَّ ؟ قلت : ما حاجتُكَ ؟ قلَا : نريد إنساناً يقُلُّنا على قبر
عُبيْدِ بن سُرِيج ا

قال : قهضت معهما حتى بنتُ بهما مَحَلَّةً بني قارة من خُزَاعة بِكَة ،
وهم موالي عُبيْدِ بن سُرِيج^(٤) ، ثم التمسَتُ لها إنساناً يصحبُها حتى يَقْهِمَها على
قبره بدَسْمِ^(٥) ، فوجدتُ ابنَ أبي دُبَابِ كلَّ فانْهَضَتُهُ معها . ثم أخربني بعدُ :
أنه لما أوقَهُما على قبره نزلَ أحدُهُما فحسَرَ عمامته عن وجهه ، فإذا هو عبد الله
ابنُ سعيد بن عبد الملك بن مَرْوان ، فقرَّ ناقته ، واندفع يندبه بصوتٍ شجيٍّ
كَلِيلٍ حَسَنٍ :

وَقَنَا عَلَى قَبْرِ بَدْسَمٍ فَهَا جَنَّا وَذَكَرَنَا بِالْعِيشِ إِذْ هُوَ مُضْحِبٌ^(٦)

* الأغانى : ١ - ٣٢٠ (طبعة دار الكتب)

(١) أى من أيام الحجَّ (٢) جنب فرساً : أى قاده إلى جنبه (٣) نشدَه : نشغل

(٤) كان عبيْدِ بن سُرِيج مُنْفِيًّا من أهل مكة ، كان يبني مرتاحلاً ويقع بقضيب ، ويضرُب بالعود ؛
غنى في خلافة عُيَّان بن عقان ، وتوفى في خلافة هشام بن عبد الملك ، مات نحو سنة ٩٨هـ (٥) دسم :
موضوع قرب منه ، الصحاب : الذليل للقاد بعد صعوبة .

فِي الْمَدْفُونِ سَوَافِحُ
إِذَا أَبْطَأْتُ عَنْ سَاحَةِ الْخَدْدَ سَاقِهَا
فَإِنْ تُسْعِدَ نَذْدِبَ عَبِيدًا بِعَوْلَةٍ^(١)
ثُمَّ نَزَلَ صَاحِبُهُ فَقَرَ نَاقَتَهُ . وَقَالَ لَهُ الْقُرَشِيُّ : خُذْ فِي صَوْتِ أَبِي يَحْيَى ؛
فَانْدَفَعَ بُنْقَى :

أَسِدَانِي بِعَسْرَةِ أَسْرَابٍ^(٢)
إِنَّ أَهْلَ الْحِصَابِ^(٤) قَدْ تَرَكُونِي
أَهْلِ بَيْتٍ تَنَاهُوا^(٥) لِلنَّسَايا
فَارَقُونِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا
كَمْ بَذَاكَ الْمَجْعُونُ^(٦) مِنْ حَيٍّ صَدَقَ
سَكَنُوا الْجَزْعَ جَزْعَ بَيْتِ أَبِي مُو
فَلِيَ الْوَيْلُ بِمَدْمَ وَعَلَيْهِمْ
قَالَ ابْنُ أَبِي ذُبَابَ كَلْ : فَوَاللهِ مَا تَمَّ صَاحِبُهُ مِنْهَا ثَلَاثًا حَتَّى غُشِّيَ عَلَى صَاحِبِهِ،
وَأَقْبَلَ يَصْلِحُ السَّرْجَ عَلَى بَغْلَتِهِ وَهُوَ غَيْرُ مُعَرِّجٍ عَلَيْهِ . فَسَأَلَهُ مَنْ هُوَ ؟ فَقَالَ :
رَجُلٌ مِنْ جُذَامٍ . قَلَتُ : بَنْ تَرْفَ . قَالَ : بَعْدَ اللهِ بْنِ الْمُنْتَسِيرِ . قَالَ : وَلَمْ يَزَلْ
الْقُرَشِيُّ عَلَى حَالِهِ سَاعَةً ، ثُمَّ أَفَاقَ .

ثُمَّ جَعَلَ الْجُذَامِيَّ يَنْفَضِحُ الْمَاءَ عَلَى وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ كَالْمَعَابُ لَهُ : أَنْتَ أَبْدًا

(١) أَعْوَلُ : ارْتَقَ بِكَاثُورٍ ، وَالْأَسْمَ الْعَوْلَةُ (٢) التَّحْوَبُ : التَّوْجُعُ (٣) أَسْرَابُ : جمِ سُرُّبٍ
وَهُوَ الْأَمَاءُ السَّائِلُ (٤) الْحِصَابُ : مَوْضِعُ الْجَارِ (٥) التَّابِعُ : الْوَقْعُ فِي الشَّرِّ مِنْ غَيْرِ فَكْرٍ وَلَارْوِيَةٍ
(٦) الْمَجْعُونُ : جَبَلٌ بِأَعْلَى مَكَانٍ مَدَافِنُ أَهْلِهَا (٧) سُنُ السَّابِ : مَوْضِعُ بَعْكَةٍ ، وَالْمَرَادُ بِأَبِي
مُوسَى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ .

مَصْبُوبٌ^(١) عَلَى نَسْكٍ، وَمَنْ كَلَّفَكَ مَا تَرِي ! نَمْ قَرْبَ إِلَيْهِ الْفَرْسُ ؟ فَلَمَّا عَلِمَ
اسْتَخْرَجَ الْجُذَامِيَّ مِنْ خُرُوجٍ عَلَى بَغْلٍ قَدْحًا وَإِدَاؤَةً مَاهٌ ، بَغْلٌ فِي الْقَدْحِ تَرَابًا
مِنْ تَرَابِ قَبْرِ ابْنِ سَرِيعٍ وَصَبَّ عَلَيْهِ مَاهٌ مِنَ الْإِدَاؤَةِ . نَمْ قَالَ : هَلْ كَافَ شَرْبُ هَذِهِ
السَّلْوَةِ^(٢) ، فَشَرْبٌ . نَمْ فَعَلَ هُوَ مِثْلُ ذَلِكَ وَرَكَبَ الْبَغْلَ وَأَزْدَفَنِي .

فَرَجَاهُ اللَّهُ مَا يَعْرِضُنِي بِذِكْرِ شَيْءٍ كَانَ فِيهِ ، وَلَا أَرِي فِي وِجْهِهِمَا شَيْئًا
مَا كَنْتُ أَرِي قَبْلَ ذَلِكَ .

فَلَمَّا اشْتَمَلَ عَلَيْنَا أَبْطَحَ مَسْكَةَ قَالَا : انْزِلْ يَا خَزَاعِي ! فَزَلَّتْ وَأَوْنَمَ الْفَتَنِي
إِلَى الْجُذَامِيَّ بِكَلَامٍ ، فَدَدَّ يَدَهُ إِلَى وَفِيهَا شَيْءٍ فَأَخْذَتْهُ فَإِذَا هُوَ عَشْرُونَ
دِينارًا ، وَمُضِيَا .

فَانْصَرَفَ إِلَى قَبْرِهِ بِعِيرِينَ فَاحْتَمَلَ عَلَيْهِمَا أَدَاءَ الرَّاحِلَيْنِ التَّيْنَ حَرَاماً
فَبَعْثَمَا بِثَلَاثَيْنَ دِينارًا !

(١) مَصْبُوبٌ عَلَى نَسْكٍ ؛ أَيْ عَثُورٌ عَلَى ابْتِاعِهَا نَسْفُوكَ فَنَسَسَ لَمَّا التَّبَادَ (٢) السَّلْوَةُ : أَنْ
يُؤْخَذُ مِنْ تَرَابِ قَبْرِ مَبْتَى فَيُنْذَرُ عَلَى الْمَاءِ وَيُسْقَاهُ الْمَاعِقُ لِبَلَوِ .

كان هلال^(١) فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش ، أكثرا الناس أكلاً ، وأعظمهم في حرب غناه . وكان يردد مع الإبل فيأكل كل ما وجد عند أهلها ، ثم يرجع إليها ولا يتزود طعاماً ولا شراباً حتى يرجع يوم وردها ، لا ينونق فيها بين ذلك طعاماً ولا شراباً ، وكان عادى^(٢) الخلق^(٣) ، لا تُوصف صفتة .

وكان يوماً في إبل له ، وذلك عند الظهرة في يوم شديد وقمع الشمس ، مُختدم الماجرة^(٤) ، وقد عد إلى عصاه فطرح عليها كسامه ، ثم أدخل رأسه تحت كسانه من الشمس ؛ فيينا هو كذلك إذ مرّ به رجلان : أحدهما من بني نهشل ، والآخر من بني ققيم ، كانا أشد تمييزين في ذلك الزمان بطشاً ، وقد أقبلان من البحرين ، ومعهما^(٥) أنواع من تمر هجر^(٦) ، وكان هلال^(٧) بناحية الصعاب^(٨) .

فلما انتهيوا إلى الإبل - ولا يرمان هلالاً بوجهه ، ولا يعرفان أن الإبل له - نادياً : ياراعي ، أعنديك شراب تسيينا ؟ وما يظنناه عبداً - فناداهما هلال ورأسه تحت كسانه : عليكما بالناقة التي صفتها كذا في موضع كذا ، فأنيخها : فإن عليها وطبين^(٩) من لبن ، فاشربا منها ما بدأ لكما . فقال له أحدهما : وينحك ؟ انهض .

* الأغان : ٣ - ٥٣ (طبعة دار الكتب)

(١) هلال بن الأسر : شارداً شهيراً في المصر الأموي ، وكان فارساً شجاعاً ، مات نحو سنة ١٣٠هـ

(٢) عادي الخلق : ملايين سخيف ، نسبة إلى عاد (٣) الماجرة : نصف النهار (٤) أنواع : جم نوط ، والنوم : أحلام لصينية فيها التمر ونحوه (٥) هجر : قاعدة البحرين ، مشهورة بالتمر ، وقيل : ناحية البحرين كلها هجر (٦) الصعاب : جبل بين اليمامة والبحرين (٧) الوط : سقاء البن خاصة .

ياغلام فأتى بذلك اللبن ! فقال لها : إن تك لـكما حاجة فستأنيانها ، فـتـخـدـران^(١)
الوطـبـين فـتـشـرـبـان .

قال أحدُهـا : إنـكـ لـغـلـيـظـ الـكـلـامـ ، قـمـ فـأـسـقـنـاـ ثـمـ دـنـاـ مـنـ هـلـالـ وـهـوـ عـلـىـ
تـلـكـ الـحـالـ ، قـفـالـ لـهـ أـحـدـهـاـ : إـنـكـ لـغـلـيـظـ الـكـلـامـ - أـرـاكـ وـالـهـ
سـتـلـقـيـانـ هـوـاـنـاـ وـصـفـارـاـ ؟ وـسـعـيـماـ ذـلـكـ مـنـهـ ؟ فـدـنـاـ أـحـدـهـاـ فـأـهـوـيـ لـهـ ضـرـبـاـ بـالـسـوـنـطـ عـلـىـ
عـجـزـهـ وـهـوـ مـضـطـجـعـ ، فـتـنـاـولـ هـلـالـ يـدـهـ فـاجـتـذـبـهـ إـلـيـهـ ، وـرـمـاهـ تـحـتـ فـخـيـزـهـ ، ثـمـ
ضـفـطـهـ ضـفـطـةـ ، فـنـادـيـ صـاحـبـهـ : وـبـحـكـ أـغـثـنـيـ قـدـقـتـنـيـ ! فـدـنـاـ صـاحـبـهـ مـنـهـ ، فـتـنـاـولـهـ
هـلـالـ أـيـضـاـ فـاجـتـذـبـهـ فـرـمـىـ بـهـ تـحـتـ فـخـذـهـ الـأـخـرـىـ . ثـمـ أـخـذـ بـرـقـابـهـ جـبـلـ يـصـكـ
بـرـمـوسـهـماـ بـعـضـاـ بـعـضـ ؟ لـاـ يـسـطـعـيـانـ أـنـ يـمـتـنـعـاـ مـنـهـ .

قال أحدـهـاـ : كـنـ هـلـالـاـ وـلـاـ نـبـالـيـ مـاـ صـنـعـتـ ! قـفـالـ لـهـاـ : أـنـاـ وـالـهـ هـلـالـ ،
وـلـاـ وـالـهـ لـاـ تـفـلـتـانـ مـنـهـ حـتـىـ تـعـظـيـانـ عـهـداـ وـمـيـنـاـ قـدـخـيـسـانـ بـهـ^(٢) ؛ لـأـتـيـانـ الـرـبـدـ^(٣) ،
إـذـاـ قـدـمـتـاـ الـبـصـرـةـ ، نـمـ لـتـنـادـيـانـ بـأـعـلـىـ أـصـوـاتـكـاـ بـمـاـ كـانـ مـنـيـ وـمـنـكـاـ .
فـعـادـهـاـ وـأـعـيـاهـ تـوـطـاـ منـ التـرـ الذـيـ مـعـهـاـ ، وـقـدـمـاـ الـبـصـرـةـ ، فـأـتـيـاـ الـرـبـدـ ،
فـنـادـيـاـ بـمـاـ كـانـ مـنـهـ وـمـنـهـاـ .

(١) حـسـرـ الشـيـءـ : أـنـزـلـهـ مـنـ عـلـوـ . (٢) لـاـ تـخـيـسـانـ بـهـ : لـاـ تـنـدـرـانـ بـهـ وـلـاـ تـكـثـانـ .
(٣) الرـبـدـ : مـوـضـعـ بـالـبـصـرـ ؟ كـانـ سـوقـاـ لـلـابـلـ ، ثـمـ صـارـ عـلـةـ عـظـيمـةـ سـكـنـهـاـ النـاسـ ، وـبـهـ كـانـ
مـفـاخـرـاتـ الشـعـرـاءـ وـجـالـسـ الـخطـباءـ .

١٩ - لا تعرضا لهذا الشيطان *

حدَّثَ خالدُ عنْ كَتَيْفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَازِنِيِّ قَالَ : كَنْتُ يَوْمًا مَعَ هِلَالَ ، وَنَحْنُ نَبْغِي إِبْلًا لَنَا . فَدَفَقْنَا إِلَى قَوْمٍ مِنْ بَكْرٍ بْنِ وَائِلَ ، وَقَدْ لَغَبَنَا^(١) وَعَطَشَنَا ، وَإِذَا نَحْنُ بَغْتَةً شَابَ عَنْدَ رَكِيَّةٍ^(٢) لَهُمْ ، وَقَدْ وَرَدَتْ إِبْلُهُمْ ، فَلَمَّا رَأَوْنَا هِلَالًا اسْتَهْلُلُوا خَلْقَهُ وَقَامُتْهُ .

فَقَامَ رِجَالٌ مِنْهُمْ لِيَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، هَلْ فِي الصَّرْاعِ ؟ فَقَالَ لَهُ هِلَالٌ : أَنَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ أَحْوَجُ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : إِلَى لَبَنٍ وَمَاءٍ ؛ فَإِنِّي لَغِبْتُ مَذْهَانَ ، قَالَ : مَا أَنْتُ بِذَاقِ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا حَتَّى تَمْعَلَنَا عَهْدًا ؛ لَتُجِيَّبَنَا إِلَى الصَّرْاعِ إِذَا أَرَخْتَ^(٣) وَرَوِيتَ .

فَقَالَ لَهَا هِلَالٌ : إِنِّي لَكُمْ ضَيْفٌ ، وَالضَّيْفُ لَا يُصَارِعُ رَبَّ مَزْلِهِ ، وَأَتُمْكِنُونَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا أَقُولُ لَكُمْ : أَعِدُّو إِلَيْهِ أَشَدَّ خَلْفًا إِلَيْكُمْ وَأَهْبِطُهُ صَوْلَةً ، وَإِلَى أَشَدَّ رَجْلًا مِنْكُمْ ذِرَاعًا ؛ فَإِنْ لَمْ أَقْبِضْ عَلَى هَامَةِ الْبَعِيرِ وَعَلَى يَدِ صَاحِبِكُمْ فَلَا يَمْتَنِعُ الرَّجُلُ وَلَا الْبَعِيرُ حَتَّى أُدْخِلَ يَدَ الرَّجُلِ فِي فَمِ الْبَعِيرِ ، فَإِنْ لَمْ أَفْعِلْ ذَلِكَ فَقَدْ صَرَعْتُنِي ، وَإِنْ فَعَلْتُهُ عَلِمْتُ أَنَّ صَرَاعَ أَحَدَكُمْ أَيْسَرٌ مِنْ ذَلِكَ .

فَعَجَبُوا مِنْ مَقَالَتِهِ ثُلَاثَ ، وَأَوْمَنُوا إِلَى فَخْلٍ فِي إِبْلِهِمْ هَامِنْجَ صَائِلَ قَطْمٍ^(٤) ، فَأَنْتَاهُ

* الأغانى : ٣-٥٥ (طبعة دار الكتب)

(١) لَبَنْ : ثَبَبْ وَأَسَابِهِ الإِعْيَادَ (٢) الرَّكِيَّةُ : الْبَثْرَ (٣) أَرَاجَ الرَّجُلُ : رَجَمَ لِيَهُ قَسْهَ بَعْدَ الإِعْيَادَ (٤) القَطْمُ : الْهَامِنْجُ الَّذِي صَبَ رَكْوَبَهُ .

هلال ومه نفرٌ من أولئك القوم وشيخٌ لهم ، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشقرٍ ،
فضغطها ضغطةً جَرْجَرَ^(١) الفَحْلُ منها واستَخْذَى^(٢) وَرَغَّاً . وقال : لِيُعْطِنِي من
أَحَبَّتُ يده أو يلْهاف فم هذا الفحل .

قال الشيخ : ياقوم ، تسكبوا هذا الشيطان ، فوالله ما سمعتُ الفلان^(٣) - يعني
هذا الفحل - جَرْجَرَ منذ بَزَلَ^(٤) قبل اليوم ، فلا تعرضوا لهذا الشيطان . وجعلوا
يَتَبعُونَه وينظرون إلى خطوه ويعجبون منه حتى جَاؤَه .

(١) جَرْجَرٌ : رد صوته في حنجرته . (٢) استخذى . خضع . (٣) الفلان . والفلانة :
كنية عن غير الآدميين ، تقول : ركب الفلان وركبت الفلانة ، أما فلان وفلانة فما كناية
عن أسماء الآدميين .

(٤) بَزَلْ البَزِيرُ فهو بَازِلْ ، أَيْ : دخل في سنِه التاسعة .

٢٠ — هلال يصارع عبداً جباراً *

حدث من سمع هلالاً يقول : قدِمتُ المدينةَ ، وعليها رجلٌ من آل مروان ،
فلم أزل أضَعُ عن إبْلِي ، وعليها أحالَ للتجار ، حتى أخذَ يدي ، وقيل لي : أجيِبُ الأمير .
قلت لهم : ويلكم ! إبْلِي وأحالَ ! فقيل : لا بأس على إبْلِك وأحالَك .
فانطَلَقَ بي حتى أدخلْتُ على الأمير ، فسلَّمَتُ عليه ، ثم قلت : جعلْتُ
فداك ! إبْلِي وأمانتي ، فقال : نحن ضامِنُون لإبْلِك وأمانتك حتى تؤذِيَها إليك ؟
قلت عند ذلك : فما حاجةُ الأمير إلى ؟ جعلني الله فداء ! قال لي - وإلى جنبه
رجلٌ أصفر ، مارأيت رجلاً قط أشد خلقاً منه ، ولا أغفظَ عنةَا ، ما أدرى أطْوُلُه
أكثَرَ أمَّ عَرْضِه - : إنَّ هَذَا الْعَبْدَ الَّذِي تَرَى ، ماتَرَكَ بِالْمَدِينَةِ عَرِيَّا يُصارَعُ إِلَّا
صَرَعَهُ ، وبلنَقِي عنك قوَّةً فَأَرْدَتُ أَنْ يُجْرِيَ اللَّهُ صَرَعَ^(١) هَذَا الْعَبْدَ عَلَيْ يَدِكَ ؛ فَدُرِّكَ
ما غَنَدَهُ من أوتارِ العرب .

قلت : جعلني الله فداءُ الأمير ، إنَّ لَغِبَتْ نَصِيبَهُ جائِمَهُ ، فإنَّ رأيَ الأمير
أن يَدَعُنِي ، حتى أضَعَ عن إبْلِي ، وأؤذِي أمانتي ، وأرجِعَ يَوْمِي هَذَا واجِيَّهَهُ غَدًا فَلَيَفْعُلُ .
قال لأعوانه : انطلقوا معه فأعْيُنوه على الوضَعِ عن إبْلِهِ وادِاءِ أمانته ، ثمَّ
انطلقوا به إلى المطبخ فأشْبِعُوه . فعملوا جميعاً مَا أَمْرَهُمْ به . فظَلَّتْ بقِيَّةُ يَوْمِي ذَلِكَ ،
وبَتْ لِيَّاتِي تلك بِأَحْسَنِ حَالٍ شِبَعاً ورَاحَةً وصلاحَ أَمْرٍ ؛ فـمَا كَانَ مِنَ الْفَدِ

* الأغانِي : ٣٦٠ (طبعة دار الكتب) .

(١) صَرَعَهُ ، أي قتلَه .

غدوت عليه وعله جبة لى صوف وَبَت^(١) ، وليس على إزار ، إلا أنى قد شددت بهامق وسطى . فسلمت عليه فرد على السلام . وقال للأصفر : قم إليه ، قد أرى الله أنتاك بما يخزيك . فقال العبد : اتنز بالأعرابي ، فأخذت بيقي فأنزلت به على جبقي ؟ فقال : هبهات هذا لا يثبت ، إذا قبضت عليه جاء في يدي ؟ فقلت : والله مالي من إزار .

فدها الأمير عَلْحَافَةٌ ما رأيت قبلها ، ولا علا جلد مثلما ، فشدت بها على حقوى^(٢) وخلعت الجبة .

وجمل العبد يدور حوله ويريد خنقه وأنا منه وجلي ، ولا أدرى كيف أصنع به أنم دنا مني دنوة ، فنقد^(٣) جبهتي بظفره نقدة ظننت أنه قد شجنى وأوجعنى . ففاظنى ذلك ، فجعلت أنظر في خلقه ؟ بم أقيض منه . فاوجدت في خلقه شيئاً أصفر من رأسه ، فوضعت إبهامي في صدغيه وأصابعى الآخر في أصل أذنيه . ثم غمزته غرزة صاح منها : قتلتنى ! قتلتنى ! فقال الأمير : اغض رأس العبد في التراب . فقلت له : ذلك على .

فقمست والله رأسه في التراب ، ووقع شيئاً بالمفتشى عليه . فضحك الأمير حتى استلقى ، وأمر لي بجائزه وصلة وكسوة ، وانصرفت .

(١) البت : كسراء غليظ مهليل مربيم أخضر (٢) المفو : المنصر (٣) قد الشيء : قره ياصبه .

٢١ - حديث عن الفَرِيْنَ *

قال المهدى ذات ليلة - وكان أميراً على الرّى من قبّل أبيه المنصور: ياشرق^(١)، أريح قلبى بشىء يليمه ! قال : نم أصلح الله الأمير : ذكروا أنه كان في ملوك^(٢) الحيرة ملك له نديمان : قد نزل من قلبه منزلة مكينة ، وكان لا يفارقه في لئنه و منامه و يقطنه ، وكان لا يقطع أمراً دونهما ، ولا يصدر إلّا عن رأيهما ، فنbir بذلك دهرأ طويلا .

فيينا هو ذات ليلة في شربه ولئنه إذ غالب عليه الشراب ؛ فازال عَقْلَه ، فدعا بسيفه وانتصاء ، وشد عليهما فقلبها ، وغلبتها عيناه فقام .

فلما أصبح سألهما فأخبر بما كان منه ؛ فأكب على الأرض ؛ عاصماً لها ؛ تأسفاً عليهم ، وجزعاً لفراقهما ، وامتنع من الطعام والشراب ، ثم حلف لا يشرب شراباً يُزّعج قلبه ما عاش ! وواراماً وبنى على قبريهما بناءين ، وسماهما الفَرِيْنَ^(٣) ، وسن أليبر بهما أحد من الملوك فمن دونه إلا سجد لها ، وكان إذا سنَّ الملك سنة توارثوها وأحياناً ذكرها ولم يحيوها ، وجعلوها عليهم حكماً واجباً وفرضًا لازماً ، وأوصى بها الآباء أحفادهم .

فنبَّر الناس بذلك دهرأ طويلا ، لا يمر أحد من صغير ولا كبير إلا سجد لها !

* مروج النهب : ٢٠٢ - ٢ ، مجم البدان : ٦ - ٢٨٣ .

(١) هو الشرق بين القطائى : شاعر كلّى ، كان واقر الأدب ، مالا بالنسب ، وكان المنصور قد ضمه إلى المهدى حين خلقه بالرّى ، وأمره أن يأخذنه بحفظ أيام العرب ، ومكارم الأخلاق ، ودراسة الأخبار ، وقراءة الأشعار (٢) ذكروا أنه النهان بن النذر (٣) الفريان : بناءان بالكونفة ؛ قبل سيا بذلك لأن النهان كان يغريبها بضم من يقتله .

فصار ذلك سنة لازمة كالشريعة والفربيضة ، وحُكِمَ فيمن أبى أن يسجد لها بالقتل
بعد أن يُنْهَمَ له بخصلتين يُجَاب إِلَيْهِما كائناً ما كان !

فريوما قصار ^(١) معه كارة ^(٢) نيا ب ، وفيها مِدْقَةُه ^(٣) ، فقال الوكلون
بِالْفَرِيَّيْنَ للقصار : اسجد ! فأبى أن يفعل . قالوا له : إنك مقتول إن لم
تفعل ؟ فأبى .

فرفعوه إلى الملك ، وأخبروه بقصته ، فقال : ما منعك أن تسجد ؟ قال :
سجدت ولكن كذبوا علىـ ! قال : الباطلـ قلتـ فاحتـكمـ فيـ خـصـلـتـيـنـ ؟ـ فـأـنـتـ
مجـابـ إـلـيـهـماـ ،ـ وـإـنـيـ قـاتـلـكـ !ـ قـالـ :ـ لـأـ بـدـأـ مـنـ قـتـلـ بـقـوـلـ هـؤـلـاءـ ؟ـ قـالـ :ـ لـابـدـ مـنـ
ذـلـكـ ،ـ قـالـ :ـ فـإـنـيـ أـحـكـمـ أـنـ أـضـرـبـ رـقـبـ الـمـلـكـ بـمـدـقـتـيـ هـذـهـ !ـ قـالـ لـهـ الـمـلـكـ :ـ يـاجـاهـلـ ؟ـ
لـوـحـكـتـ عـلـىـ أـنـ أـجـزـىـ عـلـىـ مـنـ تـخـلـفـ وـرـاءـكـ مـاـ يـعـيـنـهـمـ كـانـ أـصـلـحـ لـمـ !ـ
قالـ :ـ مـاـ أـحـكـمـ إـلـاـ بـضـرـبـةـ لـرـقـبـ الـمـلـكـ !ـ قـالـ الـمـلـكـ لـوزـرـائـهـ :ـ مـاتـرـونـ فـيـهاـ حـكـمـ
بـهـ هـذـاـ الـجـاهـلـ ؟ـ قـالـواـ :ـ نـرـىـ أـنـ هـذـهـ سـنـةـ ،ـ وـأـنـ أـعـلـمـ بـمـاـ فـقـضـ السـنـ منـ الـعـارـ
وـالـنـارـ وـعـظـمـ الـإـيمـ،ـ وـأـيـضاـ إـنـكـ مـتـىـ قـضـتـ سـنـةـ قـضـتـ أـخـرىـ ،ـ ثـمـ يـكـوـنـ ذـلـكـ
لـمـ بـعـدـكـ كـاـكـانـ لـكـ ،ـ فـتـبـطـلـ السـنـ !ـ

قالـ :ـ فـارـغـبـواـ إـلـىـ الـقـصـارـ أـنـ يـحـكـمـ بـمـاـ شـاءـ وـيـسـيـفـيـنـ مـنـ هـذـهـ ؟ـ فـإـنـ أـجـيـهـ
إـلـىـ مـاـ شـاءـ ،ـ وـلـوـ بـلـغـ حـكـمـ شـطـرـ مـلـكـيـ !ـ فـرـغـبـواـ إـلـيـهـ ،ـ قـالـ :ـ مـاـ أـحـكـمـ إـلـاـ
بـضـرـبـةـ فـعـنـقـ الـمـلـكـ !ـ

فـلـمـ رـأـيـ الـمـلـكـ ذـلـكـ وـمـاـ عـزـمـ عـلـيـهـ الـقـصـارـ ،ـ قـدـ مـقـمـدـاـ عـامـاـ ،ـ وـأـحـضـرـ الـقـصـارـ ،ـ

(١) قصر التوب : صوره ودقه ، وسي القصار لأنه يدق الشباب بالقصرة وهي قطعة من الخشب

(٢) الكارة : ما يحمل على الطير من الشباب . (٣) المدق : ما يدق به .

فأبدي ميَّدَقَتَهُ ، وضرب بها عنق الملك ؛ فأوهنه وخرّ مغشيا عليه !

فأقام يشكوا ما به سنة ، فلما أفاق وتكلّم ، وأكل وشرب سألَ عن القصار ،
فقيل : إنه محبوس ؛ فأمر بإحضاره خضر ؛ فقال : لقد بقيت لك خصلة فاحكم
بها ، فإني قاتلك لا حالة ؛ إقامة لسنة ! قال القصار : فإذا كان لابد من قتل فإني
أحكم أن أضرب الجانب الآخر من رقبة الملك مرّة أخرى !

فلما سمع الملك ذلك خرّ على وجهه من الجزع ، وقال : ذهبت^(١) والله نفسى
إذن . ثم للقصر : ويلك داع عنك ما لا ينفعك ، فإنه لم ينفعك منه ما مضى ،
واحِكْمُ بيده وأنفَذه لك كائناً ما كان ! قال : ما أرى حق إلا ضربة أخرى !
قال الملك لوزرائه : ما ترون ؟ قالوا : هذا حقه ! قال : ويلكم ! إن ضرب
الجانب الآخر ما شربت الماء البارد أبداً ؛ لأنّى أعلم ما قد نالى .

قالوا : فما عندنا حيلة !

فلما رأى ما قد أشرف عليه قال للقصر : أخبرنى . ألم أكن قد سمعتك تقول
يوم آتى بك الموكّلون بالغرىين : إنك قد سجّدت ، وإنهم كذبوا عليك ؟ قال :
قد كفّتُ ذلك فلم أصدق ! قال : فكانت سجدة ؟ قال : نعم ! فوثب من
مجلسه ، وقبل رأسه ، وقال : أشهد أنك صادق ، وإنهم كذبوا عليك ، وقد وليتك
موضوعهم ، وجعلت إليك أسرم .

فضحكت المهدى حتى فض برجليه ، وقال : أحسنت ! ووصله .

(١) ذهبت نفسى ، أى هلكت .

قال الشرقي بن القطامي :

خرجت من الموصل أريد الرقة^(١)؛ فصحبني فتى من أهل الجزيرة، وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم، ومعه مزود^(٢) وركوة^(٣) وعصا، ورأيته لا يفارقها؛ مشاة كناناً أور كباناً؛ وهو يقول : إن الله جعل جماع أسر موسى، وأعاجيبه وبراهينه وما رأبه في عصاه؛ وجعل يكثُر من هذا وأنا أضحك متهاوناً بما يقول.

فتخلف المكارى^(٤)؛ فكان حمار الفتى إذا وقف أكرهه بالعصا، ويقف حماري، ولا شيء في يدي؟ فيسبقني إلى المنزل فيستريح ويريح، ولا أقدر على البراح حتى يوافياني المكارى . قلت : هذه واحدة !

ثم خرجنا من غدير مشاة؛ فـكان إذا أعيتا توكتاً على العصا، واعتمد عليها، ومرة كأنه سهم زالج^(٥) ، حتى انتهينا ، وقد تفسخت من الكلال ، وإذا فيه فضل كثير؛ فقلت : وهذه أخرى !

فـلما كان في اليوم الثالث هجمتنا على حية منكرة؛ فـسارت إلينا فأسلته إلـيـها ، وهربت منها ، فـضرـبـها بالعصـا ، فـقلـتـ : هذه ثـالـثـةـ !

* عيون الأخبار : ١٣٩-١

(١) الرقة : بلدة على الفرات . (٢) المزود : وعاء الزاد . (٣) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء . (٤) المكارى : المستاجر لسوق الدواب ، وهو اسم فاعل من كاري ، والجمع المكارون . (٥) زالج : مارق .

وخرجنا في اليوم الرابع ، وبنار قرم^(١) إلى اللحم ، فاعتربنا أرنب ، فخذلناه بالعصا ، وأدركتنا ذكراها^(٢) قلت : هذه رابعة !

فأقبلت عليه ؟ قلت : لو أن عندنا ناراً مأخوذة أكلها إلى المنزل فأخرج هويداً من مزوده ثم حكم بالعصا ؟ فأورت إيزاء المرخ والعفار^(٣) ، ثم جمع ما قدر عليه من الفتاء^(٤) والخشيش ، وأوقد ناراً ، وألقى الأرنب في جوفها ، فأخرجناها ، وقد لزق بها من الرماد والتراب ما يقصها إلى ، فعلقها بيده اليسرى ، ثم ضرب جنوبها بالعصا ضرباً رقيتاً ، حتى انتثر كل شيء عليها ، فأكلناها ، وسكن القرم ، وطابت النفس ؟ قلت : هذه خامسة !

ثم نزلنا بعض الحانات ، وإذا البيوتات مملوقة روتاناً وترباً ؛ فلم نجد موضع نظل فيه فنظر إلى حديدة مطروحة في الدار ، فأخذها ، فقبل العصا نصايا^(٥) لها ، ثم قام فجرف ذلك الروث والترب ، وجرد الأرض ، حتى أظهر بياضها ، وطابت ريحها ، قلت : وهذه سادسة !

ثم نزع العصا من الحديدية ، فأوتدها^(٦) في الحائط ، وعلق عليها ثيابه وثيابي ، قلت : هذه سابعة !

فلما صرنا إلى مفرق الطريق وأردت مفارقته ، قال لي : لو عدلت معي فبت عندي ! فعدلت معه ، فدخلني منزلة يتصل ببيعة^(٧) ، فازال بمحلته

(١) القرم : شدة شهوة اللحم (٢) ذكارها : ذبعبها (٣) المرخ : شجر شديد الورى ، ومثله العفار (٤) الفتاء : البالي من ورق الشجر المخالف زبد السيل (٥) النصب : ما يعسكها به (كاليد لأنفس) (٦) أونتها : بيتها (٧) البيعة : كنيسة النصارى .

وُيُطْرِفَنِي ^(١) الليل كله ، فلما كان السحر أخذ المصايبينها ، وأخذ خشبة أخرى فترع بها المصا ، فإذا ناقوس ليس في الدنيا مثله ، وإذا هو أحذق الناس به ، فقلت له : ويحك ! أما أنتَ بمسلم ! قال : بل . قلت : فلم تضرب بالناقوس ! قال : لأن أبي نصراني ، شيخ كبير ضعيف وأنا أبته .

إذا هو شيطان مارد ، من أظرف الناس ، وأكره أدبًا فغبنته بالذى أحصيت ^٢ من خصال المصا ، فقال : والله لو حدثتك عن مناقب المصا ليلة إلى الصباح ما استنفذتها .

(١) بطرفني ، أى يمعنى بالطرف والأحاديث .

رَأْمُ الأَسْمَى^(١) أَنْ حَرَبَا كَانَتْ بِالْبَادِيَةِ ، ثُمَّ اتَّصَلَتْ بِالْبَصَرَةِ ، فَفَقَامَ الْأَسْمَى
فِيهَا ، ثُمَّ مَشَّى بَيْنَ النَّاسِ بِالصَّلْحِ ، فَاجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ .

قَالَ : قَبِعْتُ وَأَنَا غَلَامٌ إِلَى ضَرَارِ بْنِ الْقَمَّاعِ مِنْ بَنِ دَارِمٍ ، فَاسْتَأْذَنْتُ
عَلَيْهِ ، فَأَذْنَ لِي ، فَدَخَلْتُ فَإِذَا بِهِ فِي شَمَلَةٍ^(٢) يَخْلُطُ بِزَرَّاً لِعَزِّ لَهُ حَلُوبُ
بِعُجُومِ الْقَوْمِ ، فَأَمْهَلَ حَتَّى أَكُلَّ الْعَزِّ ، ثُمَّ غَسَلَ الصَّحْفَةَ^(٣) وَصَاحَ : يَا جَارِيَةُ
غَدِّيْنَا ؟ فَأَتَتْهُ بِزِيتٍ وَتَنَزَّ . فَدَعَاهُ فَقَدِرَتْهُ^(٤) أَنْ آكُلَّ مَعَهُ ، حَتَّى إِذَا قَضَى مِنْ
أَكْلِهِ حَاجَةَ وَتَبَ إِلَى طِينِ مُلْقَى فِي الدَّارِ ، فَفَسَلَ بِهِ يَدَهُ ، ثُمَّ صَاحَ : يَا جَارِيَةُ ،
اسْقِينِي مَاءً ، فَأَتَتْهُ بِمَاءٍ فَشَرَبَهُ ، وَمَسَحَ فَصْلَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : الْمَدْلُوَّ ، مَاهِ
الْفُرَاتِ بِتَمَرِ الْبَصَرَةِ بِزِيتِ الشَّامِ . مَتَى نُؤَدِّي شُكْرَ هَذِهِ النُّعْمَاءِ ؟ ثُمَّ قَالَ :
يَا جَارِيَةُ ، عَلَى بَرْدَائِي ، فَأَتَتْهُ بِرِدَاءٍ عَدَنَيِّ ، فَازْتَدَرَ بِهِ عَلَى تِلْكَ الشَّمَلَةِ .

قَالَ الْأَسْمَى : فَتَجَاهَيْتُ عَنْهُ اسْتِقْبَاحًا لِزِيَّهُ .

فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ صَلَى رَكْنَتِينِ ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الْقَوْمِ ، فَلَمْ تَبْقَ حُبُوبَةٌ إِلَّا حَلَّتْ
إِعْظَامًا لَهُ ثُمَّ جَلَسَ فَتَحَلَّلَ جَمِيعُ مَا كَانَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ^(٥) فِي مَالِهِ ، وَانْصَرَفَ .

* السَّكَّالُ لِلْمَبْدُودِ : ١ - ٨١

(١) هُوَ أَبُو سَيْدَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَرِيبٍ ، اشْتَهِرَ بِالرَّوَايَةِ وَالتَّضَلُّلِ مِنَ الْأَنْفَةِ . تَوْفَى سَنَةُ ٦٢١ هـ

(٢) الشَّمَلَةُ : كَسَاءٌ يَشْتَهِلُ بِهِ (٣) الصَّحْفَةُ : إِنَاءٌ كَالْقَصْمَةِ (٤) فَقْرَتَهُ : أَيْ اسْتَفْرَتَهُ
وَكَرْمَتَهُ . (٥) الْأَحْيَاءُ : جَمِيعُ الْحَيَاةِ ، وَهُوَ الْبَطْنُ مِنْ بَطْوَنِ الْمَرْبُوبِ .

البَابُ الثَّانِي

فِي الْقُصُصِ الَّتِي تَصِفُ أَحْوَالَ الْمَرْأَةِ الْمَرْيِةِ ،
وَمَا تَجْرِي عَلَيْهِ فِي تَرِيَةِ أَطْفَالِهَا ؛ وَمَا شَرَتْهَا زَوْجُهَا ،
وَمَا وَاعْتَدَتْهَا لَهُ فِي الْحَيَاتَيْنِ : الْاجْتَمَاعِيَّةِ وَالْمَدْنِيَّةِ ، بِالسُّعْدِ
مَعَهُ فِي سَبِيلِ الرِّزْقِ ، وَالاشْتِراكِ فِي خَوْضِ مَعَامِعِ
الْمَرْوُبِ ، وَالْأَخْذِ بِقَسْطِ مِنَ النَّفَاقَةِ الْأُدِيَّةِ السَّائِدَةِ
فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ .

٥٦ - مصروع الزباء*

كان يَذِيْهَ^(١) قد ملأ شاطئ الفرات ، وكانت الزباء ملكة الجزيرة ، وكان جَذِيْهَ قد وَتَرَهَا بقتل أُبُوها ، فلما استجتمع أمرُها ، وانتظم شملُ مُلُوكها ، أحبَّت أن تغزو جَذِيْهَ . ثم رأت أن تكتبَ إِلَيْهِ : أنها لم تجد مُلُوك النساء إلا قُبْحًا في السَّمَاع ، وصَفَّها في السلطان ، وأنها لم تجد لِمُلُوكها موضعًا ، ولا لنفسها كفَّافًا غيركَ ؟ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ لاجمع مُذْكُورِي إِلَى مُلُوك ، وأُصْلِيَ بلادكَ ، وتنقلَدَ أمرِي مع أمركَ .

فَلَمَّا أَتَتْ كَتابَهَا جَذِيْهَ ، وَقَدْمَ عَلَيْهِ رَسْلُهَا اسْتَخْفَهَ مَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ ، وَرَغْبَ فِيهَا أَطْمَعَتْهُ فِيهِ ؛ فَجَمِعَ أَهْلَ الْجِنَّا وَالرَّأْيِ مِنْ ثَقَاتِهِ - وَهُوَ يُوْمَنْدِي بَقَّةً مِنْ شاطئِ الفرات - وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ مَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ ؛ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهَا فَيَسْتَولَيْ على مُلُوكها .

وَكَانَ فِيهِمْ قَصِيرٌ - وَكَانَ أَرِيبًا حازمًا عِنْدَ جَذِيْهَ - فَعَالَفُوهُمْ فِيهَا أَشَارُوا بِهِ ، وَقَالَ : رَأْيِي قَاتِرٌ ، وَغَدْرٌ حَاضِرٌ^(٢) . ثُمَّ قَالَ بِجَذِيْهَ : الرَّأْيُ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْهَا ، فَإِنْ كَانَتْ صَادِقَةً فِي قَوْلِهَا فَلَتُقْبِلَ إِلَيْكَ ، وَإِلَّا لَمْ تَسْكُنْهَا مِنْ نَفْسِكَ ، وَلَمْ تَقْعُ فِي جِبَائِهَا ، وَقَدْ وَتَرْتَهَا وَقَتَلَتْ أَبَاهَا ؛ فَلَمْ يَوْافِقْ جَذِيْهَ وَقَالَ لَهُ : رَأْيُكَ فِي السَّكِينَ لَا فِي الضَّحَّ^(٣) .

* بِعْمِ الْأَمْثَالِ : ٢١٣-١ ، جَهْرَةُ الْأَمْثَالِ : ٦٢

(١) اقْتُلْ صَفَحةً ٢ مِنْ هَذَا الْجَزْءِ . (٢) ذَهَبَتْ مِثْلًا (٣) الضَّحَّ : الشَّمْسُ وَضَوْءُهَا ، وَالسَّكِينُ : وَاهْ كُلْ شَيْءٍ وَسْتَهُ . ذَهَبَتْ مِثْلًا .

ودعا جَذِيْمَةُ عَمْرُو بْنُ عَدَى ابْنَ أَخْتِهِ فَاسْتَشَارَهُ فَشَجَعَهُ عَلَى السَّيْرِ ، وَقَالَ :
إِنْ قَوْمِيْ مَعَ الزَّبَاءِ وَلَا رَأْوَكَ صَارُوا مَعَكَ ، فَأَحْبَبَ جَذِيْمَةً مَا قَالَهُ ، وَعَصَمَ قَصِيرًا ،
قَالَ قَصِيرٌ : لَا يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ^(١).

وَاسْتَخَلَفَ جَذِيْمَةُ عَمْرُو بْنُ عَدَى عَلَى مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ ، وَسَارَ فِي وُجُوهِ
أَحْبَابِهِ ، فَأَخْذَ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ مِنَ الْجَانِبِ الْفَرَبِيِّ ، فَلَمَّا نَزَلَ دُعَاءَ قَصِيرًا قَالَ :
مَا الرَّأْيُ يَا قَصِيرٌ ؟ قَالَ قَصِيرٌ : بَيْتَةٌ خَلَقْتُ الرَّأْيَ^(٢) . قَالَ : وَمَا ظَنْكَ بِالْبَاءِ ؟ قَالَ :
الْتَّوْلُ رِدَافٌ ، وَالْحَزْمُ عَثَرَاهُ تُخَافَ^(٣).

وَاسْتَقْبَلَهُ رُسْلُ الزَّبَاءِ بِالْمَدَابِيَا وَالْأَلَطَافِ ، قَالَ : يَا قَصِيرٌ ؟ كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ :
خَطْبٌ يُسِيرُ فِي خُطُبِ كَبِيرٍ^(٤) . وَسَتَلَقَّاكَ الْجَيُوشُ ؟ فَإِنْ سَارَتْ أَمَامَكَ فَلَمْ أَرَأَهُ
صَادِقَةً ، وَإِنْ أَخْذَتْ جَنَبَتِيكَ ، وَأَحْاطَتْ بِكَ مِنْ خَلْفِكَ فَالْقَوْمُ غَادُونَ بِكَ ، وَإِذْن
فَارِكَبِ الْعَصَاصَا^(٥) فَإِنَّهَا لَا يَسْتَعْبِرُهَا - وَكَانَ الْعَصَاصَاصَا جَذِيْمَةً لَا تُجَارِيَ -
وَإِنِّي رَاكِبُهَا وَمُسَارِبُكَ عَلَيْهَا .

فَلَقَيْتَهُ الْخَلِيلُ^(٦) وَالْكَتَابُ ، خَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَصَاصَا ؟ فَرَكِبَهَا قَصِيرٌ ، وَنَظَرَ
إِلَيْهِ جَذِيْمَةً عَلَى مِنْتَنِ الْعَصَاصَا مُولَيَا ، قَالَ : وَيْلَ أَمَّهُ حَزْمًا عَلَى مِنْتَنِ الْعَصَاصَا^(٧) ! وَجَرَتْ
بِهِ إِلَى غَرْبِ الشَّمْسِ ثُمَّ نَفَقَتْ ، وَقَدْ قَطَعَتْ أَرْضًا بَعِيدَةً .

وَسَارَ جَذِيْمَةً وَقَدْ أَحْاطَتْ بِهِ الْخَلِيلُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الزَّبَاءِ . فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَتْ :
أَشْوَارٌ^(٨) عَرْوَسٌ تَرَى ؟ قَالَ : أَمْرٌ غَدَرٌ أَرَى أَمْرٌ دَعَتْ بِالسِّيفِ وَالنَّطْعَ ، وَقَالَتْ :
إِنْ دَمَاءَ الْمَلُوكِ شِغَافَةٌ مِنَ الْكَلْبِ ، فَأَسْرَتْ بَطَسْتَ مِنْ ذَهَبٍ قَدْ أَعْدَتْهُ لَهُ وَسَقَتْهُ

(١) ذَهَبَتْ أَمْثَالًا (٢) الْعَصَاصَا : اسْمُ الْفَرَسِ (٣) الشَّوَارِ : الْمَيْتَةُ وَالْزِيْنَةُ .

النمر حتى سكر ، وأخذت منه النمر مأخذها ، فأسرت براهشيه^(١) فقطعا ، وقدمت إليه الطشت - وقد قيل لها : إن قطر من دمه شيء في غير الطشت طلب بدمه - فلما ضمّقت يداه سقطتا قطر من دمه شيء في غير الطشت ؟ فقالت : لأنضيئه دم الملك . قال جذيمة : دعوها دمًا ضيقه أهله^(٢) . وهكذا جذيمة .

وخرج قصير من الحى الذى هلكت العصا بين أظهرهم ، حتى قدم على عمرو ابن عدى - وهو بالحيرة - فقال له قصير : أثارت أنت ؟ قال : بل ثأر سائر^(٣) . ووافق قصير الناس وقد اختلفوا ، فأصلح بينهم ، ثم قال لعمرو بن عدى : تهياً واستزيد ولا نطلب^(٤) دم خالك . قال : وكيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجو^(٥) !

وكانت الزباء سالت كاهنة لما عن هلاكهها ؟ فقالت : أرى هلاكه بسبب غلام مهين غير أمين ، وهو عمرو بن عدى . ولن تموي بيده ، ولكن حتفك بيده ، ومن قبله ما يكون من ذلك .

فحذرت عرباً ، واتخذت لها نفقاً من مجلسها الذى كانت تجلس فيه إلى حصن لها في داخل مديتها ، وقالت : إن فاجأني أمر دخلت التفق إلى حصنى . ودعنت رجالاً مصوّراً من أجود أهل بلاده تصويراً ، وأحسنهم علاً ، خهزته وأحسنت إليه ، وقالت : سرحتي تقدم على عمرو بن عدى متتكراً ، فتخلو بمحشيه فتنضم إليهم وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور ، ثم أثبتي^(٦) لي عزرو بن عدى معرفة ؟ فصوّر جالساً وقاماً وراكيماً ومُتقضلاً^(٧) ومتسلحاً بهيته ولونه ، فإذا أخذكتم ذلك فأقبل إلى .

(١) الرامشان : عرقان في باطن النراعين (٢) ذابت أمثala (٣) طل دمه : هدر أو ألا يتأثر به

(٤) أثبته : عرفه حق المعرفة . (٥) التفضل : من يلبس ملابس النوم وهي لبسة التفضل .

فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدّى ، وصنّع الذي أمرتهُ به الزباء ،
وبلغ من ذلك ما أوصتهُ به ، ثم رجع إلى الزباء يعلم ما وجهتهُ لهُ من الصورة على
ما صفت وأرادت أن تعرف عمرو بن عدّى ، فلا تراهُ على حال إلا عرفة وحضرته
وعلمت علمه .

وقال قصیر لعمرو بن عدّى : اجْدَعْ أَنْقَهُ^(١) ، واضرب ظَبَرَى ، ودَعْنَى وَإِيَاهَا .
قال عمرو : ما أنا بفاعل ، وما أنت لذلك مستحقاً عندى . فقال قصیر : خلّ عنّي
إذن وخلّاك ذم^(٢) ! فقال له عمرو : فأنت أَبْصَرْ . فجدع أنقه وأثراً آثاراً بظهره ؛
قالت العرب : لَأُمِرِّ ماجَدَعْ قصیر أَنْقَهُ^(٣) .

ثم خرج قصیر كأنه هارب ، وأظهر أن عرراً فعل ذلك به ، وأنه زعم أنه مَكَرْ
بمخالله جَذَّبه وغَرَّه ؛ فسارحتي قَدِمْ على الزباء ، فقيل لها : إن قصیراً بالباب . فأمرت
به فادخل ، فإذا أَنْقَهُ قد جَدَعْ ، وظهره قد ضُربْ ؛ فقالت : ما الذي أرى بك
يا قصیر ؟ قال : زعم عمرو أنني قد غرتُ خاله وزينتُ له المصير إليك وغضبتُ
ومالاتُك ؟ ففعل بي ماترين ؛ فأقبلتُ إليك . فاَكْرَمْتَهُ ، وأصابتَ عندهِ من الحزم
والرأي ما أرادت .

فلمَّا عرف أنها استرسلت إليه ، ووَقَتْ به قال : إن لي بالعراق أموالاً كثيرة
وطرائف وثياباً وعطرًا ، فابشئني إلى العراق ، لأحلَّ مالي وأحلَّ إليك من بزها^(٤)
وطرائفها وطيبةها ، لتصيبني من ذلك أر باحًا عظيمة ، وبعضَ مالاً غنى للملوك عنه .
وكان أكثر ما يطرفها^(٥) من الصرفان^(٦) ، وكان يعجبها ؛ فلم يزل يُزِينَ ذلك حتى
أذنت له ، ودفعت إليه أموالاً ، وجهزت معه عبيداً .

(١) جَدَعْ أَنْقَهُ : قطعها (٢) ذَمَّتْ أَمْثَالًا (٣) البز : الثياب (٤) يطارفها : يطيبها .

(٥) الصرفان : ثغر رزين صلب .

فارقصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق ، وأتى الحيرة متذمراً ، فدخل على عمرو بن عدى فأخبره الخبر ، وقال : جهزني بصنوف البز والأمتنة ؟ لعل الله يُمكِّن من الزباء ؟ فتصيب ثارك ، وقتل عدوك . فأعطيه حاجته .

فرجع بذلك إلى الزباء ؟ فأعجبها مارأت وسرها ، وازداد به ثقة ، وجهزَّته ثانية ؟ فسار حتى قدم على عمرو فجهزَه وعاد إليها .

ثم عاد الثالثة وقال لعمرو : اجمع لي ثقات أصحابك ، وهي الغرائر وأجمل كل رجلين على بعيد في غاراتين ، فإذا دخلوا مدينة الزباء أفتُك على باب نفقها ، وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة ، فمن قاتلهم قلوه ؟ وإن أقبلت الزباء ت يريد النفق جلتها بالسيف .

ففعل عمرو ذلك ، وحمل الرجال في الغرائر بالسلاح ، وسار يكن النهار ويسري بالليل ، فلما صار قريباً من مدینتها تقدم قصیر فبشرها ؛ وأعلمها بما جاء به من المتع والطراائف ؛ وقال لها : آخر البز على القلوص^(١) . وسألها أن تخرج فتنظر إلى ماجاه به . وقال لها : جئت بما صاء وصمت^(٢) .

ثم خرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوامها تسوخ في الأرض من قتل أحالمها ، فقالت ياقصیر :

ما للجمال مشيئها وئداً أجنداً لا يحملن أم حديداً
أم سرتاناً تارزاً شديداً^(٣)

(١) ذهب مثلاً ، والرز : الثياب ، والقلوس : الأقني الشابة من الإبل . (٢) أراد بما صاء : الشاء والإبل ، وبما صمت : الذهب والفضة ، وهو يريد أنه جاء بكل شيء ، وقد ذهب مثلاً .

(٣) التارز : اليابس .

قال قصيري نفسه :

* بل الرجالُ قُبْصاً قَوْدَا *

فدخلت الإبل المدينة ؟ حتى كان آخرها بعيداً من باب المدينة ، وكانت بيده منخسسة ؟ فتنفس الغرارة ، فأصابت خاصرة الرجل الذي فيها ، فسمع له صوتاً ، فقال : شر في الجوالق (١) !

فلما توسطت الإبل للمدينة أنيخت ، ودل قصير عراً على باب النفق الذي كانت الزباء تدخله ، وأرسته إياه قبل ذلك ، وخرج الرجال من الغرارة ، فصاحوا بأهل المدينة ، ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو على باب النفق ، وأقبلت الزباء تريده ، فأبصرت عراً فرقته بالصورة التي صورت لها ؛ فقصّت خاتمها - وكان فيه السم - وقالت : ييدي لا يدي عمرو (١) . وتلقاها عمرو بخللها بالسيف وقتلها ، وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها ؛ وانكفا راجحا إلى العراق .

(١) ذمت مثلًا .

٢٥ - قَبَحَ اللَّهُ جَهَالًا لَا نَعْمَ فِيهِ *

كانت عَشْمَة بنت ابن مطرود الْبَجَلِيَّة ذات عقل ورأى مستمع في قومها ، وكانت لها أخت يقال لها خَوْد ؛ ذات جمال ويسنم وعقل . ثم إن سبعة إخوة من الأزد خطبوا خَوْدًا إلى أبيها ، فاتوه عليهم الْحُلَل الْبَيَانِيَّة ، وتحتهم النَّجَابَيَّة الفُرْنَه^(١) . فقالوا : نحن بنو مالك بن غُفَيْلَة . فقال لهم : انزلوا على الماء ، فنزلوا ليتهم ثم أصبحوا غادرين في الْحُلَل والْمَهِنَة ، ومعهم ربيبة^(٢) لهم كاهنة يقال لها : الشَّعْنَاء .

فرسوا بوصيدتها^(٣) ، يتعرضون لها ، وكلهم وسيم جليل ، وخرج أبوها فلسوا إليه ، فرحب بهم ، فقالوا : بلغنا أن لك بنتا ، ونحن كاترى شباب . وكلنا يعنينا الجانب ، وينبع الراغب . فقال أبوها : كلكم خيار . فأقيموا حتى نرى رأينا .

ثم دخل على ابنته فقال : ما ترَين ؟ فقد أتاك هؤلاء القوم . قالت : زوجني على قدرى ، ولا تشطط في مهرى ؛ فإن تحظى بأحلامهم فلا تحظى أجسامهم . على أصيб ولدا ، وأكثر عددا .

فخرج أبوها ، فقال : أخبروني عن أفضلكم ، قالت ربيبة الشعنة الكاهنة : اسمع أخْيِرَكَ عنهم : هم إخوة ، وكلهم أسوة . أما الكبير فالملك ، جرى ؟ فاتك ، يتعب السنابك^(٤) ، ويستصرف المالك . وأما الذي يليه فالمسزو ،

* بجم الأمثال : ٩٠ -

(١) فره : جمع فاره ، وهو من الدواب الجيد السير النقيط المغيف (٢) الريبة : الحاضنة

(٣) الوصيد : الفتاء (٤) السنابك : أطراف حوافر الميل .

بَعْرَ غَزْ (١)، يَقْصُرُ دُونَهُ الْفَغْرُ، نَهْدُ (٢) صَفْرُ. وَأَمَا الَّذِي يَلِيهِ فَطْقَمَةُ، صَلَبُ (٣)
الْمَجْمَةُ، مَنْبِعُ الْمَشْتَمَةُ، قَلِيلُ الْجَمْجَةُ (٤). وَأَمَا الَّذِي يَلِيهِ فَعَاصَمُ، سِيدُ (٥) نَاعِمُ،
جَلْدُ صَارِمُ، أَبِي (٦) حَازِمُ، جَيْشُهُ غَانِمُ، وَجَارُهُ سَالِمُ. وَأَمَا الَّذِي يَلِيهِ فَثَوَابُ،
سَرِيعُ الْجَوَابُ، عَتِيدُ الصَّوَابُ، كَرِيمُ النَّصَابُ (٧)؛ كَلْبِتُ الْغَابُ. وَأَمَا الَّذِي
يَلِيهِ فَمَدْرِكُ، بَدُولُ (٨) لِمَا يَعْلَكُ، عَزُوبُ (٩) عَمَّا يُتَرَكُ، يُفْنِي وَيُهَنِّلُكُ.

وَأَمَا الَّذِي يَلِيهِ فَجَنْدَلُ، لَقِرْنَهِ بُجَدْلُ (١٠)، مُقْلَنُ لِمَا يَحْمِلُ، يُعْطِي وَيَنْذَلُ (١١).
وَعِنْ عَدُوٍّ لَا يَنْكُلُ (١٢).

فَشَوَّافَتْ أَخْتَهَا عَنْمَةُ فِيهِمْ، قَالَتْ : تَرِي الْفَتَيَانَ كَالْتَخْلُ، وَمَا يَدْرِيكُ
مَا الدَّخْلُ (١٣)، اسْمَى مِنْ كُلِّهِ : إِنْ شَرَّ الْفَرِيَةَ يُمْلَنُ، وَخَيْرَهَا يُدْفَنُ، تَرْوِجِي
فِي قَوْمَكُ، وَلَا تَفْرُرُكُ الْأَجْسَامُ.

فَلَمْ تَقْبِلْ مِنْهَا، وَبَشَّتْ إِلَيْ أَيْهَا : زَوْجِنِي مُدْرِكًا، قَمَّ ذَلِكَ عَلَى مَائِةِ نَاقَةٍ
وَرَعَاتِهَا. وَحَلَّهَا مُدْرِكًا، فَلَمْ تَلْبِثْ عِنْدَهِ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى صَبَّحَهُمْ فَوَارِسٌ مِنْ بَنِي مَالِكٍ
ابْنِ كِنَانَةَ، فَاقْتَلُوا سَاعَةً. ثُمَّ اسْكَشَفُوا عَنْهَا زَوْجَهَا وَإِخْوَتَهُ وَعَشِيرَتَهُ. فَسُيِّطَتْ
فِي مِنْ سُبْبَينِ مِنَ النِّسَاءِ !

فِي بَيْنِهَا تَسِيرُ بَسْكَتٌ، قَالُوا : مَا يَسْكِيكُ ؟ أَعْلَى فَرَاقِ زَوْجِكَ ؟ قَالَتْ :
قَبْحُ اللَّهِ جَمَالًا لَا نَفْعَمُ مَعَهُ، إِنَّمَا أَبْكِي عَلَى عِصْيَانِي أَخْتِي فِي قَوْلِهَا : « تَرِي الْفَتَيَانَ

(١) الغر : إِمْضَطُ الْبَعْرُ (٢) التهد : الأَسْدُ وَالْكَرْمُ (٣) الصَّلَبُ : الشَّدِيدُ .

(٤) قَلِيلُ الْجَمْجَةُ : كَلَمَهُ بَيْنَ (٥) النَّصَابُ : الْأَصْلُ (٦) عَزُوبُ : بَعِيدٌ (٧) جَدْلُهُ : مَرْعِهٖ عَلَى
الْجَدَلَةِ (الْأَرْضِ) (٨) لَا يَنْكُلُ : لَا يَجِدُنَّ (٩) ذَهَبَتْ مَثْلًا . يُضْرَبُ لِمَنْ يَكُونُ مُنْظَرَهُ
خَيْرٌ مِنْ مُخْبِرٍ .

كالنخل ، وما يدريك ما الدخل ! » ، وأخبرتهم كيف خطبواها .
قال لها رجل منهم - يكفي أبا نواس - شاب ^٢ أسود أفعوه ^(١) مضطرب
الخلق - أتَرَضِينَ بِي عَلَى أَنْ أَمْتَكَ مِنْ ذِئْنَابِ الْعَرَبِ ؟ فَقَالَتْ لِأَصْحَابِهِ :
أَكَذَّكَ هُوَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، إِنَّهُ مَعَ مَا تَرِبَنَ لِيَقْنَعَ الْخَلِيلَةَ ^(٢) ، وَتَشْتَهِي
القبيلة .

قالت : هذا أَجْلٌ جَالَ وَأَكْلَ كَالَّا ؛ قَدْ رَضِيتُ بِهِ . فَزَوَّجُوهَا مِنْهُ .

(١) رجل أفعوه : ضليم الفم (٢) الخليلة : الزوجة .

خرجت العجفان بنت عائقة السعدي وثلاث نسوة من قومها ، وتواعدن روضة يتعذّرن فيها ، فوافين بها ليلًا في قمر زاهر ، وليلة طلاق ساكنة ، وروضة مُشتبة خصبة .

فلا جلسَ قلنَ : مارأينا كالليلة ليلةً ، ولا كهذه الروضة روضة أطيبَ ربما ولا أنصرَ ! ثم أفضَنَ في الحديث ، فقلنَ : أى النساء أفضَلَ ؟ قالت إحداهنَ : انحرود^(١) الودود الولد . قالت الأخرى : خيرهن ذات الفناء ، وطيب الثناء ، وشدة الحياه . قالت الثالثة : خيرهن السَّمُوع^(٢) ، التَّفَوْع ، غير التَّوْع . قالت الرابعة : خيرهن الجامعة لأهليها ، الوادعة ، الرافة لا الواضة .

قلنَ : فـأى الرجال أفضَلَ ؟ قالت إحداهنَ : إن أبي يُكْرِمُ الجار ، ويُعْظِمُ النار ، وينحر العشار^(٣) بعد الحوار^(٤) ، ويحمل الأمور الكبار ، ويأنف من الصغار .

قالت الثانية : إن أبي عظيمُ الخطر ، منيع الوزر^(٥) ، عزيز النَّفَر ، يحمد منه الوزد^(٦) والصدر .

* بِحُمَّ الأَمْثَال ٧٢ : ٢

(١) انحرود : الحية الطويلة السكت (٢) السَّمُوع : التي تسمع القول (٣) المشار : جمع عشراء ، وهي الناقة التي مضى تحملها عشرة أشهر (٤) الحوار ولد الناقة ساعة تضعه ، أو إلى أن يفصل عن أمها (٥) الوزر : الملاجأ (٦) الورود : الورود على الماء ، والصدر : المودة من الاستقاء .

قالت الثالثة : إن أبي صدوق اللسان ، حَدِيدَ الْجَنَانَ^(١) ، كثير الأغوان ،
يُروى السنان عند الطعان .

قالت الرابعة : إن أبي كريم النزال ، مُنِيف^(٢) المقال ؟ كثير النوال ، قليل
السؤال ، كريم الفعال .

ثم تناَفَرُنَّ^(٣) إلى كاهنة معهن في الحى ، فقان لها : اسمى ما قلنا ، واحكى
بيتنا وأاعدى ؛ ثم أعدن إليها قولهن ، فقالت لهن : كل واحدة منكن ماردة^(٤) ،
بأبيها واحدة^(٥) ، على الإحسان جادة ، لصواحباتها حاسدة ، ولكن ايمون قولي :
خير النساء المبقية على بعلها ، الصابرية على المرأة مخافة أن ترجع إلى أهلها ؛
فهي تؤثر حظ زوجها على حظ نفسها ، فذلك الكريمة الكاملة . وغير الرجال
الجواد البطل ، القليل الفشل ، إذا سأله الرجل ألغاه قليل العلل ، كثير التفل^(٦) ،
ثم قالت : « كل فتاة بأبيها معجبة »^(٧) .

(١) الجنان : القلب (٢) مُنِيف المقال : مرتفع (٣) تناَفَرُنَّ : ذهب وتحاَكَن (٤) ماردة : عاتية
قد بلغت الغاية (٥) وجد به : أحبه (٦) التفل : العطية (٧) ذهبت مثلا .

٧ - نَكْبَةُ جَلِيلَةَ *

كانت جليلة بنت مرأة أخت جساس زوجا لـ كليب بن ربيعة^(١)؛ فلما قتل جساس^(٢) كلباً اجتمع نساء الحى للثأر، فقتلن لأخت كليب : رحيل جليلة عن مأثرتك ؟ فإنّ قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب ؟ فقالت لها : يا هذه ؟ آخر جنى عن مأثرنا ، فأنت أخت واترنا وشقيقة قاتلنا ؟ بفرجت وجهه أعطافها ؟ فلقيها أبوها مرأة ، فقال لها : ماوراءك يا جليلة ؟ قالت : تُكل العدد ، وحزن الأبد ، وقد حليل ، وقتل أخي عن قليل ، وبين ذئبٍ غرس الأحقاد ، وتفتت الأكباد ؛ فقال لها : أو يكفي ذلك كرم الصفح وإغلاه الديّيات ؟ فقالت جليلة : أمنية مخدوعة ورب الكعبة ! أبا البدن^(٣) تدع لك تطلب دم ربها !

ثم بلغ جليلة أنّ أخت كليب قالت حين رحلت : رحلة المتدى وفراق الشامت ! ويل غداً لآل مرأة ؟ من الكراهة بعد الكراهة ! قالت : وكيف تشتت الحرّة هتك سترها ، وترقب وترها ! أسعد الله^(٤) جدّ أختي ، أفلأ قالت : نفرة الحياة ، وخوف الاعداء ! ثم أنسأت قول :

* الأغانى : ٦٣-٥ (طبعة دار الكتب) ، نهاية الأرب : ٢١٤-٥ ، ابن الأثير : ٢١٦-١
مذهب الأغانى : ١-٨٥

(١) كان كليب بن ربيعة سيد ربيعة ، يزلم ويحرّم ، ولا يصدرون في شيء إلا عن أمره ، ولا يغير أحد من بكر وربيعة إلا ياذنه ، وكان يحمي أمكنته الصيد وحيان الماء . وضرب به المثل فقالوا : أعز من كليب (٢) كان جساس خاله من بي سعد جاورت بي مرة ، فنزلت على جساس ابن أختها ، ومعها ناقة ، فندت الناقة يوماً ، فدخلت في إبل كليب ترعى في حاد ، فنظر إليها فأنكرها ورمها بهم في ضرعها ، فولت حتى بركت ببناء صاحبها ، وضرعها يشغب دماء ، فصاحت : وادلاه ! فقتل جساس كلباً لتلك ، وقتل جساس نحو سنة ٨٥ ق.م (٣) البدن : جم بدنة تكون من الإبل والبقر . (٤) البدن هنا : الحظ .

يابنةَ الأُكْوامِ إِنْ شِئْتِ فَلَا
 تَجْعَلِي بِاللَّوْمِ حَقَّ نَسَائِي
 يُوجِبُ اللَّوْمَ فَلَوْمِي وَاعْذُلِي
 إِنْ تَكُنْ أَخْتُ اُمَّرَى لِيمَتْهَى
 جَلَّ عَنِّي فَعُلُّ جَسَاسٍ فِيَّا
 قَاطِعُ ظَهْرِي وَمُدَنِّ أَجَلِي
 تَحْمِلُ الْأَمْ أَذْى مَا تَفْتَلِي^(١)
 سَفَرَ يَتَّى جِيمًا مِنْ عَلِيٍّ
 وَانْتَنِي فِي هَدْمِ يَتَّى الْأَوَّلِ
 خَصَّنِي الدَّهْرُ بِرُزْهُ مُعْضِلِي
 مِنْ وَرَائِي وَلَظِي مُسْتَقْبِلِي
 إِنَّمَا يَسْكِي لِيَوْمٍ يَنْجَلِي
 درَكِي ثَارِي شُكْلُ الشُّكْلِ^(٢)
 بَدْلًا مِنْهُ دَمًا مِنْ أَكْحَلِي^(٣)
 وَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يَرْتَاحَ لِي !

يابنةَ الأُكْوامِ إِنْ شِئْتِ فَلَا
 فَإِذَا أَنْتِ تَبَيَّنْتِ الَّذِي
 إِنْ تَكُنْ أَخْتُ اُمَّرَى لِيمَتْهَى
 جَلَّ عَنِّي فَعُلُّ جَسَاسٍ فِيَّا
 قَاطِعُ جَسَاسٍ هَلِّي وَجَدِي بِهِ
 تَحْمِلُ العَيْنَ قَذْيَ الْعَيْنَ كَمَا
 يَاتِيَلَا قَوْضَنَ الدَّهْرُ بِهِ
 هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَحْدَثْتُه
 يَانْسَائِي دُونَكُنَ الْيَوْمَ قَدْ
 خَصَّنِي قَتْلُ كُلَّيَبِي بِلَظَّيَّ
 لِيَسْ مَنْ يَنْكِي لِيَوْمِينَ كَمْ
 يَشْتَفِي الْمَدِيرُكُ بِالثَّارِ ، وَفِي
 لِيَتَهُ كَانَ دَمِي فَاحْتَلَبُوا
 إِنَّمَا قاتَلَةَ مَقْتُولَةً

(١) نَفْلِي : تَرْبِي (٢) الشُّكْلِ : الَّتِي لَا زَمْهَا حَزْنٌ (٣) الْأَكْحَلِ : عَرْقٌ فِي النَّرَاجِ يَفْسَدُ .

٢٨ — كأْنَا تزوجتَ بنت قيس بن خالدٍ *

كان زُرارة بن عُدُس رجلاً شريفاً ، فنظر ذات يوم إلى ابنته لقيط ، فرأى
منه خيالاً ونشاطاً ، وقد جعل بضربي غمامه — وهو يومئذ شاب — قال له : لقد
أصبحتَ تصنع صنيعًا كأنما جئتني بمائة من هجان^(١) ابن المنذر بن ماء السماء ،
أو تزوجت بنت قيس بن خالد ! قال لقيط : فه على ألا يمس رأس غسل ، ولا
أكل لها ولا أشرب خمرا حتى أجسمها جيماً أو أموت .

فخرج لقيط ومعه ابن خال له يقال له القراد بن إهاب ، وكلامها كان شاعرًا
شريفاً ، فسارا حتى أتيا بني شيبان ، فسلموا على ناديهم ، ثم قال لقيط : أفيكم
قيس بن خالد ؟ — وكان سيد ربيعة يومئذ — قالوا : نعم . قال : فائيكم هو ؟ قال
قيس : أنا قيس ، فا حاجتك ؟ قال : جئتك خاطبًا ابنتك — وكانت على قيس
يدين ألا يخطب إليه أحد ابنته علانية إلا أصيابه بشرى ، وسع^(٢) به — فقال له
قيس : ومن أنت ؟ قال : لقيط بن زُرارة بن عُدُس . قال قيس : عجبًا منك !
هلا كان هذا يبني ويبنى ؟ قال : لِمَ ياعم ؟ فوالله إن فيك لرغبة ، وما بني من عينب ،
ولئن ناجيتك لا أخدعك ، ولئن عالتتك لا أفضحك . فأعجب قيساً كلامه
وقال : كفه كريم ، إني قد زوجتك ومهرتك مائة ناقة ؛ ليس فيها ناك ولا
گزوم^(٣) ، ولا تبيت عندنا عَزَّبًا ولا غرورًا .

* الأغان : ٩ - ١٣٠ (طبعة السادس) ، بمح الأمثال : ١٥٣ - ٢

(١) إبل هجان : يعنى كرام (٢) سمع به : قصصه وقصته (٣) الناب : الناقة المسنة ،
والكتروم . ناقة ذهبت أسنانها مرمأ .

ثم أرسل إلى أم الجارية : إن قد زوّجت لقيط بن زرارة ابنتي فلانة فاضنعيها ،
واضربي لها ذلك البنق^(١) ؛ فإنّ لقيط بن زرارة لا يبيت فيها عزّاماً .
وجلس لقيط يتحدّث معهم . فذكروا الغزو ، فقال لقيط : أمّا الغزو . فأردأها
لللّاقح ، وأهزلّها للبعال ، وأمّا المقام فأسمّنا للبعال ، وأحبّها للنساء . فأنجب ذلك
قبساً ، وأسر لقيطاً فذهب إلى البنق فجلس فيه ، وبعثت إليه أم الجارية بمجررة
وبخور ، وقالت للجارية : اذهب إلى فوالله ثم رَدَّها مافيه خير ؟ فلما جاءته الجارية
بالمجررة بغير شفّرها ولحيتها . ثم ردّها علىها ، فلما رجمت الجارية إليها خبرتها بما صنع ،
قالت : إنه خليق بالخير .

فلما أسمى لقيط أهديت الجارية إليه ، فازحها بكلام اشمارّت منه ، فنام
وطرح عليه طرف خبيصة^(٢) ، وباتت قريباً منه .
فلما استقلّ انسلت فرجعت إلى أمها ، فانتبه لقيط فلم يرها ، فخرج حتى أتى
ابن خاله قُرّاداً وهو في أسفل الوادي ، فقال : ازْهَلْ بَيْرَك^(٣) ، وإياك أن يُستمع
رُغاؤها .

فتوجهها إلى المنذر بن ماء السماء ، وأصبح قيس فقد لقيطاً ، فسكت ولم يذر
ما الذي ذهب به ، ومضى لقيط حتى أتى المنذر ، فأخبره ما كان من قول أبيه
وقوله ، فأعطاه مائة من هجائيته^(٤) ، فبعث بها قُرّاداً إلى أبيه زرارة ، ثم مضى
إلى كسرى فكساه وأعطاه جوهرأً ، ثم عاد إلى قيس بن خالد فجهز بنته ، ولما
أرادت الرحيل قال لها : يا بنيّة ، كوني لزوجك أمّة يكن لك عبداً ، ول يكن أكثراً

(١) البنق : الفسطاط (٢) الخبيصة : كساء أسود مربع له علامان (٣) البعير : الجل البازل
أو الجنع ، وقد يكون للأتنى ، ورحل البعير : حط عليه الرجل (٤) هجائته ، أي هجائه .

طِبِيكَ الماء فِإِنَّكَ إِنَّمَا يَذْهَبُ بِكَ إِلَى الْأَعْدَاءِ ، وَاعْلَمَ أَنَّ زَوْجَكَ فَارسَ مُضْرِ ،
وَأَنَّهُ يُؤْشِكُ أَنْ يُقْتَلَ أَوْ يَمُوتَ ، فَلَا تَخْمَسِي عَلَيْهِ وَجْهًا وَلَا تَحْلِقْ شَعْرًا ، قَالَتْ
نَهْ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ رَيَّتِنِي صَغِيرَةً ، وَأَفْصَيْتِنِي كَبِيرَةً ، وَزَوَّدْتِنِي عَنْدَ الْفَرَاقِ
شَرًّا زَادَ ا

وَارْتَحَلَ بِهَا لِقَيْطَ ، فَجَعَلَتْ لَا تَمْرَ بِهِ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ إِلَّا قَالَتْ : يَا لِقَيْطَ ،
أَهُولَاءَ قَوْمُكَ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، حَتَّى طَلَمْتُ عَلَى مَحَلَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارَمْ ، فَرَأَتِ
الْقِبَابَ وَالْخَلِيلَ الْعَرَابَ ؛ فَقَالَتْ : يَا لِقَيْطَ ، أَهُولَاءَ قَوْمَكَ ؟ قَالَ : نَمْ . فَاقْفَامْ أَيَامًا
بِطُعمِ وَبَنَثَرَ ، ثُمَّ أَقَامَتْ عَنْهُ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ جَبَلَةَ^(١) .

فَبَعْثَتْ إِلَيْهَا أَبُوها أَخَاهُ لِتَحْتَلَّ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَكِبَتْ أَقْبَلَتْ حَتَّى وَقَتَ عَلَى
نَادِي بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارَمْ ، فَقَالَتْ : يَا بْنَى دَارَمْ ! أَوْصِيكَ بِالنَّرَانِبِ خَيْرًا ، فَوَاللَّهِ
مَا رَأَيْتُ مُثْلَ لِقَيْطَ لَمْ تَخْمَسْ عَلَيْهِ امْرَأَةً وَجْهًا ، وَلَمْ تَحْلِقْ عَلَيْهِ شَعْرًا ، فَلَوْلَا أَنِّي
غَرِيبَةً تَمَسَّتْ وَحَلَقَتْ . فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا .

(١) جَبَلَةُ : هَضْبَةٌ حَرَاءٌ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالْعَرْفِ ، وَمَا مَاهَانَ لَبْنَيْ نَمِيدٍ وَبْنَيْ كَلَابٍ ، وَكَانَ
الْيَوْمَ يَنْ عَبْسٌ وَذِيَانٌ أَبْنَى بَعْصِينَ .

٢٩ - ما ورائك يا عاصم *

لما بلغ الحارث بن عمرو^(١) ملك كندة جمال ابنة عوف بن محمد الشيباني ، وكمما وقوعاً عقلها ، دعا امرأة من بنى كندة يقال لها عاصم ، ذات عقل ولسان وأدب وبيان ، وقال لها : اذهبي حتى تلقى لي علم ابنة عوف .

فغضت حتى انتهت إلى أمها ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت إلى ابنتها ، وقالت : أى بُنية ؟ هذه خالتك أنتك لتنظر إليك ، فلا تسترى عنها شيئاً أرادت النظر إليه من وجه وخلق ، وناطقيها إن استنطقتك .

فدخلت عاصم إليها ، فنظرت إلى مالم ترَ عينها منه فقط بهجة وحسنًا وجمالاً ؛ فإذا هي أكل الناس عقلاً وأفصحهم لساناً ؛ فخرجت من عندها وهي تقول : ترك الخداع من كشف النجاع .

ثم أقبلت إلى الحارث ، فقال لها : ما وراءك يا عاصم ؟ قالت : صرخ المحن عن الزبد^(٢) . قال : أخبريني . قالت : أخيرك صدقاً وحقاً .

رأيت جبهة كالمرأة الصقيلة ، يزيّنها شعر حالت كذناب الخيل المضفرة ، إن أرسلته خلته السلاسل ، وإن مشطته قلت عنا قيد كرم جلالها الواابل^(٣) ، وحاجبين كأنما خططا بقلم أو سودا بمحم^(٤) ، قد تقوسا على عين الشبيبة

* بجمع الأمثال : ٢ - ١٩٢ ، المقد الفريد : ٣ - ٢٢٣ .

(١) كان الحارث بن عمرو من أشراف العرب في الجاهلية ، وكان مطاعماً في قومه ، قوياً في عصبيته ، وكانت تصرّب له قبة في عكاظ ، توف نحو سنة ٤٠ ق . هـ (٢) مخض اللبن : أخذ زبده ، والنصرع : البين . وهو مثل ؛ يضرب للأمر إذا اكتشف وتبين (٣) الواابل : المطر الشديد (٤) الحم : الفحم .

الْبَهْرَةِ^(١) ، الَّتِي لَمْ يَرُعُهَا قَانِصٌ وَلَمْ يَذْعُرْهَا قَسْوَرَةٌ^(٢) ، بِنِهْمَا أَنْفٌ كَحْدَ السِّيفِ
الصَّقُولُ ، لَمْ يَخْنِسْ^(٣) بِهِ قِصْرٌ ، وَلَمْ يَمْضِ بِهِ طَوْلٌ ، حَفْتَ بِهِ وَجْنَتَانِ
كَالْأَرْجُوْانِ^(٤) فِي بِيَاضِ تَخْضِي كَالْجُمَانِ^(٥) ، شُقَّ فِيهِ فَمٌ كَالْخَلَاثَمَ ، لَذِيدُ الْبَنْسَمَ
فِيهِ ثَنَابَاً غَرْرَ ، ذَوَاتُ أَشْرٍ^(٦) ، وَأَسْنَانٌ تَبَدُّو كَالْدُرُورِ ، يَتَعَلَّبُ فِيهِ لِسَانٌ ذُو فَصَاحَةٍ
وَبِيَانٍ ، يَحْرِّكُهُ عَقْلٌ وَافِرٌ ، وَجَوَابٌ حَاسِرٌ^(٧) ... إِلَى أَنْ قَالَتْ : فَأَمَا مَا سَوَى
ذَلِكَ فَتَرَكْتُ أَنْ أَصْفُهُ . غَيْرُ أَنَّهُ أَخْسَنُ مَا وَصَفَهُ وَاصْفَ بِنْظَمٍ أَوْ نَثَرٍ . فَأَرْسَلَ
الْمَلِكُ إِلَى أَبِيهَا خَطْبَهَا ، فَزَوَّجَهُ إِلَيْهَا .

فَلَمَّا حَمِلَتْ إِلَى زَوْجِهَا ؛ قَالَتْ لَهَا أُمَّةُهَا ، أُمَّامَةُ بَنْتِ الْحَارِثِ :

أَيُّ بُنْيَّةٍ ؟ إِنَّ الْوَصِيَّةَ لَوْ تُرِكَتْ لِفَضْلِ أَدْبٍ ، تُرِكَتْ لِذَلِكَ مِنْكَ ، وَلَكِنَّهَا
تَذَكِّرَةٌ لِلْفَاقِلِ ؛ وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً اسْتَغْفَتَ عَنِ الزَّوْجِ لِنَفْيِ أَبْوِيهَا ، وَشَدَّدَ حَاجِتَهَا
إِلَيْهَا كَنْتِ أَغْنِيَ النَّاسَ عَنْهُ ، وَكَنْ "النِّسَاءُ خَلَقْنَ لِلرِّجَالِ ، وَلَهُنَّ"
خُلُقَ الرِّجَالِ .

أَيُّ بُنْيَّةٍ ؟ إِنَّكَ فَارَقْتِ الْجَوَّ الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتِ ، وَخَلَقْتِ الْعُشَّ الَّذِي فِيهِ
دَرَجْتِ ، إِلَى وَكْرِ لَمْ تَغْرِفِيهِ ، وَقَرِينِ لَمْ تَأْلَفِيهِ ، فَأَصْبَحَ بِكَهُ عَلَيْكَ رَقِيَاً
وَمَلِيكَا ، فَكَوْنِي لَهُ أَمَةٌ يَكُنْ لَكَ عَبْدًا وَشِيكًا^(٨) .

يَا بَنْتَيْةَ أَحْلَى عَنِ عَشَرَ خَصَالٍ تَكُنْ لَكَ ذُخْرًا وَذَكْرًا : الصُّبْحَةُ بِالْقَنَاعَةِ ،
وَالْمُعَاشَةُ بِحُسْنِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَالْتَّعْهِدُ لِمَوْقِعِ عَيْنِهِ ، وَالتَّفَقْدُ لِمَوْضِعِ أَنْفِهِ ؛ فَلَا تَقْعُ

(١) البَهْرَةُ : الرِّيقِيَّةُ الْبَشِّرَةُ النَّاصِعَةُ الْبِيَاضُ (٢) الْقَسْوَرَةُ : الرِّمَادُ مِنَ الصَّيَادِينَ (٣) خَنْسٌ : تَأْخِرُ ، وَالْخَنْسُ : تَأْخِرُ الْأَنْفَ عنِ الْوَجْهِ مِنْ ارْتِفَاعِ قَلِيلٍ فِي الْأَرْبَةِ (٤) الْأَرْجُوْانُ : صِنْعُ أَحْرَرِ
(٥) الْجُمَانُ : الْلَّوْلُو (٦) أَشْرُ الأَسْنَانُ : التَّعْرِيزُ الَّذِي فِيهَا (٧) اَنْظُرْ بَقِيَّةَ الْوَصْفِ فِي مَرَاجِعِ
الْفَصَةِ (٨) الْوَشِيكُ : السَّرِيمُ .

عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحسن ،
ولله أطيب الطيب المقدود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه ؛ فإن
حرارة الجوع ملهمة ، وتنفيس النوم مفضبة . والاحتفاظ ببنته وماله ،
والإرقاء^(١) على نفسه وحشمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالله حسن التقدير ، والإرقاء
على العيال والخشم جميل حسن التدبير ؛ ولا تُفْسِي له سرّا ، ولا تُفْسِي له أمراً ؛
فإنك إن أُفْسِيْت سرّه لم تأمني غدره ، وإن عصيْت أمره أُوغرّت صدره ؛
نم اتقى مع ذلك الفرح إن كان ترحاً ، والاكتئاب عنده إن كان فريحاً ، فإن
الخلصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكذير ، وكوفي أشد ما تكونين له
إعظاماً يكن أشد ما يكون لك ! كراماً ، وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول
ما تكونين له مراقة .

واعلى أنك لا تصلين إلى ما تُحِبُّين حتى تُؤْثِرِي رضاه على رضاك ، وهوَاه
على هوَاكِ فيما أحببتِ وكرهت : والله يَغْيِرُ لك !

(١) الإرقاء : الإبقاء .

٣٠ - لا تزوج إلا من كريم *

كانت امرأة من العرب من بنات ملوك اليمن ذات جمال وجمال، وحسب
ومال، فآلت إلا تزوج نفسها إلا من كريم، ولتن خطبها لشيم لتجد عن أنهه ؛
فتحاماما الناس حتى انتدب ^(١) إليها زيد الخيل، وحاتم بن عبد الله، وأوس
ابن حارثة الطائيون، فارتحلوا إليها.

فلا دخلوا عليها قالت : مرحبا بكم ، ما كنتم زوارا ؟ فما الذي جاء بكم ؟
قالوا : جئنا زوارا خطابا، قالت : أكفارا كرام . ثم أنزلتهم وفرقت بينهم ،
وأسبغت لهم العرَى ، وزادت فيه .

فلا كان اليوم الثاني بعثت بعض جواريها متسلكة في زي سائلة تتعرض
لهم ؛ فدفع إليها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كل واحد منها . فلما صارت إلى رحل
حاتم دفع إليها جميع ما كان من ثقته ، وحمل إليها جميع ما حمل إليها .

فلا كان اليوم الثالث دخلوا عليها ، فقالت : ليصف كل واحد منكم شه
في شعره ؛ فابتدر زيد وأنشا يقول :

هلا سألت بنى ذي يان : ما حسبي
عند الطعن إذا ما احمررت الحدق ! ^(٢)
و جاءت الخيل ^(٣) محمرة بوادرها ^(٤)
بالماء يُسْفَحُ من لبائِها العلق ^(٥)
والجبار ^(٦) يعلم أني لست خاذله

* المزانة : ٤ - ١٦٠ (طبعة السلفية) ، ذيل الأمالى : ١٥٤ (طبعة دار الكتب) ،
سرح الميون : ٧٥ .

(١) انتدب إليها : أسرع وخف . (٢) إذا ما اشتد الحرب . (٣) البدارة : اللعنة
التي بين المسكب والعقد ، وهي تمحور من الدم الذي يسيل عليها من فرسانها .

(٤) العلق : الدم . (٥) اعتقه : أكل ما عليه من اللحم .

(٦) - قصص العرب - ٢ -

هذا الثناء ، فإن ترضي فراضي ^{أو تسخطى فإلى من تمطر العنق!}
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمك أنا أكرم أحساباً ، وأشهر أفعالاً من أن
نصف نفسي لك ؟ أنا الذي يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لام ^{ليقضى حاجتي} لقد قضىها
فاوط الحصى مثل ابن سعدى ^{ولا بس النعال ولا احتجزها}
وأنا الذي عقت عقiqته ^(١) ، وأعتقدت عن كل شعراً فيها عنه نسمة ، ثم
أنشأ يقول :

فإن تنكحي ماوية الخير حاتما
فتى لا يزال الدهر أكبر همه
وإن تنكحي زيداً ففارس قومه
وابن تنكحيني تنكحي غير فاجر
ولا متقي يوماً - إذا الحرب شررت -
وإن طارق الأضيف لاذ برخله
فأى فتى أهدى لك الله فاقبلي
وأنشد حاتم يقول :

ما مثله فينا ولا في الأعاجم
فكان أسريراً أو معونة غارم
إذا الحرب يوماً أعددت كل قائم
ولا جارف جرف العشيره هادم
بأنفسها نسي ، ك فعل الأشائم ^(٢)
ووجدت ابن سعدى للقرى غير عاتم ^(٣)
فإننا كرام من رهوساً كارم ^(٤)

أماوى قد طال التجنثب والهجر
أماوى إن المال غاد ورائحة

(١) العقيقة : شعر كل مولود من الناس . (٢) الأشائم : جمع أشأم وهو ضد الأيامن .

(٣) عتم الرجل عن الشيء : كف عنه بعد المضي فيه . (٤) عذرتنى : أى رفعت عن
الملوم وعيت الإساءة وطمستها . (٥) العذر : جمع عذير ، والعذير هو الحال .

أَمَاوِيَ إِنِّي لَا أُقُولُ لسَائِلٍ
 أَمَاوِيَ إِمَّا مَانِعٌ فِيْ بَيْنِ
 أَمَاوِيَ مَا يُفْنِي التَّرَاهُ عَنِ الْفَتَىِ
 أَمَاوِيَ إِنْ يُصْبِحَ صَدَائِيِّ (٤) بِقَفْرَةِ
 تَرَىَ أَنَّ مَا أَنْفَقْتُ لَمْ يَكُنْ ضَائِرِيِّ
 أَمَاوِيَ إِنِّي رَبٌّ وَاحِدٌ أَمِّيِّ
 وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْأَنَّ حَاتِمًاِ
 أَمَاوِيَ إِنَّ الْمَالَ مَالٌ بَذَلَتُهُ
 وَلَمَّا لَّا آلُو (٥) بِمَالِ صَنِيعَةِ
 يُفَكِّ بِهِ الْمَانِيِّ (٦) وَيُؤْكِلُ طَيَّبَةِ
 وَلَا أَظْلِمُ ابْنَ الْمَمِّ إِنْ كَانَ إِخْوَنِيِّ
 غَيْبَنَا (٨) زَمَانًا بِالْتَّصْعُلِكَ وَالْغِنَىِّ
 فَا زَادَنَا بَأْوَا (٩) عَلَى ذِي قِرَابَةِ
 وَمَا ضَرَ جَارًا يَابْنَةَ الْقَوْمِ فَاعْلَمَيِّ
 بَعِينِيَّ عَنِ جَارَاتِ قَوْمِيَّ غَفْلَةِ
 قَالَتْ : أَمَا أَنْتَ يَا زِيدَ فَقَدْ وَتَرْتَ الْعَربَ ، وَبِقَاؤُكَ مَعَ الْحُرَّةِ قَلِيلٌ ، وَأَمَا
 أَنْتَ يَا أَوْسَ فَرْجُلٌ ذُو ضَرَائِرَ ، وَالدُّخُولُ عَلَيْهِنَ شَدِيدٌ ؛ وَأَمَا أَنْتَ يَا حَاتِمَ فَرْضَىِ
 الْأَخْلَاقِ ، مُحَمَّدُ الشَّيْمِ ، كَرِيمُ النَّفْسِ ، وَقَدْ زَوَّجْتُكَ نَفْسِيِّ !

(١) التَّرَاهُ : الفَلَةِ (٢) نَهْنَهُ : مِنْهُ (٣) الْمُشْرِجَةُ : الْفَرَغَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ (٤) الصَّدَىِ :
 مَا يَبْقَى مِنَ الْمِيتِ فِي قَبْرِهِ (٥) لَا آلُو : لَا أَقْصَرُ (٦) الْمَانِيُّ : الْأَسِيرُ (٧) الْقِدَاحُ : قِدَاحٌ
 الْبَيْسِرُ . الْقَفْرُ : الْمَاقِرَةُ (٨) غَيْبَنَا : غَيْ بِالْمَكَافِرِ : أَقَامَ بِهِ (٩) الْبَأْوُ : الْكَبْرُ وَالْفَخْرُ .

٣١ — سلبيّة عُرْوَة بن الورَد*

أعْيَاب عُرْوَة^(١) بْن الْوَرْد امْرَأة مِن بَنِي كَنَانَة ، يَقَال لَهَا سَلْتَى ، فَأَعْتَقَهَا وَأَنْخَذَهَا لِنَفْسِهِ ، فَكَثُرَتْ عَنْهُ بِضْعَ عَشَرَة سَنَة وَوَلَدَتْ لَهُ أَوْلَادًا ، وَهُوَ لَا يُشَكُ في أَنَّهَا أَرْغَبَ النَّاسَ فِيهِ ، وَهِيَ تَقُولُ لَهُ : لَوْ حَجَجْتَ بِي ، فَأَمْرُكَ عَلَى أَهْلِ وَأَرَامِ ! فَحَجَّ بِهَا ، فَأَتَى مَكَّةَ ، ثُمَّ أَتَى الْمَدِينَةَ ، وَكَانَ يُخَالِطُ مِنْ أَهْلِ يَثْرَبَ بَنِي النَّصِيرِ ، قَيْتُرِ ضُوْنَهِ إِنْ احْتَاجَ ، وَبِيَاهِمْ^(٢) إِذَا غَمِّ .

وَكَانَ قَوْمُهَا يُخَالِطُونَ بَنِي النَّصِيرِ ، فَأَتَوْهُمْ وَهُوَ عِنْهُمْ ، فَقَالَتْ لَهُمْ سَلْتَى : إِنَّهُ خَارِجٌ بِنِي قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ ، فَقَاتَلُوا إِلَيْهِ ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّكُمْ تَسْتَحِيُونَ أَنْ تَكُونَ امْرَأَةً مِنْكُمْ مَعْرُوفَةُ النَّسْبِ صَحِيحَتُهُ سَبَيَّةٌ ، وَافْتَدُونِي مِنْهُ ، فَإِنَّهُ لَا يَرَى أَنِّي أَفَارِقُهُ ، وَلَا أَخْتَارُ عَلَيْهِ أَحَدًا ؛ فَأَتَوْهُمْ فَسَمَوْهُ الشَّرَابَ ، فَلَمَّا كَثُلَّ قَالُوا لَهُ : قَادِنَا^(٣) بِصَاحِبِنَا ؟ فَإِنَّهَا وَسِيَطَةٌ^(٤) النَّسْبِ فِينَا ، مَعْرُوفَةٌ ، وَإِنْ عَلِيَّنَا سُبَيَّةٌ أَنْ تَكُونَ سَبَيَّةً ، فَإِذَا صَارَتْ إِلَيْنَا ، وَأَرْدَتْ مَعاوِدَهَا ، فَاخْطُبُهَا ؛ فَإِنَّا نَزُوجُكَ ؛ فَقَالَ لَهُمْ : ذَاكُ لَكُمْ ؛ وَلَكُنْ لِي الشَّرْطُ فِيهَا أَنْ تَخْيِرُوهَا ، فَإِنْ اخْتَارْتُنِي اطْلَقْتَ مَعِي إِلَيْهِنَا ، وَإِنْ اخْتَارْتُكُمْ انْطَلَقْتُمْ بِهَا ؛ قَالُوا : ذَاكُ لَكَ . قَالَ : دُعُوا ذَلِكَ إِلَى غَدِّ .

* إِلْشَعْرَاءُ : ٢٦ ، الْأَغْنَى : ٣-٧٦ (طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَبِ)

(١) عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدَ : شَاعِرٌ مِنْ شَعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَوَارِسٌ مِنْ فَرَسَانِهَا الْمَدْوُدِينَ الْمَدْمُدِينَ الْأَجْرَادَ . وَكَانَ يُلْقَبُ عُرْوَةُ الصَّعَالِيَّكَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ كَالْرَئِيسِ عَلَيْهِمْ يَجْمِعُهُمْ وَيَقْوِمُ بِأَمْرِهِمْ . تَوْفَى نَحْوَ سَنَةِ ٣٠ هـ .

(٢) بِيَاهِمْ : يَعْقُدُ مَعْهُمُ الْبَيْعَ (٣) الْفَادَةُ : إِنْقَاذُ الْأَسِيرِ بِالْفَدِيَّةِ .

(٤) وَسِيَطَةُ النَّسْبِ : حَسِيبَةُ كَرِيْعَةَ .

فَلَمَّا كَانَ الْفَدْ جَاءُوهُ فَامْتَنَعَ مِنْ فِدَاهَا ، قَالُوا لَهُ : قَدْ فَادَيْنَا بِهِ مِنْذَ الْبَارِحةِ ؟
وَشَهِدَ بِذَلِكَ جَمِيعَهُ مِنْ حُضُورٍ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْامْتِنَاعِ وَفَادَاهَا ، فَلَمَّا فَادَهُ خَيْرُهَا
فَاخْتَارَتْ أَهْلَهَا ؛ ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ ، قَالَتْ : يَا عُرْوَةُ ، أَمَا إِنِّي أَقُولُ فِيكَ – وَإِنْ
فَارْقَتُكَ – الْحَقُّ : وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ اسْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ أَقْتَلَتْ سِرَّهَا عَلَى بَعْلٍ خَيْرٍ مِنْكَ ،
وَأَغْضَنَ طَرْفَهَا ، وَأَقْلَعَ فُحْشًا ، وَأَجْوَدَ يَدًا ، وَأَنْجَحَ لِحَقِيقَتِهِ^(١) . وَمَا مَرَّ مَلِءَ يَوْمَ
مِنْذَ كَنْتُ عَنْدَكَ إِلَّا وَالْمَوْتُ نِيهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحَيَاةِ بَيْنَ قَوْمَكَ ، لَأَنِّي لَمْ أَكُنْ
أَشَاءَ أَنْ أَسْعِمَ امرَأَةً مِنْ قَوْمَكَ تَقُولُ : قَاتَ أَمَةُ عُرْوَةَ كَذَا وَكَذَا ؛ وَوَاللَّهِ لَا أَنْظُرُ
فِي وَجْهِ غَطَّافَاتِي أَبْدًا^(٢) ، فَازْجِمْ رَاشِدًا إِلَى وَلَدِكَ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِ !

ثُمَّ تَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُمَّهَا ، قَالَ لَهَا يَوْمًا : يَا سَلِيْلِي ؟ أَنِّي عَلَىٰ كَا أَنْتِي
عَلَى عُرْوَةِ – وَقَدْ كَانَ قَوْلُهَا فِيهِ شُهِيرٌ – قَالَتْ لَهُ : لَا تَكْلُفْنِي ذَلِكَ ؟ فَإِنِّي إِنْ قَلَتْ
الْحَقُّ غَصِيبَتْ ، وَلَا وَاللَّاتِ وَالعزَّى لَا أَكَذِّبُ ؟ قَالَ : عَزَّمْتُ عَلَيْكِ لِتَأْتِينِي فِي
مَجْلِسِ قَوْمِ فَلَتَعْتَذِّرْنِي عَلَىٰ بِمَا تَعْلَمِينَ .

وَخَرَجَ فَجَلَسَ فِي نَدِيِّ الْقَوْمِ ، وَأَقْبَلَتْ فَرِمَاهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَوَقَتَ عَلَيْهِمْ
وَقَالَتْ : أَنِيمُوا صَبَاحًا ، إِنَّ هَذَا عَزَّمَ عَلَيَّ أَنْ أَشْنَى عَلَيْهِ بِمَا أَعْلَمُ . ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ
قَالَتْ : وَاللَّهِ إِنِّي شُرِّيْكَ لَا شَتِيفَاف^(٣) ، وَإِنِّي لَتَنَامُ لَيْلَةَ تَخَافُ ، وَتَشْبَعُ لَيْلَةَ
تُضَافُ ، وَمَا تُرْضِي الأَهْلَ – لَا الْجَانِبَ^(٤) . ثُمَّ انْصَرَفَتْ . فَلَامَهُ قَوْمُهُ ، وَقَالُوا :
مَا كَانَ أَغْنَاكَ عَنْ هَذَا التَّوْلِيْمِ مِنْهَا .

(١) الْحَقِيقَةُ : مَا يَجْبُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَعْمِلَهُ (٢) غَطَّافَانُ : هُمْ قَوْمُ عَزْرَوَةَ (٣) الْأَشْتِيفَافُ : شَرْب
كُلِّ مَا فِي الإِنَاءِ (٤) الْجَانِبُ : الْفَرِيبُ ، وَالْمَرَادُ بِهِ الْفَيْفُ .

٣٢ - لو كان النساء كثُلْ هَذِي *

قال الحارث^(١) بن عوف يوماً خارجة بن سنان المربّى : أتُراني أخطب^{*} إلَى أحدٍ بِرِدْنِي ؟ قال له : نم ! قال : ومن ذاك ؟ قال : أوس بن حارثة الطائفي ؟ قال الحارث لغلامه : ارْجِلْ بنا . ففعل ، وركبا حتى أتياً أوسَ بن حارثة في بلاده ، فوجداه في فناء منزله ، فلما رأى الحارثَ بنَ عَوْفَ قال : مَرْجِبَاً بك يا حارث ، قال : وَبِكَ ، قال : ماجاه بك ؟ قال : جئْتُك خاطبا ، قال : لستَ هناك !

فانصرف ولم يكلمه ، ودخل أوس على أمراته مُغضبا - وكانت من عبس - فقالت : مَنْ رَجُلٌ واقف عليكَ فلم يُطِل ، ولم تَكُلْمِنْهُ ؟ قال : ذاك سيدُ العربِ الحارث بن عوف ، قالت : فَالَّذِي لَمْ تَسْتَرْزُلْهُ ؟ قال : إنه استحقَ^(٢) . قالت : وكيف ؟ قال : جاءني خاطبا . قالت : أفتريدُ أن تزوجَ بناشك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا لم تزوجْ سيدَ العرب فَنْ ! قال : قد كان ذلك . قالت : فتدارك ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : تلْحَقْهُ فترده ، قال : وكيفَ وقد فرَطَ مني مافرطَ إليه ! قالت : تقولُ له لقيتني مغضبا بأمرٍ لم تقدِّم فيه قولا ، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ماسمعت . عُذْ ولَكَ عندى كلُّ ما أحبيت ، فإنه سَيَقْعُلُ . فركب في أثرها .

قال خارِجَة بْن سنان : فواهُ إني لأُسِيرُ مع الحارث إذ حانَتْ مُنْيَ التفاتةُ فرأيتُ أوساً ، فأقبلتُ على الحارث - وما يكلمني غَيْرَهُ - فقلت له : هذا أوس بن

* الأغانى : ١٠ - ٢٩٤ (طبعة دار الكتب) ، المستطرف . ٢ - ٢٢٢

(١) الحارث بن عوف من بي مرة ، أسلم وحسن إسلامه وبعث معه رسول الله رجلان من الأنصار في جواره بدعوه إلى الإسلام ، فقتلا الأنصارى (٢) استحقق : فعل الحق .

حارثة في أثرنا ، قال : وما نصنع به ؟ امض . فلما رأانا لا نقف عليه صاح : يا حارث ! ازبج^(١) على ساعه ، فوقفنا له ، فكلمته بذلك الكلام ، فرجع مسروراً .

ودخل أوس منزله ، وقال لزوجته : ادعى لي فلانة - لا كبر بناه - فأتته ، فقال . يا بنتي ، هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردت أن أزوّجك منه ، فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل ، قال : ولم ؟ قالت : لأنّي امرأة ، في وجهي ردة^(٢) ، وفي خلقتي بعض العهدة^(٣) ، ولست بابنة عمّه فيزعّي رحّي ، وليس بجارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمن أن يرئي ميني ما يكره فيطلقني ، فيكون على في ذلك ما فيه .

قال : قومي ، بارك الله عليك ، ادعى لي فلانة - لا بنته الوسطى - فدعاها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها ، فأجابته بمثل جوابها ، وقالت : إلى خرقاء^(٤) ، وليست بيدي صناعة ، ولا آمن أن يرئي ميني ما يكره ، فيطلقني ، فيكون على في ذلك ماتعلم ، وليس بابن عمّي فرعى حقّ ، ولا جارك في بلدك فيستحيك^(٥) ، قال : قومي ، بارك الله عليك ، ادعى لي بهيسة - صغرى بناه - فأتني بها ، فقال لها كما قال لها ، فقالت : أنت وذاك فقال لها : قد عرّضت ذلك على أختيك فأبتهاء ، فقالت - ولم يذكر لها مقابلتهما - : لكنى والله الجليلة وجماما ، الصناع يدا ، الرفيعة خلقا ، الحسيبة أبا ، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير ! فقال : بارك الله عليك . ثم خرج إلى الحارث فقال : زوجتك يا حارث بهيسة بنت أوس ؟ قال : قبلت : فامر أتمها أن تهسيها ؛ وتصلح من شانتها ؛ ثم أمر ببيت فضرب له ؛ وأنزله إياه ؛ فلما هبّت بعث بها إليه .

(١) ربع عليه : وقف له ، أو مال إليه (٢) الردة : شيء من قبح (٣) العهدة : العيب

(٤) خرقاء : امرأة غير صناع (٥) فيستحيك : يستحيي منك .

قال خارجة بن سنان : فلما أدخلت إلينه لبيث هنيبة ثم خرج إلى ، قلت : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لئلا دخلت إليها قالت : مَهْ ! أعندي أبي وإخوتي ؟ هذا والله مالاً يكون . قال خارجة : ثم أمر بالرحلة ؛ فارتحلنا ورحنا بها معنا ؛ فسرنا ما شاء الله ، ثم قال لي : تقدم ، فتقدمت ، وعدل بها عن الطريق ؛ فالبيث أَنْ لَعِقَ بِي ؟ قلت : أفرغت ؟ قال : لا والله ، قلت : ولم ؟ قال : قالت لي : أَكَ يُفْعَلُ بِالْأَمْمَةِ الْجَلْبِيَّةِ^(١) أَوِ السَّيْبَةِ الْأَخِيَّذَةِ^(٢) الْأَوَّلَةِ ، حق تَنَحَّرَ الْجَزْرُ^(٣) وتَذَبَّحُ النَّفْمُ ، وتدعوَ الْعَرَبُ ، وتعملُ مَا يُعْمَلُ لِمَشْلِي ! قلت : والله إِنِّي لَأَرَى هَمَّةً وَعَقْلًا ، وأَرْجُو أَنْ تَكُونَ الرَّأْءُ مُنْجِبٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال خارجة : فرحلنا حتى جئنا بلادنا ، فأخضر الإبل والنفم ، ثم دخل عليهما وخرج إلى ، قلت : أفرغت ؟ قال : لا ، قلت : ولم ؟ قال : دخلت عليها ، وقلت لها : قد أحضرنا من المال ما قد تَرَيْنَ ، فقالت : والله لقد ذكرت لي من الشرف مالاً أراه فيك ! قلت : وكيف ؟ قالت : أَنْفَرَغُ لِلنِّسَاءِ - وَالْعَرَبُ تَقْتُلُ بَعْضَهَا بَعْضًا^(٤) ! قلت : فيكون ماذا ؟ قالت : اخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ، ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتوك ماتريد ، قلت : والله إِنِّي لَأَرَى هَمَّةً وَعَقْلًا ، ولقد قالت قولًا ...

قال خارجة : ثم قال الحارث : اخرج بنا ، فخرجنا حتى أتينا القوم فشينا فيها بينهم بالصلح ، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى ، فيتوزَّدَ الفضلُ من هو عليه ، فحملنا عنهم الديات ، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاثة سنين ، فأنصرفنا بأجل الذكر أَفْدَحْ بِذَلِكَ وَقَالَ فِيهِ زَهِيرُ قَصِيدَتِهِ :

* أَمِنْ أَمْ أَوْفَ دِمَنَةَ لَمْ تَكُلْ *

(١) الجلبية : المحبوبة (٢) الأخذة : الماخوذة (٣) جمع جزور ؛ وهو البعير (٤) كان ذلك في أيام حرب عبس وذبيان ، وهي المعروفة بغرب داحس والغراء .

* ٣٣ - بنت حاتم الطائي *

قال علي بن أبي طالب - عليه السلام : يا سبط الله ! ما أزهد كثيراً من الناس في الخير ! عجبت لرجل يجتنه أخيه في حاجة فلا يرى نفسه للغير أهلاً ! فلو كنا لا نرجو جنة ولا نخاف ناراً ، ولا نتضرر ثواباً ، ولا تخشى عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق ؟ فإنها تدل على سبيل النجاة .

قام إليه رجل فقال : فداك أبي وأمى يا أمير المؤمنين ! أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، وما هو خير منه ؟ لما أتيتنا بسبايا طبي كانت في النساء جارية حماء ^(١) ، حوزاء العينين ^(٢) لنساء ^(٣) ، لماء ^(٤) عينطاء ^(٥) ، شماء الأنف ، معتدلة ^(٦) القامة .

لما رأيتها أتعجبت بها ؛ فقلت : لآطلبنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجعلها من قبلي ^(٧) ، فلما تكلمت أنسنت جالها لما سمعت من فصاحتها ، قالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوارد ؟ فإن رأيت أن تخلى عنى ، فلا تُشمت بي أحياء العرب ! فإني بنت سيد قومي ؟ كان أبي يفك العاني ، ويحمي الذمار ؛ ويقرى الضيف ، ويُشعِّب الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ويُطعم الطعام ، ويُ נשى السلام ، ولم يردد طالب حاجة قط ؛ أنا بنت حاتم طبي . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جارية ؟ هذه صفات المؤمن ، ولو كان أبوك إسلامياً لترَحنا عليه ، خلوا عنها ، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق !

* الأغاني : ٩٠٣-١٦ (طبعة السادس) ، سرح العيون : ٧٣

(١) حاء : سوداء ^(٢) المور : سواد العين كلها ؟ مثل الفباء ، ولا يكون في هي آدم ، بل يستعار لها ^(٣) بارية لنساء : في شفتها أدنى سواد ، مشربة بحمرة ^(٤) اللمى : سمرة في الأنف ^(٥) امرأة عيطة : طويلة العنق ^(٦) الفه : الفنية .

٣٤ - أينما أعظمُ العرب مصيبة؟ *

لما كانت وقمة بدر قُتل فيها عقبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد ابن عقبة ، فاقتلت هند بنت عقبة تزكيهم ، وبلغها تشويم ^(١) الخنساء ^(٢) هودجها في الموسم ، ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشرير وأخويها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتسبّكهم ، وقد سوّمت هودجها برایة ، وأنها تقول : أنا أعظمُ العرب مصيبة ؟ وإن العرب قد عرفت لها بعض ذلك .

فلا أصيّبت هند ^(٣) بما أصيّبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظمُ من الخنساء مصيبة ، وأمرت بهودجها فسوم برایة ، وشهّدت الموسم بمسكاظ - وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب - فقالت : أقرّنا جمل بحمل الخنساء ، فعلوا ؟ فلما أن دنست منها قالت لها الخنساء : منْ أنت يا أخية ؟ قالت : أنا هند بنت عقبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك ، فبِمَ تعاظمينهم ؟ فقالت الخنساء : عمرو بن الشرير ، وصخر ، وعافية ابني عمرو . وبِمَ تعاظمينهم أنت ؟ قالت : بأبي عقبة بن ربيعة ، وعى شيبة بن ربيعة ، وأخي الوليد ؟ قالت الخنساء : أو سواه عندك ؟ ثم أنشأت تقول :

* الأغانى : ٤-٢١٠ (طبعة دار الكتب) ، معاهد التنصيص : ١-١٧١

(١) سوم النبي : جمل له سومة وعلامة ليعرف ويميز (٢) اسمها عاصر بنت عمرو بن الشرير السلى ، كانت من شواعر العرب ، المترف لمن بالتقديم وأدرك الإسلام ، وأسللت ومات أولادها الأربعة في حرب القادسية ، وأكثر شعرها في رثاء أخوها معاوية وصخر، ومات في زمن معاوية بالبادية (٣) هي هند بنت عقبة زوج أبي سفيان وأم معاوية :

أبَكَّ أَبِي عَزْ أَبْعِنْ غَزِيرَة
وَصِنْوَى ، لَا أَنْسَى معاوِيَةَ الَّذِي
وَصَخَرَ ، وَمَنْ ذَا مِثْلُ صَخْرَ إِذَا غَدَا
فَذَلِكَ يَا هَنْدَ الرَّزِيَّةَ فَاعْلَمْ
وَنِيرَانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُودُهَا

فَقَالَتْ هَنْدَ تَبَجِيْهُا :

أبَكَّ عَيْدَ الْأَبْطَحَيْنِ (٤) كَلِيمَهَا
أَبِي عَتَبَةَ الْخِيَرَاتِ وَيَنْكِ فَاعْلَمْ
أُولَئِكَ آلَ الْمَجْدِ مِنْ آلَ غَالِبِ
وَحَامِيهَا مِنْ كُلِّ بَاغِ يُرِيدُهَا
وَشَبِيهُ الْحَامِيَ الدَّمَارِ وَلِيدُهَا
وَفِي العَزِّ مِنْهَا حِينَ يُنْسَى عَدِيدُهَا (٥)

ثُمَّ قَالَتْ :

مَنْ حَسَّلَى الْأَخْوَيْنِ كَالْفُصَنَيْنِ أَوْ مِنْ رَأَاهُما (٦)
قَرَنَمَانَ لَا يَتَظَالَلَا نَ وَلَا يَرُامُ حِاهُما
وَيَنْلِي عَلَى الْأَخْوَيْنِ وَالْقَنْبِرِ الَّذِي وَارَاهُما
لَا مِثْلَ كَلْبِي فِي الْكَهْوَ لَ وَلَا فَتَّيَ كَفَتَاهُما
أَسَدَاتَ لَا يَتَذَلَّلَا نَ وَلَا يَرَامُ حِاهُما
رَمْنَحَانَ خَطَيَانَ فِي كَبَدِ السَّاءِ سَاهُما
مَا خَلَنَا إِذَا وَدَعَا فِي سُودَادِ شَرَوَاهُما (٧)
سَادَا بَفَسِيرِ تَكْلُفِ عَفْوًا يَفِيْضُ نَدَاهُما

(١) الحرة : الأرض ذات المجاراة السود . والمراد حرة بنى سليم ، وحررة بنى هلال بالمحجاز .
أى هو مقصد الأشراف تأبيه وفودها فيها يلم بها . (٢) الساهمة : الدقيقة ، والأطالل : جم لاطل
وهو الماحصرة ، واللقب : جمع أقب ، وهى الفرس . الدقيقة الحصر ، الصارمة البطن (٣) الأبطحان
ترى بدطحاء مكة وسهل تهامة (٤) عديدها : جوعها (٥) راما : أصله راما (٦) شروهاها :
مثلهما .

* ٣٥ - شجاعة صفية بنت عبد المطلب *

قالت صفية بنت عبد المطلب : كان حسان^(١) بن ثابت معناف حصن فارع^(٢) يوم المئذق ، ومعنا النساء والصبيان ، فر بنا رجل من يهود ، فقبل بطيف بالحصن ؛ قلت : يا حسان ؟ إن هذا اليهودي - كاتري - بطيف بالحصن ، وأنا والله لا آمن أن يدخل علينا من ورنا من يهود ، ورسول الله قد شغل عنا ؛ فأنزل إليه واقتله . فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ، لقد عرفت ما أنا بصاحب شجاعة !

قالت : فلما قال لي ذلك ولم أرّ عنه شيئاً ، اعتبرت^(٣) ، ثم أخذت عموداً ، وزلت^(٤) إليه من الحصن فضررته بالمود حتى قتلته ؛ فلما فرغت منه رجمت إلى الحصن ، وقلت : يا حسان ؟ انزل إليه ، فأسليه^(٤) فإنه لم يعنني من سلبي إلا أنه رجل ! فقال : مالى بسلبه من حاجت يا بنت عبد المطلب !

* الفرق : ٢٢٥ ، معاهد التنصيص ١ - ٧٤ الأغانى ٤ - ١٦٥ (طبعة دار الكتب) .
 (١) هو شاعر الرسول ، وقد نأى في الماجالية وبه شأنه فيها ، وماش طوبلاقي الإسلام ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٢ هـ . (٢) حسن بالمدينة ، ويوم المئذق واقعة مشهورة بين رسول الله والمرثكين . (٣) اعتبرت المرأة : لبست للصر وهو ما تشهده على رأسها (٤) سلبه : السلب ما يأخذ أحد القرنين في المرب من قرنه مما يكون عليه ومه . من ثواب وسلاح ودابة ،

٣٦ - الخنساء عند عائشة *

دخلت الخنساء على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وعليها صدار^(١) من شعر ، قد استشعرته إلى جلدها ؛ فقالت لها : ما هذا ياخنساء ؟ فوالله لقد تُوقِّعَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما لبسته .

قالت : إنَّ له معنى دعاني إلى لباسه ؛ وذلك أن أبي زوجني سيد قومه ، وكان رجلاً مِتَلَاقَاً ، فأشترفَ في ماله ، حتى أنفقَه ، ثم رجع إلى مالي ، فأنفقَه أيضاً .

ثم التفت إلى قال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخرى صخر ، فأتيناها ، قسم ماله شطرين^(٢) ، ثم خيرنا في أحسن الشطرين ، فرجئتنا من عنده على حال حسنة ؛ فلم يزل زوجي حتى أذهب بجميه .

ثم التفت إلى ، فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخرى صخر ، فرحلنا إليه قسم ماله شطرين ، وخيرنا في أفضل الشطرين .

قالت له زوجته : أما ترضى أن تشاطرَهُم مالك حتى تخيرَم بين الشطرين !

قال :

وَاللَّهِ لَا أَمْنِحُهَا شِرًا هَا فَلَوْهَلَكْتُ قَدَّدْتُ^(٣) حِمَارَهَا

* وَاحْذَدْتُ مِنْ شَعِيرِ صِدَّارَهَا *

فَآلَيْتُ أَلَا يَفْارِقُ الصَّدَّارُ جَسْدِي مَابَقِيتِ !

* المقد المفريد : ١ - ٢٢ ، سرح العيون : ٢٩٩

(١) الصدار : نوب رأسه كالمقمعة ، وأسفله يغطي الصدر والنشكين ، وكانت المرأة إذا فقدت حيمها فأخذت عليه لبست صداراً من صوف . (٢) شطر الشيء : نصفه .

(٣) قددت : قدت .

٣٧ - إِلَهُ عَمْرٌ يَعْلَمُ *

نهى عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته عن مذق^(١) اللَّبَنِ بِالْمَاءِ ، فخرج ذات ليلة في حواشى المدينة ، فإذا يامرأةٌ تقولُ لابنته لها : ألا تَمْذُقُين لبنيك قد أَصْبَحْتِ ؟ فقالت الجارية : كيف أَمْذُقُ وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق ؟

قالت : قد مذق الناسُ فامذق فا يدرى أمير المؤمنين ؟ فقالت : إن كان عمر لا يعلم فإله عمر يعلم ، ما كفنت لأفعله وقد نهى عنه . فوسمت مقالتها من عمر . فلما أصبح دعا عاصماً ابنه ، فقال : يا بني ؟ اذهب إلى موضع كذا وكذا فاسأله عن الجارية - وَوَصَفَهَا لَهُ - فذهب عاصم ، فإذا جارية من بني هلال . قال عمر : اذهب يا بني فتزوجها ، فأحرأها أن تأتي بفارس يَسُودُ الْأَرْبَابَ ، فتزوجها عاصم بن عمر ، فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها عبد العزيز بن مروان ؟ فأتت بعمر بن عبد العزيز !

* سيرة عمر بن عبد العزيز : ١٧ ، نهاية الأرب : ٣ - ٢٣٨ ، معجم الأمثال ٢ - ١٣٨ ، ابن أبي الحميد : ٣ : ١١٠ .

(١) المذق : الخلط .

لما قدم سعد بن أبي وقاص^(١) القادسية ، أتته حُرَّقة بنت النعيم بن النذر في جوارِ كلِّهن في مثل زِيَّهَا ، يطأبنَ صِلَّهَا .

فما وقفَنَ بين يديه قال : أَيْتَكُنْ حُرَّقة ؟ قلن : هذه . قال لها : أَنْتِ حُرَّقة ؟ قالت : نعم ، فَاتَّسَكَرَّا رَكَّا فِي السُّؤَالِ ؟ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ زَوْلٍ ، لَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ ؛ إِنَا كُنَّا مُلُوكَ هَذَا الْمِصْرَ ، يُجْبِي إِلَيْنَا خَرَاجُهُ ، وَيُطِيعُنَا أَهْلُهُ مَدَى الْإِمْرَةِ وَزَمَانِ الدُّولَةِ ، فَلَمَّا أَذْبَرَ الْأَمْرَ وَانْقَضَ ، صَاحَ بِنَا صَاحِبُ الْدُّهْرِ فَصَدَعَ عَصَانَا ، وَشَتَّتَ مَلَانَا . وَكَذَلِكَ الْدُّهْرِ يَا سَعْدٌ ؟ إِنَّهُ لَيْسَ يَأْتِي قَوْمًا بَمْسَرَةٍ إِلَّا وَيُغَيْرُهُمْ حَسْرَةً .

ثُمَّ أَشَأْتَ تَقُولُ :

بِينَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ تَنْتَصَفُ^(٢)
فَأُفَافِي لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَيْمُهَا تَقْلِبُ تَارَاتِ بَنَا وَتَرَفُّ !

قال سعد . قاتل الله عدُّه بن زيد كأنه ينظر إليها حيث يقول :

إِنَّ الْدُّهْرَ صُولَةً فَاخْذِرْهَا لَا تَبِيَّنَ قَدْ أَمْنَتَ الْدُّهُورَا
قَدْ يَبِيَّتُ الْفَتَى مُعَافَ فَيَرَدَّى وَلَقَدْ كَانَ آمَنَا مَسْرُورَا
وَدَخَلَ عُمَرُ بْنُ مَعْدُ يَكْرَبَ - وَكَانَ مِنْ قُصَّادِ النَّعَمَ - وَهِيَ بَيْنِ يَدِي
سعَدٍ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ : أَنْتِ حُرَّقة ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا دَهَمَكَ ؟ أَيْنَ تَنَابَعَ

* خِزَانَةُ الْأَدْبِ : ٣-١٨١ (المطبعة الأميرية)

(١) هو فاتح العراق ومدائن كسرى ، وقد بصره في آخر حياته ، وتوفى سنة ٥٥ هـ

(٢) تَنْتَصَفُ : تخدم .

يَعِكْ ، وَسُطُوطَاتِ نِقَمِكْ ؟ قَالَتْ : يَا عَمِرو ، إِنَّ لِلَّهِرَ عَذَّارَاتٍ تَمْثُرُ بِالْمَلُوكِ وَأَبْنَائِهِمْ
فَخَفَضُوهُمْ بَعْدَ رِفْعَةٍ ، وَتَفَرَّدُوهُمْ بَعْدَ مَنَعَةٍ ، وَتُذَلَّهُمْ بَعْدَ عِزٍّ . إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ كَنَا
نَتَظَرُهُ فَلَمَّا حَلَّ لَمْ نُنْسِكْرُهُ .

فَلَمَّا انْصَرَفَتْ مِنْ لَدْنِ سَعْدٍ لِقِبَّاهَا نِسَاءُ الْقَادِسِيَّةِ فَقَلَنْ لَهَا : مَا فَلَلْتَ بِكَ الْأَمْرَ ؟
قَالَتْ : أَكْنَمْ وَجْهِي ، وَإِنَّا بِكَرِيمٍ الْكَرِيمُ .

٣٩ - لَا تَذَهَّبِي بِنَفْسِكِ عنِ الْحَقِّ *

قَالَ عَلَىٰ بْنُ أَبِي رَافِعٍ : كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِ مَالِ عَلَىٰ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَكَاتِبِهِ ،
فَكَانَ فِي بَيْتِ مَالِهِ عِقْدٌ لَوْلَوْ كَانَ أَصَابَهُ يَوْمَ الْبَصَرَةِ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بَنْتُ عَلَىٰ
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ؛ فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ فِي بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِقْدًا لَوْلَوْ ،
وَهُوَ فِي يَدِكَ ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تُعِيرَنِيهِ ، أَنْجُلُّ بِهِ فِي يَوْمِ الْأَضْحِيِّ .

فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا : عَارِيَةً مَضْمُونَةً ، مَرْدُودَةً بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَابْنَتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
فَقَالَتْ : نَعَمْ ! عَارِيَةً مَرْدُودَةً بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .

فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهَا وَإِذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَأَهُ عَلَيْهَا فَصَرَّفَهُ ؛ فَقَالَ لَهَا : مَنْ أَيْنَ جَاءَ إِلَيْكَ
هَذَا الْعِقْدُ ؟ فَقَالَتْ : اسْتَعْرَتْهُ مِنْ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ خَازِنِ بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟
لَا تَزَّبَّ بِهِ فِي العِيدِ ، ثُمَّ أَرْمُدْهُ .

فبعث إلى أمير المسلمين فجثته ؛ فقال لي : أخون المسلمين يا بن أبي رافع ؟
فقلت : معاذ الله أن أخون المسلمين ! قال : كيف أعرّت بنت أمير المؤمنين
القد الذي في بيت مال المسلمين بغير إذن ورضاه ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إنها
بنته ؟ وسألتني أن أغيرها العقد تزيين به فأعرّتها إياه عاريةً مضمونة مردودة على
أن ترده سلماً إلى موضعه ؛ فقال : رده من يومك ، وإياك أن تعود إلى مثله ؛
فتناولت عقوبتي . ثم قال : ويل لابنتي ! لو كانت أخذت العقد على غير عارية
مردودة مضمونة ل كانت إذن أول هاشمية قطعت يدها في سرقة .
فبلغت مقالته ابنته ، قالت له : يا أمير المؤمنين ؟ أنا ابنته وبضعة (١)
منك ، فمن أحق بلبسه مني ؟ فقال لها : يا بنت أبي طالب ؛ لا تذهبي بنفسك عن
الحق ! أ كل نساء المهاجرين والأنصار يتزيّن في مثل هذا العيد بمثل هذا !
فقبضته منها ورددها إلى موضعه .

(١) بضعة ، أي قطعة .

٤٠ — المغيرة يخطب بنت النهان *

سار المغيرة ^(١) بن شعبة - حينما كان والياً على الكوفة - إلى دير هند بنت النهان بن المنذر ، وهي فيه عميه مترهبة ، فاستأذن عليها ، فقيل لها : أمير هذه المدرسة ^(٢) بالباب ! قالت : قولوا له : أمن ولد جبطة بن الأبيهم أنت ؟ قال : لا . قالت : أمن ولد المنذر بن السماء ؟ قال : لا . قالت : فمن أنت ؟ قال : المغيرة ابن شعبة التقى ! قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئتكم خاطبًا ! قالت : لو كنت جئتني بمال أو لمال لأطلبتك ^(٣) ، ولكنك أردت أن تشرف بي في محفل العرب ، فتقولي : تزوجت ابنة النهان بن المنذر ، وإلا فأي خير في اجتماع أعور وعماء ؟

بعث إليها : كيف كان أمركم ؟ قالت : ساختصر لك الجواب : أمسينا مسامه وليس في الأرض عربي إلا وهو يرغب إلينا ويرهينا ، ثم أصبحنا وليس في الأرض عربي إلا ونحن نرحب إليه وزرهبه .

* الكامل للعبد : ١ - ١٧٧ ، المسعودي : ٢ - ٦٨

(١) المغيرة بن شعبة : من ثقيف ، أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهده يوم ارضوان وفتوح الشام واليرموك ، والقادسية ، وولاه عمر البصرة ، ومات بالكوفة وهو أميراًها سنة ٥٠ هـ .

(٢) المدرسة : المدينة الضخمة . (٣) أطلبته : أعطاه ما طلبه .

٤١ - ولقد أبىت على الطوَّى *

قال نعيم بن عدى البربوسى :

كنت مع عبد الله بن العباس^(١) عند منصرفه من دمشق ، فسألته في بعض الأيام وقلت له : بماذا يتم عقل الرجل ؟ فقال : إذا صنع المعروف مبتداً به ، وجاد بما هو محتاج إليه ، وتجاوز عن الزلة ، وجازى على السكرمة ، وتجنب مواطن الاعذار ؛ فقد تم عقله . فحفظت ذلك منه ، وألصقته بقلبي .

ثم بعد أيام نزلنا منزلًا ، فطلبنا طعاما فلم نجد له ، ولا قدرنا عليه – فإن زيادا كان قد نزل بذلك المنزل قبلنا بأيام قليلة في جمْع كثير ؛ فأتوه على ما كان فيه من الطعام – فقال عبد الله لوكيله : اخرج إلى هذه البرية ، فاملأك تحديدا بها راغباً منه طعام ، فضى الوكيل ومعه غلامان ؛ فأطلاوا التوقف ، فلما كادوا يرجمون لاح لهم خباء ، فأنموه ؛ فوجدوا فيه عجوزا ، فقالوا لها : هل عندك طعام نتبعاه منك ؟ فقالت : أمما طعام بيع فلا ؛ ولكن عندي أكلة لي ، وبأولادى إليها أمس حاجة ، قالوا : وأين أولادك ؟ قالت : في رعيتهم ، وهذا وقت عودتهم . قالوا : فما أعددت لهم ؟ قالت :

* المقد الفريد للملك السعيد : ١٣

(١) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : ولد قبل المجرة بستين ، وكان رسول الله يحبه ويقربه ودعا له فقال : « اللهم علمه التأويل » فكان أعلم الناس بآيات القرآن وتأويلها والفقه في الدين ، على ما أوتيه من لسان ذلك غواص على موضع الحاجة ، وعاش عمره عبياً إلى الخلفاء . وتوفي سنة ٦٨ هـ .

خُبْرَة^(١) نَحْتَ مَلَّيْهَا^(٢) أَنْتَظِرُ بِهَا أَنْ يَجِيئُوا ، قَالُوا لَهَا . فَبُرُدِيَ لَنَا بِنَصْفِهَا ، قَالَتْ : لَا ؛ وَلَكِنْ بِهَا كَلَّهَا . قَالُوا : وَلَمْ مَنْفَعَ النَّصْفِ وَجَدْتِهَا كَلَّهَا ، وَلَا خُبْرَةَ عَذْكَ غَيْرُهَا ؟ قَالَتْ : إِنَّ إِعْطَاءَ الشَّطَرِ^(٣) مِنْ خُبْرَةِ تَقْيِيسَةٍ ؟ فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَنْقُصُنِي ، وَأَجُودُ بِمَا يَرْفَعُنِي ، فَأَخْذُوا الْخُبْرَةَ لَفَرَطِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْها . وَانْصَرَفُوا ؛ وَلَمْ تَسْأَلْ : مَنْ هُمْ ؟ وَلَا مَنْ أَيْنَ جَاءُوا !

فَلَمَّا أَنْتَوْا عَبْدَ اللَّهِ ، وَأَخْبَرُوهُ خَبَرَ الْمَجُوزِ بِحِبِّهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : ارْجِعُوا إِلَيْهَا فَاحْلُوْهَا فِي دَعَةٍ ، وَأَحْضِرُوهَا ؟ فَرَجَمُوا إِلَيْها ، وَقَالُوا لَهَا : إِنَّ صَاحِبَنَا أَحَبَّ أَنْ يَرَاكِ . قَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبُكُمْ ؟ قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ . قَالَتْ : مَا أَعْرِفُ هَذَا الْإِسْمَ . قَالُوا : الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ ، وَهُوَ مُّحَمَّدُ النَّبِيُّ . قَالَتْ : وَاللَّهِ هَذَا الْشَّرْفُ الْعَالِيُّ وَذِرْوَتِهِ الرَّفِيقَةُ ، وَمَاذَا يَرِيدُ مِنِّي ؟ قَالُوا : يَرِيدُ أَنْ يَكَافِئَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ . قَالَتْ : لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَاشِيَّ مَا أَثْلَى لَهُ أَبْنَى^(٤) عَمَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ! وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتَ سَرْوَفًا مَا أَخْذَتُ عَلَيْهِ ثَوَابًا ؟ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يُحِبُّ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَفْعُلَهُ . قَالُوا : فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَرَاكِ وَيَسْمَعَ كَلَامَكَ . قَالَتْ : أَصِيرُ إِلَيْهِ ؛ لَأَنِّي أَحَبُّ أَنْ أَرَى رِجْلًا مِنْ جَنَاحِ النَّبِيِّ وَعَضْوًا مِنْ أَعْصَانِهِ .

فَلَمَّا سَارَتْ إِلَيْهِ رَحْبَ بِهَا وَأَدْفَنَ كَجْلَسَهَا ، وَقَالَ : يَمْنَ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : مِنْ كُلْبٍ . قَالَ : كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَتْ : لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَفْرِحَ إِلَّا وَقَدْ بَلَغْتُهُ ، وَإِنِّي الآن أَعِيشُ^(٥) بِالْقَنَاعَةِ ، وَأَصُونُ^(٦) التَّرَابَةَ ، وَأَنَا أَنْتَوَقُ مَفَارِقَةَ الدُّنْيَا صَبَاحًاً وَمَسَاءً . قَالَ :

(١) المُبَرَّةُ : عَيْنٌ يُوضَعُ فِي الْمَاءِ حَتَّى يَنْضُجُ

(٢) اللَّهُ : الرَّمَادُ الْمَارُ وَالْجَرَّ

(٣) شَطَرُ الْغَيْرِ : نَصْفُهُ .

أخبرني ، ما الذي أعددت لأولادك عند انصرافهم بعدأخذنا الخبرة ؟ قالت :
أعددت لهم قول العربي :

ولقد أبىت على الطوى وأظلله حتى أتال به كريم الماكل
فأعجبه قوله ؛ وقال لبعض غلمانه : انطلق إلى خيامها ، فإذا أقبل بنوها ،
نفيه بهم . فقال للغلام : انطلق ، فكن بفناء البيت ، فإنهم ثلاثة ، فإذا رأيتهم
تمعد أحدهم دأب النظر نحو الأرض ، عليه شعار الوقار ، فإذا تكلم أفصح ، وإذا
طلب أنجح . والآخر حديد النظر ، كثير الحذر ، إذا وعَد فعل ، وإن ظلم قتل .
والآخر كأنه شعلة نار وكأنه يطلب بنار ، فذاك الموت الماث والداء الكابت ،
إذا رأيت هذه الصفة فيهم ، فقل لهم عني : لا تجلسوا حتى تأتوني .

فانطلق الغلام ، فأخبرهم الخبر ، فما بعد أمده حتى جاءوا ، فادنام عبد الله
وقال : إني لم أبعث إليكم وإلى والدتكم إلا لأصلح من أمركم ، وأصنع ما يجب
لكم ؛ فقالوا : إن هذا لا يكون إلا عن مسألة أو مكافأة فعمل جيل تقدّم ، ولم يصدر
منا واحدة منها ؛ فإن كنت أردت التكرؤم مبتدئاً فعروفك مشكور ، وبرهنك
مقبول مبرور . فأمر لم بسبعة آلاف درهم وعشرين من النقق ؟ قالت لم
العجز : ليقل كل واحد منكم بيته من قوله :

قال الأكبر :

شهدت عليك بحسن المقال وصدق الفعال وطيب الخبر
وقال الأوسط :

تبزرعت بالبذل قبل السؤال فَالْكَرِيمُ عَظِيمُ الْخَلْطَرِ

وقال الأصغر :

وحق لمن كان ذا فــلــه أن يــتــرقــ رقابــ البشرــ

وقالت العجوز :

فــعــمــرــكــ اللهــ منــ مــاجــدــ وــوــقــيــتــ مــاعــشــتــ شــرــ الــقدــ

نــمــ وــدــعــهــ وــانــصــرــفــواــ .

قال نعيم اليزيدي : فالتفت إلى وقال لي : ياتيم ؟ وودت لو وجدت مزيداً
في ابتداء المعرفة إلى هذه المرأة وبنيها ، وجعل يتاؤه من تقديره عن مراده في
ذلك . قلت له : لقد أحسنت وأرجحت وقد شهد فعلك بما سبق من قولك ،
فأنت أتم الناس علا ، وأكملهم مرودة !

٤٢ — أبو الأسود الدؤلي وزوجه *

قال أبو محمد التشيري :

كان أبو الأسود ^(١) الدؤلي من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سفيان ، وأقربهم مجلساً ، وكان لا ينطق إلا بعقل ، ولا يتكلم إلا بعد فهم .

فيينا هو ذات يوم جالس ، وعنه وجوهُ قريش وأشرافُ العرب ، إذ أقبلتْ امرأةُ أبي الأسود حتى حاذتْ معاوية وقالتْ : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ؛ إنَّ اللهَ جعلك خليفةً في البلاد ، ورقيباً على العباد ؛ يستنقب بك الطَّرَ ، ويُستنبطُ بك الشَّجَر ، وتُؤلَفُ بك الأَهْوَاء ، ويُأْمَنُ بك الخَلَافَ ، وَيُرَدَعُ بك الجَائِفُ ^(٢) ، فأنتَ الخليفةُ الْمُصْطَفَى ، والإمامُ الْمُرْتَضَى ، فَاسْأَلُ اللهَ لك النِّعَمة في غير تغيير ، والعافية من غير تعذير ^(٣) . قد أجلاني إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق على فيه المنهج ، وتفاقم على منه الخرج ، لأمرِ كرهتْ عاره ، لما خشيتُ إظهاره ؛ فلينصفني أمير المؤمنين من الخصم ، فإني أعودُ بعقوته ^(٤) من العارِ الوَبِيلِ ، والأمر الجليل ؛ الذي يشتَدُ على الحرائر ذات البمول الأَجَائز ^(٥) .

فقال لها معاوية : ومن بعلك هذا الذي تصفين من أمره المنكر ؟ ومن فعله المشهور ؟ فقالتْ : هو أبو الأسود الدؤلي .

* بлагات النساء : ٥٣

(١) اسمه ظالم بن عمرو ، وأبو الأسود كنيته ، وهو مددود في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاء والنجويين ، كان أكثر الناس تعلقاً بعلي بن أبي طالب وعنه أخذ النحو ، توفي سنة ٩٩ هـ (٢) الجائب : المائل (٣) تعذير : نفس (٤) المقوء في الأصل : محاول الدار (٥) البمول : جم بعل ، وهو الزوج ، والأجائز : جم أجور ؛ تفضل من جار :

فالتقت إليه وقال : يا أبا الأسود ؟ ما تقول هذه المرأة ؟ فقال أبو الأسود : هي تقول من الحق بعضاً ، ولن يستطيع أحد عليها تقضي ، أما ما ذكرت من طلاقها فهو حق ؛ وأنا مُخْبِرٌ عنه أمير المؤمنين بالصدق ؛ والله يا أمير المؤمنين ماطلّتها عن ربيبة ظهرت ، ولا لأى هفوة حضرت ؟ ولكن كرهت شمائلها ؛ فقطعت عن حبائلها .
قال معاوية : وأى شمائلها يا أبا الأسود كرحت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنك مهيجُها على بجواب عَيْدٍ ^(١) ولسان شديد .

قال معاوية : لا بد لك من محاورتها ، فازد علية قولها عند مراجعتها . فقال أبو الأسود : يا أمير المؤمنين ؛ إنها كثيرة الصخب ، داعمة الذرّاب ^(٢) ، مهينة للأهل ، مُؤذية للبعض ، مُسيلة إلى الجار ، مُظليحة للعار ، إن رأيت خيراً كتمته ، وإن رأيت شرًا أذاعته .

قالت : والله لو لا مكان أمير المؤمنين ، وحضور من حضره من المسلمين ، لرددت عليك بوادي رِكاماً ، بنوافذ أفرغ بها كلًّا ^(٣) يهأيك ؛ وإن كان لا يحمل بالمرأة الحرة أن تشمّ بعلاً ، ولا أن تُظهر لأحد جهلاً .

قال معاوية : عزت عليك لما أجبتيه . قالت : يا أمير المؤمنين ماعلمته إلا سُنولاً جهولاً ، ملِحًا بخيلاً ^(٤) ، وإن قال فشر قائل ، وإن سكت فذود غاثل ^(٥) ، ليث حين يأْمن ، ونعلب حين يخاف ، شحيح حين يُضيّف ، إذا ذكر الجود اقمع لما يعرف من قصري رشائه ^(٦) ، ولو تم آباهه ، ضيقه جائع ، وجاره ضائع لا يحفظ جاراً ولا يخمني

(١) عَيْدٌ : حاضر (٢) الذرّاب : حدة اللسان (٣) يقال : نيل السيف ؛ إذا لم يقطع ، فهو كل وكيل (٤) اشتهر أبو الأسود بالبخل ، وله في ذلك نواذر (٥) الدافتل : جم دغبةلة والدغبةلة : دخل في الأمر مفسد (٦) الرشاد في الأصل : الحبل .

ذِمَاراً ، وَلَا يُذْرِك ثَاراً ، أَكْرَمُ النَّاس عَلَيْه مَنْ أَهَانَه ، وَأَهُونُهُمْ عَلَيْه مَنْ أَكْرَمَه .

قال معاوية : سبحان الله لما تأقى به هذه المرأة من السجع ! فقال أبو الأسود : أصلح الله أمير المؤمنين ؛ إنها مطلقة ، ومن أكثركلاماً من مطلقة ! ثم قال لها معاوية : إذا كان رواحاً^(١) فعالى أفصل بينك وبينه بالقضاء .

فما كان الرواح جاءت ومعها ابنتها قد اختصنته ؟ فلما رآها أبو الأسود قام إليها ليُنْتَزعَ ابنته منها ، فقال له معاوية : يا أبا الأسود ، لا تُنْجِل المرأة أن تُنْطِق بمحاجتها :

قال : يا أمير المؤمنين ؛ أنا أحق بحمل ابني منها ، فقال له معاوية : يا أبا الأسود دعها تُقلن . فقال : يا أمير المؤمنين ، حملته قبل أن تَخْمِلْه . قالت : صدق والله يا أمير المؤمنين ، حمله خِفَا وحَلْتُه ثِقْلًا ، إنْ بطن لوعاوه ، وإن ثدي لسقاوه ، وإن حجرى لفناوه . فقال معاوية : سبحان الله لما تأقى به ! ثم قال لأبي الأسود : إنها قد غلبتك في الكلام ، فتكلف لها أبیاتاً لعلك تغلبها ؛ فأنشا يقول :

مَرْجِبًا بِالَّتِي تَجْسُرُ عَلَيْنَا ثُمَّ سَهْلًا بِالْحَمَلِ الْمَحْمُولِ
أَغْلَقْتُ بَابَهَا عَلَى إِنْ خَيْرَ النَّسَاء ذَاتُ الْبُعُولِ
شَغَلتْ نَسْهَا عَلَى فَرَاغًا هَلْ سَعَتْ بِالْفَارَغِ الْمَشْغُولِ

فأجابته :

لِيسْ مَنْ قَالَ بِالصَّوَابِ وَبِالْحَقِّ كَمَنْ جَارٌ عَلَى مَنَارِ السَّبِيلِ
كَانَ ثَدِي سَقَاهِ حِينَ يُضْحِي ثُمَّ حِجْرِي فَنَاهِ بِالْأَصِيلِ
لَسْتُ أَبْنَى بِوَاحْدِي يَابْنَ حَرَبٍ بَدْلًا مَا عَلِمْتُه وَانْتَلِيلِ^(٢)
فَقُضِيَ لِهِ معاوية عَلَيْهِ ، وَاحْتَمَلَتْ ابْنَاهَا وَانْصَرَفَتْ .

(١) الرواح : العشى . (٢) تزيد بالتحليل مدحًا رسول الله .

٤٣— إِنَّ قُرَيْشًا تُحَمَّدُتْ أَنْكَ مَنْ أَخْلَمَهَا*

كتب معاوية إلى واليه بالسکونة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحرين البارقةية بـ حلمها، وأعلمه أنه مجاز به بقولها فيه؛ بالخير خيراً وبالشر شراً.

فلا ورد عليه كتابه ركب إليها فاقرأها إياه؛ فقالت: أمّا أنا فغير زانفة عن طاعة، ولا مُغتَلَّة بـ كذبٍ ولقد كنتُ أحب لقاء أمير المؤمنين لأمورٍ تختليج^(١) في صدرِي.

فلا حلها وأراد مفارقتها ، قال لها: يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلى : إنه يجازبني بقولك في بالخير خيراً وبالشر شراً ، فاعنك ؟ قالت : يا هذا؛ لا يطمعنك يرثك بي أن أسررك بياطل ، ولا تؤيسيتك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق ؟

فسارت خير مسيرة ، حتى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع جريمه ثلاثة ، ثم أذن لها في اليوم الرابع ، وعنه جلوسواه ؛ فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ؛ قال لها : وعليك السلام يا أم الخير ، وبالرغم منك دعوتنى بهذا الاسم . قالت : مه^(٢) يا أمير المؤمنين الكل أجل كتاب .

قال : صدقتي ، فكيف حالك يا خالة ؟ وكيف كنتي في مسيرةك ؟ قالت : لم أزل في عافية وسلامة حتى صرت إليك ؛ فأنا في عيش أنيق ، عند ملك رفيق ؛ قال معاوية: يحسن ينتي ظرفتكم وأعنت عليهم^(٣) ! قالت : يا أمير المؤمنين ؛ أعيذُك

* العقد الفريد : ١ - ٢١٧ ، بلاغات النساء : ٤١ .

(١) تختليج في الأمر : تتردد فيه . (٢) مه : كف .

بِاللَّهِ مِنْ دَخْنِ^(١) الْمَقَالِ وَمَا تُرْدِي عَاقِبَتُهُ، قَالَ: لَيْسَ هَذَا أَرْدَنَاكُ . قَالَتْ: إِنَّمَا أَجْزِي فِي مِيدَانِكُ ؟ فَاسْأَلَ عَنِّي بَدَا لَكَ! قَالَ: أَخْبَرِينِي كَيْفَ كَانَ كَلَامُكِ يَوْمَ قُتُلَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ؟ قَالَتْ: لَمْ أَكُنْ وَاللَّهُ زَوْزَنِهُ^(٢) قَبْلُ، وَلَا رَوْيَةً بَعْدُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ كَلَامُكُ تَفَهَّمَ لَسَانِي حِينَ الصَّدْمَةِ، فَإِنْ شَتَّتَ أَنْ أَخْدِثُ لَكَ مَقَالًاً غَيْرَ ذَلِكَ فَعَلَّمْتُ^(٣) . قَالَ: لَا أَشَاءُ ذَلِكَ .

نَمْ التَّفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: أَيْكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَ أَمْ الْخَيْرِ؟ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا أَحْفَظُهُ بِأَمْيَرِ الْمُؤْمِنِينَ كَحْفَظِي سُورَةَ الْحَمْدِ . قَالَ: هَاتِهِ؟ قَالَ: نَمْ! كَانَتْ بِهَا يَا أَمْيَرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، عَلَيْهَا بُرُزَدٌ زَيْدِيَّ كَيْفِيَّ الْحَاشِيَةِ، وَهِيَ عَلَى جَلْ أَرْمَكَ^(٤) وَقَدْ أُحْيِطَ حَوْلَهَا حِوَاءً^(٥) وَيَدُهَا سَوْطٌ مُنَتَّشِرٌ الصَّفَرُ^(٦)، وَهِيَ كَالْفَحْلِ يَهْدِرُ فِي شِقْشِيقَتِهِ^(٧) تَقُولُ:

يَا إِيَّاهَا النَّاسُ، اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنْ زَلَّتَ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ الْحَقَّ، وَأَبَانَ الدَّلِيلَنِ، وَنَوَرَ السَّبِيلَ، وَرَفَعَ الْعِلْمَ، فَلَمْ يَدْعُكُمْ فِي عَنْيَاءٍ مُبْهِمَةٍ! وَلَا سُوْدَاءَ مُدَلِّمَةٍ^(٨)، فَإِلَيْنِي تُرِيدُونَ رَحْمَكَ اللَّهُ أَفْرَارًا عَنْ أَمْيَرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَمْ فَرَّارًا مِنَ الرَّعْفِ، أَمْ رَهْبَةً عَنِ الإِسْلَامِ أَمْ ارْتِدَادًا عَنِ الْحَقِّ! أَمَا سَعْتُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: {وَلَنَبْلُوْنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالظَّاَبِرِينَ وَنَبْلُوْنَأَخْبَارَكُمْ} .

نَمْ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَعَيَّ تَقُولُ:

(١) دَحْنُ الْمَقَالِ: بِاطِلَهُ (٢) زُورُ الْكَلَامِ: أَعْدَهُ؛ تَرِيدُ أَنْهَا فَالَّهُ ارْتِجَالًا (٣) أَرْمَكُ: لَوْنُهُ لَوْنُ الرَّمَادِ (٤) الْمَوَاءُ: مَا يَسْمِلُ كَالْوَسَادَةَ لِرَاكِبٍ عَلَى رَحْلِ الْجَلْ بِدُونِ هُودُجٍ (٥) مَنْفَرُ الشَّعْرِ: لَوْيٌ بِصَفَهٌ عَلَى بَعْضِ (٦) الشِّقْشِيقَةِ: شَيْءٌ يَغْرِي بَعِيرَ مِنْ فِيهِ إِذَا هَاجَ (٧) ادْلَمُ الظَّالِمِ: كَفَ، وَأَسْوَدَ مَدْلَمٍ، مِبَالَةً .

قد عيَلَ الصَّبْرُ ، وضَمَّفَ اليقين ، وانتشرَ الرُّغْبُ ، وبيِدِكَ باربَ أَزِيمَةَ القلوب ،
فاجمع الكلمةَ على التقوى ، وألْفَ القلوبَ على المُدَى ، وإزدُدْ الحقَ إلى أهله .
هُلُوا رحْمَنَ اللَّهِ إِلَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ ، والوصيِّ الوفِ ، والصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ . إِنَّهَا مَحَنَّ
بَذْرِيَّةٍ^(١) ، وأَحْقَادٌ جاهلية ، وضَفَّافُ أَحْدِيَّةٍ^(٢) ، وثَبَّ بِهَا معاوِيَةَ حِينَ الْفَلَةِ
لِيُدْرِكَ بِهَا ثَارَاتِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ^(٣) .

ثُمَّ قالت : قاتلوا أُمَّةَ الْكُفَّرِ ، إِتْهَمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ، صِرَاطاً
مِعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَاتَّلُوا عَلَى بَصِيرَةِ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَبَيَاتٍ مِنْ دِينِكُمْ ، وَكَانَ
بِكُمْ غَدَأً قَدْ لَقِيَمْ أَهْلَ الشَّامَ كَحُمْرُ مُسْتَنْفِرَةٍ^(٤) ، فَرَأَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ^(٥) ، لَا تَذَرِي
أَيْنَ يُسْلَكُ بِهَا مِنْ فِجاجِ الْأَرْضِ ، بَاعُوا الْآخِرَةَ بِالْأَدْنِيَا ، وَاشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْمُدَى ،
وَبَاعُوا الْبَصِيرَةَ بِالْعَمَى ، وَعَا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ، حِينَ تَحْمُلُّ بَهُمُ النَّدَاءَ ،
فَيَطْلَبُونَ الإِقْلَالَ ! إِنَّهُ وَاللَّهُ مَنْ صَلَّ عنَ الْحَقِّ وَقَعَ فِي الْبَاطِلِ ، وَمَنْ لَمْ يُسْكِنِ الْجَنَّةَ
نَوْلَ فِي النَّارِ .

أَيْهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْأَكْيَاسَ^(٦) استَعْصَرُوا عُمَرَ الدِّنِيَا فَرَفَضُوهَا ، وَاسْتَبْطَلُوا مُدَّةَ
الْآخِرَةِ فَسَعَوْهَا ; فَاللَّهُ أَيْهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ تَبْطُلَ الْحَقُوقُ ، وَتُعْطَلَ الْحَدُودُ ،
وَيَظْهَرَ الظَّالِمُونَ ، وَتَقْوَى كُلَّهُ الشَّيْطَانُ . فَإِلَى أَيْنَ تَرِيدُونَ - رَحْمَنَ اللَّهُ - عَنِ
ابْنِ عَمٍّ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَوْجِ ابْنِهِ وَأَبِيهِ^(٧) خُلِقَ مِنْ مِلِينَتِهِ ،

(١) بدر وأحد : والمغان يبن النبي والمركيين (٣) قوم معاوية . لأن عليا قتل كثيرا منهم
في وقت بدر وأحد (٤) مستنفرة : نافرة (٥) الفسور : الأسد ، والجمع لسوره (٦) الأكياس :
جح كيس ، وهو العاقل (٧) تزيد الحسن والحسين وما ابنا فاطمة .

وتفَرَّعَ عنْ تَبَعَتِهِ ، وَخَصَّهُ بِسَرَّهُ ، وَجَعَلَهُ بَابَ مَدِينَتِهِ^(١) ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ يُؤْيِدُهُ
اللهُ بِعِوْتِهِ ، وَيَضْعِي عَلَى سُنْنِ اسْتِقَامَتِهِ لَا يُعَرِّجُ^(٢) لِرَاحَةِ الْلَّذَّاتِ .

وَهُوَ مُفْلِقُ الْهَامِ ، وَمُكَسِّرُ الْأَصْنَامِ ، إِذَا صَلَّى النَّاسُ مُشْرِّكِ كَوْنَ ، وَأَطَاعَ
النَّاسُ سُرَّابَوْنَ . فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَتَلَ مُبَارِزِيَّ بَدْرَ ، وَأَفْنَى أَهْلَ أَحْدَ ،
وَفَرَّقَ بَجْعَهُ حَوَازِنَ ، فِيمَا لَهَا وَقَائِمٌ زَرَعَتْ فِي قُلُوبِ قَوْمٍ نَفَاقًا ، وَرِدَّةً وَشَفَاقًا !
وَقَدْ اجْهَدَتْ فِي الْقَوْلِ ، وَبَالْفَتْ فِي النَّصِيحَةِ ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : وَاللهِ يَا أَمَّا الخَيْرُ مَا أَرَدْتُ بِهِذَا إِلَّا قُتْلِي ! وَاللهُ لَوْ قُتْلَتُكِ
مَاحِرَّجْتُ^(٣) فِي ذَلِكَ .

قَالَتْ : وَاللهِ مَا يُسُوهُنِي يَا بَنَّ هَذَا أَنْ يُجْزِيَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَى يَدَيِّي مِنْ يُسْعَدِنِي
اللهُ بِشَقَائِنِهِ ، قَالَ : هِيَهَا ، يَا كَثِيرَةَ الْفَضْلِ ! مَا تَقُولِينِ فِي عُمَانَ بْنِ عَفَانَ ؟
قَالَتْ : وَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَ فِيهِ ! اسْتَخَلَفَهُ الْفَاسِدُ وَهُمْ كَارْهُونَ ، وَقُتْلُوهُ وَمِنْ
رَّاضُونَ ، قَالَ : إِيَّاهَا يَا أَمَّا الخَيْرُ ، هَذَا شَنَاؤُكَ الَّذِي تَتَنَبَّئُنِ ؟ قَالَتْ : لَكُنَّ اللَّهُ يَشْهُدُ،
وَكَفِيَ بِاللهِ شَهِيدًا ، مَا أَرَدْتُ بِعُمَانَ هَقْصًا ، وَلَقَدْ كَانَ سَبَاقًا إِلَى الْخِيَرَاتِ ، وَإِنَّهُ
لِرَفِيعِ الْدَّرَجَةِ .

قَالَ : فَمَا تَقُولِينِ فِي طَلْحَةَ بْنِ عَبِيدِ اللهِ ؟ قَالَتْ : وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي طَلْحَةَ ؟
اغْتَبَلَ مِنْ مَأْمَنَهُ ، وَأُتْبِيَ مِنْ حِيثُ لَمْ يَجْذُرْ ؟ وَقَدْ وَعَدَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْجَنَّةَ . قَالَ : فَمَا تَقُولِينِ فِي الرَّبِيعِ ؟ قَالَتْ : يَا هَذَا ؛ لَا تَدَعْنِي كَرَجِيْعَ الصَّبِيْعَ يُعَرِّكُ

(١) لعلها تشير إلى ما يروى عن النبي : أنا مدينة العلم وعلى بابها (٢) لا يرج : لا يغسل .

(٣) ماجرت : ما ألمت .

فِي الْمَرْكَنِ^(١) ، قَالَ : حَتَّى تَقُولَنَّ ذَلِكَ ، وَقَدْ عَزَّتْ^(٢) عَلَيْكَ . قَالَتْ : وَمَا عَسَيْتُ^{*}
أَنْ قُولَ فِي الزَّيْرَابِيِّ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَوَارِيَّهُ^(٣) ؟ وَقَدْ شَهَدَ
لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ ، وَلَقَدْ كَانَ سَبَّاقًا إِلَى كُلِّ مَكْرُمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ .
وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّهِ يَا مَاعَاوِيَّةَ ، فَإِنْ قَرِيشًا تُحَدَّثُ أَنْكَ مِنْ أَهْلِهَا - أَنْ تَسْتَعْنِي
بِفَضْلِ حَلْمِكَ ، وَأَنْ تُؤْمِنَنِي مِنْ هَذِهِ السَّائِلَاتِ ، وَامْفُنِ لِي شَتَّى مِنْ غَيْرِهَا . قَالَ :
نَعَمْ وَكَرَامَةً ، قَدْ أَغْفِيْتُكَ . وَرَدَّهَا مَكْرَمَةً إِلَى بَلْدِهَا .

(١) المَرْكَنُ : الإِناءُ يَفْسُلُ فِيهِ الثِّيَابُ . وَيَمْرُكُ . يَمْكُ . وَالرَّجِيبُ : الرَّدُودُ ، أَيْ لَا تَعْلَمُنِي كَالثَّوْبِ
الْمَصْبُوغُ ، يَمْكُ فِي الإِناءِ مَرَّةً أُخْرَى لِإِخْرَاجِ صِبْغِهِ مِنْهُ ؛ تَشَبَّهُ عَمَّا وَرَأَاهَا وَسُؤَالُهُ لَهَا
مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ لِاستِخْرَاجِ مَا فِي قَسْبَاهَا بِمَا يَفْسُلُ مِنَ الثِّيَابِ الْمَصْبُوغَةِ لِاستِخْرَاجِ صِبْغِهِ مِنْهَا .

(٢) أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ (٢) الْحَوَارِيُّ : نَاصِرُ الْأَنْبِيَاءِ .

* ٤٤ — سُوْدَةُ بْنَتْ عَمَارَةُ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ *

وَفَدَتْ سَوْدَةُ بْنَتْ عَمَارَةُ عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفِيَّانَ، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ فَأَذِنَّ لَهَا.
فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، قَالَ لَهَا: كَيْفَ أَنْتِ يَا سَوْدَةَ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
قَالَ لَهَا: أَنْتِ الْقَاتِلُ يَوْمَ صِفَّيْنَ^(١) :

شَهْرٌ كَفَلَ أَيْكَ يَا بَنَ عَمَارَةَ
يَوْمَ الطَّعَانِ وَمُلْتَقِي الْأَقْرَانِ^(٢)
وَانْصُرْ عَلَيْاً وَالْحَسِينَ وَرَهْطَهُ
وَاقْصِدْ لَهْنِدَ وَابْنِهَا بَهْوَانِ^(٣)
إِنَّ الْإِمَامَ أَخَا النَّبِيِّ مُحَمَّدَ
عَلَمَ الْمَدِي وَمَنَارَةُ الْإِيمَانِ
فَتَهِيَ الْمُخْتُوفَ وَسِرَّ أَمَامَ لَوَاهِ^(٤)
قُدُّمًا بِأَيْضَنَ صَارَمَ وَسَنَانَ^(٥)

قَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ، مَامِنِي مَنْ رَغَبَ عَنِ الْحَقِّ، أَوْ اعْتَذَرَ بِالْكَذْبِ! قَالَ لَهَا:
فَإِنَّ حَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَتْ: حَبَّ عَلَى، وَاتِّبَاعُ الْحَقِّ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أُرِيَ عَلَيْكَ
مِنْ أثْرٍ عَلَى شَيْئًا. قَالَتْ: أَنْشَدَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ مَاتَ الرَّأْسُ وَبُرْزَ الدَّنْبُ،
فَدَعَ عَنْكَ إِعَادَةَ مَا مَاضِيَ، وَنَذَّكَارَ مَا قَدْ نُسِيَ! قَالَ: هَيَّاهَا! لَيْسَ مِثْلُ مَقَامِ
أَخِيكَ يُنْسِي! وَمَا لَقِيتَ مِنْ أَحَدٍ مَا لَقِيتُ مِنْ قَوْمَكَ وَأَخِيكَ! قَالَتْ: صَدَقَ
فُولَكَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ مَا كَانَ أَخِي ذَمِيمَ الْمَقَامِ، وَلَا خَنْقَ الْمَكَانِ، وَلَكِنَّ
كَمَا قَالَتِ النِّسَاءُ :

* المقد الفريد : ١ - ٢١١ ، بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ : ٣٥

(١) هو يوم من أيام الحرب بين علي و معاوية . (٢) القرآن : الأكفاف

(٣) هند : أم معاوية . (٤) المخروف : المثابا . (٥) الصارم : السيف القاطع ، والسنان : سنان الريح .

وَإِنْ سَخْرَاً لِتُؤْمِنُ الْهَدَاةُ بِهِ كَانَهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ
وَبِاللَّهِ أَسْأَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِغْفَانِ مَا اسْتَعْفَفْتُ مِنْهُ إِنَّمَا قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، قَوْلُوا
حَاجِتَكَ إِنَّكَ أَصْبَحْتَ لِلنَّاسِ سَيِّدًا ، وَلِأَمْرِمِ مُتَقْلِدًا ،
وَاللَّهُ سَائِلُكَ عَمَّا افْتَرَضْتَ عَلَيْكَ مِنْ حَقًّنَا ، وَلَا تَزالَ تَقْدُمُ عَلَيْنَا مِنْ يَنْهَى بَعْزُكَ ،
وَيَبْطِشُ بِسُلْطَانِكَ ، فَيَحْصُدُنَا حَصَادَ الشَّبَابِ ، وَيَدُوسُنَا دِيَاسَ الْبَقَرِ ، وَيَسُومُنَا
الْخَيْسَةَ ، وَيَسْلُبُنَا الْجَلِيلَةَ ؛ هَذَا ابْنُ أَرْطَاطَةَ ^(١) قَدْ عَلِيْنَا مِنْ قَبْلِكَ قَتْلُ رِجَالٍ ،
وَاحْذَ مَالِيْ ، يَقُولُ لِيْ : نُوْهِي بِمَا أَسْتَعْفَمُ اللَّهُ مِنْهُ ، وَأَجْلِي إِلَيْهِ فِيهِ ^(٢) ، وَلَوْلَا الطَّاعَةُ
لَكَانَ فِيْنَا عَزْ وَمَنْعَةً ! فَإِنَّمَا عَزْلَتَهُ فَشَكَرْنَاكَ ، وَإِنَّمَا لَا فَعْرَفَنَاكَ !

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : إِيَّاَيِّ تَهَدَّدُ دِينَ بَقْوَمِكَ ! وَاللَّهُ لَقَدْ هَمَتْ أَنْ أَرْدِكَ إِلَيْهِ عَلَى
قَتْبِ أَشْرَقَ ^(٣) ، فَيَنْفَذُ حَكْمَهُ فِيْكَ . فَأَطْرَقَتْ تَبْكِيَ ، ثُمَّ أَنْثَتْ قَوْلَهُ :
صَلَّى إِلَهُ عَلَى رُوحِهِ تَضَّئِنَهُ قَبْرٌ فَأَصْبَحَ فِيْهِ الْعَدْلُ مَدْفُونًا
قَدْ حَالَفَ الْحَقَّ لَا يَبْنِي بِهِ بَدْلًا فَصَارَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مَقْرُونًا
قَالَ لَهَا : وَمَنْ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ :
وَمَا صَنَعَ بِكَ حَتَّى صَارَ عَنْدَكَ كَذَلِكَ ! قَالَتْ : أَبْنِيْهِ يَوْمًا فِيْ رِجَلٍ وَلَا هُوَ صَدَقَانَا ،
فَكَانَ يَنْتَاوِي يَنْهَا مَا بَيْنَ النَّثْرِ وَالسَّمِينِ ، فَوُجْدَتْهُ قَائِمًا يَصْلِي ، فَاقْتُلَ عَنِ الْعِصَلَةِ ^(٤) ،
ثُمَّ قَالَ بِرَأْفَةِ وَتَعْظِفَ : أَلَكَ حَاجَةٌ ؟ فَأَخْبَرَتْهُ خَبَرَ الرَّجُلِ ، فَبَكَ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدِيهِ
إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْتَ الشَّاهِدُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ ، إِنِّي لَمْ أَمْرُهُمْ بِظُلْمٍ حَلَقْتُ

(١) ابن أرطاة : بسر بن أرطاة كان معاوية سره إلى المجاز والبن يقتل شيبة على وأخذ البيعة له.

(٢) تعني أنه بطلب منها أن تتب عليهـ (٣) القتب : الإكاف على قدر سنام البعير ، والمراد نفس البعير بدليل الصفة بهذهـ ، وأشرس : لم يرضـ (٤) اقتل عن صلاته : انصرفـ .

وَلَا يُبَرِّئُ حَقَكُ ؛ ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ جَيْهِ قَطْعَةً مِنْ جَرَابِ ، فَكَتَبَ فِيهِ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . { قَدْ جَاءَ شَكْمُ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ } وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا ^(١) النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَمَدَّ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } . إِذَا أَنْتُكَ كَتَبْتِي هَذَا فَاخْتَفِظْ بِمَا فِي يَدِكَ حَتَّى يَأْتِيَ مِنْ يَقْبِضُهُ مِنْكَ ، وَالسَّلَامُ .

فَأَخْذَتُهُ مِنْهُ يَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا خَرَّمَهُ يَخْزَأَمْ ، وَلَا خَتَمَهُ بَخْتَامَ .

فَقَالَ مَعَاوِيَةَ . أَكْتُبُوا بِالْإِنْصَافِ لِمَا وَالْعَدْلُ عَلَيْهَا . قَالَتْ : أَلِي خَاصَّةُ أُمِّ الْقَوْمِ عَامَةٌ ؟ قَالَ : وَمَا أَنْتِ وَغَيْرُكَ ! قَالَتْ : هِيَ وَاللَّهِ إِذَنْ الْفَحْشَاءُ وَاللَّوْمُ ؛ إِنْ كَانَ عَدْلًا شَامِلاً وَإِلَّا يَسْعَى مَا يَسْعُى قَوْمِي .

قَالَ : هِيَهَا ، لَهَظَكُمْ ^(٢) ابْنُ أَبِي طَالِبٍ الْجَرَأَةُ ، وَغَرَّكَ قَوْلُهُ :

فَلَوْكَنْتُ بُوَابَةً عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقْلَتُ لَهْمَدَانَ ادْخُلُوا بِسَلَامٍ أَكْتُبُوا لَهَا وَلَقَوْمَهَا .

(١) القسط : العدل ، والبخس : النقص والظلم (٢) لهظة : ذوقه .

(٤) — قصص العرب - ٢)

٤٥ — مثلكَ منْ قدرِ ففَا *

لما وليَ معاويةُ الخلافةَ ، وانتظمت إلية الأمور ، وامْتَأْت منه الصدور ، وأذعن لأمره الجهور ، وساعدَه اللهُ في مراده ، استحضر ليلاً خواصَ أصحابه ، وذا كرمه وقائِمَ أيام صفين ، ومنْ كان يتولى كبارَ الكريمةِ منَ المروفيين ، فانهم كانوا في القول الصحيح والمرigious ، وأآلَ حديثهم إلى مَنْ كان يجتهدُ في إيقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحرير . قالوا : امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء^(١) بنت عدى ، كانت تعمدُ الوقوفَ بين الصفوف ، وترفعُ صوتها صارخة : يا أصحابَ على ؟ تسمِّهم كلاماً كالصوارم ، مستحثةً لهم بقولِ لو سمعَه الجبانُ لقاتل ، والمذرُّ لأقبل ، والمسالمُ لحارب ، والفارُّ لكره ، والمتزولُ لاستقر .

قال لهم معاوية : أيكم يحفظُ كلامها ؟ قالوا : كلنا نحفظه . قال : فما تشيرون علىَ فيها ؟ قالوا : نشير بقتلها ، فإنها أهل لذلك . قال لهم معاوية : بشّ ما أشوتُ به ، وقبحًا لما قلت : أيمسّن أن يشتهي عنِّي أنتي بعد ما ذلتُ وقدرتُ قلت امرأة قد وفت لصاحبتها ! إنِّي إذنُ للثيم ، لا والله لا فعلت ذلك أبداً . ثم دعا بكابته فكتب كتاباً إلى واليه بالكوفة : أن أُنفي إلى الزرقاء

* المقى الفريد : ٢١٤-١ ، بلاغات النساء : ٣٧

(١) هي الزرقاء بنت عدى بن غالب بن قيس الهمدانية . من أهل الكوفة ، كانت ذات شجاعة فائقة ، وبلاعنة نادرة ، شهدت مع قومها واقعة صفين ، ولها عدة خطب تحرض الناس فيها على القتال ضد معاوية :

بنت عدى ، مع نفرٍ من عشيرتها وفُرسانٍ من قومها ، ومهذّبٌ لها وطاءً ليناً ومركبًا ذَلِولاً .

فَلَمَا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا . قَالَتْ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ :

مَا أَنَا بِزَانِثَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ . فَعَلِمَتْهَا فِي هَوْدَجٍ ، وَجَعَلَ غِشَاهَ خَزَّاً مِبْطَنًا ، ثُمَّ أَحْسَنَ صُخْبَتَهَا .

فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مَعَاوِيَةَ ، قَالَ لَهَا : سَرِحْبَاً وَأَهْلَاً ! خَيْرٌ مَقْدَمٌ قَدِيمٌ وَافْدُ .
كَيْفَ حَالَكَ يَا خَالَة ؟ وَكَيْفَ رَأَيْتِ سِيرَكَ ؟ قَالَتْ : رِيبَةَ ^(١) بَيْتٌ أَوْ طَفَلَةَ مَهْدَأً .
قَالَ : بِذَلِكَ أَمْرٌ نَاهٌ . هَلْ تَعْلَمِنِ لِمَ بَعْثَ إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ : وَأَنَّى لَيْ بَلَمْ مَلَمْ أَعْلَمْ ؟
لَا يَعْلَمُ الرَّيْبَ إِلَّا اللَّهُ سَبَحَهُ وَتَسَاءَلَ . قَالَ : أَلْسِتِ الرَاكِبَةُ الْجَلِلُ الْأَحْمَرُ يَوْمَ
صِفَفَيْنِ وَأَنْتِ بَيْنَ الصَّفَوْفَ تَوَدَّدِينِ نَارَ الْحَرْبِ ، وَتَحْرُضِينِ عَلَى الْقَتَالِ ؟ قَالَتْ :
نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَلَّكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ قَدْ مَاتَ الرَّأْسُ وَبَرَّ
الْذَّنَبُ ، وَلَنْ يَمُودَ مَا ذَهَبَ ، وَالدَّهَرُ ذُو غَيْرِ ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ ، وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ
بَعْدِ الْأَمْرِ .

قَالَ : صَدِقْتِ ، فَهَلْ تَعْرِفِينَ كَلَامَكَ وَتَحْفَظِينَ مَا قَلْتَ ؟ قَالَتْ : لَا وَاللَّهُ ، وَلَقَدْ
أُنْسِيْتَهُ . قَالَ : لِلَّهِ أَبُوكَ ! فَلَقَدْ سَمِعْتَكَ تَقُولِينِ : أَيْهَا النَّاسُ ، ارْعَوْهَا وَارْجِعُوهَا !
إِنَّكُمْ أَصْبَحْتُمْ فِي فِتْنَةٍ غَشْتَكُمْ جَلَابِيْبَ الظُّلْمِ ، وَجَارِتْ بِكُمْ عَنْ قَصْدِ الْمَحَاجَةِ ،
فِيهَا لَهَا فِتْنَةٌ عَيْنَاءَ صَمَاءَ بَكَاءَ ؛ لَا تَسْمَعُ لِنَاعِيقَهَا ، وَلَا تَسْلِسُ لِقَائِهَا !
إِنَّ الْمَصْبَاحَ لَا يَضِيُّ فِي الشَّمْسِ ، وَإِنَّ السَّكَوَاكَبَ لَا تَنْيِرُ مَعَ الْقَنْرِ ، وَإِنَّ
الْبَغْلَ لَا يَسْبِقُ الْفَرْسَ ، وَلَا يُقْطَعُ الْحَدِيدُ إِلَّا بِالْحَدِيدِ ، أَلَا مَنِ اسْتَرْشَدَنَا أَرْشَدَنَا ،
وَمَنْ سَأَلَنَا أَخْبَرَنَا !

(١) الْرَّيْبُ : الْمَلَكُ وَالْبَدْ .

أيها الناس ، إن الحقَّ كان يطلب ضالَّته فأصابها . فصبراً يا مشر المهاجرين
والأنصار على النُّصْح ! فكأنكم وقد التأمْ شملُ الشَّتَّات ، وظهرت كلة العدل ،
وغلَبَ الحقُّ باطله . فإنه لا يستوي الحقُّ والبطل . أفنَّ كان مؤمناً كمنْ كان
فاسقاً ! لا يستوون . فالنِّزَالُ النِّزَال ، والصَّبَرُ الصَّبَر ! ألا إن خِضَابَ النساء
الْخَنَاء ، وخِضَابَ الرجال النساء . والصَّبَرُ خَيْرُ الأمور عاقبة ، انتوا الحرب غير
ناكفين ؟ فهذا يومُ له ما بعده !

ثم قال : يا زَرقاء ، أليس هذا قولك وتحريضك ؟ قالت : لقد كان ذلك ! قال :
لقد شاركتِ علياً في كلِّ دَمٍ سفكه . قالت : أحسن الله بشارتك أمير المؤمنين ،
وأدام سلامتك ، فذلك منْ بَشَرٍ بخير ، وسَرَّ جليسه .

قال معاوية : أو يسرُّكِ ذلك ؟ قالت : نعم ، والله لقد سرفني قولك ، وأتى لي
بتصديق الفعل ! فضَحِّكت معاوية وقال : والله لو قاتلوكم له بعد موته أعجبُ عندي
من حبكم له في حياته ؟ اذْكُرِي حاجتك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ؟ إني آلت
على نفسي ألا أسأل أحداً أَعْنَتُ عليه أبداً . قال : قد أشار على بعض من عرفك
بِقَتْلِك . قالت : لُؤُمٌ من المشير ، ولو أطعته لشاركته . قال : كلاماً ، بل نفعو
عنك ، ونحسن إليك ونرْعاك . قالت : يا أمير المؤمنين ، كرمٌ منك ومثلُك من
قدرِ ففا ، وتجاوز عن أساء ، وأعطي من غير مسألة .

فأعطاه كسوة ودراماً ، وأقطعها ضيعة تُغْلِقَ^(١) لها في كل سنة عشرة
آلاف درهم ، وأعادها إلى وطنها سالمة ، وكتب إلى والي الكوفة بالوصية
بها وبعشيرتها .

(١) نقل : تفتح .

* ٤٦ - نَهِكُمْ عَلَىَّ!

يروى أن عَكْرِشَةَ بنتَ الأطْرَشَ دخلتْ على معاوية مُتَوَكِّلةً على عَكْرَازِ
لها، فسلَتْ عليه بخلافة، ثم جلست، فقال لها معاوية: الآن صِرْتُ عندي
أمير المؤمنين! قالت: نعم، إذ لا علىَّ حِي؟ قال: أَسْتَعِنُ التَّقْلِيدَ حَامِلَ السيفِ
بِصَفَّيْنِ^(١) وأَنْتَ وَاقِفَةٌ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ تقولين:

أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ أَنْفَسْكُمْ لَا يَضْرُوكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا هَدَيْتُمْ؛ إِنَّ الْجَنَّةَ
لَا يَحْزُنُ مِنْ قَطْنَاهَا، وَلَا يَهْرُمُ مِنْ سَكَنَاهَا، وَلَا يَمُوتُ مِنْ دُخُلَهَا؛ فَابْتَاعُوهَا بَدَارِ
لَا يَدُومُ نَيْمُهَا، وَلَا تَنْصَرِمُ هُوَمُهَا. وَكُونُوا قَوْمًا مُسْتَبَصِّرِينَ فِي دِينِهِمْ،
مُسْتَظْهِرِينَ عَلَىَّ حَقِّهِمْ.

إِنَّ معاوية دَلَّ إِلَيْكُمْ بِعَجمِ الْعَربِ، لَا يَفْقَهُونَ الإِيمَانَ، وَلَا يَدْرُونَ
مَا الْحَكْمَةَ، دَعَاهُمْ إِلَى الْبَاطِلِ فَأَجَابُوهُ، وَاسْتَدْعَاهُمْ إِلَى الدُّنْيَا فَلَبَثُوهُ، فَاللهُ اللَّهُ
عِبَادُ اللَّهِ فِي دِينِ اللَّهِ! وَإِلَيْكُمْ وَالْتَّوَكِّلَ فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْقُضُ عُرْواَ الْإِسْلَامِ، وَيُطْفِئُ
نُورَ الْحَقِّ. هَذِهِ بَذْرُ الصُّغْرَى، وَالْعَقَبَةُ الْآخِرَى. يَا مُعْشَرَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؛
امضُوا عَلَى بَصِيرَتِكُمْ، وَاصْبِرُوا عَلَى عَزِيزِكُمْ، فَكَانَتِ بَكُمْ غَدًا وَقَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ
الشَّامَ كَالْحُمُرِ النَّاهِقَةِ، تَقْصَعُ قَصَعَ الْبَعِيرِ^(٢).

* بِلَاغَاتُ النِّسَاءِ : ٤١ ، الْقَدْرِيُّدِ : ٢١٦-١

(١) موضع قرب الرقة بشاطئِ الفرات كانت به الواقعة المظلمة بين على و معاوية في غرة صفر
سنة ٣٧ هجرية (٢) يقال: قصع البعير بجرته يقصع قصما: مصفها.

م قال : فكأنّي أراكِ على عصايكِ هذه قد انكفاً^(١) عليكِ العسْكَران
يقولون : هذه عِنْرِشة بنت الأطروش ، فإن كدتِ لَغَفِيلَين^(٢) أهل الشام لولا
قدرُ الله ، وكان أَسْرُ الله قَدْرًا مقدورًا ، فما حلكِ على ذلك ؟

قالت : يا أميرَ المؤمنين ؟ يقول الله جل ذكره : { يَعْلَمُهُمُ الَّذِينَ آتَيْنَا
لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءِ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْوِيْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ
تُبَدِّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ } . وإن الليبَّ إذا كَرِه أَسْرًا لا يحبه
إعادته .

قال : صَدَقْتِ ، فاذكُرى حاجتك . قالت : كانت صدقاتُنا تُؤخذ من
أغنيائنا فتردُ على فقرائنا ، وقد فقدنا ذلك ، فما يُجْبِرُ لنا كسير ، ولا يُنْعَشُ لنا
فقير ، فإن كان عن رأيكِ فِيمَلْكَ من انتهِ من الفلة وراجِم التَّوْبَة ، وإن كان
من غيرِ رأيكِ فما مِثْلُكَ من استئمانَ بالخوَانِةِ ، ولا استعملَ الظَّلَمةَ .

قال معاوية : يا هذه ؟ إنه يَنْوَه بنا عن أُمورِ رعيَّتنا نُورٌ تتفتقُ ؛ وبمحورٌ
تدفقُ . قالت : سبحانَ الله ! واللهِ ما فرضَ اللهُ لنا حقًا بُغْلٌ فيه ضرَارًا لغيرنا
وهو عَلَامُ الْغَيُوبِ . قال معاوية : هيهات يأهلَ العراق ! نَبْهَكُمْ على
فلن نُطَاقوْنا :

نم أَسْر بِرَدَّ صَدَقَاتِهِمْ فِيهِمْ وَإِنْصَافِهِمْ .

(١) انكفاً : درجع (٢) فل الجيش : هزمه .

* ٤٧ - وهل أُحْلَى عندك مُحَلٌ على *

حجّ معاویة سنة من سنّیه ، فسأّل عن امرأة من بنی کنانة كانت تنزّل بالحجّون^(١) ، يقال لها : دارِمیة الحجّونیة ، وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فأخبرت سلامتها ، فبصّرها فجيء بها . فقال : ما حالك يا بنتاً حامٍ ؟ قالت : لست حامٍ إن عيْنَتِنی ؛ إنما أنا امرأة من بنی کنانة ثُمَّتَ من بنی أبیك . قال : صدقت ، أندربن لم بعثت إليك ؟ قالت : لا يسلّمُ الغیبَ إِلَّا اللَّهُ . قال : بعثت إليك لأسألك : عَلَامَ أَحَبَّتِ عَلَيَا وَأَبْخَضْتِنِي ، وَوَالْيَتِهِ وَعَادِيَتِنِي ؟ قالت : أَوْ تغفینی يا مَسِيرَ الْمُؤْمِنِینَ ؟ قال : لا أُغفیك . قالت : أما إذ أبیت ، فإِنِّي أَحَبَّتِ عَلَيَا عَذْلَهُ فِي الرُّعْيَةِ ، وَقَسَمَهُ بِالسُّوَيْةِ ، وَأَبْخَضْتِكَ عَلَى قَتْلِ مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْكَ بِالْأَمْرِ ، وَطِلْبَتِكَ^(٢) مَا لِي لَكَ بِحَقِّ ، وَوَالْيَتِهِ عَلَيَا عَلَى مَا عَقَدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الْوَلَاءِ ، وَعَلَى جَهَّهِ الْمَسَاکِينِ ، وَإِعْظَامِهِ لِأَهْلِ الدِّينِ ؛ وَعَادِيَتِكَ عَلَى سَفْكِكَ الدَّمَاءِ ، وَشَقْكَ الصَّاصَ ، وَجَوْرَكَ فِي الْقَضَاءِ ، وَحَكْكَ بِالْمَوْىِ .

قال : فَلَذِكَ اتَّفَخْ بَطْنُكَ ! قالت : ياهذا ؟ بِهِنْد^(٣) وَاللَّهُ كَانَ يُضَرِّبُ المثل فِي ذَلِكَ لَأَبِي . قال معاویة : ياهذه ، ارْبَعَی^(٤) ، فَإِنَا لَمْ نُقْلِ إِلَّا خَيْرًا . فَرَجَمَت وَسَكَنَت .

* المقد الفريد : ١ - ١٣٢ ، سبع الأععنی : ١ - ٢٥٩ ، بلاغات النساء : ٦٧

(١) الحجون : جبل عكة (٢) الطلبة : الطلب (٣) هند : أم معاویة (٤) ربم : وقف وانتظر وتحبس .

قال لها : ياهذه ، هل رأيتِ علياً ؟ قالت : إى والله لقد رأيته . قال : فكيف رأيته ؟ قالت : رأيته والله لم يغتنمه الملكُ الذي فتنك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك . قال : هل سمعتِ كلامه ؟ قالت : نعم والله ، كان يَجْلُو القلوب . من العمي ، كا يجلو الزيتُ الصدا .

قال : صدقت ، فهل لك من حاجة ؟ قالت : أو تفعل إذا سألك ؟ قال : نعم .
قالت : تعطيني مائة ناقة حراء فيها فحلها وراعيها . قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : أغذو بآلبانها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، وأكتسب بها السكادم ، وأصلاح بها بين العشائر . قال : فإن أعطيتك ذلك فهل أَحْلُّ عندك محل على ؟ قالت : ماء ولا كَصَّادَاء^(١) ، ومَرْعَى ولا كالسَّعْدان^(٢) ، وفتى ولا كَالِك^(٣) ، سبحان الله !
أو دُونه ؟ فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أَعْذِنْ بالحلم مني عليكم فنِّي الذي بعدِي يُؤْمِلُ للحِلم !
خذِيها هنيئاً ، واذْكُرى فلَّ ماجدِي جزاك على حرب المداواة بالسُّلْمِ
ثم قال : أما والله لو كان على ثِيَماً ماؤتَعَاكَ منها شيئاً ، قالت : لا والله ولا
وَبَرَّةً واحدة من مال المسلمين !

(١) صداء : عين لم يكن عندهم ماء أَعْذَبُ من مائها (٢) اسْمَدَان : نبت ذو شوك ، وهو من أفضل مراعى الإبل (٣) قاله ستم بن فويرة في أخيه مالك لما قتل في الردة ، والأمثال الثلاثة تقرب للنبي ، يفضل على أقرانه .

٤٨ — نَبَّهَتْنِي كَلَابِكُ *

استأذنت بـكـارـة المـلاـيـة عـلـى مـعـاوـيـة بنـأـبـي سـفـيـان فـأـذـن لـهـاـ . وـهـوـ يـوـمـئـذـ بالـمـدـيـنـةـ . وـعـنـدـهـ مـرـوانـ بـنـ الـحـكـمـ ، وـعـرـوـنـ بـنـ الـعـاصـمـ . فـدـخـلـتـ عـلـيـهـ ، وـكـانـتـ اـمـرـأـةـ قـدـ أـسـنـتـ ، وـعـيـشـيـ(١) بـصـرـهـاـ ، وـضـعـفـتـ قـوـيـهـاـ ، تـرـعـشـ بـيـنـ خـادـمـيـنـ لـهـاـ ، فـسـلـمـتـ وـجـلـسـتـ ، فـرـدـ عـلـيـهـاـ مـعـاوـيـةـ السـلـامـ . وـقـالـ : كـيـفـ أـنـتـ يـاخـلـةـ ؟ فـقـالـتـ : بـخـيـرـ يـاـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ ! قـالـ : غـيـرـكـ الـدـهـرـ . قـالـتـ : كـذـلـكـ هـوـ ذـوـغـيرـ(٢) ، مـنـ عـاشـ كـيـرـ ، وـمـنـ مـاتـ قـبـرـ ! قـالـ عـرـوـنـ بـنـ الـعـاصـمـ . هـىـ وـالـهـ الـقـائـلـةـ يـاـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ . يـوـمـ صـيـفـيـنـ :

يـازـيـدـ دـونـكـ فـاحـتـرـمـ دـارـنـاـ سـيـفـاـ حـسـامـاـ فـيـ التـرـابـ دـفـيـنـاـ(٣)

قـدـ كـنـتـ أـذـخـرـهـ لـيـومـ كـرـيـهـ فـالـيـومـ أـبـرـزـهـ الـزـمـانـ مـصـوـنـاـ(٤)

قال مروان : هـىـ وـالـهـ الـقـائـلـةـ يـاـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ :

أـتـرـىـ اـبـنـ هـنـدـ لـلـخـلـافـةـ مـالـكـاـ هـيـهـاتـ ذـاكـ . وـإـنـ أـرـادـ بـعـيدـ(٥)

مـنـتـكـ نـفـسـكـ فـيـ الـخـلـاءـ ضـلـالـةـ أـغـرـاكـ عـرـوـنـ اللـثـقـاـ وـسـعـيـدـ

قال سعيد بن العاص : هـىـ وـالـهـ الـقـائـلـةـ :

قـدـ كـنـتـ أـلـمـعـ أـنـ أـمـوتـ وـلـأـرـىـ فـوـقـ النـابـرـ مـنـ أـمـيـةـ خـاطـبـاـ

* بـلـاغـاتـ النـسـاءـ : ٤٠ ، الـقـدـ الفـرـيدـ : ١ - ٢١٢

(١) عـشـيـ بـصـرـهـاـ : ضـعـفـ (٢) غـيـرـ الـدـهـرـ : أـحـوـالـهـ الـتـنـبـيـهـ (٣) اـحـتـرـ الشـيـهـ : قـاهـ كـاـتـحـفـ الـأـرـضـ بـالـمـدـيـنـةـ (٤) أـدـخـرـهـ (٥) أـيـ مـاـوـيـةـ .

فَإِنَّمَا أَخْرَجَنِي فَقْطًا وَالْأَوْلَى حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الْزَمَانِ مَجَابًا
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلزَّمَانِ خَطِيبُهُمْ بَيْنَ الْجَمِيعِ لَا لَأَحَدَ عَابِرًا
ثُمَّ سَكَنُوا إِذْ قَالَتْ بَكَارَةٌ : نَبَحَثْنِي كَلَابِكِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاعْتَوْرْتِنِي^(١) ،
عَصْرُ مُخْجَفٍ^(٢) ، وَكَثُرَ عَجَبِي ، وَعَشَى بَصْرِي .
وَأَنَا وَاللَّهِ قَاتِلُهُ مَا قَالُوا ، لَا أُدْفَعُ ذَلِكَ بِتَكْذِيبٍ ، وَمَا خَنِيَ عَلَيْكَ مِنِّي أَكْثَرُ ،
فَامْضِ لِشَأْنِكَ ، فَلَا خَبَرٌ فِي الْعِيشِ بَعْدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَضَحِكَ مَعَاوِيَةُ ، وَقَالَ :
لَيْسَ يَعْنُونَا ذَلِكَ مِنْ بَرَكَةٍ . اذْكُرْنِي حَاجَتِكَ : قَالَتْ : أَمَا الْآنَ فَلَا .

(١) اعتورتنى : تناوبتنى (٢) المجنون : الصا المتقوفة الرأس .

٤٩ - أُرْوَى بنت الحارث *

دخلت أُرْوَى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية ، وهي عجوز ، فلما رأها معاوية قال : سرحباً بكِ وأهلاً ياعنة ! فكيف كنتِ بعدنا ؟ قالت : يابنَ أخي ؛ لقد كفرتَ بالنعمـة ، وأسأـتَ لابنِ عـمك^(١) الصـحـبة ، وـتـسـمـيـتـ بـغـيرـ اسمـكـ ، وأخذـتـ^(٢) غـيرـ حـقـكـ ، منـ غـيرـ بـلـاءـ كـانـ مـنـكـ وـلـاـ مـنـ آـبـائـكـ ، وـلـاـ سـابـقـةـ فيـ إـلـاسـلـامـ ، بـعـدـ أـنـ كـفـرـتـ بـرسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، فـأـنـسـ^(٣) اللـهـ مـنـكـ الجـدـودـ ، وـأـضـرـعـ مـنـكـ الـخـدـودـ ، وـرـدـ الـحـقـ إـلـىـ أـهـلـهـ ، وـلـوـ كـرـهـ الـمـشـرـكـونـ !

وـكـانـ كـلـتـنـاـ هـيـ الـعـلـيـاـ ، وـبـنـيـنـاـ ، صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ هوـ الـمـنـصـورـ عـلـىـ مـنـ نـاوـهـ ، وـلـوـ كـرـهـ الـمـشـرـكـونـ ؛ فـكـنـاـ - أـهـلـ الـبـيـتـ - أـعـظـمـ النـاسـ فـيـ الدـيـنـ حـظـاـ وـنـصـيبـاـ وـقـدـراـ ، حـتـىـ قـبـضـ اللـهـ نـبـيـهـ ، فـوـلـيـتـ عـلـيـنـاـ مـنـ بـعـدـهـ ، وـتـحـجـجـونـ بـقـرـابـتـكـ مـنـ رـسـولـ اللـهـ ، وـنـحـنـ أـقـرـبـ إـلـيـهـ مـنـكـ ، وـأـوـلـىـ بـهـذـاـ الـأـمـرـ ، فـكـنـاـ فـيـكـ بـعـزـةـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ فـيـ آـلـ فـرـعـوـنـ ؛ وـكـانـ عـلـيـهـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ - رـحـمـهـ اللـهـ - بـعـدـ بـنـيـنـاـ بـعـزـةـ هـارـونـ مـنـ مـوـسـىـ ؛ فـغـايـتـنـاـ الجـهـةـ ، وـغـايـتـكـمـ النـارـ .

وقـالـ لهاـ عمـروـ بـنـ العاصـ : كـلـفـيـ أـيـتـهـ العـجـوزـ الضـالـةـ ! وـأـقـصـرـيـ عـنـ قـوـلـكـ ، وـغـضـيـ منـ طـرـفـكـ !

* المقد الفريد : ١ - ٢١٩ ، بلاغات النساء : ٣٢ .

(١) تزيد على بن أبي طالب (٢) تشير إلى أخذ هذه الخلقة (٣) أنس : أمك ، أو أعز . والجدود : المظلومون .

قالت : وأنت يا عمرو تتكلم ! اعنَّ بشأنِ نفسك ؛ فوالله ما أنت من قريش
فاللُّبَابُ من حَسَنِها ، ولا كِرْمٌ من نصِّها . وأمْكَنَتْ أَشْهَرَ امرأةً لُّفَنَّى بِعَكَةَ ،
وآخَذَهُنَّ لِأَجْرَةَ !

قال مروان : كُفِّي أَيْتُهَا الْمَجُوزُ ، وَأَقْصَرِي لِمَا جَهَّتِ لَهُ . قالت: وأنت أيضاً
يابن الزرقاء تتكلم ! ثم التفتَ إلى معاوية فقالت : والله ماجراً على هؤلاء غيرُك !
وإِنْ أُمِكَ القائلة في قُتل حزة :

نَحْنُ جَزِينَا كُمْ يَوْمَ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سُعْدٍ
مَا كَانَ عَنْ عُقْبَةَ نَبِيٍّ مِنْ صَبَرٍ أَبِي وَعِيٍّ وَأَخِي وَصِهْرِي^(١)
شَفِيتَ وَحْشَنِيٌّ غَلِيلَ صَدْرِي شَفِيتَ نَفْسِي وَقَضَيْتَ نَدْرِي^(٢)
فَشُكْرُ وَحْشَنِيٌّ عَلَى دَهْرِي حَتَّى تَرَمَّ أَعْطَنِي فِي قَبْرِي

قال معاوية لمروان وعمرو : ويلكما ! أنتما عرضتُمْ لها وأسمعتمَا ما أَكْنَزْتُهُ ،
ثم قال لها : ياعنة ! اقصدى تَصْدُ حاجتك ، ودعى عنكِ أسطير النساء ، قالت :
تأمر لى بألفي دينار ، وألفي دينار ، وألفي دينار ! قال : ماتصنعين ياعنة بألفي دينار ؟
قالت : أشتري بها عيناً خَرْخَارَة^(٣) في أرضِ خوارَة^(٤) ، تكون لولد الحارث
ابن عبد المطلب ! قال : نعم الموضعُ وضعتها ؟ فما تصنعين بألفي دينار ؟ قالت :
أستعين بها على عُسْنَةِ المدينة ، وزيارة بيت الله الحرام ! قال : نعم الموضعُ وضعتها ؟
فاصنعين بألفي دينار ؟ قالت : أزَوَّجْ بها فتيان عبد المطلب من أكفاءهم . قال :
نعم الموضعُ وضعتها ! هي لكِ !

(١) ذات سعر ؟ من سعر الحرب : أودعها (٢) تشير إلى من قتل من بنى أمية يوم بدر

(٣) وحشى : قاتل حزب يوم أحد (٤) خرخارة : عين ماء جارية (٥) خوارة : منخفضة ،
والراد : أرض للزراعة ليست وعرة .

ثُمَّ قَالَ لَهَا : وَاللَّهِ لَمْ كَانَ عَلَيْهِ مَا أَمْرَ لَكِ بِهِ ! قَالَتْ : صَدَقْتَ ، إِنَّ عَلَيْهِ أَدَى
الْأَمَانَةِ ؛ وَعَمِلَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَأَخْذَ بِهِ ، وَأَنْتَ ضَيَّعْتَ أَمَانَتَكَ ، وَخَنَّتَ اللَّهَ فِي مَالِهِ ،
فَأَعْطَيْتَ مَالَ اللَّهِ مِنْ لَا يَسْتَحْقُهُ ، وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْحُقُوقَ لِأَهْلِهَا وَبَيْنَهَا ،
فَلَمْ تَأْخُذْ بِهَا ؟ وَدَعَانَا عَلَىٰ إِلَيْهِ أَخْذَ حَقْنَا الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ لَنَا فَشَفَلَ بِعْرَبَكَ عَنْ
وَضْعِ الْأَسْوَرِ مَوَاضِعُهَا ! وَمَا سَأْلَتَكَ مِنْ مَالِكِ شَيْنَا (١) فَتَمَّنَّ بِهِ ؛ إِنَّمَا سَأْلَتَكَ مِنْ
حَقْنَا ، وَلَا نَرَى أَخْذَ شَيْءًا غَيْرَ حَقْنَا : أَتَذَكَّرُ عَلَيْهَا قَضَاهُ اللَّهُ فَاكِثُ اثْمَ عَلَىٰ أَبْيَهَا
وَقَالَتْ :

أَلَا يَاعِينُ وَيَمْلِكُ أَسْعَدِنَا أَلَا وَابْكِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
رُزِينَا خَيْرٌ مِّنْ رَكْبِ الْمَطَالِيا وَفَارِسَهَا وَمَنْ رَكَبَ السَّفِينَا (٢)
وَمَنْ لَبِسَ النَّعَالَ أَوْ احْتَدَاهَا وَمَنْ قَرَأَ الْمَثَانِي وَالْمَثَنِينَا (٣)
فَأَمْرَ لَهَا بِسْتَةَ آلَافِ دِينَا وَقَالَ لَهَا : يَا عَمَّةَ ؛ أَنْفَقَ هَذِهِ فِيمَا تَحْبِبِينَ ، فَإِذَا
احْتَجَتِ فَاكْتُبِي إِلَى ابْنِ أَخِيكِ يُحْسِنَ صَدَقَكِ (٤) وَمَوْنَتَكِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِ

(١) رُزِينَا : أَصْبَنَا (٢) الْمَثَانِي : آيَاتُ الْقُرْآنَ (٣) الصَّنَدَ : الْمَطَاهِ .

٥٠ - أم سنان تشكومروان *

حَبَسْ مُرْوَانَ^(١) بْنَ الْحَكْمَ ، وَهُوَ وَالْمَدِينَةُ غَلَامًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ ، فِي جَنَاحِيَةِ
جَنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ ، فَأَتَتْهُ جَدَّةُ الْفَلَامَ - وَهِيَ أُمُّ سَنَانَ بَنْتِ خَيْشَمَةِ الْمَذْهَجِيَّةِ - فَكَلَمَتَهُ
فِي الْفَلَامَ ، فَأَغْلَظَهَا ؛ فَخَرَجَتْ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَاتَّسَبَتْ لَهُ فَرَفَهَا ،
فَقَالَ لَهَا : مَرْحَباً يَا بَنْتَ خَيْشَمَةَ ؟ مَا أَقْدَمْتِ أَرْضَنَا وَقَدْ عَهْدْتَكِ تَشَتَّتَيْنَ^(٢) قُرْبَى ،
وَتَحْصِينَ^(٣) عَلَى عَدُوِّي !

قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنَّ لَبْنَيْ عَبْدِ مَنَافِ أَخْلَاقًا طَاهِرَةً ، وَأَحْلَامًا وَافِرَةً ،
لَا يَجْهَلُونَ بَعْدَ عِلْمٍ ، وَلَا يَسْفَهُونَ بَعْدَ حِلْمٍ ، وَلَا يَنْتَقِمُونَ بَعْدَ عَنْوَةَ ، وَإِنَّ أُولَئِكَ النَّاسَ
بَاتِبَاعِ مَاسِنَ آبَاؤُهُ لَأَنَّتِ . قَالَ : صَدَقْتِ اَنْحَنَ كَذَلِكَ ، فَكَيْفَ قَوْلُكَ^(٤) :

عَزَّبَ الرُّقَادُ ، فَقُلْتَيْ لَا تَرْقُدُ
وَاللَّيْلُ بُصْدِرُ بِالْمَمُومِ وَبُورُدُ^(٥)
يَا آلَ مَذْحَاجَ لَا مُقَامَ فَشَرَّوا
إِنَّ السَّدْرَ لَآلِ أَحَدَ يَقْصِدُ
هَذَا عَلَىٰ كَالْهَلَالِ تَحْفَهُ
وَسُطَّ السَّمَاءِ مِنَ الْكَوَاكِبِ أَسْعَدُ^(٦)
خَيْرُ الْخَلَاقِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ
إِنْ يَهْدِكُمْ بِالنُّورِ مِنْهُ تَهْتَدُوا
مَا زَالَ مُذْ شَهِيدَ الْحَرُوبَ مَظْفَرًا
وَالنَّصْرُ فَوْقَ لِوَانَهُ مَا يَقْدَدُ

* العقد الفريد : ١ - ٢١٤ ، بلاغات النساء : ٦٨

(١) ولد مروان بن الحكم سنة ٢ هـ وأسلم أبوه الحكم يوم الفتح، فنشأ مروان مسلماً، وكتب
لهما في خلافته، وولى لمعاوية المدينة مرات، وبويع بالخلافة ولكن لم تصل مدة فيها ويات
سنة ٦٥ هـ (٢) تشثنين قري: تبعضين (٣) تحضين: تحضرتين (٤) يذكرها بقولها في المرب
التي كانت بينه وبين علي بن أبي طالب لأنها كانت من شيعة علي (٥) عزب: بعد (٦) سعود
الجعوم عشرة: منها سعد النابع وسعد السعود. وهي تشير إلى صحابة علي.

قالت : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ؟ وأرجو أن تكون لنا خلقة ! فقال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين ، وهى القائلة أيضا ؟

إِمَّا هَلَكَتْ أُبَا الْحَسِينِ فَلَمْ تَرَأْنِ
بِالْحَقِّ تُعْرَفْ هَادِيَ مَهْدِيَا
فَأَذْهَبَ، عَلَيْكَ صَلَوةُ رَبِّكَ مَادَعَتْ
فُوقَ الْفَصُونِ حَمَلَةُ قَرِيَا^(١)
أَوْصَى إِلَيْكَ بَنًا، فَكَنْتَ وَفِيَا
قَدْ كَنْتَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ خَلْقًا كَما
فَالْيَوْمِ لَا خَلَقَ يُوَمَّلُ بَعْدَهُ إِنْسِيَا

قالت : يا أمير المؤمنين ؟ لسانه نطق ، وقول صدق ، وللن تتحقق فيك ما ظننا ،
خَلَقْتَ الْأُوْفَرَ ، وَاللهُ مَا وَرَثْتَ الشَّنَآنَ^(٢) فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا هُولَاءِ ، فَأَذْهَبْتَ
مَقَاتِلَهُمْ ؛ وَأَبْعَدْتَ مُنْزَلَتْهُمْ ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ تَرَزَّدَ مِنَ اللهِ قَرِبًا ، وَمِنَ
الْمُؤْمِنِينَ حُبًّا .

قال : وإنك لتهولين ذلك ! قالت : يا سبعان الله ! والله ما مثلك مُدح بياطل ،
ولا اعتذر إليه بكذب ؛ وإنك لتعلم ذلك من رأينا ، وضمير قلوبنا .

كان والله على أحب إلينا منك ، وأنت أحب إلينا من غيرك . قال : من ؟
قالت : من مروان بن الحكم ، وسعید بن العاص . قال : ومَمَّا استحققتُ ذلك
عندك ؟ قالت : بِسْمَةُ حِلْمَكَ ، وَكَرِيمُ عَفْوكَ . قال : فَإِنَّهَا يَطْمَعَانَ فِي ذَلِكَ ؟
قالت : ها والله من الرأى على مثل ما كنتَ عليه لعمان بن عفان رحمه
الله تعالى^(٣) .

قال : والله لقد قاربتَ ؛ فما حاجتك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ؟ إن مروان
تَبَنَّكَ^(٤) بِالْمَدِينَةِ تَبَنَّكَ مَنْ لَا يَرِيدُ مِنْهَا الْبَرَاحَ ، لَا يَحْكُمُ بَعْدَلَ ، وَلَا يَقْضِي بَسْتَهَ ، يَتَبَعَّ

(١) القرى : نوع من الحمام (٢) الشنآن : البغض (٣) تزيد أنهاها . يأملن الخلافة بعدك كما
كنت تأملها بعد عثمان (٤) تبنك : أقام .

عثراتِ الدين ، ويكشفُ عَوْرَاتَ الْمُؤْمِنِينَ ، حبس ابن ابى فاتیتُه ،
قال : كدتِ و كنتِ ، فالقمعُه أخشنَ من الحجر ، وألقتُه أمرَ من الصبر ،
ثم رجمتُ إلَى نفسي باللامنة ، وقلت : لم لا أصرف ذلك إلَى من هو أولى منه
بالعفو عنه !

فأبْيَتُك يا أميرَ المؤمنين ؟ لتكون في أسرى ناظراً ، وعليه مُعْدِيَا^(١) . قال :
صدقتِ ، لا أسألكِ عن ذنبه ، ولا عن القيام بمحاجته ، اكتبوا لها بإطلاقه .
قالت : يا أميرَ المؤمنين ؟ وأئَّى لى بالرَّجُمة^(٢) ! وقد نِفَدَ زادِي ، وكَلَّتْ راحلتي !
فأمر لها برحلة وخمسة آلاف درهم .

(١) مُعْدِيَا : معيناً ناصراً (٢) الرج . الرجوع .

٥١ - ليلي الأخيلية عند معاوية*

يَنِّا معاویة يسیر إِذ رأى راكباً ؛ فَقَالَ لِبَعْضِ شُرَطِهِ : اثْنَى بِهِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَرَوْعَهُ^(١) فَأَتَاهُ فَقَالَ : أَجْبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : إِيَّاهُ أَرْدَتُ.

فَلَا دَنَا الرَّاكِبُ حَدَرَ^(٢) لِنَامَهُ ، فَإِذَا لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ^(٣) ، فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

مَاوَى لَمْ أَكَدْ آتَيْكَ تَهْوِي
بِرْحَلٍ نَحْوَ سَاحِنَكَ الرَّاكِبُ
تَجْبُوبُ الْأَرْضَ نَحْوُكَ مَا تَانَى^(٤)
إِذَا مَا الْأَكْمَمُ^(٥) قَنَعَهَا السَّرَابُ
وَكَسَّتَ الْمَرْتَبِيَّ ، وَبَكَ اسْتَعَاذَتْ
لِتُنْعِشَهَا إِذَا بَخَلَ السَّحَابُ

فَقَالَ : مَا حَاجَتِكَ ؟ قَالَتْ : لَيْسَ مَثْلِي يَطْلَبُ إِلَى مَثْلِكَ حَاجَةً ، فَتَخَيَّرَتْ .

فَأَعْطَاهَا خَسِينَ مِنَ الْأَبْلَلِ ، ثُمَّ قَالَ : أَخْبِرِنِي عَنْ مَضْرِرِكَ . قَالَتْ : فَاتِرِ^(٦) بَمْضَرَ ،
وَحَارِبَ بَقِيسَ ، وَكَانَ زَبَقِيسَ ، وَنَاظَرَ بَأْسَدَ . فَقَالَ : وَيَمْلِكُ بِاللَّيْلِ ؟ أَكَيْقُولُ النَّاسَ
كَانَ تَوَبَّةً ؟ قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَقُولُونَ حَقًا ! النَّاسُ شَجَرَةٌ
بَنَفِي^(٧) يَحْسُدُونَ النَّمَمَ حِيثُ كَانَتْ ، وَعَلَى مَنْ كَانَتْ ، وَلَقَدْ كَانَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَبَطَ^(٨)
الْبَنَانَ ، حَدِيدَ الْأَلْسَانَ ، شَجَنَ لِلْأَقْرَانَ ، كَرِيمَ الْخَبَرَ ، عَفِيفَ الْمِنْزَرَ ، جَيْلَ الْمَظَرَ ،

* الأغاني : ١٠ - ٧٤ ، مذهب الأغاني : ٤ - ٢٣٩ ، زهر الآداب : ٤ - ٧٣

(١) تروعه : تفزعه (٢) حدر الشيء : أزله (٣) هي ليلي الأخيلية بنت عبد الله ؛ من بنى الأخيل بن عامر ؛ من النساء المتقدمات في الشعر، هو بها توبية بن الحمير ، وخطبها إلى أبيها ، فأبى أن يزوجها ليه . توفيت نحو سنة ٨٠ هـ (٤) تأنى : تأنى (٥) الأكم : جمع أكمة : الموضع يكون أشد ارتفاعاً من غيره (٦) سبط البنان : سخى .

وهو يا أمير المؤمنين كا قلت له . قال : وما قلت له ؟ قالت : قلت ولم أندع الحق وعليه فيه :

يُبَدِّلُ السَّدَى لَا يَبْلُغُ الْقَوْمُ شَأْوَهُ
الله^(١) مِلَّةٌ يُغَلِّبُ الْحَقَّ بِاطْسَلَهُ
إِذَا حَلَّ رَكْبُ فِي ذَرَاهٍ وَظَلَّهُ
لِيَنْعَمُهُمْ مَا تَرَفَّافَ نَوَازِلَهُ
حَامُمْ بِنَصْلِ السَّيْفِ مِنْ كُلِّ تَفَادِحٍ يَخَافُونَهُ حَتَّى تَوَتَّ خَصَائِلَهُ^(٢)
قال معاوية : ويحيى يا يليل ! يزعم الناس أنه كان عامراً فاجرًا ! فقالت من ساعتها مرتجلة :

جَوَادًا عَلَى الْعَلَاتِ جَئَ نَوَافِلَهُ^(٣)
تُحَايَفُ كَفَاهُ النَّدَى وَأَنَّا لَهُ
جِيلًا مَحْيَاهُ قَلِيلًا غَوَانِلَهُ
لَدِيهِ ، أَنَّاهُ تَبَلِّهُ وَفَوَاضَلَهُ
عَلَى الضَّيْفِ وَالْجِيرَانِ أَنَّكَ قَاتِلُهُ
إِذَا مَا لَيْمَى الْقَوْمُ ضَاقَتْ مَنَازِلَهُ
وَيُضْحِي بِخَيْرِ ضَيْفِهِ وَمَنَازِلَهُ
مَعَاذَ اللهِيْ قَدْ كَانَ - وَاللهِ - تُوبَةُ
أَغْرِيَ خَنَاجِيَا يَرَى الْبُخْلَ سَبَبَهُ^(٤)
عَفِيَّا بِيَدِ الْمَمِ صُلْبَا قَنَاهُ
وَكَانَ إِذَا مَا الضَّيْفُ أَرَغَى بَعِيرَهُ
وَقَدْ عَلِمَ الْجَوْعُ الَّذِي كَانَ سَارِيَا
وَأَنَّكَ رَحْبُ الْبَاعِ يَاتُوبَ بِالْقَرَبِيِّ
يَبْيَسْتَ قَوْرِ العَيْنِ مَنْ كَانَ جَارَهُ

قال لما معاوية : ويحيى يا يليل ! لقد جُزِّتْ بِتُوبَةِ قدره ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين
والله لو رأيته وخبرته لعلمت أنني مقصورة في نعمته ؛ لا أبلغ كُنْهَ ماهو أهلها ! فقال لها
معاوية : في أي سن كان ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ؟

(١) اللد : شدة المصومة (٢) المصيلة : كل لحة فيها عصب (٣) جوادا على العلات : أى على كل حال (٤) خناجة : حى من بنى عامر .

أنته المسايا حين تم تمامه وأقصر عنه كل قرن يُصاوله
وصار كليث الغاب يحمي عرينه فرضى به أشغاله وحلائه
عطوف حليم حين يطلب حلمه وسم زعاف لا تصاب مقاتله
فأمر لها بجازة ، وقال : أى ماقلت فيه أشعر ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ؟ ماقلت
شيئا إلا والذى فيه من خصال الخير أكثر ، ولقد أجدت حيث أقول :
جزى الله خيراً - والجزاء بكتبه فتى من عقيلي ساد غير مكلف
فتى كانت الدنيا تهون بأسرها عليه فلم ينفك يوم التصرف
يقال عليهات الأمور بهونه إذا هي أعنيت كل خرق مشرف ^(١)

(١) المونة : الرفق والسهولة. الخرق : السخى أو النزيف في سخاوة . مشرف : جعل له شرف .

* ٥٢ — أم *

دخل ابنُ الزَّيْدِ^(١) على أَمِّهِ^(٢) حين رأى من الناس مادًى من خِذْلَانِهِمْ ،
فقال : يَا أَمِّهِ ؛ خَذْلَنِي النَّاسُ حَتَّى وَلَدِي وَأَهْلِي ، فَلِمَ يَقِنَ مَعِي إِلَّا يُسِيرُ بِمَنْ لِي سِرْ
عِنْدَهُ مَعَ الدَّفْعِ أَكْثُرُ مِنْ صَبْرِ سَاعَةٍ ، وَالْقَوْمُ يُعْطُونِي مَا أَرْدَتُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَا
رَأَيْتِكِ ؟

فَقَالَتْ : أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنِي أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ ؟ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَإِلَيْهِ
تَدْعُ فَأَنْصِرِي لَهُ ، قَدْ قُتِلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُكَ ، وَلَا تَمْكَنُ مِنْ رَقْبَتِكَ يَتَعَبَّبُ بِهَا
غَلَانُ بَنِي أُمَّيَّةَ ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أَرْدَتَ الدُّنْيَا فِيْنِي الْمُبْدُأْتَ ! أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ
وَأَهْلَكْتَ مَنْ قُتِلَ مَعَكَ . وَإِنْ قُلْتَ : كُنْتُ عَلَى حَقٍّ ، فَلَمَّا وَهَنَ أَصْحَابُ ضَعْفَتْ ؟
فَهَذَا لِيْسَ فَعْلَ الأَحْرَارِ ، وَلَا أَهْلَ الدِّينِ ... وَكَمْ خَلُودُكَ فِي الدُّنْيَا ! الْقُتْلُ أَحْسَنُ !
وَاللَّهُ لِضَرْبَةٍ بِالسِّيفِ فِي عِزٍّ أَحْبَبَ إِلَيْهِ مِنْ ضَرْبَةٍ بِسُوطِ ذَلِكَ . قَالَ : إِنِّي أَ...
إِنْ قُتْلَنِي أَنْ يُتَنَلُّوْ بِي ! قَالَتْ : يَا بَنِي ؟ إِنَّ الشَّاةَ لَا يَضْرُرُهَا سَلْخُهَا بَعْدَ ذَبْحِهَا .

فَدَنَابِنُ الزَّيْدِ ، قَبِيلَ رَأْسَهَا ، وَقَالَ .هَذَا وَاللَّهِ رَأَيْتِ ؟ وَالَّذِي قُتِلَ بِهِ دَاعِيًّا إِلَى
يَوْمِ هَذَا ، مَارَكَنْتُ إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَا أَحْبَبْتُ الْحَيَاةَ فِيهَا ، وَمَا دَعَنِي إِلَى الْخَرْوَجِ إِلَّا

* تاريخ الطبرى : ٧ - ٢٠٣ ، بِلَاغَاتُ النَّسَاءِ : ١٣٠ ، العَقْدُ الْفَرِيدُ : ٢ - ٢٧١

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام ؛ طلب الخليفة بعد موت يزيد بن معاوية ، وبوبهم له في
المجاز والعراق والین ، ومكث خليفة تسع سنوات ، ثم حاصره الحاج عسكراً . وقتل سنة ٤٧٣
(٢) هي أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وهي من قريش ، من فضليات نساء العرب ، وأخت
ماشة لأنها توفيت سنة ٤٧٣ . وهذه المخواورة كانت حين حاصر الحاج ابن الزبير في مكة ،
وحيث خذل عبد الله أعوانه .

الغضبُ أَنَّ اللَّهَ تُسْتَحِلُّ حُرْمَهُ ، وَلَكُنَّ أَحَبْتُ أَنْ أَعْلَمْ رأِيْكِ ، فَزَدْتِنِي
بصيرةً مَعْ بَصِيرَتِي ، فَانظُرْنِي يَا أَمَّةَ فَإِنِّي مُقْتَولٌ مِنْ يَوْمِ هَذَا ، فَلَا يَشْتَدَّ حَزْنُكَ هُوَ
وَسُلْطَنُ لِأَمْرِ اللَّهِ ؛ فَإِنَّ ابْنَكَ لَمْ يَسْتَدِّ إِتْيَانَ مُنْكَرٍ وَلَا هُنْلَا بِفَاحِشَةٍ ، وَلَمْ يَجْزُءْ فِي حُكْمِ
اللَّهِ ، وَلَمْ يَغْدِرْ فِي أَمَانٍ ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ ظُلْمًا مُسْلِمًا وَلَا مُعَاهَدًا ، وَلَمْ يَلْفَغْ ظُلْمًا عَنْ عَالَىٰ
فَرَضَيْتُ بِهِ ، بَلْ أَنْكَرْتُهُ ؟ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ آثَرَ عَنْدِي مِنْ رَضَا رَبِّي ؟ اللَّهُمَّ إِنِّي
لَا أَقُولُ هَذَا تَرْكِيَةً مَنِ لِنَفْسِي ؟ أَنْتَ أَعْلَمُ بِي وَلَكُنْ أَقُولُهُ تَعْزِيزَةً لِأَمِّي لِتَسْلُو عَنِّي .
قَالَتْ أُمُّهُ : إِنِّي لَأَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ عَزَافِي فِي كُلِّ حَسْنَاتِي إِنْ تَقْدِمْنِي ،
وَإِنْ تَقْدِمْنِي فَفِي نَفْسِي حَرَجٌ حَقِيقٌ أَنْفَرَ إِلَيْهِ بَصِيرَةُ أَمْرِكَ . قَالَ : جَزَاكِ اللَّهُ
بِأَمْمَهُ خَيْرًا ؛ فَلَا تَدْعُ الدُّعَاءَ لِي قَبْلًا وَبَعْدًا . قَالَتْ : لَا أَدْعُهُ أَبْدًا ، فَنَقْتِلُ عَلَىٰ
بَاطِلٍ فَقَدْ قُتِلْتَ عَلَىٰ حَقِيقَةٍ ! ثُمَّ قَالَتْ : اللَّهُمَّ ارْسِمْ طَوْلَ ذَلِكَ الْقِيَامَ فِي الظَّلَيلِ الطَّوِيلِ ،
وَذَلِكَ النَّحِيبُ وَالظَّلَمُ فِي هُوَاجِرِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، وَبِرِّهِ بَايِهِ وَبِي ، اللَّهُمَّ قَدْ سَلَّمْتُهُ
لِأَمْرِكَ فِيهِ ، وَرَضِيتُ بِمَا قَضَيْتَ فَأَنْتَ بِنِيفِي فِي عَبْدِ اللَّهِ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ الشَّاكِرِينَ .
ثُمَّ وَدَعَهَا وَخَرَجَ ، وَلَمْ يَلْبِسْ أَنْ قُتُلَ رَحْمَةُ اللَّهِ !

٥٣ — التلطُّف في السؤال *

دخلت امرأة من هوازن على عبيد الله بن أبي بكرة ^(١)، فوقفت بين الشمائلين ^(٢)، وجعلت تُنظِّر وجهها صرفة، وتسْتَهِي أخرى؛ فلما أبصرها عالم أنّ لها حاجة؛ فقال جلسائه . ماعليكم أن تقوموا حتى تقول هذه المرأة حاجتها .

فتقديمت ، وقالت : أصلح الله الأمير إني أتيتك من أرض شاسعة ، ترفعني رافعة ، وتختضنني واضعة ؛ للمات قد أكلن لحي ، وبَرَيْنَ عظى فضاف بي البلد العريض . وقد جئت بلداً لا أعرف فيه أحداً ، لا قرابة تكثُّنني ، ولا عشيرة تعرفني ، بعد أن سالت أحياء العرب : من المرجو نائله ، المعلق سائله ؟ فأتسلستُ إليك ، ودُللتُ عليك ؛ وأنا - أصلحت الله - امرأة قد هلك عنها الوالد ، وذهب عنها الطارف والتاليد ، ومثلث بسد الخللة ، ويزبح العلة ؟ فإما أن تحسن صدقي ^(٣) وتقيم أودي ، وإما أن ترددتى إلى بلدى ! فقال : بل أجمع لك كل ما ذكرت . ثم أمر لها عشرة آلاف درهم ، وزاد وكسوة وراحلة .

* غر المصالح الوضحة : ١٦٥

(١) عبيد الله بن أبي بكرة كان أجل الناس وأشجعهم ، ولاه الحجاج سجستان سنة ٧٨ هـ ، ومات هناك (٢) السلطان : الصفار (٣) الصند : الطاء .

٥٤ — نساء بنى تميم *

قال الشعري : قال لي شرحبيل^(١) : يا شعري ؛ عليك بنساء بنى تميم ، فلأنهن النساء ! قلت : وكيف ذاك ؟ قال : انصرفت من جنازة ذات يوم مُطهرا^(٢) ، فررت بدور بنى تميم ، فإذا امرأة جالسة في سقيفة^(٣) على وسادة ، ونجاها جارية رؤودة^(٤) ، ولما ذُوابة على ظهرها كاحسن من رأيت من الجواري ، فاستستقيت - وما بي من عطش - قالت : أى الشراب أحبب إليك ؟ أنتي أم الدين أم الماء ؟ قلت : أى ذلك تيسّر عليك . قالت : اسقوا الرجل لبناً فإني إخاله غريبًا . فلما شربت نظرت إلى الجارية فأعجبتني ، قلت : من هذه ؟ قالت : ابنتي ، قلت : ورمنن ؟ قالت : زينب بنت حمير ، إحدى نساء بنى تميم . قلت : أفارغة أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة . قلت : أتزوجينها ؟ قالت : نعم ، إن كنت كفتاً ، ولما عم فاقصده .

وانصرفت إلى منزلي لأقيل فيه ، فامتنعت من القائلة^(٥) ، فأرسلت إلى إخواني القراء^(٦) ، ووافيت معهم صلاة العصر ، فإذا عثثا جالس ، فقال : أبا أمية !

* مذهب الأغاني : ٣ - ٨٠ ، المستطرف : ٧ - ١٩ ، العقد الفريد : ٤ - ٨٠ ، الأغاني : ١٦ - ٣٦ (طبعة الساسي)

(١) هو شرحبيل بن الحارث . أدرك الماجاهيلية ، واستقضاه عمر بن الخطاب على الكوفة ، فأقام بها عاصيًّا مدة طويلة لم يتعطل فيها إلا ثلات سنتين في فتنة ابن الزبير امتنع من القضاء فيها ، وكان أعلم الناس بالقضاء ، ذا فضلة وذكاء ومحنة ، وعقل وإصابة ؟ كما كان شاعرًا عسناً . توفي سنة ٨٧ هـ (٢) أظہر : دخل في الظہیره . والظہیره : حد اتصاف النهار (٣) السقيفة : الموضع النظلل (٤) الرؤودة : الشابة الحسنة (٥) القائلة : نصف النهار ، وقال قيلاً : نام فيه .

(٦) جع قاري ، وهم الذين يقررون القرآن ويتعلمهونه .

Hajatka , قلت : إلَيْك . قال : وما هى ؟ قلت : ذُكِرْتْ لِي بنتُ أخِيك زينب ،
 فقال : مابهَا حمل رغبة ، ثم زوَّجنيها . وما بلنتُ مُنْزَلَ حق ندمتُ وقلت :
 تزوجت إلى أغلفظ العرب وأجفتها ! ثم همت بطلاقها ، ولكن قلت : أجمعُها إلى ،
 فإن رأيت ما أحبب : وإنما طلاقتها .

ثم مكثت أياماً حتى أقبل نساوها يهادينها^(١)، ولما دخلت قلت. يا هذه؛
إن من السنة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يُصلّى ركعتين وتصلّى ركعتين ، ويسألا
الله خير ليتهما ويتغورّذا به من شرّها . فتوضأتْ فإذا هي تتوضأ بوضوئي ،
وصلّيت فإذا هي تصلّي بصلاتي ، ولما قضينا الصلاة قالت لي : إنّي امرأة غريبة ،
وأنتَ رجل غريب لا علم لي بأخلاقك ، فيبين لي ما تحبّ فاتّيه ، وما تكره
فأُنجزر عنّه . قلت : قدمت خير مقدم ؟ قدمت على أهل دارِ زوجك سيدرجالهم ،
وأنت سيدة نسائهم ، أحبّ كذا وأكره كذا ، وما رأيت من حسنة فابثنيها ،
وما رأيت من سيئة فاستريها .

قالت : أخبرني عن أختك ^(٣) أحب أن ينوروك ؟ قلت : إن رجل قاض
وما أحب أن تملؤني . قالت : فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ، ومن
تكرهه أكرمه ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء .
وأقت عندها ثلاثة ؛ ثم خرجت إلى مجلس القضاة ؛ فكفت لا أرى يوما
إلا وهو أفضل من الذي قبله ؛ حتى إذا كان رأس الح Howell دخلت منزل امرأة عجوز
تامر وتهى . قلت : يازينب ؟ من هذه ؟ قالت : أمي فلانة . قلت : حياك الله

(١) يقال : تهادت المرأة إذا غابت في مشيتها ، وكل من فعل ذلك بأحد فهو يهاديه .

(٤) الحنف : الصهر ، أو كل من كان من قبل المرأة .

بِالسَّلَامُ، قَالَتْ: أَبَا أُمِيَّةَ؟ كَيْفَ أَنْتَ وَحَالُكَ؟ قَلْتَ: بِخِيرٍ، أَحَدُ اللَّهِ. قَالَتْ: أَبَا أُمِيَّةَ، كَيْفَ زَوْجُكَ؟ قَلْتَ: كَغِيرِ امْرَأَةٍ، قَالَتْ: إِنَّ الْمَرْأَةَ لَا تُرْى فِي حَالٍ أَسْوَى خُلُقًا مِنْهَا فِي حَالَيْنِ: إِذَا حَظِيتْ عَنْدَ زَوْجِهَا، وَإِذَا وَلَدَتْ غَلَامًا، فَإِنَّ رَابِّكَ مِنْهَا رَبُّ الْوَرَهَاءِ^(١) مِنَ الْمُتَدَلِّلَةِ^(٢).

قَلْتَ: أَشَهِدُ أَنَّهَا ابْنَتُكَ، فَقَدْ كَفَيْتَنِي الرِّيَاضَةُ، وَأَحْسَنْتَ الْأَدْبَرَ. قَالَتْ: أَنْبِحْ أَنْ يَزُورُكَ أَخْتَانُكَ؟ قَلْتَ: مَتَى شَاءُوا.

قَالَ شَرِيعٌ: فَكَانَتْ كُلُّ حَولٍ تَأْتِينَا وَتَوَصِّيَّنَا تِلْكَ الْوَصِيَّةَ، ثُمَّ تَنْصَرِفُ. وَمَكْثَتْ مَعَ زَيْنَبِ عَشْرِينَ عَامًا، فَاغْضَبَتْ عَلَيْهَا قَطُّ إِلَّا سَرَّةً كَنْتُ هَافِيْهَا طَلَلًا^(٣).

(١) الْوَرَهَاءُ: الْحَقَاءُ (٢) يَقُولُ: تَدَلَّلَتِ الْمَرْأَةُ عَلَى زَوْجِهَا؛ إِذَا أَرَتْهُ جَرَاهَةً عَلَيْهِ كَانَهَا تَخَالَّهُ وَمَا بَهَا خَلَافَ.

(٣) قَدْ رَوَوْا أَنْ شَرِيعًا رَأَى رِجَالًا يَضْرِبُ امْرَأَهُ فَقَالَ: رَأَيْتَ رِجَالًا يَضْرِبُونَ نِسَاءً فَشَلَّتْ يَمِينُهُ يَوْمَ أَضْرَبَ زَيْنَبًا أَضْرَبَهَا فِي غَيْرِ جَرْمِهِ أَنْتَ بِهِ إِلَى فَأَعْنَرَ إِذَا كَنْتَ مَذْنَبًا فَتَاهَ تَرْبَنَ الْحَلَاتِ مِنْ حَلْبَتِهِ كَلَّتْ بِهَا السُّكُونُ خَالَطَ بَعْلًا

٥٥ - ليلي الأخِيلية عند الحجاج *

قال مولى من المولى : كدت أدخل مع عَنْبَسَةَ بن سعيد ^(١) بن العاص إذا دخل على الحجاج ؛ فدخل يوماً ، فدخلت إليهما ، وليس عند الحجاج أحد إلا عنْبَسَة ؟ فأقعدني ، فيفي إلى الحجاج يطهقي فيه رُطب ، فأخذ الخادم منه شيئاً ، سفاهني به ثم جيء بطبق آخر ، حتى كثُرت الأطباق ، وجعل لا يأتون بشيء إلا جاءني منه بشيء ، حتى ظنت أن ما بين يديه أكثر مما عندما .

ثم جاء الحاجب ؟ فقال : امرأة بالباب ؟ قال له الحجاج : أدخلها ، فدخلت ، فلما رأها الحجاج طأطاً رأسه حتى ظنت أن ذقنه قد أصاب الأرض ؟ فجاءت حتى قدمت بين يديه ؟ فنظرت فإذا امرأة قد أست ، حسنةُ الخلُق ، ومعها جاريتان لها ، وإذا هي ليلي الأخِيلية .

فسألها الحجاج عن نفسها فانتسبت له ؛ فقال لها : يا ليلي ؟ ما أتي بك ؟ قالت إخلاف ^(٢) النجوم ، وقلةُ الغيوم ، وكَلَب ^(٣) البرد ، وشدة الجهد ؛ وكنت لنا بعد الله الرفق ^(٤) .

* الأمالي : ١ - ٨٦ : زهر الأداب : ٤ - ٧٦ ، مصارع المشاق : ١٨٥ ، الأغاني : ١٠ - ٧٨ (طبعة الساسي) ، فوات الوفيات : ٢ - ١٧٦ ، المحسن والأضداد : ٢٤٦ ، سبط الآلى : ١ - ٢٨٠ ، أشعار النساء : ٣ - ٣٧

(١) كان عنْبَسَةَ آثر الناس عند الحجاج ، وكان على جانب عظيم من البخل ، وله فيه أخبار طريفة (٢) إخلاف النجوم ؟ تزيد : أخلفت النجوم التي بها يكون المطر فلم تأت بعطر

(٣) كلب المطر : شدته (٤) الرفق . المرونة والطيبة .

قال لها : صن لنا الفِجاج^(١) ، فقالت : الفِجاج مُغبَّة ، والأرض مُعشَّرة ، والبرك^(٢) مُعْتَل ، ذو العيال مُعْتَل^(٣) ، وأهالك لِقْل^(٤) ، والناس مُسْتَنْعُون^(٥) ، رحمة الله يَرْجُون ؛ وأصابتنا سِنُون بُخِيْفَة^(٦) مُبْلِطَة^(٧) ، لم تَدْعْ لنا هَبَّما^(٨) ولا رَبَّما^(٩) ، ولا نافِطة ، أذْهَبْتِ الأموال ؛ ومزقت الرجال ، وأهلكت العيال .

ثم قالت : إِنِّي قلت في الأمْرِ فَوْلًا ، قال : هاتي ، فأنشأْتَ تقول :

أَحْجَاج لَا يُفْلِنْ سَلَاحُك ^(١٠) إِنَّهَا أَ	مَنَابِي بِكَبْتَ اللَّهَ حِيثُ تَرَاهَا
أَحْجَاج لَا تُفْطِي الْمُصَّاَةَ مُنَاهِمُ	وَلَا إِنَّهُ يُعْطِي لِلْمُصَّاَةَ مُنَاهِمُ
إِذَا هَبَطَ الْحِجَاجُ أَرْضًا مَرِيْضَةً	تَتَبَعُ أَنْفُسِي دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْمُعَسَّالِ الَّذِي بَهَا	غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَّاَةَ سَقَاهَا
سَقَاهَا فَرَوَاهَا بِشْرَبِ سِجَالَه ^(١١)	دَمَاءُ رِجَالٍ حِيثُ مَالَ حَشَاهَا
إِذَا سَمِعَ الْحِجَاجُ رِزَّ ^(١٢) كَتِيْبَةً	أَعْدَّهَا قَبْلَ النَّزْلَهِ قَرَاهَا
أَعْدَّهَا مَسْمُومَةً فَارِسِيَّةً	بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْلِبُونَ صَرَاهَا ^(١٣)
فَا وَلَدَ الْأَبْكَارُ وَالْعُونُ ^(١٤) مُثَلَّهَ	بِسْرٍ وَلَا أَرْضٍ يَجْفَ ثَرَاهَا

(١) الفِجاج : جمع فج و هو الطريق الواسم بين جبلين (٢) البرك : أرادت الإبل ؟ فأقامت البرك مكانها (٣) ذو العيال مُعْتَل : أي عحتاج ، والملة : الحاجة (٤) أهالك لِقْل : من أجل القلة (٥) مُسْتَنْعُون : متحطرون (٦) السِّنُون بُخِيْفَة : التي تجحف بالقون قتلوا وإنساناً للأحوال ، أو مضره باللال (٧) مُبْلِطَة : ملامة بالباطل ؟ تزيد مهلكة (٨) المُبْهِم : ماتج في الصيف ، والربيع : ماتج في انتريه (٩) النافِطة : الصأن ، والنافطة : الماعزة (١٠) السلاح : يذكر ويؤثر (١١) السِّجَال : جمع سجل ، وهو اللو الطليمية (١٢) الرِّزْ : الصوت تسمعه من بعيد (١٣) الصرى : البقية . قال في النسط عند تفسير هذا البيت : تعنى نصال الرماح والسيام كأنها مسقية ، من أصابته لم ينج منها (١٤) العون : جمع عوان ، وهي التي كان لها زوج .

فَلَمَا قَالَتْ هَذِهِ الْبَيْتُ ، قَالَ الْحَجَاجُ : قَاتَلَهَا اللَّهُ ! وَاللَّهُ مَا أَصَابَ صَنْقَى شَاعِرٍ
مَذْ دَخَلَتُ الْعَرَاقَ غَيْرَهَا .

ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى عَبْسَةَ بْنِ سَعِيدٍ ، قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْدُ لِلأُمْرِ عُدْتَهُ ، عَسَى
أَلَا يَكُونُ أَبْدًا . ثُمَّ التَّفَتَ إِلَيْهَا ، قَالَ : حَسْبُكَ !

قَالَتْ : إِنِّي قَدْ قَلْتُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ! قَالَ : حَسْبُكَ ، وَبِحَكْكَ ! حَسْبُكَ .

ثُمَّ قَالَ : يَا غَلامُ ؛ اذْهَبْ إِلَى فَلَانٍ ؛ فَقُلْ لَهُ : اقْطُعْ لِسانَهَا ، فَذَهَبْ بِهَا ،
قَالَ لَهُ : يَقُولُ لَكَ الْأَمِيرُ : اقْطُعْ لِسانَهَا !

فَأَمْرَسْ يَا حَضَارَ الْحَجَاجَ ؛ ثُمَّ التَّفَتَ إِلَيْهِ قَالَتْ : نِكِيلَتَكَ أُمُّكَ ! أَمَا سَمِعْتَ
مَا قَالَ ! إِنَّمَا أَمْرُكَ أَنْ تَقْطُعَ لِسَانِي بِالصَّلَةِ ، فَبِعِثْ إِلَيْهِ بِسْتَنْتِيْتِهِ ؛ فَاسْتَشَاطَ الْحَجَاجُ
غَضْبًا ، وَمَّا بَقْطَعَ لِسانَهُ ، وَقَالَ : ارْدُدْهَا . فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَالَتْ : كَادَ اللَّهُ
يَقْطُعُ مَقْوِلِي ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقْوِيلَ :

حَجَاجُ أَنْتَ الَّذِي مَا فَوَقَهُ أَحَدٌ إِلَّا اخْلَفَهُ وَالسَّتَّفَرُ الصَّمَدُ
حَجَاجُ أَنْتَ شَهَابُ الْحَرْبِ إِنْ تَقْعِدْ^(١) وَأَنْتَ لِلنَّاسِ نُورٌ فِي الدُّجَاهِ يَقِدُ
ثُمَّ أَقْبَلَ الْحَجَاجُ عَلَى جَلَانَهُ قَالَ : أَنْدَرُونَ مَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : لَا وَاللَّهِ أَيْمَأُها
الْأَمِيرُ ، إِلَّا أَنَا لَمْ نَرَ قَطُّ أَفْصَحْ لِسَانَأَ ، وَلَا أَحْسَنَ مَحاوِرَةً ، وَلَا أَمْلَحَ وجْهًا ،
وَلَا أَرْصَنَ شَعْرًا مِنْهَا .

قَالَ : هَذِهِ لَيْلَ الْأَخْيَلِيَّةُ ، الَّتِي مَاتَ تَوْبَةَ الْخَفَاجِيُّ مِنْ جَهَاهَا ، ثُمَّ التَّفَتَ
إِلَيْهَا ؛ قَالَ : أَنْشَدَنَا يَا لَيْلَ بَعْضَ مَا قَالَ فِيكَ تَوْبَةً .

(١) أَصْلَهُ مِنْ لَقْحَتِ الْإِبْلِ ؛ إِذَا حَلَتْ . وَالْمَرْبُ إِذَا عَظَمَتْ تَوْلَدُهَا الْأَمْوَرُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ
تَنْتَسِبْ (الْمَزَانَةُ - ١ : ٤٢٦)

قالت : نعم أيتها الأميرة ، هو الذي يقول :

وهل تَبْكِينَ لِلَّيْلَ إِذَا مُتَ قَبْلَهَا
كَمْ أَصَابَ الْمَوْتُ لِلَّيْلِ بَكَيْتُهَا
وأَغْبَطُ مَنْ تَنَاهَى بِمَا لَا أَنْلَهُ
ولَوْ أَنَّ تَنَاهَى الْأَخْيَلَيَةَ سَلَتْ
لَسْلَمَتْ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ رَفَقا
إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَانِعُ
فَقَالَ : زَيَّدَنَا مِنْ شِعْرِهِ يَالِيلِ ، قَالَتْ : هُوَ الَّذِي يَقُولُ :

حَمَامَةَ بَعْنَى الْوَادِيَيْنِ تَرْتَمِي
أَيْنِي لَنَا ، لَا زَالَ رِيشُكِ نَاعِمًا
وَكُنْتُ إِذَا مَا زَرْتُ لِلَّيْلِ تَبَرَّقْتُ
وَقَدْ رَابَنِي مِنْهَا صَدُودَ رَأْيِهِ
وَأَشْرِيفَ بِالْقُورِ (٤) الْيَنَاعَ لِعَنِي
يَقُولُ رِجَالٌ : لَا يَصِيرُكِ نَائِيْهَا
بِلِّي أَكْلَ مَا شَفَ (٥) النُّفُوسَ يَصِيرُهَا
وَيُعْنِيْهَا نُومَهَا وَسِرْوَرُهَا
لِنَفْسِي تَقَاهَا ، أَوْ (٦) عَلَيْهَا فَجُورُهَا
وَقَدْ زَعَمْتُ لِيْلِي بِأَنِّيْ فَاجِرٌ

فَقَالَ الْمُحَاجِجُ : يَالِيلِ ؟ مَا الَّذِي رَابَهُ مِنْ سُفُورِكِ ؟ فَقَالَتْ : أَيْهَا الْأَمِيرُ ؛ كَانَ
يُلْمِ بِكَثِيرًا ؛ فَأُرْسَلَ إِلَيْهِ يَوْمًا : إِنِّي آتَيْتُكِ ، وَفَطِينَ الْحَىِ ؛ فَأَرْصَدَوَالَّهُ ، فَلَمَّا

(١) سافح: منصب (٢) القوادي: جمع غادية، وهي السحابة تنشأ غدوة (٣) بسورها: عبوتها

(٤) القور: جمع قارة، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء: واليَّناع كحاجب: التل (٥) شفة
الم: هزله. أو هنا بمعنى الواو.

أتاني سَرْفَتْ عن وجهي، فلم أَنْ ذلِك لشَرْ ؟ فلم يزد على التسليم والرجوع .
 فقال : إِنَّهُ دُرُّك ! فهل رأيْتَ مِنْهُ شَيْئاً تَكْرِهُنَّهُ ؟ قَالَتْ : لَا وَالَّذِي أَسْأَلُهُ
 أَنْ يَصْلِحَكُ ، غَيْرَ أَنْهُ قَالَ مَرَةً قُولًا ظنَّتْ أَنَّهُ قَدْ خَضَعَ لِبَعْضِ الْأَمْرِ ، فَأَنْشَأَتْ
 أَقْوَلَ :

وَذِي حَاجَةٍ قَلَنَا لَهُ لَا تَبْخُبْ بَهَا فَلِسْ إِلَيْهَا مَاحِيدَتْ سَبِيلُ
 لَنَا صَاحِبْ لَا يَبْنِي أَنْ نَخْوَنَهُ وَأَنْتَ لِآخْرِي صَاحِبْ وَخَلِيلٌ
 فَلَا وَاللهُ الذِّي أَسْأَلُهُ أَنْ يَصْلِحَكُ مَا رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئاً ، حَتَّى فَرَقَ الْمَوْتَ يَبْنِي
 وَيَبْنِي . قَالَ : ثُمَّ مَاهُ ؟ قَالَتْ : ثُمَّ لَمْ يَلْبِثْ أَنْ خَرَجَ فِي غَزَّاءِ لَهُ ، فَأَوْصَى ابْنَ عَمَّ لَهُ :
 إِذَا أَتَيْتَ الْحَاضِرَ مِنْ بَقِيَّ عِبَادَةِ ، فَنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِكِ
 هَذَا اللَّهُ عَنْهَا ، هَلْ أَيْتَنَّ لَيْلَةَ مِنَ الدَّهْرِ لَا يُسْرِي إِلَى خَيَالِهَا !
 وَأَنَا أَقْوَلُ :

وَعِنْهُ عَفَارِبِي وَأَحْسَنَ حَالَهُ فَرَزَتْ عَلَيْنَا حَاجَةً لَا يَنْأِلُهَا
 قَالَ : ثُمَّ مَاهُ ؟ قَالَتْ : ثُمَّ لَمْ يَلْبِثْ أَنْ مَاتَ ؛ فَأَنْتَانَا نَعْيَهُ .
 قَالَ : أَنْشَدِينَا بَعْضَ مَرَاثِيكَ فِيهِ ، فَأَنْشَدَتْ
 لَتَبْكِي الدَّارَى مِنْ خَفَاجَةَ نِسْوَةً^(١) بِمَاءِ شَوْنَ الْعَبرَةِ التَّحَدُّرِ
 قَالَ لَهَا : فَأَنْشَدِينَا ؟ فَأَنْشَدَتْهُ :
 كَانَ فَتِي الْفَتِيَانَ تَوْبَةً لَمْ يُنْجِ^(٢) قَلَانِصَ يَفْحَصُنَ الْمَحْصِي بِالْكَرَاكِرِ^(٣)
 فَلَمَّا فَرَغَتْ مِنَ الْقَصِيْدَةِ ، قَالَ مَحْصِنُ الْفَقْعَسِيِ^(٤) - وَكَانَ مِنْ جُلَسَاءِ الْحِجَاجِ :

(١) نِسْوَةٌ : تَبَيِّنَ ، وَارْتَقَاعُهُ بِفَلَمِ مصرَ ، كَانَهَا قَالَتْ تَبَكِي نِسْوَةً . وَفِي هَامِشِ الْأَمَالِي : « لَهُ
 التَّحَادِرُ بِالْأَلْفِ قَبْلِ الدَّالِ لِتَسْتَقِيمِ الْفَانِيَةِ » (٢) الْكَرَكِرَةُ : رَحْيٌ زُورٌ الْبَعِيرُ ، أَوْ صَدْرُ كُلِّ
 ذَيْ خُفَ ، وَتَنْعُلُ الْإِبْلُ ذَلِكَ فِي شَدَّةِ الْحَرَقِ يَطْلَبُ بَرْدَ الْمَاءِ لِيَلْتَهُ (٣) كَانَ مَحْصِنُ الْفَقْعَسِيُّ مِنْ
 جُلَسَاءِ الْحِجَاجِ .

من الذى تقول هذه هذا فيه ؟ فوالله إنى لأظنها كاذبة ! فنظرت إليه ، ثم ردت عليه
رداً شديداً ، فقال الحجاج : هذا وأبيكَ الجواب ، وقد كنتَ عنه غنياً .

ثم قال لها : سلى يالليلي ^{تعطى} ، قالت : أعطي ، فذلك أعطى فأحسن ، قال : لك
عشرون ، قالت : زد فذلك زاد فأجل ، قال : لك أربعون ، قالت : زد فذلك زاد
فأكمل ، قال : لك مائة ، قالت : زد ، فذلك زاد فتم ، قال : لك مائة ،
واعلمى أنها غنم ، قالت : معاذ الله أيها الأمير ! أنت أجواد جوداً ، وأبعد مجداً ،
وأوزرى زندقاً ، من أن تجعلنا غناً . قال : فما هي ؟ ويحك يالليلي ! قالت : مائة من
الإبل برعاتها . فأسر لها بها .

ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قالت : تدفع إلى النابغة الجمدي ، قال : قد فعلت ،
وقد كانت تهجوه ويهجوها ، فبلغ النابغة ذلك ؛ فخرج هارباً عائضاً بيد الملك .
فاتبعه إلى الشام ، فهرب إلى قصيبة بن مسلم بخراسان ، فاتبعه على البريد بكتاب
الحجاج إلى قصيبة ، فاتت ^{بقويس} ^(١) .

(١) صنع كبير بين خراسان وبلاط المجلب .

٥٦ - الحجاج يخالف سجّيَاه *

خرج زيد بن شبيب الشيباني في أيام عبد الملك بن مروان، فظفر به الحجاج^(١) وب أصحابه، وجعل يقتل كل مقدور عليه منهم، فلما كان آخر الأمر قدم إليه رجل منهم، له سنت^(٢) ورُواه وهيئه.

فلاهم الحجاج بقتله سمع ضجة بالباب؛ فقال حاجبه: ما هذه الضجة؟ قال: نسوة في الباب يسألن الدخول على الأمير. فقال الحجاج: ائذن لهن بالدخول؛ فدخلن وهن ثلاثة وعشرون امرأة، كلهن أهل بيت هذا الرجل الذي هم الحجاج بقتله، فقال لهن الحجاج: ما حاجتكم؟ فتقدمت امرأة منهن فقالت: أصلح الله الأمير! إن رأيت أن تجود باستماع ما أقول! فقال لها: قولى ما أحبيت، فقالت:

أحجاج إما أن تمني بيتك علينا وإما أن تقتلنا مما
أحجاج لو تشهد مقام بناته وعماته يندبته الليل أجمعًا
أحجاج لا تفعج به إن قتلتنه نمانا وتسما واثنتين وأربعمائة
فمن رجل دان يقوم مقامه علينا فهلا لاتزدنا لاتضمضنا
فلان الحجاج لقولها، ووُجد رقة عليهن، وعفا عنه وأطلقه، وزاد في عطائه مائة دينار، وكتب كتابا إلى عبد الملك يذكر له خبره وخبر النسوة والمرأة وشمرها، وأنه قد رق من، وأطلقه وزاد في عطائه مائة دينار.

فكتب إليه عبد الملك يحمده على ذلك، وأمره أن يزيده مائة أخرى في عطائه.

* العقد الفريد للملك السعيد: ١١٨، الم الخامس والساوي: ٦٠٢ (طبع ليزج).
المستطرف: ١ - ١٩٥

(١) انظر صفحة ٤٣ (٢) السنت: هيئه أهل الخبر.

* ٥٧ - أَسْدُ عَلَىٰ وَفِي الْحَرُوبِ نَعَمَةٌ *

قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك ؟ فدخل عليه درع وعامة سوداء، وقوس عربية وكتانة ، فبعثت إليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، فقالت : من هذا الأغراب المستلم^(١) في السلاح عندك ، وأنت في غلالة^(٢) ! بعث إليها إله الحجاج .

فأعادت الرسول إليه ، فقال : تقول لك : والله لأن يخلو بك ملك الموت أحب إلى من أن يخلو بك الحجاج ! فأخبره الوليد وهو يمازحه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : دع منك مفاكرة النساء بزخرف القول ؛ فإنما المرأة ريحانة ، وليس قهرمانة^(٣) ؛ فلا تطمعها على سرك ، ومكايده عدوك .

فلا دخل الوليد أخبارها بمقالة الحجاج ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ؟ حاجتي إليك أن تأمره غداً بأن يأتيني مستلما ، ففعل ذلك .

وأناه الحجاج ؟ فججته ثم أدخلته ولم تأذن له في القعود ، فلم يزل قائما ، ثم قالت : إيه يا حجاج أنت المتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشمت ! أما والله لو لا أن الله عالم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام ،

* ابن أبي الحديد : ٢ - ٤٠ ، بлагات النساء : ١٢٤ ، عيون الأخبار : ١ - ١٦٩

(١) استلام الرجل ؟ إذا لبسنا عنده من عده : رمح وبيضة ومنفر وسيف ونبال .

(٢) الغلالة : شعار نحت الثوب (٣) الفهرمان : هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس .

(٤) - قصص العرب - ٤)

ولا بقتل ابن ذات النطاقين^(١) ؟ أول مولود في الإسلام .

وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلغة أوطاره ، فإن كنْ يلدنَ مثلك فما أحتجه بالقبول منك ، وإن كنْ يلدنَ مثله فهو غير قابل لقولك . أما والله لقد نفَضَ نساء أمير المؤمنين الطيبَ من غدائرهن والخلفيَّ من أيديهن وأرجلهن بِيعنة في أعطية أهل الشام ، حين كنتَ في أضيق من القرآن^(٢) ، فقد أظللتك رماحهم ، وأنهنتك^(٣) كفاحهم ، وحين كان أمير المؤمنين أحبُ إليهم من آباءهم وأبنائهم ؟ فأنجاك اللهُ من عدوَ أمير المؤمنين بمحبهم إياه ؟ قاتل الله القائل حين نظر إليك وسنانَ غَزَّالة^(٤) بين كتفيك :

أَسْدٌ عَلَىٰ وَفِي الْحَرُوبِ نَعَمَّةٌ فَتَخَاهُ تَنْفِرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ^(٥)
هَلَا كَرَزْتَ عَلَىٰ غَزَّالَةَ فِي الْوَغْنِيِّ بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَوَانِحِ طَائِرٍ
مَمْ قَالَتْ لِجُوارِيهَا : أَخْرِجْنَهُ ؟ فَأَخْرَجَ !

دخل على الوليد ، فقال : ما كنتَ فيه ياججاج ؟ قال : يا أمير المؤمنين :
ما سكتت حتى ظننت نفسى قد ذهبت ، وحتى كان بطن الأرض أحبُ إلى من
ظهرها ، وما ظننت أن امرأة تبلغ بلاغتها ، وتحسن فصاحتها ! قال : إنها بنت
عبد العزيز !

(١) ذات النطاقين : أسماء بنت أبي بكر ، سميت بذلك لأنها شقت نطاقها ليلة خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى النار ، بحيلت واحدة لسفرة النبي ، والأخرى عصاماً لقربته (٢) القرن هنا : المعبدة من جلود تكون مشقوقة ثم تخرب (٣) أنهن : غلب وقبر (٤) غزالة : امرأة شبيب المخارجي (٥) يقال ناقة فتخاء : ارتفعت أجنالها قبل بطنها ؛ وهو ذم .

٥٨ — الشفراه عند سكينة بنت الحسين *

اجتمع الفرزدق وجيل وجرير ونصيب وكثير في موسم من الواسم ، فقال بعضهم لبعض : والله لقد اجتمعنا في هذا الموسم ، وما ينبغي لنا أن نتفرق إلا وقد تتابع لساف الناس شيء نذكر به . قال جرير : هل لكم في سكينة ^(١) بنت الحسين ، نقصدها فنسلم عليها ؟ فلعل ذلك يكون سبباً لبعض ما زيد ! قالوا : امضوا بنا . فكثروا أياماً ، ثم أذلت لهم ، فدخلوا عليها وقعدت لهم حيث شرتم ولا يرثها ، ثم أخرجت لهم وصيغة لها وصيغة ، وقد رأوا الأشعار والأحاديث ، فأقرّ لها كلّ منها السلام قالت : أيكم الفرزدق ؟ فقال : هأنذا ، قالت : أنت الذي تقول :

أَبِيتُ أَمْنَى النَّفَسَ أَنْ سُوفَ نُلْقَى وَهَلْ هُوَ مَقْدُورٌ لِنَفْسِي لَقَاوْهَا
فَإِنْ أَنْتَهَا أَوْ يَحْمِعُ الدَّهْرُ يَسْتَنَا فِيهَا شَفَاءُ النَّفَسِ مِنْهَا وَدَاؤُهَا

قال : نعم ! قالت : قولك أحسن من منظرك ! وأنت القائل :

وَدَعْنِي بِإِشَارَةٍ وَنَحِيَّةٍ وَرَكَنْتُنِي بَيْنَ الدِّيَارِ قَتِيلًا
لَمْ أَسْتَطِعْ رَدَّ الْجَوابِ عَلَيْهِمْ عَنْدَ الْوَدَاعِ وَمَا شَفَفْنَاهُ غَلِيلًا
لَوْكَنْتُ أَمْلِكُهُمْ إِذْنَ لَمْ يَبَرَّحُوا حَتَّى أَوْدَعَ قَلْبِيَ الْخَبُولَا

* المحسن والمساوي : ٢٣٤ (طبع ليزج) ، مصارع المشاق : ٢٢٢ ، الأغانى : ١٤ - ١٩٦ (طبعة السادس)، الملوتح : ١٠٩

(١) هي سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ كانت بروزة من النساء ، تجالس الأجلة من قريش ، ويجتمع عندها الشعراء ، وتزوجت عدة أزواج . وتوفيت سنة ١١٧ .

قال : نعم ، قالت : أحسنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَأَنْتَ الْقَاتِلُ :
 مُهَاذَلَتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً كَا افْضَلَ بازِيزِ الْرِّيشِ كَاهِرَةً^(١)
 فَلَمَا اسْتَوْتُ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ نَادَنَا : أَحَى ثُقِيرَجَى أَمْ قَتِيلَ مُنْحَازِرَهُ
 قَتَلَتْ : ارْفَعُوا الْأَسْبَابَ لَا يَشْعُرُوا بَنَا وَوَلَيْتُ فِي أَعْقَابِ لِيلٍ أَبَادِرَهُ
 قال : نعم ، قالت : سَوْءَةً لَكَ إِنْ دَعَكَ إِلَى إِفْشَاءِ سَرَّهَا وَسَرَّكَ ! هَلَا سَرَّتَ
 عَلَيْهَا وَعَلَى نَفْسِكَ ! فَضَرَبَ يَدِهِ عَلَى جَبَهَتِهِ ، وَقَالَ : نعم ، فَسَوْءَةٌ لِي !
 ثُمَّ دَخَلَتْ عَلَى مَوْلَاتِهَا وَخَرَجَتْ وَقَالَتْ : أَيْتُكُمْ جَرِيرٌ ؟ قَالَ : هَأْنَا ؟ قَالَتْ :
 أَنْتَ الْقَاتِلُ :

رُزِقْنَاكَ بِالصَّيْدَ الْغَزِيرَ وَلَمْ نَكُنْ كَمْ نَبَلَهُ مُحْرُومَةً وَجَبَائِلُهُ
 فَهِيَهَا تِهَيَّاتِ الْمُقْرِنِ وَمَنْ بِهِ وَهِيَهَا حَتِّيَّ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُهُ
 قال : نعم ، قالت : أحسنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَأَنْتَ الْقَاتِلُ :
 كَلَّا عَيْنَ الْمُجْتَلِينَ تَعَرَّضَتْ وَشَنَسَا تَجْلِيَ يَوْمَ دَجْنِ سَحَابَهَا^(٢)
 إِذَا ذُكِرَتْ لِلْقُلُوبِ كَادَ لِذِكْرِهَا بَطِيرُ إِلَيْهِ — اعْتَرَاهُ عَذَابُهَا
 قال : نعم ، قالت : أَحَسْنَتَ ! وَأَنْتَ الْقَاتِلُ :
 سَرَّتِ الْمَهْوُمُ فَبَنَ غَيْرَ نَيَامِ وَأَخُو الْهَمْوُمُ يَرَوْمُ كُلَّ مَرَامِ
 ذُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزَلَةِ اللَّوِي وَالْعِيشَ بَعْدَ أُولُوكَ الْأَيَامِ
 طَرَقَتَ صَانِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتَ الْزِيَارَةِ فَازْجَعَ بِسَلَامِ

(١) كسر الطائر جناحيه : إذا ضم منها شيئاً ، وهو يريد الوقوع أو الاقتراض (٢) الدجن : المطر الكثير .

لو كان عندهك كالذى حدثتني
توصلت ذاك فكان غير يمام
ثبُرِي السواك على أغراً كأنه
برد تحدّرَ من مُتوّنِ تمامٍ

قال : نعم ، قالت : سوءة لك ! جعلتها صائدة القلوب ؛ حتى إذا أنا خت بيابك
جعلت دونها حجاباً ! ألا قلت :

طرافتكم صائدةُ القلوب فرجباً نفسي فداوك فاذْخُلِي بسلامٍ
قال : نعم ! فسوءةً لي !

دخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أتكم كثير ؟ فقال : هانذا !
قالت : أنت القائل :

وأعجبني ياعز منك خلائقك
حسان إذا عدَ الخلاص - أربع
دُنوكٍ حتى يطعن الصب في الصبا
وقطعك أسباب العصبا حين تقطع
وأنك لا تدرى غريماً مطلبه
أيشتد إإن قاضاكِ أم يتضرع !
لديك فم يوجد لكِ الدهر مطمع
وأنك إإن واصلت أعلمتك بالذى
قال : نعم ، قالت : أعطاك الله مناك ! وأنت القائل :

هينياً سريثاً غير داد مخامر
لعزَّة من أعراضنا ما استحقَت
فأ أنا بالذاعى لعزَّة بالجوى
ولا شامتِ إإن تعلُّ عزَّة زلتِ
ورجل ربي فيها الزمانُ فشلتِ
وكنتُ كذى رجلينِ رجل صحيحٍ
قال : نعم ، قالت : أحسن الله إليك .

نعم دخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أتكم نصيب ؟ فقال : هانذا ،
قالت : أنت القائل :

ولولا أنت يقال : صَبَّا نُصِيبُ لقلت : بِنَفْسِي النَّشَأُ الصَّفَارُ^(١)
قال : نعم ! قالت : أحسنت وكرمت ، إلا أنك صبتو إلى الصفار ، وترك
الناهضات بأحلامها .

نعم دخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أئُك جيل ؟ قال : أنا ، قالت :
أنت القائل :

لقد ذَرَفْت عيني وطَال سُفُوحُها
ألاَيْتَنَا كُنَّا جيماً وإنْ تَمَتْ
يُجَاوِرُ فِي الْوَتَنِ ضَرِيعِي ضَرِيعُها
أَظَلَّ نَهَارِي مُسْتَهَاماً وَيَلْقَى
مع الليل رُوحِي فِي اللَّامِ وَرُوحُها
فَهَلْ لِي فِي كِتَانِ حُجَّيْ رَاحَةُ
وَهَلْ تَنْفَعُنِي بَوَّحَةُ لَوْأُبُوحُها ؟

قال : نعم ! قالت : بارك الله عليك ؛ وأنت القائل :

خَلِيلِي فِيمَا عِشْتُمْ هَلْ رَأَيْتُمَا
قَبِيلًا بَكَى مِنْ حُبٍ فَاتَّلِي قَبَيلِي ؟
أَيْتُ مَعَ الْهَلَاكِ ضِيقًا لِأَهْلِها
وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُؤْسِمُونَ ذَوُو فَضْلٍ
فِيَارِبَ إِنْ تَهْلِكْ بَشَيْنَةً لَا أَعِشْ
حُتُوفَ الْمَنَابِيَا، رَبَّ وَاجْعَبَ بَهَا تَمْلِي
وَيَارِبَ إِنْ وَقَيْتَ شَيْنَةً فَوْقَهَا

قال : نعم ! قالت : أحسنت . أحسن الله إليك ، وأنت القائل :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لِيَلةً
بُوادِي الْقُرَى إِنِي إِذنْ لَسِعِيدُ
لَكُلًّا حَدِيثَ عَنْدُهُنَّ بَشَاشَةً
وَيَالِيَتَ أَيَامَ الصَّبَا كُنَّ رُجَمًا
وَدَهْرًا تَوَلَّ يَا بُشَيْنَ يَمُودُ

(١) النَّشَأُ : جم ناشي للذكر والمؤثر ، وهو الحدث الذى جاوز حد الصغر .

(٢) فواها : فترة .

إذا قلتُ : ما بي يأْبِيْنَةُ قاتلٍ من الحبُّ قالَ : ثابتٌ ويزيدُ
وَيَانَ قَلْتُ رُدْدِيَ بعْضَ عَقْلِ أَعْشَنْ بِهِ
فَاذْكُرِ الْخَلَانَ إِلَّا ذَكْرُهَا
فَلَا أَنَا مَرْدُودٌ بِمَا جَئْتُ طَالِبًا
يَمْوَى الْمَوَى مِنِّي إِذَا فَارَقْتُهَا وَيَزِيدُ
قالَ : نَعَمْ ، قَالَ : لَهُ أَنْتَ اجْعَلْتَ لَهُ دِينَهَا مَلَاحَةً وَبِشَاشَةً ، وَقَتَلْهَا شَهِيدًا ،
وَأَنْتَ القَاتِلُ :

أَلَا لَيَقْنِي أَعْمَى أَصْمَّ تَقْوَدُنِي بَثِينَةً لَا يَخْفِي عَلَى مَكَانُهَا
قالَ : نَعَمْ ، قَالَ : قَدْ رَضِيتَ مِنَ الدُّنْيَا أَنْ تَقْوَدَكَ بَثِينَةً وَأَنْتَ أَعْمَى أَصْمَّ !
قالَ : نَعَمْ .

ثُمَّ دَخَلَتْ عَلَى مَوْلَاتِهَا وَخَرَجَتْ ، وَمَعْهَا مُذْهَنٌ فِيهِ غَالِيَةُ ^(١) ، وَمَنْدِيلٌ فِيهِ
كَسْوَةٌ ، وَصَرَّةٌ فِيهَا خَسْمَائَةِ دِينَارٍ فَصَبَّتِ الْفَالِيَةُ عَلَى رَأْسِ جَيْلٍ ، حَتَّى سَالَتْ عَلَى
لَحْيَتِهِ ، وَدَفَعَتْ إِلَيْهِ الصَّرَّةَ وَالْكَسْوَةَ ، وَقَالَتْ : ابْسِطْ لَنَا العَذْرَ ؛ أَنْتَ أَشْرَمُ ،
وَأَمْرَتْ لِأَحْبَابِهِ بِمِائَةِ مائَةٍ .

(١) الفَالِيَةُ : الطَّيْبُ .

٥٩ — الفرزدق وسكينة بنت الحسين *

خرج الفرزدق ^(١) حاجاً؛ فلما قضى حاجه عدَّ إلى المدينة، فدخل إلى سكينة بنت الحسين، فسلم، فقالت له: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: كذبت، أشعر منك الذي يقول:

بنفسيَّ مَنْ تَجْبِنُهُ عَزِيزٌ عَلَيْهِ وَمَنْ زَيَّرَهُ لِيَامٌ
وَمَنْ أَنْسَى وَأَصْبَحَ لَا رَاءَهُ وَيَطْرُقُ إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ
قال: أما والله لو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه. قالت: أتيموه؛ فآخرج.
ثم عاد إليها من الغد، فدخل عليها؛ فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال:
أنا، قالت: كذبت، صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول:

لولا حياءً لعادني استعبارٌ ولزرت قبرك والخبيب يزور
كانت إذا هجر الضجيج فراشها ^(٢) كتم الحديث وغفت الأسرار
لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يذكر عليهم ونهار
قال: والله لئن أذنت لي لأسمنك أحسن منه، فأمرت به فآخرج.

ثم عاد إليها في اليوم الثالث، وحوّلها مولّدات لما كانهن التائيل؛ فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجب بها، وبهت ينظر إليها. فقالت له

* الأغان: ٨ - ٣٨ (طبعة ذار الكتب)، مصارع العشاق: ٧٤، الخسان والمساوي: ٢٣٣ (طبع ليزج).

(١) هو أبو فراس حام بن غالب، نشأ بالبصرة وأخذته أبوه برواية الشعر وظلمه، فرواه وبنبه فيه، وترى في بولاية البصرة ومدحهم ومجامع، ثم رحل إلى خلقاء بين أميسة بالشام ومدحهم ونال جوازهم. مات سنة ١١٠ هـ.

(٢) الضجيج هنا: الزوج، ومحاجتها أن ينفي عنها؛ بصفتها بالسفاف.

سَكِينَةٌ : يَا فَرْزَدْ قَوْمَ أَشْعَرُ النَّاسَ ؟ قَالَ : أَنَا ؟ قَالَتْ : كَذَبْتَ ؟ صَاحِبُكَ أَشْعَرْ
مِنْكَ حِيثُ يَقُولُ :

إِنَّ الْعَيْنَ الَّتِي فِي طَرْفَهَا مَرَضٌ
قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُعْجِبَنَا قَسْلَانَا
يَصْرُعُنَّ ذَا الْلَبَّ حَتَّى لَاهَرَّ إِلَيْهِ وَهُنَّ أَضَفَّ
خَلْقٍ اللَّهُ أَنْسَانًا
فَقَالَ : لَئِنْ تَرْكَنِي لَأَسْعَنَّكَ أَحْسَنَّ مِنْهُ ، فَأَمْرَتْ بِإِخْرَاجِهِ .

فَأَتَتْهُ إِلَيْهَا ، وَقَالَ : يَا بَنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ، إِنَّ لِي عَلَيْكَ حَقًا عَظِيمًا . قَالَتْ :
وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : ضَرِبْتُ إِلَيْكَ آبَاطَ الْأَبْلِ منْ مَكَّةَ إِرَادَةَ التَّسْلِيمِ عَلَيْكَ ، فَكَانَ
جَزَائِي مِنْ ذَلِكَ تَكْذِيبِي وَطَرَدِي ، وَتَفْضِيلَ جَرِيرِ عَلَيْهِ ، وَمَنْعِكَ إِبَايِي أَنْ أُنْشَدَكَ
شِيَّتاً مِنْ شِعْرِي ، وَبِي مَا قَدْ عَيَّلَ مِنْهُ صَبْرِي ؟ وَهَذِهِ الْمَنْيَا تَنْدُو وَتَرْوَحُ ، وَلَمْ
لَا أَفَارِقَ الْمَدِينَةَ حَتَّى أَمُوتَ ، فَإِذَا أَنَا مَتْ فَرِي بِي أَنْ أُدْرَجَ فِي كَفْنِي ، ثُمَّ أُدْفَنَ
فِي ثِيَابِ هَذِهِ الْجَارِيَةِ ^(١) .

فَضَعَكَتْ سُكِينَةٌ وَأَمْرَتْ لَهُ بِالْجَارِيَةِ ، فَخَرَجَ بِهَا آخِذًا بِرِيَاطَتِهِ ^(٢) ؛ ثُمَّ
قَالَتْ لَهُ : يَا فَرْزَدْ ، احْتَفِظْ بِهَا وَأَحْسِنْ حَبْتَهَا ، فَإِنِّي آثَرْتُكَ بِهَا عَلَى نَفْسِي ،
بَارِكْ اللَّهُ لَكَ فِيهَا .

قَالَ الْفَرْزَدُ : فَلَمْ أُزْلِلْ وَاللَّهُ أَرَى الْبَرَكَةَ بِدُعَائِهَا فِي نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي .

(١) بَشِيرَ إِلَى الْجَارِيَةِ الَّتِي أَعْجَبَتْهُ . (٢) الرِّيَاطَةُ : الْمَلاَمَةُ .

٦٠ - يوم عند أمراة من بنى أمية*

خرج النصيّب هو وكثير والأحوص^(١) غبّ يوم أمطرت فيه السماء ، فقال : هل لكم في أن نركب جميعاً فنسير حق ناتي العقيق ، فنُمتع فيه أصارانا ؟ فقالوا : نعم ؛ فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدواب ، وليسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب ، وتكلروا ثم ساروا حتى آتوا العقيق ، فجعلوا يتصفّحون^(٢) ويرون بعض ما يشتهون ، حتى رفع لهم سواد عظيم فاموه ، فإذا وصائف ورجال من الموالى ونساء بارزات^(٣) ، فسألتهم أن ينزلوا فاستحبوا أن يجبيوهن من أول وهلة ؛ فقالوا : لا نستطيع أو نعفي في حاجة لنا ، خلقهم أن يرميوا إلينا ، ففعلوا وأتوهن فسألتهم النزول فنزلوا .

ودخلت امرأة من النساء فاستاذنتهم ، فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت : ادخلوا .

قال النصيّب : فدخلنا على امرأة جميلة بربزة على فرشها ، فرحبّت ، وحيّت ؛ وإذا كراميّ موضوعة ، فجلسنا جميعاً في صفين واحد كل إنسان على كرسي ، فقالت : إن أحياكم أن ندعو بصي^(٤) لنا فنصيّحه ونفرّك أذنه فعلنا ، وإن شئتم بدأنا بالغداء ، قلنا : بل تدعون بالصي ، ولن يفوتنا الغداء .

فأومأْت يدها إلى بعض الخدم ، فلم يكن إلا كلاماً ولا^(٤) حتى جاءت جارية

* الأغانى . ١ - ٣٥٦ (طبعة دار الكتب) .

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله ، شاعر هجاء ، كان معاصرًا لجبريل والفرزدق ، وهو من سكان المدينة ، ولقب بالأحوص لضيق فم مؤخر عنقه . توفي سنة ١٠٥ هـ (٢) تصفحت الشيء : نظرت إليه لأترفه (٣) تزيد المود ؛ على التشبيه (٤) العرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل أو ظهور شيء خفي قالوا : كان فعله كلام ، وبعما كرروا فقلوا : كلام ولا . الإنسان - مادة «لا» .

جميلة قد سرت بمُطْرَفٍ ، فامسكته عليها حتى ذهب بِهِرْهَا^(١) ، ثم كُشِّفَ عنها ،
وإذا جارية ذات جالٍ ، قريبة من جال مَوْلَاتِها ، فرحت بهم وحَيْثُمْ ، فقالت
لها مولاتُها : خُذِي العود ونُحْكِي أَوْغْنِي من قول التنصيب ، عافَ الله أبا مُحْجَنَ !

الأهل من البَيْن المُنْرَفِ من بُدٌّ وهل مثل أَيَامِ بِعْنَقْطَعٍ^(٢) السَّمْدَا
تَمْنَىتْ أَيَامِ أُولَئِكَ وَالْمُنْقَى على عَهْدِ عَادِ مَا تَنِيدُ^(٣) ولا تُبَدِّي
فَنَفَّتْهُ ، فَجَاءَتْ بِهِ كَأَحْسَنِ مَا سَمِعَتْهُ قَطْ ؛ بِأَحْلِ الْفَظِ وأَشْجَعِ صَوْتٍ ، نَمْ قَالَتْ
لَهَا : خُذِي أَيْضًا من قول أَبِي مُحْجَنَ ، عافَ الله أبا مُحْجَنَ !

أَرْقَ الْحَبَّ وَعَادَهْ سَهَدَهْ لِطَوَارِقِ الْمُمَّ الَّتِي تَرِدَهْ
وَذَكَرَتْ مِنْ رَقَّتْ لَهْ كَبْدَهْ وَأَبَى فَلِيسْ تَرَقَّلَى حَكْبَدَهْ
لَا قَوْمَهْ قَوَى ، وَلَا بَلَدَهْ - فَتَكُونَ حِينَا جِبَرَةَ - بَلَدَهْ
وَوَجَدَتْ وَجَدَأْ لَمْ يَكُنْ أَحَدَهْ قَبْلِي مِنَ أَجْلِ صِبَابَةِ يَمِدَهْ
إِلَّا بَنْ عَجَلَانَ^(٤) الَّذِي تَبَلَّتْ هَنْدَ فَقَاتَ^(٥) بِنَفْسِهِ كَدَهْ

قال : فجاءت به أحسن من الأول ، فشككت أطير سروراً ، ثم قالت لها :
ويحلك ! خذى من قول أَبِي مُحْجَنَ ، عافَ الله أبا مُحْجَنَ !
فيالكَّ مِنْ لَبِلِ تَمْتَعَتْ طُولَهْ وهل طَائِفٌ مِنْ نَامِ مُسْتَمْتَعٍ !

(١) الْبَهْرُ فِي الْأَصْلِ : اقتطاع النَّسْ من الإِعَاءِ ، وَبِرَادُهَا : الْجَبَلُ وَالرَّوْعُ (٢) مُنْقَطَعٌ
الْكَانُ : حيث ينتهي ، والْسَّمْدَ : موضع قرب المَدِينَةِ (٣) أَى لَا قَائِدَةَ مِنْهَا (٤) هو عبادَة
ابن عجلان ، شاعر جاهلي عاشق ؟ عشق هند بنت كعب بن عمر ومات في سبيلها ، فصرَبَ المثل
بعشقه (تربيَن الأَسْوَاقَ : ٢ - ٧٦) .
(٥) أَى أَنَّ الْكَدَ أَمْلَكَ وَدَعَ بِنَفْسِهِ .

نعم إنّ ذا شَجْنِي - متى يلق شَجْنَوَه
 ولو نَامَ مُسْتَعْتَبٌ^(١) أو مُودَعٌ
 له حاجة قد طَلَّا قد أَسْرَهَا
 من النَّاسِ في صَدْرِهَا يَتَصَدَّعُ
 تَحْمِلُهَا طُولَ الزَّمَانِ لِعْنَاهَا
 يكون لها يوماً من الدهر متزغٌ
 وقد قُرِعَتْ فِي أَمَّ عَرْوَلِيَ العَصَا^(٢)
 قَدِيمًا، كَمَا كَانَتْ لِذِي الْحَلْمِ تَقْرَعُ^(٣)

قال : بِفَاءَتْ وَالله بِشِيءٍ حَيْرَنِي وَأَذْهَلَنِي طَرِيْرِي با لحسن الفناه ، وَسَرَورًا باختيارها
 الفناه في شعرِي ، وَمَا سمعتُ فيه من حُسْن الصُّنْنَمَةَ وجَوْدَتِها وَإِحْكَامُهَا . ثُمَّ قالت
 لها : خُذِيْرِي أَيْضًا من قول أبي محجن ، عافِ الله أبا محجن :

يَا إِيَّاهَا الرَّبُّ كُبُّ إِنِّي غَيْرُ تَابِعِكُمْ
 حَتَّىٰ تُلِّهُوا وَأَتِمُّ بِي مُلِئُونَا
 فَإِنَّمَا يَدْعُونَكُمْ رَكِبًا كَشْكَلَكُمْ
 فَإِنَّمَا يَدْعُونَكُمْ دَائِي بَعْلَكُمْ
 يَدْعُونَهُمْ ذُو هَوَى إِلَّا يَعْوِجُونَهُمْ
 أَمْ خَبَرُونِي عَنْ دَائِي بَعْلَكُمْ
 وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِالدَّاءِ الْأَطْبَئُونَا^(٤)

قال نصيـب : فـوـالله لـقـد زـهـيـتـ بـما سـمعـتـ زـهـواـ ، خـيـلـ إـلـىـ أـنـيـ مـنـ قـرـيشـ ،
 وـأـنـ الـخـلـافـتـلـيـ ، ثـمـ قـالـتـ : حـسـبـكـ يـا بـنـيـةـ ، هـاتـ الطـعـامـ يـاـ غـلامـ ؟ فـوـثـبـ الـأـحـوصـ
 وـكـثـيرـ ، وـقـالـاـ : وـالـلـهـ لـا نـظـمـ لـكـ طـعـامـاـ ، وـلـا نـجـاسـ لـكـ فـيـ مـجـلـسـ ، قـدـ أـسـأـلـ
 عـشـرـتـنـاـ وـاسـتـخـفـتـ بـنـاـ ، وـقـدـ مـتـ شـعـرـ هـذـاـ عـلـىـ أـشـعـارـنـاـ ، وـاسـتـمـعـتـ الفـنـاءـ فـيـهـ ؟
 وـإـنـ فـيـ أـشـعـارـنـاـ كـمـاـ يـفـضـلـ شـعـرـهـ ، وـفـيـهـ مـاـ هـوـ أـحـسـنـ مـنـ هـذـاـ ، فـقـالـتـ :
 عـلـىـ مـعـرـفـةـ كـلـ مـاـ كـانـ مـنـيـ !

(١) الاستئتاب : طلب العتب وهو الرضا (٢) يشير إلى المثل : « إن المصا قرعت لذى الْحَلْمِ » يضرب لمن إذا به انتبه ، والمفهـى أنه قد لم يـدـيـمـ في جـهـها (٣) الأطـبـونـ : الـبـارـعـونـ فـيـ الـطـلـبـ .

نُمْ خرْجًا مُفْضَبَيْنِ وَاحْتَسَنْتِي . فَقَنَدَيْتَ غَدَهَا ، وَأَمْرَتَ لِي بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ
وَحَلَّتِينِ وَطَيْبٍ ، نُمْ دَفَعْتَ إِلَىٰ مَائِتَى دِينَارٍ ، وَقَالَتْ : ادْفَعْهَا إِلَى صَاحِبِكَ ، فَإِنْ
قَبِلَاهَا وَإِلَّا فَهُنَّ لَكَ .

فَأَتَيْتُهُمَا مَنَازِلَهُمَا فَأَخْبَرْتُهُمَا الْقَصَّةَ ، فَأَمَّا الْأَحْوَصُ فَقَبَلَهَا ، وَأَمَّا كَثِيرُ فَلَمْ يَقْبَلْهَا
وَقَالَ : لَعْنَ اللَّهِ صَاحِبَتَكَ وَجَازَتْهَا وَلَعْنَكَ مَعْهَا ، فَأَخْذَنَهَا وَانْصَرَفَتْ .

قَالَ الرَّاوِي : فَسَأَلَتُ النَّصِيبَ : مِنْ الْرَّأْءُ ؟ قَالَ : مِنْ بَنِي أَمْيَةَ ، وَلَا أَذْكُر
إِنَّمَا مَا حَيَتْ لِأَحَدَ .

* ٦١ — حديث عائشة بنت طلحة مع النميري *

لما تَأَيَّمَتْ^(١) عائشةُ بنتُ طلحةَ كَانَتْ تَقِيمُ بَعْدَكَةَ سَنَةً وَبِالْمَدِينَةِ سَنَةً؛ وَتَخْرُجُ إِلَى مَالِ^(٢) عَظِيمٍ لَهَا بِالطَّائِفِ، وَقُصْرٍ كَانَ لَهَا هُنَاكَ فَتَنَزَّهُ فِيهِ، وَتَجْلِسُ بِالْمَشِيَّاتِ، فَيَتَنَاضِلُ^(٣) بَيْنَ يَدِيهَا الرِّئَمَاتِ.

فَرَأَهَا النَّمِيرِيُّ الشَّاعِرُ^(٤)، فَسَأَلَتْ عَنْهُ قُنْسُبُ لَهَا، قَالَتْ: أَتَوْنِي بِهِ فَأَتَوْهَا بِهِ. قَالَتْ لَهُ: أَنْثِيدِنِي مَا قَلْتَ فِي زَيْنَبِ^(٥)؟ فَامْتَنَعَ عَلَيْهَا وَقَالَ: تَلَكَ ابْنَةُ عَمِّيِّ، وَقَدْ صَارَتْ عَظِيلَةً بِالْمَيْةِ، قَالَتْ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ إِلَّا فَعَلْتَ؟ فَأَنْشَدَهَا قَوْلَهُ:

تَضَرَّعَ سِكَّا بَطْنُ نَعْمَانَ^(٦) إِذْ مَشَتْ
نَهَادِينَ مَا بَيْنَ الْحَصَبِ^(٧) مِنِّي
وَأَقْبَلَنَ لَا شَنَّا لَا غَيْرَاتِ
أَعْلَانَ الذَّى فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَرْشَهُ
مَوَاسِيَ بِالْبَطْحَاءِ مُؤْتَحِرَاتِ^(٨)
صَرَزْنَ بِفَخِّ^(٩)، نَمْ رُخْنَ عَشَيَّةَ
يَلْبَسِينَ لِلرَّحْمَنِ مُغْتَرَاتِ

* الأغاني . ٦ - ٢٠٣ (طبعه دار الكتب)

(١) تَأَيَّمَتِ الْمَرْأَةُ: إِذَا مَاتَتْ عَنْهَا زَوْجُهَا وَلَمْ تَزْوُجْ. وَقَدْ كَانَتْ عَائِشَةُ عَنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فِي لَيْلَةِ نَعْمَانَ فَزَوْجُهَا بَعْدَهُ مُصْبِبُ بْنُ الْأَزِيرِ قُتِلَ عَنْهَا، ثُمَّ تَزْوُجَهَا عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ، فَاتَتْ عَنْهَا، فَلَمْ تَزْوُجْ بَعْدَهُ. تَوْفِيتُ سَنَةَ ١١٠ (٢) الْمَال: مَا مَلَكَ الْإِنْسَانُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (٣) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، مِنْ ثَقِيفٍ، شَاعِرٌ غَزَلُ مُولَدٍ مِنْ شِعَرِ الدُّولَةِ الْأَمْوَالِيَّةِ. تَوَفَّ سَنَةَ ٩٠ هـ (٤) هِيَ زَيْنَبُ بْنَتُ يُوسُفَ بْنِ الْحَكَمِ أُخْتُ الْمَحَاجِجِ التَّقِيِّ، وَالنَّمِيرِيُّ فِي هَا أَشْعَارَ كَثِيرَةٍ: شَيْبٌ بِهَا فِي حَيَّاتِهِ وَرَنَامًا بَعْدَ مَوْتِهِ (٥) بَطْنُ نَعْمَانَ: مَوْضِعُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْعَاصِيَّةِ (٦) الْحَصَبُ: مَوْضِعُ بَيْنَ مَكَّةَ وَمِنْ (٧) مُؤْنَجِرَاتِ: طَالِبَاتُ الْأَجْرِ (٨) فَخُ: مَوْضِعٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ نَلَانَةَ أَمِيَالٍ.

يُخْبِثُ أَطْرَافَ الْبَنَانَ مِنَ التَّقِيَّةِ
وَيَقْتُلُنَّ بِالْأَلْهَاظِ مُفْتَدِرَاتِ
تَقْسِمُنَ لَبِّيَ يَوْمَ نَعْمَانَ لَمَّا تَقَىَّ (١) النَّظَرَاتِ
جَلُونَ وَجُوْهَارَا لَمْ تَلْحُصْهَا سَمَاءُ (٢) حَرَوْرَةُ ، وَلَمْ يُسْفَعْنَ بِالسَّبَرَاتِ

* * *

وَلَتَأْ رَكَبَ النَّبِيَّ رَاعِيَهَا
وَكُنَّ مِنَ اَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذَرَاتِ
فَأَدَّتِنَ حَتَّى جَازَ الرَّكَبُ دُونَهَا
حَجَابًا مِنَ الْقَسَّى (٣) وَالْحِبَرَاتِ
فَكِدَنَتُ اشْتِيَاقًا نَحْوَهَا وَصَبَابَةَ
تَقْطَعُ أَنْفَاسِي إِنْزَهَا حَسَرَاتِ
فَرَاجَعَتُ نَفْسِي وَالْحَمِيَّةَ بَعْدَمَا
بَلَّتُ رَدَاءَ الْعَصْبِ (٤) بِالْعَبَرَاتِ (٥)

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا قَلَتْ إِلَّا جَيِّلًا ، وَلَا ذَكَرَتْ إِلَّا كَرْمًا وَطَبِيًّا ، وَلَا وَصَفَتْ
إِلَّا دِينًا وَتَقِيَّا ! أَعْطُوهُ أَلْفَ دَرْهَمٍ .

فَلَمَّا كَانَتِ الْجَمْعَةُ الْأُخْرَى تَعْرَضَنَ لَهَا ؛ فَقَالَتْ : عَلَيْهِ بَهْ ، فَأَحْضَرَ . فَقَالَتْ لَهُ :
أَنْشَدَنِي مِنْ شِعْرِكَ فِي زَيْنَبَ ، فَقَالَ لَهَا : أَوْ أُنْشِدُكَ مِنْ شِعْرِ الْحَارِثَ بْنِ خَالِدٍ
فِيَكَ ؟ فَوَقَبَ مَوَالِيهَا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَتْ : دُعُوهُ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَعِيدَ (٦) لَبْنَتَ عَمَّهُ ؛
هَاتِمَا قَالَ الْحَارِثُ فِي فَأَنْشَدَهَا (٧) :

(١) عَارِمُ النَّظَرَاتِ : شَدِيدُهَا (٢) لَاحِتَهُ الشَّمْسُ : افْجَعَهُ وَغَبَرَتْ وَجْهُهُ ، وَالسَّاَمُ : جَمْعُ
سَمَوَاتِهِ وَرِيعُ حَارَّةِ ، وَسَفْعَتْهُ : غَيْرَتِهِ . وَالسَّبَرَاتِ : جَمْعُ سَبَرَةِ وَهِيَ شَدَّةُ الْبَرْدِ (٣) الْقَسَّى :
نَوْعُ مِنَ الْبَلَابِ ، وَالْحِبَرَاتِ : ضَرَبَ مِنْ بَرُودِ الْبَيْنِ (٤) الْعَصْبُ : بَرُودٌ يَصْبِعُ غَزَلَهَا مُّنْتَسِجٌ
(٥) رَوِيَ أَنَّ هَذِهِ الْفَصِيَّدَةَ حِينَيَا بَلَفَتْ عَبْدُ الْمُلْكَ بْنَ مُرْوَانَ كَتَبَ لِلْمَحَاجَاجَ : « قَدْ بَلَفَنِي
قُولُ الْحَبِيثِ فِي زَيْنَبَ ، فَالْهَاهُ عَنِهِ ، وَأَعْرَضْ عَنْ ذَكْرِهِ ؟ فَإِنَّكَ إِنْ أَدَنَتِهِ أَوْ عَانِبَتِهِ أَطْعَمْتَهُ ،
وَإِنْ عَاقِبَتِهِ صَدَقَتِهِ » (٦) يَأْخُذُ بِثَأْرَهَا (٧) قَالَ الْحَارِثُ بْنَ خَالِدَ هَذِهِ الْأَيَّاتِ حِينَ تَرَوْجَ
مَصْبَعُ بْنِ الزَّيْدِ عَائِشَةَ ، وَرَحِلَّ بِهَا إِلَى الْعَرَاقَ . وَالْحَارِثُ بْنُ خَالِدٍ : أَحَدُ شُعَرَاءِ قَرِيشِ
الْمَدْوُدِينِ الْفَزَلِينِ ، وَكَانَ يَذْهَبُ مَذْهَبَ عَمْرَ بْنِ أَبِي رِيَّةِ فِي شِعْرِهِ ، لَا يَتَجَاهُ الْفَزْلَ إِلَى الدَّعْيِ
وَالْمَحَاجَاجِ إِلَّا نَادِرًا .

ظَمَنَ الْأَمِيرُ بِأَحْسَنِ الْخَلْقِ وَغَدَا بِلَبْكِ مَطْلَعَ الشَّرْقِ
فِي الْبَيْتِ ذِي الْحَسْبِ الرَّفِيعِ وَمِنْ أَهْلِ التَّقْوَىِ وَالْبَرِّ وَالصَّادِقِ
مَا مَبَثَتْ أَحَدًا بِرُؤْيَتِهِ إِلَّا غَدَا بِكُواكبِ الطَّلَقِ^(١)
فَقَالَتْ : وَاللهِ مَا ذَكَرَ إِلَّا جَيِّلاً ؟ ذَكَرَ أُنْبَى إِذَا صَبَّحَتْ زَوْجِي بِوجْهِي غَدَا
بِكُواكبِ الطَّلَقِ ، وَأَنِي غَدَوْتُ مَعَ أَمِيرِ تَرْوَجِنِي إِلَى الشَّرْقِ ، وَأَنِي أَحْسَنُ الْخَلْقِ
فِي الْبَيْتِ ذِي الْحَسْبِ الرَّفِيعِ ؛ أَعْطُوهُ أَلْفَ دَرْهَمٍ وَأَكْسُوهُ حَلَّتِينِ ، وَلَا تَمَدُّ لِإِتْيَانِي
بَعْدَ هَذَا يَا نَمِيرِي .

(١) يقال : يوم طلق ؟ أى مشرق متبدل ، وهو يريد : أن من تصفعه برويتها يرى اليوم
طليباً سعيداً .

٦٢ - أَتْرِيدُ أَنْ تَقْتَلَنِي ! *

أقبل أبو العباس السفاح^(١) على أخي أم سلة^(٢) بنت يعقوب، فسأله التزويج بها فزوجه إليها ، فَصَدَّقَهَا حَسَيْنَةً دِينَارًا ، وَهَدَى مائِيَّةً دِينَارًا ، وَدَخَلَ عَلَيْهَا مِنْ لِيلَتِهِ ، وَحَظِيَّتْ عَنْهُ ، وَحَلَفَ أَلَا يَتَزَوَّجُ عَلَيْهَا وَلَا يَتَسَرَّى ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ غَلَبةً شَدِيدَةً حَتَّى مَا كَانَ يَقْطَعُ أَمْرًا إِلَّا بِمَشْورَتِهِ وَبِأَمْرِهِ ، ثُمَّ أَنْضَتَ الْخَلَافَةَ إِلَيْهِ ، فَوَفَّ لَمَا بَمَا حَلَفَ .

فَلَمَّا كَانَ ذَاتُ يَوْمٍ فِي خَلَافَتِهِ خَلَالَ بْنِ صَفَوَانَ ؛ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي فَكَرَّتُ فِي أَمْرِكَ ، وَسَعَةُ مَلْكِكَ ، وَقَدْ مَلَكْتَ نَفْسَكَ امْرَأَةً وَاحِدَةً ، فَإِنْ مَرِضَتْ مَرِضَتْ ، وَإِنْ تَأْلَمَتْ أَلَمَتْ ، وَحَرَمَتْ نَفْسَكَ الْجَوَارِيَّ ، وَالْمُتَّعِّنُ بِمَا تَشَهِّي مِنْهُنَّ ؛ فَإِنَّ مِنْهُنَّ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - الطَّوْيِلَةَ الْغَيْدَاءَ^(٣) ، وَإِنَّ مِنْهُنَّ الْفَضَّةَ ، وَالْدِقْيَةَ السَّمَرَاءَ ، مِنْ مَوْلَادَاتِ الْمَدِينَةِ ؛ وَلَوْ رَأَيْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الطَّوْيِلَةَ الْبَيْضَاءَ ، وَالْسَّمَرَاءَ الْمَسَاءَ^(٤) ، مِنْ مَوْلَادَاتِ الْبَصَرَةِ وَالْكَوْفَةِ ، وَذَوَاتِ الْأَلْسُنِ الْمَذْهَةِ وَالْقُدُودِ الْمَهْفَفَةِ ، وَحَسَنَ زَيْهَنَّ وَزَيْتَهَنَّ ، وَشَكَلَهَنَّ رَأَيْتَ شَبَيْهًا حَسَنًا .

* المحسن والمساوي : ٤٣٠ (طبع نيزج) ، غرارات الأوراق : ٢ - ٢٩٢ ، السعدي : ٢ - ٢١٥ .

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، رئيس الدولة العباسية . يوبع بالخلافة سنة ١٣٢ ومات سنة ١٣٦ (٢) كانت عند عبد العزيز بن الوليد فهلك عنها ، ثم كانت عند هشام فهلك عنها (٣) الغيداء : الثنيبة لينا (٤) اللسان : سواد مشرب بمحمرة . (١١ - قصص العرب - ثان)

وأين أنت يا أمير المؤمنين من بنات الأحرار ، والنظر إلى ما عندهنَّ من
الحياة والتغفُر !

وجعل خالد يجيد في الوصف ، ويجدُ في الإطناب ، بخلافة لفظه وجودة
وصفه .

فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لِهِ أَبُو الْعَبَّاسَ : وَيَحْكُمُ يَا خَالِدٌ ! مَا صَلَّى مَسَامِي - وَاللَّهُ - قَطَّ
كَلَامُ أَحْسَنٍ مَا سَمِعْتُهُ ، فَأَعْذُّ عَلَى كَلَامِكَ ؟ فَقَدْ وَقَعْ مِنِّي مُوقِعاً . فَأَعْدَادُ عَلَيْهِ خَالِدٌ
الْكَلَامُ أَحْسَنُ مَا ابْتَدَأَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ .

وَبَقِيَ أَبُو الْعَبَّاسَ مُفْكِراً فِيمَا سَمِعَ مِنْهُ ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ أُمُّ سَلَّمَةَ امْرَأَتُهُ . وَكَانَتْ
تَبَرَّهُ كَثِيرًا ، وَتَشْعُرُ بِمُسْرَتِهِ وَمُوافِقَتِهِ فِي جَمِيعِ مَا أَرَادَهُ - قَالَتْ لَهُ : إِنِّي
لَا نَكِرُكُوكَ يَا أميرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَهَلْ حَدَثَ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ ؟ أَوْ أَنْتَكَ خَبَرٌ فَارْتَعَتْ لَهُ ؟
قَالَ : لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ !

قَالَتْ : فَإِنَّ قَصْتِكَ ؟ فَجَعَلَ يَنْزُوَنِي عَنْهَا ؟ فَلَمْ تَرَلِ بِهِ حَتَّى أَخْبَرَهَا بِمَقَالَةِ خَالِدِهِ ،
قَالَتْ : فَاقْلِلْتَ لَهُ ؟ إِنَّهُ ... قَالَ : سَبَّحَ اللَّهُ يَنْصُحُنِي وَتَشْتَمِّنِي !

فَرَجَتْ مِنْ عَنْهُ مَغْضَبَةً ، وَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ خَالِدَ بَعْضَ خَدْمَهَا ، وَأَمْرَتْهُمْ أَلَا
يَتَرَكُوا مِنْهُ عَضْوًا صَحِيحًا .

قَالَ خَالِدٌ : فَانْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي ، وَأَنَا مَسْرُورٌ بِمَا رَأَيْتُ مِنْ أميرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛
وَإِعْجَابِهِ بِمَا أَلْقَيْتُهُ إِلَيْهِ . وَلَمْ أُشْكِنْ أَنْ صَلَّتْهُ سَتَّاً تِينِي ، فَلَمْ أُبْلِثْ حَتَّى صَارَ إِلَيْهِ
أُولَئِكَ الْخَدْمُ ، وَأَنَا قَاعِدٌ عَلَى بَابِ دَارِي ؟ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ قَدْ أَقْبَلُوا نَحْوِي أَيْقَنْتُ
بِالْجَانِزَةِ ، حَتَّى وَقَوَّا عَلَى ؟ فَسَأَلُوا عَنِّي ؟ قَلَّتْ : هَانِذَا خَالِدٌ ؟ فَسَبَقَ إِلَيْهِ أَحْدَمْ

بهراءة كانت معه ، فلما أهوى بها إلى وثبتت فدخلت منزله ، وأغلقت الباب على واستترت ، ومكثت أياماً على تلك الحال لا يخرج من منزله ، ووقع في خلدي أني أتيت من قبل أم سلة .

وطلبني أبو العباس طلباً شديداً ، فلم أشعر ذات يوم إلاّ بقوم قد هجموا على وقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فأيقت بالموت .

ولما وصلت إلى الدار أوما إلى بالجلوس ، ونظرت فإذا خلف ظهرى باب عليه ستور قد أزخيت ، وحركة خلفها ! فقال : يا خالد : لم أرك منذ ثلاث . قلت : كنت عليلاً يا أمير المؤمنين : قال : ويحيك ! إنك وصفت لي في آخر دخلة من أمر النساء والجواري ما لم يخنق مسامعي قط ؟ فأعده على .

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، أعلمتك أن العرب اشتقت الفرقة من الفرق ، وأن أحدم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة إلا كان في جهنم^(١) ، قال : ويحيك ! لم يكن هذا في الحديث ، قلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وأخبرتك أن الثالث من النساء كثنا في^(٢) القدر يغلي عليهن . قال أبو العباس : برأت من قرابتي من رسول الله إن كنت سمعت هذا منك في حديثك ! قلت : وأخبرتك أن الأربعية من النساء شر لصاحبهن يشيبنه ويهرئ منه وبُسقنه . قال : ويلك ! والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت . قلت : بلى والله ، قال : وتلك ! أو تكذبني ! قلت : وتريد أن تقتلني يا أمير المؤمنين !

(٢) الأثناة : جم أثنيه : وهي ما يوضع عليه القدر .

(١) الجهد : المشقة

قال خاله : فسمعت الفصحى من وراء الستر . قلت : نعم ، وأخبرتك أيضاً أن
بني مخزوم ريحانة قريش ، وأنت عندك ريحانة من الرياحين ، وأنت نطم عينيك
إلى حراير النساء وغيرهن من الإماماء .

فقيل له من وراء الستر : صدقت والله ياعمـاه وبرـت ، بهذا حدثـتـ أمـيرـ
الؤمنـين ، ولكـنه بـدلـ وـغـيرـ ، وـنـطـقـ عنـ لـسانـكـ !

فقال أبو العباس : مـالـكـ قـاتـلـكـ اللهـ وـأـخـزـاكـ ، وـفـلـ بـكـ وـفـلـ !
فتركتـهـ وـخـرـجـتـ ، وـقـدـ أـيـقـنـتـ بـالـحـيـاـةـ ، فـاـشـرـتـ إـلـاـ بـرـسـلـ أـمـ سـلـمـةـ قدـ صـارـواـ
إـلـىـ ، وـمـعـهـمـ عـشـرـةـ آـلـافـ درـمـ وـنـختـ^(١) وـبـرـذـونـ وـغـلامـ .

(١) النـختـ : وـعـاءـ يـصـانـ فـيـ الـبـابـ .

٦٣ — بعد أن ذهب الملك*

كانت الحيزران^(١) أم المادي والرشيد في دارها ، وعندما أمهات أولاده الخلفاء وغيرهن من بنات بني هاشم ؛ فيدعاها هي كذلك إذ دخلت عليها جارية من جواريها ، فقالت : أعز الله اسيدة ! بالباب امرأة ذات حسن وجمال ، في أمراء رثة ، وليس وراء ما هي عليه من سوء الحال غاية ، تأبى أن تخبر باسمها ، وهي تروم الدخول .

قالت الحيزران للجارية : أدخلها ، فإنه لا بد من فائدة أو ثواب ، فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال ، في أمراء رثة ؟ فوقفت بمنب عصادة الباب ثم سلت متسائلة ، وتكلمت فأوضحت عن بيان ولسان . قالت : من أنت ؟

قالت : أنا مزنة زوج مروان بن محمد ، وقد أصارني الدهر إلى ما ترين ، ووالله ما الأمراء الرثة التي على إلا عارية ، وإنكم لما غلبتمونا على هذا الأسر ، وصار لكم دوننا لم نأمن مخالطة العامة - على ما نحن فيه من الفرار - على بأدرة إلينا تزيل موضع الشرف ؟ فقصدناكم لنكون في حجابكم على أية حال كانت ؟ حتى تأني دعوة من له الدعوة .

* نشرات الأوراق : ١ - ٢١٨ ، المسعودي : ٢٤٩ - ٢ .

(١) هي زوجة المدحى الباسى ، وأم المادي والرشيد ، يمانية الأصل ، ولا ول ابنتها المادي استبدت بالأمور دونه ، فكانت المواكب تقدو وتروح إلى بيتها فنعتها المادي من ذلك . وكانت حازمة ، توفيت في خلافة الرشيد سنة ١٨٣ .

فاغرورقت عينا الخيزران بالدموع ، ونظرت إليها زينب^(١) بنت سليمان بن على فقالت : لا خفتَ الله عنك بأمسنة ! أتذكري وقد دخلتُ إليك وأنت على هذا البساط بيته ، فكلمتُك في جنة إبراهيم الإمام ، فاتهرتْ تيف ، وأمرت باخراجي ، وقلتِ : ما للنساء والدخول على الرجال في آرائهم ! فوالله لقد كان مروان^{أزعني} للحق ملك ! لقد دخلتُ إليه خلف إله مافقته - وهو كاذب - وخيرني بين أن يدفعه ، أو يدفع إلى جنته ، وعرض على مالاً فلم أقبله .

قالت هزنة : والله ما أدى إلى هذه الحال التي ترينها إلا تلك الفسال التي كانت مني ، وكأنك استحسنتها ، ففرضت الخيزران على مثلها ؛ إنما كان يجب أن تحضي بها على فعل الخير ، وترك المقابلة بالشر ؛ لتحرر بذلك نعيمها ، وتصون دينها ثم قالت لزينب : يا بنت عم ؛ كيف رأيت صنيع الله بنا في الموقق ، فأحivist الناس بنا ثم ولت باكية .

فأشارت الخيزران إلى جارية من جواريها ، فدللت بها إلى بعض المقاصير ، وأمرت بتغيير حالمها والإحسان إليها .

فلا دخل المهدى عليها - وقد انصرفت زينب - قصت الخيزران عليه قصتها ، وما أمرت به من تغيير حالمها ؛ فدعا بالجارية التي ردتها ، فقال لها لماً ردتها إلى المقصورة ؟ ما الذي سمعتها تقوله ؟ قالت لحقتها : وهي تبكي في خروجها ، وتقرأ : « ضربَ الله مثلاً قريبةً كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رغداً من كل مَكَانٍ ؛ فكفرتْ بِأَنْمُ الله ، فَأَذَاقَهَا الله لباسَ الْجُنُوحِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ». }

(١) كان المهدى قد تقدم إلى الخيزران بأن تلزم زينب بنت سليمان ، وقال لها : التبسى من آدابها ، وخدنى من أخلاقها ، فإنها عجوز لنا قد أدركت أو ابتلنا .

نَمْ قَالَ لِلْخَيْرُ زَانَ : وَاللَّهِ لَوْلَمْ تَفْعَلِ بَهَا مَا كَلَّتِكَ أَبْدًا ، وَبَكَى بَكَاهَ
كَثِيرًا ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زِوالِ النِّعَمَةِ !

نَمْ بَعْثَ جَارِيَةً إِلَى مَقْصُورَتِهَا الَّتِي أَخْلَيَتْ لَهَا ، وَقَالَ لِلْجَارِيَةَ : اقْرُئِي عَلَيْهَا
السَّلَامَ ، وَقَرَأَ لَهَا : يَا بَنْتَ عَمٍّ ؛ إِنَّ أَخْوَاتِكَ قَدْ اجْتَمَعْنَ عَنْدِي ، وَلَوْلَا إِنِّي أَبْنَ
حَكْ لِجَنَاحِكَ !

فَلَمَا سَمِعَتِ الرِّسَالَةَ عَلِمَتْ مَرَادَ الْمَهْدَى ، بَلَاءَتْ تَسْحِبُ أَذْيَالَهَا فَأَمْرَرَهَا بِالْجَلْوَسِ ،
وَرَحِبَّ بَهَا وَرَفَعَ مَرْزِتَهَا .

نَمْ تَذَكَّرُوا أَخْبَارُ أَسْلَافِهِمْ ، وَأَيَّامُ النَّاسِ وَالدُّولَةِ وَتَنَقْلَهَا ؛ فَاتَّرَكَتْ لِأَحْدَافِ
الْجَلْسِ كَلَامًا !

فَقَالَ لَهَا الْمَهْدَى : يَا بَنْتَ عَمٍّ ؛ وَاللَّهِ لَوْلَا إِنِّي لَا أَحْبَبُ أَنْ أَجْعَلَ لَقَوْمَ أَنْتَ
مِنْهُمْ فِي أَمْرِنَا شَيْئًا لِتَزُوْجَنِكَ ، وَلَكِنْ لَا شَيْءَ أَصْنُونَ لَكَ مِنْ حِجَابِي ، وَكَوْنِكَ
مِنْ أَخْوَاتِكَ فِي قَصْرِي ؛ لَكَ مَالَنِّي ، وَعَلَيْكَ مَا عَلِيَّهُنَّ ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَكَ أَمْرٌ مَّنْ
لَهُ الْأَمْرُ فِيمَا حَكِمَ بِهِ عَلَى الْخَلْقِ .

نَمْ أَخْدَمَهَا^(١) وَأَجَازَهَا ، فَأَقَامَتْ فِي قَصْرِهِ إِلَى أَنْ قَعَّ الْمَهْدَى وَالْمَادِى ،
وَمَضِيَ صَدْرُ مِنْ أَيَّامِ الرَّشِيدِ وَمَاتَتْ فِي خَلَاقَتِهِ ؛ فَبَزَعَ عَلَيْهَا جَزْعًا شَدِيدًا .

(١) أَخْتَمْتُ فَلَانَا . أَعْطَيْتُهُ خَادِمًا بِخَدِيمِهِ .

* ٦٤ - أم أمير المؤمنين بالباب *

كانت أم جعفر^(١) بن يحيى أرضعت الرشيد^(٢) مع جعفر ، لأنه كان ربي في حجزها ، وغذى برسيلها^(٣) إذ أن أممات عن مهده ، فكان الرشيد يشاورها ، مظيراً لا كرامها ، والتبرك برأيها . وكان آلي - وهو في كفالتها - لا يحبها ، ولا استشفعته لأحد إلا شفعها ، وآلت عليه أم جعفر لادخلت عليه إلا ماذنها ، ولا شفعت لأحد مقتوف ذئبها ، فكم أسيء فكت ، ومبهم عنده فتحت ، ومستغلق منه فرجأ !

ونفي الرشيد على البرامكة^(٤) ، فقتل جعفرأ ، وسجن يحيى والفضل ، وسجين معهما أقاربهما ، واستصنف ضياعهم وأموالهم . ثم احتجج عن الناس ، فسمت إليه أم جعفر ، وطلبت الإذن عليه ومتت^(٥) بوسائلها إليه ، فلم يأذن لها ، ولا أمر بشيء فيها ، فلما طال بها خرجت كاشفة وجهها ، واضعة لذامها ، محتفية^(٦) في مشيهاء حتى صارت بباب قصر الرشيد .

دخل عبد الملك بن الفضل الحاجب ، فقال : ظئرُ أمير المؤمنين بالباب ، في حالة تقلب شماثة الحاسد ، إلى شقة أم الواحد . فقال الرشيد : وبحكم يا عبد الملك !

* المقد الفريد . ٣٣-٣ .

(١) هي فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحافة^(٢) هو هارون الرشيد بن محمد البدي ، كان ديناً عافطاً كثير الجهاد ، وافر الطاء ؛ توفي سنة ١٩٣ هـ (٤) الرسل : اللب .

(٤) كانت نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ ؛ بعد عودة الرشيد من المع

(٥) مت : توسلت (٦) احتى : مهى حانيا .

واسعية؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين وحافية! قال: أدخلها يعبد الملك، فربّك
غذّتها، ورّبّها فرجّتها، وعورّة سترّتها!

ودخلت، فلما نظر الرشيد إليها داخلة محظية، قام محتفياً حتى تلقاها بين عمد المسجد، وأكبّ على تقبيل رأسها، ثمّ أجلسها معه؛ فقالت: يا أمير المؤمنين؟ أبغضو علينا الزمان، ويجهلونا خوفاً لك الأعون، وينحردك^(١) بنا البهتان، وقد ربيتك في حجرى، وأخذت برضاك الأمان من عدوّي ودهري! فقال لها: وماذا يا أمّ الرشيد؟ قالت: غلّرك^(٢) يحيى وأبوك، ولا أصفه بأكثر ما عرفه به أمير المؤمنين؛ من نصيحته له، وإشفاقه عليه . . .

قال لها: يا أمّ الرشيد، أسرّ سبق، وقضاء حُمّ^(٣)، وغضب من الله نفذ. قالت: يا أمير المؤمنين {يَعْخُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}. قال: صدقت، فهذا ما لم يتعلّم الله. قالت: الفقير محجوب عن النبيين، فكيف عنك يا أمير المؤمنين! فأطرق الرشيد مليئاً، ثمّ قال: وإذا المنية أنشبت أظفارها الفيت كلّ نعيم لاتتفتح^(٤) قالت: بغير ريبة: ما أنا ليحيى بستيبة يا أمير المؤمنين، وقد قال الأول^(٥): وإذا افتقرت إلى الدخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال هذا بعد قول الله عز وجل: {وَالْكَاظِمِينَ الْقَنِيظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

(١) يحردك: ينفعك (٢) الظفر: من يصلف على ولد غيره - للذكر والاقتباس.

(٣) حم: نزل ووقع (٤) النيبة: خرزة كان العرب في جاهليتهم يملكون العدد منها على أولادهم ونهاية لهم من العين، والبيت لأبي ذؤيب (٥) البيت للأختل.

فأطرق الرشيد ثانية، ثم قال : يا أمير الرشيد ، أقول :

إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكذنْ إلَيْهِ وَجَاءَهُ آخِرُ الدَّهْرِ تُقْبِلُ
قالت : يا أمير المؤمنين ، وهو يقول أيضاً^(١) :

ستقطعُ فِي الدُّنْيَا - إِذَا مَا قطعْتُنِي - بِمِنْكَ ، فَانظُرْ أَىْ سَكْفَ تَبَدَّلُ ا

قال هارون : رضيت ا فقالت : هبْهُ لِي يا أمير المؤمنين ، فقد قال رسول الله صل الله عليه وسلم : « مَنْ ترَكَ شَيْئًا ، لَمْ يُوْجَدْهُ اللَّهُ لِنَقْدِهِ » ، فَأَكَبَ مَلِيئًا ، نَمْ رفع رأسه وقال : {إِنَّهُ أَمْرٌ مِّنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ } . فقالت : يا أمير المؤمنين ، {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرٍ أَنَّهُ يَنْهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ أَلَّا حَرَّمَ } ، واذكر يا أمير المؤمنين أليتك^(٢) : مَا استشفعتُ إِلَّا شَفَعْتُنِي ا فقال : واذكرى يا أمير الرشيد أليتك ألا شفعت لم تترف ذنبًا . فلما رأته قد صرّح بمنها ، ولادَّ عن مطلبها ، أخرجت حُقُّا من زُمْرَدَةِ خضراء فوضعته بين يديه ، فقال الرشيد : ما هذا؟ ففتحتْهُ ، وأخرجت منه ذوابه وثناياه ، وقد غَسَّتْ جميع ذلك في المسك .

قالت : يا أمير المؤمنين ، أستشفع إليك ، وأستعين بالله عليك ، وبما صار معي من كريم جسده ، وطيب جوارحك أن تشفعني في عبده يحيى .

فأخذ هارون ذلك ، ولته ، ثم بكى طويلا ، فأبكي أهل المجلس ، وذهب البشير إلى يحيى وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمة له ورجوع عنه . فلما أفاق رمى جميع ذلك في الحرق^(٣) ، وقال لها : لحسن ما حفظت الوديعة . فقالت : وأهل للسكافاة أنت يا أمير المؤمنين .

(١) مَا الْبَيْتُ وَالنَّى قَبْلَهُ لَمْنَ بْنُ أَوْسٍ . (٢) الْأَلْيَةُ : الْمَلَفَةُ .

فَسَكَتْ وَأَقْلَلْ أُبَيِّنَ، وَدَفَعَ إِلَيْهَا ، وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ مَمْكُمْ أَنْ تُؤْدُوا
الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ». فَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَقُولُ : « وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ
عَنَّكُمُوا بِالْعَدْلِ »، وَيَقُولُ : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ » . ثُمَّ قَالَ : وَمَا
فَالْكَ بِأُمَّ الرَّشِيدِ ؟ قَالَتْ : أَوْ مَا أَفْسَطْ أَلَا نَحْجُبُنِي وَلَا تَمْهِنِي .

قَالَ : أَحَبْ يَا أُمَّ الرَّشِيدِ أَنْ تَبْيَهِنِي ذَلِكَ حَكْمَتْ فِيهِ . فَقَالَتْ : أَنْصَفْتَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ فَعَلْتُ غَيْرَ مُسْتَقِيلَةِ لَكَ ، وَلَا رَاجِعَةَ عَلَيْكَ . فَقَالَ : بِسْكَمْ ؟
قَالَتْ : بِرِضَاكَ عَنْ لَمْ يُسْخِطَكَ . فَقَالَ : يَا أُمَّ الرَّشِيدِ ؛ أَمَالِي مِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ
مِثْلُ الَّذِي لَهِ ! قَالَتْ : بَلْ أَنْتَ أَهْزَ عَلَيَّ وَهُوَ أَحَبْ إِلَيَّ . قَالَ : فَعَنْكِي فِي تَسْنِيَةِ
بَنِيرِهِ . فَقَالَتْ : قَدْ وَهَبْتُكَ وَجْهَاتِكَ فِي حِلْيَ مِنْهُ ؛ وَقَامَتْ عَنْهُ غَضَبَيْ ، وَبِقِ
مَبْهُوتَ ، مَا يُحِيرُ لَفْظَةً .

٦٥ - كريم يجمع بين زوجين *

قال إبراهيم بن ميمون : حجّت في أيام الرشيد^(١) ، فبينا أنا بـكـة أجول في سـكـكـها إذا أنا يـسـوـدـاءـ قـائـمـةـ سـاهـيـةـ ، فـأـنـكـرـتـ حـالـهـ ، وـوـقـفـتـ أـنـظـرـ إـلـيـهـ ، فـكـثـتـ كـذـلـكـ مـاعـةـ ثـمـ قـالـتـ :

أعمرو علامَ تجبيئيِّي
أخذتَ فؤادي فعذْبنيِّي !
فلو كنـتـ يـاـ عـمـروـ خـيـرـتـنيـ أـخـذـتـ حـذـارـيـ فـاـنـلـتـقـيـ

فـدـنـوـتـ مـنـهـ ، فـقـلـتـ : يـاـ هـذـهـ ؟ مـنـ عـمـروـ ؟ فـأـرـاتـعـتـ مـنـ قـوـيـ ، وـقـالـتـ : زـوـجـيـ . فـقـلـتـ : وـمـاـشـأـهـ ؟ قـالـتـ : أـخـبـرـنـيـ أـنـهـ يـهـوـانـيـ وـمـاـزـالـ يـدـسـ إـلـىـ ، وـيـعـلـقـ بـيـ فـيـ كـلـ طـرـيقـ ، وـيـشـكـوـ شـدـةـ وـجـدـهـ حـتـىـ تـرـوـجـنـيـ ، فـلـبـثـ مـعـ قـلـيلـاـ ، وـكـانـ لـهـ عـنـدـيـ مـنـ الـحـبـ مـثـلـ الـذـىـ كـانـ لـىـ عـنـدـهـ ، ثـمـ مـضـىـ إـلـىـ جـدـةـ ، وـتـرـكـيـ قـلـتـ : صـفـيـهـ لـىـ ، فـقـالـتـ : أـحـسـنـ مـنـ تـرـاهـ ، وـهـوـ أـسـمـ حـلـوـ طـرـيفـ .

قـلـتـ : فـعـبـرـيـنـيـ ، أـنـجـبـنـ أـنـجـعـ يـيـنـكـاـ ؟ قـالـتـ : فـكـيـفـ لـىـ بـذـلـكـ ! وـظـلـتـنـىـ أـهـزـلـ بـهـاـ .

فـرـكـبـتـ رـاحـلـتـ ، وـصـرـتـ إـلـىـ جـدـةـ ، فـوـقـتـ فـيـ المـرـقـ أـنـبـصـرـ مـنـ يـعـملـ فـيـ السـفـنـ ، وـأـصـوـتـ^(٢) يـاـ عـمـروـ ! يـاـ عـمـروـ ! فـإـذـاـ بـهـ خـارـجـ مـنـ سـفـيـنـةـ وـعـلـىـ عـنـقـهـ صـنـ^(٣) ، فـمـرـفـتـهـ بـالـصـفـةـ .

* مصارع الشاق : ١٠٩ .

(١) انظر صنفة ١٦٢ (٢) أصوات : أنا دى (٣) الصن : شبـهـ السـلـةـ المـطـبـقـةـ ؛ يـعـملـ نـيـهـاـ الطـهـاءـ وـالـحـزـ

قلت : «أَعْرُو ، عَلَامَ تَجْنِبَنِي !» فَقَالَ : هَيْ ! هَيْ ! رَأَيْتَهَا ، وَسَمِعْتَهَا ! ثُمَّ أَطْرَقَ هَنِيْهَةً ، وَاندْفَعَ يَغْنِيهَ ، قَلْتُ : أَلَا تَرْجِعَ ! فَقَالَ : بَأْ بَأْ أَنْتَ ! وَمَنْ لِي بِذَلِكَ ؟ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَحَبُّ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ ، وَلَكِنْ مِنْهُ مَنْ طَلَبَ الْمَاعِشَ . قَلْتَ : كَمْ يَكْفِيكَ كُلُّ سَنَةٍ ؟ قَالَ : ثَلَاثَمَائَةٌ دَرْهَمٌ ، فَأَعْطَيْتَهُ ثَلَاثَةَ آلَافَ دَرْهَمٌ ، وَقَلْتَ : هَذِهِ لَعْشَرَ سَنِينَ ، وَرَدَّتُهُ إِلَيْهَا ، وَقَلْتَ لَهُ : إِذَا فَنِيتَ أَوْ قَارِبْتَ النَّفَاءِ قَدِيمْتَ عَلَيَّ وَأَعْطِيْتُكَ ، وَإِلَا وَجَهْتَ إِلَيْكَ . وَكَانَ ذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَجَّى .

٦٦—أُعْرَاءِيْهُ عَلَى قَبْرِ زَوْجِهَا ! *

قال الأصميُّ^(١) : دخلتُ بعضَ مقابرِ الأعرابِ ، ومعي صاحبٌ مُلِّي ، فإذا
جارية على قبرِ كأنها تنتال ، وعليها من الحلىِ والحللِ مالمَ أرَ مثله ، وهى تبكي بين
غزيرة ، وصوتٌ شجيٌّ ! فاقتربتُ إلى صاحبِي ؟ قلتُ : هل رأيتَ أَعْجَبَ من
هذه ؟ قال : لا والله ، ولا أحببني أرأه !
ثم قلتُ : يا هذه : إني أراك حزينة وما عليكِ زِيَّ الحزن ! فأنشأتَ
قول :

فإنْ تَسْأَلَنِي : فِيمَ حَزْنِي ؟ فَإِنِّي رَهِينَةُ هَذَا الْقَبْرِ يَا فَتِيَانَ

وَإِنِّي لَا سَتْحِيَّهُ وَالْتَّرْبَ يَيْتَنَا كَمْ كُنْتُ مُسْتَحِيَّهُ حِينَ يَرَانِي

ثُمَّ انْدَفَعَتْ فِي الْبَكَاءِ ، وَجَعَلَتْ تَقُولُ :

يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ ، يَا مَنْ كَانَ يَنْمِي بِي

بِالآَلَ ، وَيَكْتُرُ فِي الدُّنْيَا مُؤْسَانِي

كَمْ كُنْتُ لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْمُصَبَّاتِ

أَرَدْتُ آتِيكَ فِيمَا كُنْتُ أُعْرَفُهُ

فَنَ رَأَى رَأْيِي عَبَرَى مُولَّهَةً

عَجِيَّةَ الرَّأْيِ تَبَكَّى بَيْنَ أَمْوَاتِ

* المقد الفريد : ١ - ٢٦

(١) انظر مسحة ٥٤ .

* ٦٧ — على قبور الذاهبين *

قال الأصمى :

دَفَتُ يَوْمًا فِي تَلْمُسِي بِالبَادِيَةِ إِلَى وَادِ خَلَاءَ، لَا يُنِسَّ بِهِ إِلَّا بَيْتٌ مُعْتَزٍ^(١)،
بِقَنَائِهِ أَعْزَى، وَقَدْ ظِمِّنَتُ، فَيَقْمِنُهُ فَسَلَتْ، فَإِذَا عَجُوزٌ قَدْ بَرَزَ كَانَهَا نَعَامَةٌ
رَاخِمٌ^(٢)، قَلَتْ : هَلْ مِنْ مَاءٍ؟ قَالَتْ : أَوْ أَبَنَ! قَلَتْ : مَا كَانَ بُغْيَى إِلَّا مَاءً،
فَإِذَا يَسَرَ اللَّهُ الْلَّبَنَ فَإِنِّي إِلَيْهِ فَقِيرٌ.

فَقَامَتْ إِلَى قَفْبَ قَأْفَرَغَتْ فِيهِ مَاءً، وَنَظَفَتْ غَشْلَهِ، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى الْأَعْزَى
فَتَغْبَرَتْهُنَّ^(٣) حَتَّى احْتَلَبَتْ قُرَابَ^(٤) مِلْءَ الْقَفْبَ، ثُمَّ أَفْرَغَتْ عَلَيْهِ مَاءً حَتَّى رَغَأَ،
وَطَقَتْ ثَمَانَتَهُ^(٥)، كَانَهَا غَمَامَةٌ بِيَضَاءِ، ثُمَّ نَاوَّلَتْنَى إِيَاهُ فَشَرَبَتْ حَتَّى تَحَبَّتْ^(٦)
رِيَا، وَاطَّمَأَنَّتْ.

قَلَتْ : إِنِّي أَرْكِ مُعْتَزَةً فِي هَذَا الْوَادِي الْمَوْحِشِ، وَالْحَلَةُ^(٧) مِنْكَ قَرِيبٌ،
فَلَوْ انْضَمَتْ إِلَى جَنَابِهِمْ^(٨) فَانْسَطَرُوهُمْ. قَالَتْ : يَا بَنَ أَخِي! إِنِّي لَآتَسْ
بِالْوَحْشَةِ وَأَسْتَرِيعُ إِلَى الْوَحْدَةِ، وَيَطْمَئِنُ قَلْبِي إِلَى هَذَا الْوَادِي الْمَوْحِشِ، فَانْذَكِرْ
مَنْ عِهِدْتُ فَكَانَ أَخْطَبُ أَعْيَانَهُمْ، وَأَرَاءَهُمْ، أَشْبَاهَهُمْ، وَتَتَخَيلُ لِي أَنْدِيَةَ
رَجَالَهُمْ، وَمَلَاعِبُ وِلْدَانَهُمْ، وَمَنْدَى أَمْوَالَهُمْ.

* الأمالي : ٧-٢ .

(١) مُعْتَزٌ : منفرد (٢) الرَّاخِمُ : الَّتِي تَحْضُنُ بَيْضَهَا (٣) تَغْبَرَتْهُنَّ : احْتَلَبَتِ النَّفَرُ وَهُوَ بَقِيَّةُ
الْبَنِ فِي الصَّرْعِ (٤) قُرَابٌ . قَرِيبٌ (٥) الثَّمَانَةُ . الرَّغْوَةُ (٦) تَحَبَّتْ : امْتَلَأَتْ
(٧) الْحَلَةُ ؛ وَجْهُهَا حَلَالٌ : بَيْتُ النَّاسِ (٨) الْجَنَابُ : قَنَاءُ الدَّارِ .

وَاللَّهُ يَابْنَ أَخِي ، لَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا الْوَادِي بَشَعًّا^(١) الْلَّدِيدِينَ^(٢) بِأَهْلِ أَدْوَاحٍ^(٣)
وَقِبَابٍ ، وَنَمَّ^(٤) كَالمُضَابٍ ، وَخَيْلٌ كَالثَّنَابٍ ، وَقَتْيَانٌ كَالرَّامَاحٍ ، يَبَارُونَ الرِّيَاحَ ،
وَيَحْمُونَ الصَّبَاحَ ، فَأَهَالَ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءُ ، فَمَا^(٥) بُرْفَةٌ ، فَأَصْبَحَتِ الْأَمَارَ^(٦) دَارِسَةً ،
وَالْحَالُ طَامِسَةٌ ، وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ فِيمَنْ وَثِيقَ بِهِ .

نَمْ قَالَتْ : أَرْزِمْ بِعِينِكَ فِي هَذَا الْلَّالَ^(٧) الْمُتَبَاطِنَ^(٨) . فَنَظَرَتْ فَإِذَا قُبُورٌ
نَحْوِيْ أَرْبَيْنَ أَوْ خَيْسِينَ . قَالَتْ : أَتَرَى تَلَكَ الْأَجْدَاثُ ؟ قَلَتْ : نَمْ . قَالَتْ :
مَا انطَوْتُ إِلَّا عَلَى أَنْجَ أَوْ أَبْنَ أَنْجَ أَوْ أَبْنَ عَمٍّ ، فَأَصْبَحُوا قَدَّمَلَاتٍ^(٩) عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ ،
وَأَنَا أَتَرْقَبُ مَا غَالَلَهُمْ أَنْصَرِفُ رَاشِدًا رَحِمَ اللَّهُ .

(١) بَشَعٌ : مَلَآنٌ (٢) الْلَّدِيدِينَ : الْجَانَانَ (٣) الْأَدْوَاحُ : الْأَشْجَارُ الْعَظِيمَةُ

(٤) الْمُضَابُ : الْجَيَالُ الصَّفَارُ (٥) قَا : كَنَا (٦) الْلَّالَ : مَا اتَسَمَّ مِنَ الْأَرْضِ

(٧) الْمُتَبَاطِنُ : الْمُتَطَالِمُ (٨) أَمَارَاتُ : احْتَوَتْ .

٦٨ - الحق أنطقها وأخرسَه *

قال الشيّابيَّ : جلس المأمون^(١) يوماً للظالم ، فكان آخر من تقدم إليه وقد هم بالقيام - امرأة عليها هيئة السفر ، عليها ثياب رثة .

فوقت بين يديه وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم . قال لها يحيى : عليك السلام يا أمة الله ، تكلمي في حاجتك ؟ فقالت :

يا خير منتصف يهدى له الرشد
شكون إليك عيد القوم أزمالة
وابترز من ضياعي بعد منفتها
فأطرق المأمون حيناً، ثم رفع رأسه إليها، وهو يقول :

ويا إماماً به قد أشرقَ الْبَلَدَ
عَدَا عليها فلم يُنْرِكْ لِمَا سَبَدَ^(٢)
ظُلماً وفُرُقاً مِنِ الأَهْلِ وَالْوَلَدِ
فِي دُونِ ماقُنْتِ زال الصبر والجلدُ
هذا أوان صلاة العصر فانصرفي
والجلس السبت إن يقضى الجلوس لنا
فلا كان يوم الأحد جلس ، فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة ،

* القد : ١ - ١٥ ، المحسن والساوى : ٣٥٠ (طبع ليزج) .

(١) هو عبد الله بن المأمون بن هارون الرشيد ، من أعلام خلفاء بني العباس وعلمائهم وحكمةهم كان وافر الخلق ، عظيم الملم عبأ للعلم ، مؤثراً لحكمته . توفي سنة ٢١٨ هـ (٢) السبد هنا : القليل ، وهو في الأصل القليل من الشعر .

قالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال : وعليك السلام ، أين الخصم ؟ قالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين - وأومنت إلى العباس ابنه .

قال : يا أحمد بن أبي خالد ، خذ بيده فأجلسه معها مجازاً الخصوم . فعلم كل منها يلوك كلام العباس ، فقال لها أحمد بن أبي خالد : يا أمة الله ؟ إنك بين يدي أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير ، فاخفضي من صوتك ، فقال المأمون : دعها يا أحمد ، فإن الحق أنطقها وأخرسه . ثم قضى لها برد ضيقتها إليها ، وأمر بالكتاب لها إلى العامل بيلدها أن يوغر لها ^(١) ضيقتها وينحسن معاونتها ، وأمر لها بنفقة .

(١) أوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غير خراج .

٦٩- أجارها ثم تزوجها *

قال إبراهيم بن المدبر ^(١) :

جاءني يوماً محمد بن صالح ^(٢) بعد أن أطلقَ من الحبس ، فقال لي : إنّي أريد
المقام عندك اليوم على خلوة لأبنتك من أمرى شيئاً لا يصلحُ أن يسمعه غيرُنا .
قلت : أفعل ؟ فصرفتُ مَنْ كان بحضورِي وخلوت معه .

فلمَّا اطمأنَّ وأكلنا واضطجعنا قال لي : إنّي خرجت في سنة كذا وكذا ،
ومعِي أصحابي على القافلة فقاتلتُ من كان فيها فهزمناهم وملّكتُنا القافلة ؛ فيينا أنا
أحوزُها وأبيخُ الجمال إذ طلعت علىَ امرأة ، ما رأيتُ قطُّ أحسنَ منها وجهاً ولا
أحلى منطقاً . فقالت : يافتي ؟ إنّ رأيتَ أن تدعوَ لي بالشريفِ التولى أمر هذا
الجيش ؟ قلت : قد رأيْتَه وسمِعْتَ كلامِكِ ! فقالت : سألك بحقِ اللهِ وحقِ
رسولِه ؟ أنتَ هو ؟ قلت : نعم وحقُ اللهِ وحقُ رسولِه إنِّي لهُ . فقالت : أنا حمدونة
بنت عيسى بن موسى ؛ ولأبي محلٍ من سلطانه ، ولنا نسمة إنْ كنْتَ من سمعَ بها
فقد كفالةَ ما سمعْتَ ، وإنْ كنْتَ لم تسمعْ بها فسلْ عنْها غيرِي ! وواللهِ لا استأثرتُ
عنك بشيءٍ أملكه ، ولك بذلك عهدُ اللهِ وميناقِه علىَ . وما أساشك إلا أن تصونَنى
وستُرِّنى ، وهذه ألفُ دينار معِ لفقتِي ، فخذُّها حالاً ، وهذا حلْ علىَ ثمنِي خمسةٌ

* الأغاني : ١٥ - ٨٧ (طبعة الساسي) .

(١) إبراهيم بن المدبر ، شاعر كاتب ، من وجوه كتاب أهل المراق ومتقدميهم وذوي الجاه
فيهم ، وكان المتقوكل يقدمه ويؤثره ويفضله ، توفي سنة ٢٧٠ م (٢) محمد بن صالح : ينتهي نسبه
إلى علي بن أبي طالب ، كان شاعراً حجازياً يظري فيما من شعره أهل بيته المقدسين ، توفي سنة ٤٣٨

دينار فذهب ؛ وما شئت بعده آخذه لك من تجاري المدينة أو مكة أو أهل المؤمن، فليس منهم أحد يمنعني شيئاً أطلبه، وادفع عني واجبي من أصحابك ومن عار يلحقني . فوقن قولها من قلبي موقعاً عظياً . قلت لها : قد وهب الله لك مالك وحليكت وجاهك ، ووهد لك القافلة بجميع ما فيها .

ثم خرجت ، فناديت في أصحابي فاجتمعوا ، فناديت فيهم : إني قد أجرت هذه القافلة وأهلها وخفرتها وحميتها ، ولما ذمة الله وذمة رسوله وذمتى ؛ فمن أخذ منها خيطاً أو عقلاً فقد آذته بحربي . فانصرفوا مني وانصرفت .

فلم أخذت^(١) وحيست جاءني يوماً السجان ، وقال لي : إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك ، وقد حظر على أن يدخل عليك أحد ؛ إلا أنهما أعطتاني دُمْلِجَ ذهب ، وجعلتا له أن أوصلتهما إليك ، وقد أذنت لهما في الدليل . فاخرج إليهما إن شئت .

فكسرت فيمن يحييني في هذا البلد وأنا به غريب لا أعرف أحداً . ثم قلت : لعلهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي . فخرجت إليهما فإذا بصاحبتي ، فلما رأتهما بكت لما رأت من تغيير خلق ونقل حديدي ، فأقبلت عليهما الأخرى فقالت : فهو ! فقالت : إيه والله إنه لم هو ! ثم أقبلت على فقلت : فذاك أبي وأمي ! والله لو استطعت أن أقيك مما أنت فيه بنفسك وأهلي لفعلت وكنت بذلك مني حقيقة ، والله لا تركت المعاونة لك والسعى في حاجتك وخلاصك بكل حيلة ومال وشفاعة . وهذه دنانير وثياب وطيب فاستعن بها على موضعك ، ورسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك حتى يُفرج الله عنك . ثم خرجت إلى كسوة وطيباً ومائتي دينار .

(١) حبس التوكيل محمد بن صالح حين خرج عليه ثلاثة سنين ، ثم عفا عنه لشعر مدحه به .

وكان رسولها يأتيه كل يوم بطعم نظيف ، ويتوصل برؤها بالسجّان ، فلا يمتنع من شيء أريده . ثمَّ منَ الله بخلاصي خطبتهما ؟ فقالت : أَمَا منْ جهتي فأنَا مُتَابِعَةٌ مطِيعَةٌ والأمرُ إلى أبي . فأتيته خطبتهما إليه ، فرَدَّني فَقَمَتْ منْ عَنْهَهُ منكسرًا مستحييًّا .

قال إبراهيم بن المدبر : قلت له : إن عيسى صبيعة أخي وهو لى مطيم وأنا أكفيك أمره . فلما كان من الفد لقيت عيسى في منزله وقلت له : قد جئتُك في حاجةٍ لي ، فقال : مقتضيَة ؟ ولو كنتَ استعملتَ ما أحببْتَ لأمرتني بخطبتك ، وكان أَسْرَ إلى . قلت له : قد جئتُك خاطبًا إليك ابنتك ، فقال : هى لك أمةً وأنالك عبدٌ وقد أجبتك . قلت : إنني خطبتها على من هو خير مني أباً وأمًا ، وأشرف لك صهراً : محمد بن صالح العلوى . فقال لي : يا سيدي ؟ هل كان غير هذا ! فلم أزل أرافق به حتى أجاب . وبعثت إلى محمد بن صالح فاحضرته وما برجت حتى زوجته ، وسقط الصداق عنده ^(١) .

(١) وفي ابن المدبر يقول بن صالح حيناً أولاه وأعنه على زواجه :
فهلافي الذي أولاك عرفاً تسرى من مقالك ما يسر
ثناء غير مختلف ومدحًا مع الركبة ان ينجد أو ينور
أخ واساك في كلب البابي وقد خذل الأقارب والنصير
وضن بنسه الرجل الصبور حفاظاً حين أسلك المواري
وابن تذكر فقد أولى جيلاً فإن تذكر فإنك المكتور

٧٠ - كِيفَ رَبَّتْ أَبْنَاهَا *

قال الفضل بن يزيد: نزل علينا بني تغلبي بعض السنين، و كنت مشغوفاً بأخبار العرب، أحب أن أستمعها وأجمعها . فيينا أنا أدور في بعض أحياهم ، إذا بأمرأة واقفة في فناء خيالها ، وهي آخذة بيد غلام . قلما رأيت مثله في حُسنه وجده، وهي قاتلته بلسان رطب ، وكلام عذب ، تَعْنِي إِلَيْهِ الْأَسْمَاعُ ، وترتاح إِلَيْهِ الْقُلُوبُ . وأكثُر مأسِعِهَا : أى بني ، وهو يبتسم في وجهها ، قد غلب عليه الحياة والخجل ، لا يرد جواباً ؛ فاستحسنت ما رأيت ، واستحللت ماسحت ، ثم دنوت منه وسلت عليه ، فرد على السلام ، فوقفت أنظر إليهما .

قالت : يا حضري ، ماحاجتك ؟ قلت : الاستكثار بما أسمع ، والسرور بما أرى من هذا الغلام . قالت : يا حضري ، إن شئت سقت إليك من خبره ما هو أحسن مما شاهدت من أدبه ، قلت : قد شئت - يرحمك الله ! قالت : حلته والرزق عَسِيرٌ ، والميش نَكِدٌ ، حلا خفيفاً ، حتى إذا مضت له تسعة أشهر ولدته ؛ فوربك ما هو إلا أن صار ثالث أبويه حتى أفضَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وأعطي ، وأنى من الرزق بما كفى وأغنى ؟ ثم أرضحته حَوَالَيْنْ كَمْلَيْنْ ، فلما استمَ الرضاع قلت له من خرق المهد إلى فراش أبيه ، فتشاً كأنه شيلِ أسد ، أقيه برد الشتاء وحر العجیر ، حق إذا مضت له خمس سنين أسلته إلى اللؤدب ، لحفظه القرآن فلآه ، وعلمَه الشر فرسواه ، ورغب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده ، فلما أُنْ بلغ الحلم ، واشتد عَظَمه ،

وَكُلْ خَلْقَهُ، حَلَّتْ عَلَى عِنَاقِ الْخَلِيلِ فَتَفَرَّسَ وَتَمَرَّسَ^(١)، وَلَبِسَ السَّلَاحَ، وَمَشَى
بَيْنَ بُوَيْنَاتِ الْحَقِّ الْخَلِيلَةِ، فَأَنْذَدَ فِي قِرَأَتِ الضَّيْفِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَأَنَا عَلَيْهِ
وَجِلَّةُ، أَشْفَقَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَيْنَنِ أَنْ تُصِيبَهُ.

ثُمَّ اتَّفَقَ أَنْ نَزَّلَنَا بِعِنْهَلَ مِنَ الْمَاهِلِ بَيْنَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَرَجَ فَتِيَانُ الْحَقِّ فِي
طَلَبِ قَارِبِ لَهْمٍ، وَشَاءَ اللَّهُ أَنْ أَصَابَهُ وَغَكَهُ^(٢) شُغْلَهُ عَنِ الْخُرُوجِ، وَأَمْعَنَ الْقَوْمُ،
وَلَمْ يَقِنْ فِي الْحَقِّ غَيْرَهُ، وَنَحْنُ آمْنُونَ وَادْعُونَ، ثُمَّ أَدْبَرَ الظَّلَيلَ، وَأَسْفَرَ الصَّبَاحَ،
فَطَلَّعَتْ عَلَيْنَا غُرَّ الْجَيَادِ، وَطَلَّانِيَ الْمَدُوَّ، وَمَا هُوَ إِلَّا هُنْيَّهَ حَتَّى أَحْرَزُوا الْأَمْوَالَ
دُونَ أَهْلِهَا، وَهُوَ يَسْأَلُنِي عَنِ الصَّوْتِ، وَأَنَا أَسْتَرُ عَنْهُ الْخَبَرَ إِشْفَاقًا عَلَيْهِ وَضَنًا بِهِ.

وَلَسَاعَلَتِ الْأَصْوَاتُ، وَبَرَزَتِ الْمَخْدَرَاتُ^(٣)، رَمَى دِنَارَهُ^(٤)، وَقَارَ كَمَا يَنْهَا
الْأَسْدُ، وَأَسْرَ يَاسِرَاجَ فَرْسَهُ، وَلَبِسَ لَآمَّةَ حَرْبِهِ، وَأَنْذَرَ رُحْمَهُ يَدِهِ، وَلَقَ حَمَّةَ الْقَوْمِ،
فَطَعْنَ أَدْنَاهُمْ مِنْهُ فَرَمَى بِهِ، وَلَقَ أَبْعَدَمْ مِنْهُ فَقَتَلَهُ؛ فَانْصَرَفَتْ وِجْهَ الْفَرَسَانِ، ثُمَّ رَأَوْهُ
صَبِيًّا صَغِيرًا لَا مَدَدَ وَرَاهُ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِ، فَأَقْبَلَ يَوْمُ الْبَيْوتِ، وَنَحْنُ نَدْعُ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِالسَّلَامَةِ، حَتَّى إِذَا مَدَّمْ وَرَاهُ، وَأَنْتَدَوْا فِي أُثْرِهِ عَطْفَ عَلَيْهِمْ، فَفَرَّقَ
شَلَّهُمْ، وَشَتَّتَ جَهَنَّمَ، وَقَلَّ كُثُرَهُمْ، وَمَزَقَهُمْ كُلَّ مُمْزَقٍ، وَمَرَّقَ كَمَا يَرْقُ
السَّهْمُ. وَنَادَاهُمْ: خَلُوا عَنِ الْمَالِ! فَوَاللَّهِ لَا رَجْتَ إِلَّا بِهِ أَوْ أَهْلِكَ دُونَهِ!

فَانْصَرَفَتْ إِلَيْهِ الْأَقْرَانُ، وَتَمَاهَلَتْ نَحْوَهُ الْفَرَسَانُ، وَحَلَّوْا عَلَيْهِ، وَقَدْ رَفَعُوا إِلَيْهِ
الْأَسْتَنَةَ، وَعَطَّفُوا عَلَيْهِ بِالْأَعْنَاءَ، فَوَنَبَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَهْدِرُ كَمَا يَهْدِرُ
الْفَحْلَ مِنْ وَرَاهُ

(١) نَفَرَسُ : ثَبَتَ وَنَظَرَ، وَرَأَى النَّاسُ أَنَّهُ فَارِسٌ، وَتَمَرَّسُ : عَالَجَ الْأَمْوَالَ، وَاحْتَكَ بِهَا.

(٢) الْوَعْكَةُ : الْأَلْمُ مِنْ شَدَّةِ التَّعبِ (٣) الْمَخْدَرَاتُ : الْمَجْوِبَاتُ مِنَ النَّسَاءِ (٤) الدِّنَارُ : مَا فَوْقَ الشَّعَارِ مِنَ الْبَابِ.

الإبل ، وجعل لا يعطف على ناحية إلا حطمها ، ولا كتيبة إلا مزقها ، حتى لم يبق من القوم إلا من نجا به فرسه .

ثم ساق المال وأقبل به ؛ فكثير القوم عند رؤيته ، وفرح الناس بسلامته .
فو الله ما رأينا قط يوماً كان أسمع صباحاً ، وأحسن رواحاً من ذلك اليوم ، ولقد سمعته يقول في وجوه فتيات الحى هذه الأبيات :

تأملْ فلْ هَلْ رَأَيْتُنْ شَهَدَهْ إِذَا حَسْرَجَتْ نَفْسُ الْجَبَانِ مِنَ الْكَرْبَاءِ
وَضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَهْ مِنَ الْخُوقِ مَسْلُوبُ الْعَزَمَةِ وَالْقُلُبِ
أَمْ أَعْطَ كَلَّا حَقَّهُ وَنَصِيبَهْ مِنَ السَّهْرَى الْلَّدُنِ وَالْمُرْهَفِ الْعَصْبِ^(١)
أَنَا ابْنُ أَبِي هَنْدٍ بْنَ قَيْسٍ بْنَ مَالِكٍ سَلِيلُ الْمَعَالِ وَالْكَارَمِ وَالسَّيْبِ^(٢)
أَبِي لَيَّ أَنْ أَعْلَى الْفَلَامَةِ مُرْهَفَهْ وَطَرْفَ^(٣) قَوْيَ الظَّهَرِ وَالْجَوْفِ وَالْجَنْبِ
وَعَزْمٌ صَحِيحٌ لَوْ ضَرَبَتْ بِهِ الْجَبَالُ الرَّوَاسِ لَا يَحْطُطُنَّ إِلَى التَّرْبِ
وَعِرْضٌ تَقَنَّ أَنْقَى أَنْ أَعْيَاهُ وَبَيْتٌ شَرِيفٌ فِي ذُرَّا نَعْلَبُ الْفُلْبِ^(٤)
لَكَنَّ ، وَأَحِيمَكَنَّ بِالْطَّعْنِ وَالْغَرْبِ فَإِنْ لَمْ أَفَاتِلْ دُونَكَنَّ وَأَحْتَنِ
يَهِينَتَهُ بِالْفَارَسِ الْبَطَلِ النَّذْبِ^(٥) فَلَا صَدْقَ الْلَّاتِي مَشِينَ إِلَى أَبِي

(١) السهري : الرمع ، وهو منسوب إلى سهري ؟ رجل كان يتفنن الرماح ، والمرهف : البف الرقيق المد ، والعصب : القاطع (٢) السيب : الطاء (٣) الطرف : الكرم من الخيل .

(٤) نطب : أصله نطبة وهي قليلة الفلام ، والقلب جمع أغلب ، وهو الأسد ؛ يريد أنهم شجعان .

(٥) النذب : المغيب في الحاجة .

٧١ - خائف وجد مأماناً*

قال وهب بن ناجية الرّصافَ : كُنْتُ أَحَدُ مَنْ وقَعَتْ عَلَيْهِ التَّهْمَةُ فِي مَالِ
مَصْرَ أَيَامَ الْوَاثِقِ ، فَطَلَبْنِي السُّلْطَانُ طَلَباً شَدِيداً ، حَتَّى ضَاقَتْ عَلَى الرَّصَافَةِ^(١)
وَغَيْرُهَا ، فَزَرَجْتُ إِلَى الْبَادِيَةِ مَرْتَاداً رَجَلاً عَزِيزَ الدَّارِ ، مُنْيِعَ الْجَارِ ، أَعُوذُ بِهِ ،
وَأَنْزَلُ عَلَيْهِ .

فَيَنِمَا أَنَا أَسِيرُ إِذَا رَأَيْتُ خِيَاماً ، فَعَدَلْتُ إِلَيْهَا ، فَلَمْ يَكُنْ بِيَتْ مِنْهَا مَضْرُوبٌ ،
وَبِفَنَائِهِ رُمْحٌ سَرْكُوز ، وَفَرْسٌ مَرْبُوطٌ ؟ فَدَنَوْتُ فُسْلَتْ ، فَرَدَ عَلَى نَسَاءٍ مِنْ وَرَاءِ
السَّجْفِ^(٢) ، وَقَالَتْ لِي إِحْدَاهُنْ : اطْمِنْ يَا حَضْرَى ، فَنَمْ مَنَاخُ الضَّيْفَانَ بَوَّاْكَ
الْقَدَرَ ، وَمَهْدِكَ السَّفَرِ . قَلَتْ : وَأَنِي يَطْمَئِنُ الْمَطْلُوبُ ، أَوْ يَأْمُنُ الرَّغْوُبُ ، مِنْ
دُونِ أَنْ يَأْوِي إِلَى جَبَلٍ بِمَصِيمَهُ ، أَوْ مَأْمَنٍ أَوْ مَفْزَعٍ يَمْنَعُهُ ! وَقَلِيلًاً مَا يَهْجِعُ مَنْ
السُّلْطَانُ طَالِبُهُ ، وَالخُوفُ غَالِبُهُ ! قَالَتْ : لَقَدْ تَرَجَمَ لِسَانَكَ عَنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ ، وَقَلْبِ
صَفِيرٍ ، وَإِيمَانُ اللهِ لَقَدْ حَلَّتَ بِفَنَاءِ رَجُلٍ لَا يُضَامِنُ بَفَنَائِهِ أَحَدٌ ، وَلَا يَجْمُوعُ بِسَاحَتِهِ
كِيدٌ ، هَذَا الْأَسْوَدُ بْنُ قَفَانَ ، أَخْوَالُهُ كَبُّ ، وَأَعْمَامُهُ شَيْبَانَ ، صَمْلُوكُ^(٣) الْحَىِ فِي
مَالِهِ ، وَسَيِّدُهُمْ فِي حَالِهِ ، وَسَنْدُهُمْ فِي فَعَالِهِ^(٤) ، صَدُوقُ الْجَوَارِ ، وَقُودُ النَّارِ ؛ وَبِهِذَا
وَصْفَتْ أَمَامَةُ بْنُ خَرْجَ حَبْتُ تَقُولُ :

* محاضرات الأبرار : ٢ - ١١٦

(١) الرّصافَةُ : عَلَيْهِ يَنْدَادُ (٢) السَّجْفُ : الستُّرُ (٣) أَصْلُ الصَّمْلُوكِ الْفَقِيرُ : وَالْزَّرَادُ أَنَّهُ يَنْفَعُ
حَتَّى يَصِيرَ فَقِيرًا (٤) الْفَعَالُ : (بِالْفَتْحِ) الْفَعْلُ الْمُسْنُ مِنْ فَاعْلٍ وَاحِدٍ ، وَإِذَا كَانَ مِنْ فَاعْلِنَ
فَهُوَ الْفَعَالُ (بِالْكَسْرِ) .

إذا شئتَ أن تلقى فتىً لو وزنتهِ
بكلِّ معدىٍ وكلِّ يماني
وفَّ بها فضلاً وجوداً سُوداداً
ورأياً، فذاك الأسود بن قسان
فتى لا يرى في ساحةِ الأرضِ مثلهِ
ل يومٍ ضرائبٍ أو ل يومٍ طِمان
قال : قلت : يا جارية ، وأتى لي به ! فقالت : ياخادم ، مولاك ! فلم تلبث
أن جاءت وهو معها في جماعةٍ من قومه ، وقال : أىَ المُتعين علينا أنت ؟ فسبقتني
المرأة ، وقالت : هذا رجلٌ نَبَتْ بهُ أوطانه ، وأزعجه زمانه ، وأوحشه سلطانه ؛
وقد صَنَّينا له ما يُصْنَّن لملوك ، قال : بلَّ اللَّهُ فاك ، أشهدكم يائني عن
آنٍ هذا الرجل في جواري وفي ذمتي ، فمن آذاه فقد آذاني ، ومن كاده فقد كادني .
وأمر بيبيتٍ فضرب إلى جانبه ، وقال : هذا بيتك وأنا جارك ، وهؤلاء رجالك .
فلم أزل بينهم في خففي وسسته إلى أن سرتُ عنهم .

٧٢ - تحرن^{*} إلى وطنيها*

هَوَى بعْضُ خَلْفَاءِ بْنِ الْعَبَّاسِ أَعْرَابِيَّةً فَتَزَوَّجُ بَهَا ، فَلَمْ يَوَافِقْهَا هَوَى الْمَدِنِ ، فَلَمْ تُرْزَلْ تَقْتِلَ وَتَنَاؤِه ، مَعَ مَاهِيَّةِ عَلَيْهِ مِنَ النِّسْمِ وَالرَّاحَةِ ، وَالْأُمْرِ وَالنَّهْيِ ؛ فَسَأَلَهَا عَنْ شَانِهَا ، فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا تَجَدَّدُ مِنَ الشَّوْفِ إِلَى الْبَرَارِي وَأَحَالِيبِ^(١) الرَّعَاءِ ، وَوَرَودِ الْمِيَاهِ الَّتِي تَعُودُتْ ؟ فَبَنَى لَهَا قَصْرًا عَلَى رَأْسِ الْبَرَّةِ بِشَاطِئِ دَجْلَةِ^(٢) ، وَأَمْرَ بِالْأَغْنَامِ وَالرَّعَاءِ أَنْ تَسْرَحَ بَيْنَ يَدِيهَا وَتَرَاهُ لَهَا ؛ فَلَمْ يَرِزِّدْهَا ذَلِكَ إِلَّا اشْتِيَاقاً إِلَى وَطْنِهَا .

ثُمَّ مَرَّ بَهَا يَوْمًا فِي قَصْرِهَا مِنْ حِيثُ لَا تَشْعُرُ بِمَكَانِهِ ، فَسَمِعَهَا تَنْتَهِبُ وَتَبْكِي ، حَتَّى ارْفَعَ صَوْتَهَا ، وَمَلَأَ نَهْيَهَا ، ثُمَّ قَالَتْ :

وَمَا ذَنْبُ أَعْرَابِيَّةِ قَذَّفَتْ بَهَا صَرْوَفُ التَّوَى مِنْ حِيثُ لَمْ تَكُنْ ظَنِّتِي
 تَقْتَلَتْ أَحَالِيبَ الرَّعَاءِ وَخِيمَةَ بَنِجَدِ فَلَمْ يُقْضَ لَمَّا مَاتَتِ
 إِذَا ذَكَرْتَ مَاءَ الْمَذَبَّ^(٣) وَطَبَيْهِ وَبِرَدَ حَصَاءَ آخِرِ الْيَوْلِ أَنْتَ
 لَمَّا أَنَّهُ عِنْدَ الْعَشَاءِ وَأَنَّهُ سَحِيرًا ، وَلَوْلَا أَنْتَاهَا لَجِئْتِ
 فَرْجَ عَلَيْهَا الْخَلِيفَةَ ، وَقَالَ : قَدْ قُضِيَ مَا تَنَبَّتْ ، فَالْحَقِّ بِأَهْلِكَ مِنْ غَيْرِ فَرَاقِ ؛
 فَإِنَّمَا مَرَّ عَلَيْهَا وَقْتٌ أَسْرَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَسَرَى مَاهِيَّةِ الْحَيَاةِ فِي وَجْهِهَا مِنْ جِينِهَا ، وَالْتَّحَقَتْ
 بِأَهْلِهَا بِجَمِيعِ مَا كَانَ عِنْدَهَا فِي قَصْرِهَا ، وَظَلَّ الْخَلِيفَةُ يَزُورُهُمْ فِي أَهْلِهَا بَيْنَ الْحَيْنِ
 وَالْمَيْتِ .

* محاضرات الأبرار : ٢ - ٤٤٨

(١) الإحلابة : أن يخلب لأمهله وموف الرعى لبناً، ثم يبعث به اليهم، وجده أحاليب، والرعاة جم راع (٢) دجلة : نهر بالعراق (٣) المذبب : موضع .

قال محدث : سأله أبا الندى^(١) - وكان من أعلم من شاهدت بأخبار العرب : هل تعرف من شعر الله لقاء بنت الأبيض في ابن عمها نجدة بن الأسود ؟ قال : نعم ، كنت فيهن حضر جنازة نجدة ، حق وضناه في قبره ، وأهلنا عليه التراب ، وصَدَّرَنَا^(٢) عنه غير بعيد ، فأقبلت نسوة يهادين^(٣) ، فيهن امرأة قد فاقتهن طولاً ، كالفنون الرطيب ، وإذا هي الله لقاء ؛ فأقبلت حقاً كتبت على القبر ، وبكت بكاء مخراقاً ، وأظهرت من وجدها ما خفون معه على نفسها ، فقلن لها : يا ذلقاء ؛ إنه قد مات السادات من قومك قبل نجدة ، فهل رأيت نساءهم قتلن أنفسهن عليهم ؟ فلم يزلن بها حتى قامت ، فانصرفت عن القبر ، فلما صارت منه غير بعيد عطفت بوجهها عليه ، وقالت :

سُمِّتْ حيَاتِي حين فارقْتُ قَبْرَه ورُختْ وَمَاهُ الْعَيْنِ يَنْهَلُ هَامِلَه^(٤)
وقالت نساء الحى : قد مات قبله شريف فلم تهلك عليه حلائنه^(٥)
صدقن ، لقد مات الرجال لم يمت كنجدة من إخوانه من يعادله
فتى لم يضيق عن جسمه لحد قبره وقد وسَعَ الْأَرْضَ الفضاء فضائله
قال . فقلت : أحسنت والله يا أبا الندى وأحسنت ! فهل تعرف من شعرها
 شيئاً آخر ؟ قال : نعم ! كنت ممن حضر قبر نجدة عند زيارتها أيام تمام حوله

* معجم الأدباء : ١٧ - ١٦٠

(١) محمد بن أحد أبو الندى القندجانى اللغوى : رجل واسم العلم ، راجع المعرفة باللغة وأخبار العرب وأشعارها (٢) رجعناعته (٣) يقابلن فى مشيتها (٤) ينبل : ينصب ؟ وهامله : دمعه الفائض (٥) أى زوجاته .

فرأيتها قد أقبلت حتى أكبت على القبر، وبكت بكاء شديداً، ثم أنسأت تقول :

يا قبر نجدة لم أهجرك مقلية ولا جفوتك من صبرى ولا جلدى
لَكِنْ بِكِيْتُكَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَدَدَا
مِنَ الدَّسْوِعِ وَلَا عَوَنَا مِنَ الْكَمَدِ
فَقَلَّتِ الْعَيْنُ : فِيْضِي مِنْ دَمِ الْكَبِيدِ
حَتَّى بَقِيتُ بِلَا عَيْنٍ وَلَا جَسَدٍ
نَفْسِي عَلَيْكَ سَوِيْ قَتَلَّهَا يَدِيْ
وَالله يَعْلَمُ لَوْلَا الله ما راضيت.

قال : فقلت : أحسنت والله يا أبا الندى وأحسنت ! فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر ؟ قال : نعم : حضرنا في زمان الربيع ونحن في رياض خضرارة معيشة ، فركب الفتىان ، وعقدوا التذبـ (١) الصفرـ ، في القنا الحمر ، وجعلوا يتجللون . فلما أردنا الانصراف ، قال بعضنا البعض : ألا تجعلون طريقكم على الذلفاء ! لعلها إذا نظرت إليكم سلت بين بق عمره !

قال : فخرجنا نوئها فأصبناها بارزة من خباءها ، وهي كالشمس الطالعة ، إلا أنه يعلوها كسوف الحزن ، فسلمنا عليها ، وقلنا : ياذلفاء ؟ إلى متى ي تكون هذا الوجود على نجدة ؟ أما آن لك أن تتسلى بن بق من بني عنك عن هلك ؟ هانحن أولاء سادات قومك وفتياهم ونجومهم ، وفينا السادة والذادـ (٢) ؛ والباس والنجدـ ؟ فأطربت مليا ، ثم رفعت رأسها باكيه وهي تقول :

صدقتم إني لكم لنجوم قوى ليوث عند مختلف العوالـ (٣)
ولكن كان نجدة بدر قوى وكهنهم المنيف على الجبال !
فاحسن السماء بلا نجـ وـ ومـ وما حسن التجوم بلا هـلال !
ثم دخلت خباءها ، وأرسلت سـرـتها ، فكان آخرـ المـعـهدـ بها !

(١) أي الريات ، والقنا الحمر : الرماح (٢) النادة المدافعون ، جمع ذاته (٣) العوالى : جمع عالية ، وهي أعلى القناة أو النصف الذي يلي السنان :

٧٤ — المتكلمة بالقرآن *

قال عبد الله بن المبارك : خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام ، وزيارة نبيه عليه السلام ، فبينما أنا في الطريق إذ أنا بسوان ، فتميّزت ذاك ، فإذا عجوز عليها درع ^(١) من صوف وحمار ، قلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته . فقالت : « سلامٌ قوّلَا مِنْ رَبِّ رَحْمَةٍ ». قلت لها : رَحْمَكَ الله ! ما نصنعين في هذا المكان ؟ قالت : « وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ » ؛ فقلت أنها ضالة عن الطريق .

قلت لها : أين تريدين ؟ قالت : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِنَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ التَّسْجِيدِ الْحَرَامِ إِلَى التَّسْجِيدِ الْأَقْصَى » ، فقلت أنها قضت حجها وهي تريد بيت المقدس . قلت لها أنت منذكم في هذا الموضوع ؟ قالت : « ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ». قلت : ما أرى معلك طعاماً تأكلين ؟ قالت : « هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِنِي ». قلت : فبأى شيء تتوسطين ؟ قالت : « فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَاهَ فَتَبِعُمُوا صَعِيدًا طَيْأًا ». قلت لها : إن معى طعاماً ؟ فهل لك في الأكل ؟ قالت : « نَمَّ أَتَمُوا الصَّيَامَ إِلَى الْلَّيْلِ » ، فقلت : قد أبيع لنا الإفطار في السفر ، قالت : « وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

قلت : لم لا تتكلمينى مثل ما أكلمت ؟ قالت : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » ، فقلت : فمن أى الناس أنت ؟ قالت : « وَلَا تَقْنُ

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّهُ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتَوً لَا } .

فقلت : قد أخطأتُ فأجعليف في خيلٍ ، قالت : { لَا تَنْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ بَنْفِرُ اللَّهِ لَكُمْ } .

فقلتُ : فهل لكِ أن أحلكِ على ناقتي ؟ فتدركِي القافلة ؟ قالت : { وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ } :

قال : فأنجت الناقة ، فقالت : « قلن المؤمنين يفضلوا من أبناء إبراهيم ». ففضضت بصرى عنها ؟ وقلت لها أزكي .

فَلَا أَرَادْتُ أَنْ تَرْكِبَ ثِرَاتَ النَّاقَةِ؛ فَرَزَقْتُ نَيَابَهَا؛ فَقَالَتْ : { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ
مُصِيبَةٍ فَإِنَّا كَبَتْ أَيْدِيكُمْ } ، قَلَتْ : لَهَا زَكْرٌ كَبِيٌّ ، قَالَتْ : { سُبْحَانَ الَّذِي
سَخَرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُنْزَهِينَ^(١) * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمْنَقِلُّوْنَ }
فَأَخْذَتْ بِزِمامِ النَّاقَةِ، وَجَعَلَتْ أَسْعَى وَأَصْبَحَ؛ فَقَالَتْ : { وَأَقْصِدُ فِي مَشِيكَ
وَأَغْضُضُ مِنْ صَوْتِكَ } ، فَجَعَلَتْ أَمْشِي رويداً رويداً، وَأَتَرَنَّمَ بِالشِّعْرِ؛ فَقَالَتْ
{ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ } . قَلَتْ لَهَا : لَقَدْ أُوتِيتِ خَيْرًا كَثِيرًا، فَقَالَتْ :
{ وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلَبَابِ } .

فَلَا مُشِيتْ بِهَا قَلِيلًا قُلْتُ لَهَا : أَلَكِ زَوْجٌ ؟ قَالَتْ : { يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدِ لَكُمْ تَسْوِيْكُمْ } .

فَسَكَتَ وَلَمْ أَكُمْهَا، حَتَّى أَدْرَكَتُ بِهَا الْقَافْلَةَ، فَقَالَتْ لَهَا: هَذِهِ الْقَافْلَةُ؛ فَنَذَّكَ فِيهَا؟ فَقَالَتْ: «الْمَالُ وَالْبَيْتُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»؛ فَنَعِمْتُ أَنْ لَمْ يَأْلَمْهُ.

(١) أقرّن للاُمُر : أطّاقه وقوي علّه .

فقلت : وما شأْنُهُمْ فِي الْحَجَّ ؟ قَالَتْ : ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمٍ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ، فقلت
أنهم أدلة الرَّكْب .

قصدت القباب والمعارات ؛ فقلت : هذه القباب ؟ فن لَكَ فِيهَا ؟ قَالَتْ :
﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ أَبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ . ﴿ وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَسْكِلِيَّا ﴾ . ﴿ يَا يَحْسِنِي أَخْذِ
الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ . فناديت : يا إبراهيم ، يا موسى ، يا يحيى ؟ فإذا بشَّانَ كَانُوهُم
الأقوار قد أَفْبَلُوا ؛ فلما استقرَّ بهم الجلوس ، قَالَتْ : ﴿ أَبْتَغُوا أَحَدَكُمْ
بِوَرِيقَتِكُمْ ﴾^(١) هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَيَنْظُرُوا إِلَيْهَا أَزْكَنَ طَعَامًا فَلَيَأْتِيَنَّكُمْ
بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾ .

فغضي أحدم ، فاشترى طعاماً قدّمه بين يديه ، فقالت : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا
هَنِئُوا بِمَا أَسْلَهْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْمُلْآتِيَّةِ ﴾ .

فقلت : الآن طعامكم على حرام حتى تخبروني بأمرها ؟ قالوا : هذه أمْنا ، لها
منذ أربعين سنة لم تتكلّم إلا بالقرآن ؛ مخافة أن تزل فيسقط عليها الرحمن ؛ فقلت :
﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْمَظِيرِ ﴾ .

(١) الورق : الدرام المضروبة .

البَابُ الْثَالِثُ

فِي الْقُصُصِ الَّتِي تُعَلِّمُ ذِلَاقَةَ أَسْنَاهُمْ، وَحِكْمَةَ مِنْطَقَهُمْ،
وَمَا يَنْضَافُ إِلَى ذَلِكَ مِنْ فَصَاحَةِ الْلُّفْظِ، وَبِلَاغَةِ الْمَعْنَى،
وَجَالِ الْأَسْلُوبِ، وَحْسَنِ التَّصْرِيفِ فِي الإِبَانَةِ وَالْتَّعبِيرِ.

٧٥ — بنو أسد وامرؤ القيس *

قدم على أمرى القيس^(١) بن حجز السكندي بعد مقتله أبيه رجالات من بنى أسد، فيهم المهاجر بن خداش، وعبيد بن الأبرص، وقبصة بن نعيم؛ وكان رجلاً مقيماً في بنى أسد، ذا بصيرة بمواقع الأمور وزداؤها وإصدارها، يُعرف بذلك له مَنْ كان محيطاً بأكناف بلده من العرب.

فأ لما علم امرؤ القيس بمكانهم أمر يأنزلهم، وتقدم^(٢) فـ إكرامهم والإفضال عليهم، واحتسب عنهم ثلاثة.

قالوا لمن يبابه من رجال كندة: ما بال الرجل لا يخرج إلينا؟ فقيل لهم: هو في سُفل ياخْرَاج ما في خزان حجز من العُسْدَة والسلاح. قالوا: اللهم غُفرانًا إِنَّمَا قدمنا في أمرٍ تناسى به ذكر ماسلك، ونستدرك به ما فرط؟ فلُبِيلْخ ذلك عنا.

فرج إليهم بعد ثلاثة في قيام^(٣) وخفت وعمامة سوداء. وكانت العرب لا تتم بالسوداد إلا في الترات^(٤). فلما رأوه نهضوا له، وبدر إليه قبصه فقال: إنك في محلٍ وقدر المعرفة بتصرف الدهر، وما تحدى ثة أيامه، وتنقل به

* الأغاني: ١٠٣-٩ (طبعة دار الكتب)، صبح الأعنى: ١٢٦-٣

(١) هو أشهر شعراء الجاهلية وأرفهم منزلة، يتصل نسبه بملوك كندة، كان قوي الشاعرية رقيق الوصف دقيق الشعور. توفي سنة ٥٦٠ م (٢) تقدم في كذا: أمر به. (٣) القيام: التوب المجتمع الأطراف (٤) الترات: جمع ترة؛ وهي في الأصل مصدر وتر؛ أى قص، واستعمل في الثأر.

أحواله بمحض لا تحتاج إلى تبصيرٍ واعظٍ ، ولا تذكرة مجرّبٍ ، ذلك من سوادِ
منصبك ، وشرفُ أغرّاً فكَ (١) ، وكرمُ أصلك في العربِ يختتمُ مائلاً
عليه من إقالة العترة ، والرجوع عن المفتوحة ؛ ولا تتجاوزُ الهممُ إلى غايةِ إلا
رَجعتْ إليك ؟ فوجدتْ عندك من فضيلة الرأي ، وبصيرة الفهم ، وكرمِ الصفح
ما يطويُل رغباتها ، ويستفرغ طلباتها .

وقد كان الذي كان من الخطيب الجليل ، الذي عمت رزانته نزاراً واليمان ، ولم
تخصّصْ به كندةٌ دوننا ؟ للشرفِ البارع الذي كان لمجرّ . ولو كان يُفدي هالك
بالأنفس الباقية بهذه لما بخلَتْ كرامتنا (٢) مثله ببذل ذلك ، ولقد بناه منه ، ولكنْ
مضى به سيلٌ لا ترجع أولاًه على أخراه ، ولا يتحققُ أقصاهُ أذناه .

فأشهدُ الحالات في ذلك أن تعرفَ الواجبَ عليك في إحدى خلال ثلاثة :
إما أن اخترتَ من بنى أسدٍ أشرَقَها ينتا ، وأعلاها في بناءِ المكرُّمات صوتاً ، فقدناه
إليك بنسنة (٣) تذهب مع شفراتِ حُسامك يباقي قصداً ته (٤) ، فيقال : رجلٌ
امتحنَ يهلك عزيز عليه ؟ فلم تُستلِّ سخيته إلا بتسلكينه من الانتقام ؟ أو فداء
بما يروح (٥) على بنى أسدٍ من نعمها ، فهى ألوف تجاوزُ الحسبة ، وكان ذلك فداء
ترجع به القُضبُ (٦) إلى أصحابها ، لم يرددُه تسليط الإحن على البراء ؛ وإما أن
تودعنا حتى نضعُ الحواملُ فتسدلَ الأزرُ ، وتُفقدَ المُثرُ فوقَ الرياثاتِ .

فبكى أمرُ القيس ساعة ، ثم رفع طرفَه إليهم فقال : قد علمتِ العربُ أن

(١) الأغرّاق : جمع عرق ، وهو أصل كل شيء . (٢) الكرام : خيار الأموال وقد يراد بها
القوس أو النساء . (٣) النسنة : السيد من الجلد يجعل زماماً للبعير فيقاد به . (٤) الفضة :
المنق . (٥) يروح : يرجع . (٦) القضب : السيف .

لَا كُفْرَنَ لِجَزِيرَنِ دَمٍ ، وَأَنِّي لَنْ أَعْتَدَنَ بِهِ نَاقَةً أَوْ جَلَانَ فَأَكْتَسِبَ بِذَلِكَ سُبَّةَ
الْأَبْدَ ، وَفَتَّ الْعَضْدَ ؛ وَأَمَا النَّيْرَةَ قَدْ أَوْجَبَتْنَا الْأَجْنَةَ فِي بَطْوَنِ أَمْهَاتِهَا ، وَإِنِّي لَنْ
أَكُونَ لَتَعْظِيمِهَا سَبِيلًا ، وَسِتَّرُونَ طَلَانِمَ كَنْدَةَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَحْمِلُ فِي الْقُلُوبِ حَنْقَانًا
وَفَوْقَ الْأَسْنَةِ عَلَقَانًا ^(١)

إِذَا جَاءَتِ الْخَلِيلُ فِي مَأْزَقٍ ^(٢) تُصَافِحُ فِي الْمَنَابِيَا النَّفَوسَا
أَبْقِيْمُونَ أَمْ تَنْصَرُونَ ؟ قَالُوا : بَلْ تَنْصَرُ بِأَسْوَى الْأَخْتِيَارِ ؛ لِحَرْبٍ وَبَلِيهَ ،
وَمَكْرُوهٍ وَأَذْيَةَ ! ثُمَّ نَهَضُوا عَنْهُ وَقَبِيْصَةٌ يَقُولُ مَمْتَلَأً :

لَعْلَكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ الْوَلَتَ إِنْ غَدَتْ كَتَائِبُنَا فِي مَأْزَقِ الْوَلَتِ تُنْفِطِرُ
فَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسَ : لَا وَاللهِ ، لَا أَسْتَوْخِمُهُ وَلَكِنْ أَسْتَعْذِ بِهِ ؛ فَرَوِيدًا يَنْكَشِفُ
لَكَ دُجَاهًا عَنْ فُرْسَانَ كَنْدَةَ وَكَتَائِبِ حَمِيرٍ ، وَلَقَدْ كَانَ ذَكْرُهُ غَيْرُ هَذَا أَوْلَى بِي ،
إِذَا كُنْتَ نَازِلًا بِرَبْنَى ، وَمَتْحَرَّمًا بِذِمَامِي ، وَلَكِنْكَ قَلْتَ فَأَجَبْتُ .

قَالَ قَبِيْصَةٌ : إِنَّ مَا تَنْتَوِعُ فِيْقَدْرِ الْمَعَاتِبِ وَالْإِعْتَابِ ^(٣) ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسَ :
هُوَ ذَلِكَ !

(١) الملق : الهم (٢) المأزق : الضيق (٣) الاعتباَب والمعنى : رجوع العتب عليه
إِلَى مَا يَرْضِي الْمَاعِبَ .

وفد الأعشى^(١) إلى النبي عليه السلام ، وقد مدحه بقصيدته التي أورثها :
 ألم تقمض عيناك ليلةً أرمداً^(٢) وعادك ماءِ الدَّلَمِيْمِ^(٣) المَسْهَدَا
 وما ذاك من عشق النساء وإنما^(٤) تناصيت قبل اليوم خلةً مهدداً^(٥)
 وفيها يقول لناته :

ذَالِيلُتُ لَا أَرْزِنِي طَامِنَ كَلَالَةً^(٦) وَلَا مِنْ حَنَّاً^(٧) حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّداً
 نَبِيٌّ يَرَى مَالًا تَرَوْنَ وَذَكْرُهُ^(٨) أَغَارَ لَعْرِي فِي الْبَلَادِ وَأَنْجَدَا^(٩)
 مَقِيْ مَاتُنَّا خَيْرٌ عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَشَمٍ^(١٠) تَرَاهِي^(١١) وَتَلَقَّى مِنْ فَوَاضِلِهِ يَدَا
 فَلَعْنَ خَبِيرُهُ قَرِيشَاً ؟ فَرَصْدُوهُ عَلَى طَرِيقِهِ وَقَالُوا : هَذَا صَنَاجَةُ^(١٢) الْعَرَبُ ، مَامِدْحَ
 أَحَدًا قَطْ إِلَّا رَفِعَ فِي قَدْرِهِ .

فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِمْ قَالُوا لَهُ : أَيْنَ أَرْدَتِ يَا أَبَا بَصِيرٍ ؟ قَالَ : أَرْدَتُ صَاحِبَكَ
 هَذَا لِأُسْلِمٍ . قَالُوا : إِنَّهُ نَهَاكَ عَنْ خَلَالِ وَيَحْرِمُهَا عَلَيْكَ ، قَالَ : وَمَا هِيَ ؟
 قَالَ أَبُو سَفِيَانُ بْنُ حَرْبٍ : الْرَّنَا . قَالَ : لَقَدْ تَرَكْنِي الرَّنَا وَتَرَكْتُهُ ، ثُمَّ مَاذَا ؟
 قَالُوا : الْقِيَارُ ، قَالَ لَعَلَّيْ إِنْ لَقِيْتُهُ أَنْ أُصِيبَ مِنْهُ عَوْضًا مِنْ الْقِيَارِ ، ثُمَّ مَاذَا ؟

* الأغاني : ١٢٥-٩ (طبعة دار الكتب) ، سيدة ابن هشام : ٢٣١-١

(١) اسمه ميمون بن قيس ، أحد الأعلام من شعراء المحا吏ية وغوفهم ، متصرف في المديح والمجاه ، وهو أول من سأله الشاعر ، واتجه به أناصي البلاد : توفى سنة ٦٢٩ م (٢) رجل أرمد : به رمد في عينيه ، والكلام على تقدير مصدر مخوذ ، والتقدير . اغتصب ليلةً أرمداً ، خذف المضاف وأقيمت ليلةً بدله (٣) السليم . اللدين (٤) مهدد : اسم امرأة (٥) الكلالة : التعب (٦) الخنا : رقة القدم (٧) أغمار : دخلن التبور ؟ وهو كل ما انحدر مغرباً عن تهامة ، وأنجد : دخل التجدد ، وهو ضد التبور (٨) تراحي : تستريح (٩) كان الأعشى يسمى صناجة العرب ، بلودة شعره . وأصل الصناجة : اللاعب بالصنع .

قالوا : الرّبَا . قال : مادِنْتُ ولا ادَنْتُ ؟ ثم ماذا ؟ قالوا : المُنْهَر . قال : أَوْهَ !
أَزْجَحَ إِلَى صُبَابَةٍ قد بقيت فِي الْمِهَارَس^(١) فأشرَّهَا .

قال له أبو سفيان : هل لك في خيرٍ مما هلتَ به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن
وهو الآن في هذّة ، فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع إلى بلدك سنتك هذه ، وتنظر
ما يصير إليه أسرنا . فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاً ، وإن ظهر علينا أتيته .
قال : ما أَكْرَهُ ذلك . فقال أبو سفيان : يامشر قريش ، هذا الأعشى ! والله لئن
أني محمدًا واتبعه ليضرّ من عليكم نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الإبل ،
فقلعوا ، فأخذها وانطلق إلى بلده . فلما كان بقاع مَنْفُوحَة^(٢) رمى به بغير فقتله .

(١) المهارس : حجر متقوّر يسمى كثيراً من الساء . (٢) منفوجة : قرية مشهورة من
فواحى الباهة .

٧٧ — رثاء فوق قبر *

كان عامر^(١) بن الطفيلي أفرسَ أهل زمانِه وأسودَم ، فلما مات ودُفنَ مَرَّ على قبره حيَّان بن سلى — وقد غاب عند موته — فقال : ما هذه الأنصاب ؟ فقالوا : نصَبناها على قبر عامر ، فقال : ضيَّقْتُم على أبي على ، وأفضَّلتُم^(٢) منه فضلاً كثيراً . ثم وقف على قبره وقال : أنتم ظلاماً أبا على افواهُ الله لقد كنت تشنُّ الغارة ، وتحمي الجارة ، سريعاً إلى الموى بوعديك ، بطيئاً عنه بوعيدك^(٣) ! وكنت لا تصل حتى يصل النجم ، ولا تهاب حتى يهاب السيل ، ولا تعطش حتى يعطش البعير ؛ وكنت والله خيراً ماتكون حين لا تظن نفسَ بنفس خيراً .

ثم التفتَ إليهم ، فقال : هلا جعلتم قبر أبي على ميلاً في ميل !

* مجمع الأمثال : ٢٣-٢

(١) عامر بن الطفيلي بن مالك ابن أخي عامر ملاعب الأستنة ، وابن عم ليد الشاعر المعروف ، كان منادية ينادي يمكاظ : هل من راجل فأحله ، أو جائع فأطعمه ، أو خائف فأؤمنه ؟ وكان سيد بين عامر غير مدافع . وقد وفَدَ على النبي ومهه أربد آخر ليد يضران الشر والسوء خاتم مساعده ، وسار عامر يريد قومه فمات في الطريق سنة ١١ هـ (٢) أفضل منه : إذا ترك منه شيئاً ، والنفل والفضلة : البقية من الشيء . (٣) الوعيد في الشر ، والوعد في الحمد .

٧٨ - بِئْلَهُذَا فَلْيَنَ عَلَى الْمَوْكَ *

قال حسان بن ثابت^(١) : قدِمتُ عَلَى عَمْرُو بْنَ الْحَارِثَ ، فَاعْتَاصَ عَلَى الْوَصْوَلِ^{*}
إِلَيْهِ ، قَلْتُ لِلْحَاجِبِ بَعْدَ مَدَّةً : إِنِّي أَذْنَتُ لِي عَلَيْهِ وَإِلَّا هَجَوْتُ الْبَيْنَ كُلَّهَا مِنْ
أَقْلَبْتُ عَنْكُمْ . فَأَذْنَنَ لِي ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَوُجِدْتُ عِنْدَ النَّابِغَةِ وَهُوَ جَالِسٌ عَنْ
يَمِينِهِ ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدَةِ وَهُوَ جَالِسٌ عَنْ يَسَارِهِ ، قَالَ لِي : يَا بْنَ الْفَرِيْعَةَ ؟ قَدْ عَرَفْتَ
عِصَمَكَ^(٢) وَنَسِبَكَ فِي غَسَانَ ، فَارْجَعْتُ فَائِنِي بَاعْثَ إِلَيْكَ بِصِلَةٍ سَنِيَّةً ، وَلَا أَحْتَاجُ
إِلَى الشِّعْرِ ، فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ هَذِينَ السَّبْعِينَ - النَّابِغَةَ وَعَلْقَمَةَ - أَنْ يَفْضِحَاكَ ؛
وَفَضِيْعَتُكَ فَضِيْعَتِي ، وَأَنْتَ وَاللهِ لَا تَخْسِنُ أَنْ تَقُولَ :

رِفَاقُ النَّعَالِ طَيْبٌ حُجَّزَاتُهُمْ يُحِيِّيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَّاكِيبِ^(٣)
فَأَيْتُ وَقْلَتْ : لَابْدَهُنَّهُ ، قَالَ : ذَاكَ ، قَالَ إِلَى عَيْنِكَ ، قَلْتُ لَهُ : بِحَقِّ الْمَلَكِ
إِلَّا قَدَمْتَنِي عَلَيْكَمَا ! قَالَا : قَدْ فَعَلْنَا ، قَالَ عَمْرُو بْنَ الْحَارِثَ : هَاتِ يَا بْنَ الْفَرِيْعَةَ ،
فَأَنْشَأْتَ :

* الأغاني : ١٤ - ٢٢ .

(١) حسان بن ثابت ، شاعر الأنصار في البلاد ، وشاعر رسول الله في النبوة ، وشاعر اليمين كلها في الإسلام ، دافع عن رسول الله بشعره ، كما دافع عنه قومه بسيوفهم ، و عمر طويلاً . و مات سنة ٥٤ هـ (٢) العين : الأصل ، والفرية : أمها (٣) رفاق النعال : أى أن عالم رقيقة لا يخفونها طباقاً ، وذلك كناية عن قلة مشيهم ، لأنهم ملوك . بل يركبون الجبل غالباً ، وجزء الإزار والسرابيل يعم شدهما على الوسط من الجسم ، كناية عن عقفهم ، والسباسب : يوم الشعفين ، وهو يوم عبد عند النصارى ، وكان المدوح نصراانياً .

لَهْ دَرَّ عَصَابَةَ نَادِمَتُهُمْ
يُومًا بَحْلَقُ^(١) فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
أَوْلَادُ جَنْتَهُ^(٢) عِنْدَ قِبْرِ أَبِيهِمْ^(٣)
بَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيسُ^(٤) عَلَيْهِمْ
يُفْشَوْنَ حَتَّىٰ مَا تَهْرُكَ لَبَّهُمْ
لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْقَبِيلِ
شَمُّ الْأَنُوفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
فَلَبِثْتُ أَزْمَانًا طَسْوَالًا فِيهِمْ^(٥) كَأَنِّي لَمْ أَفْعَلِ

* * *

قال : فلم يزل عمرو بن الحارث يَزْحَلُ^(٦) عن موضعه سُرُورًا ، وهو يقول :
هذا وأبيك الشعر ؟ لا مَا يُعَلَّلَانِي به منذ اليوم ! هذه والله البُتَّارة التي قد بترت المداعع !
أحسنت يا بن الفُرْيَعَة ! هات له يا غلام ألف دينار مَرْجُوحة^(٧) ، فأعطيت ذلك ،
نم قال : لك على في كل سنة مثلها .

ثم أقبل على النابفة فقال : قم يا زيد ، فهاتِ النباء المسجوع ، قام النابفة
قال : ألا أنتم صباحاً أيها الملك المبارك ! السماء غطاواك ، والأرض وطاواك ، والوالدى

(١) جلق : دمشق (٢) جنتة : هو جنتة بن عمرو أبو ملوک الشام ، وأولاده هم : العنان
والنذر والنذير وجبلة وأبو شمر ، وكانوا جميعاً ملوكاً (٣) أراد بهذا أنهم أعزاء مقيمون بدار
ملكتهم ، ليسوا أصحاب رحلة واتجاع (٤) هي ماربة بنت ظالم الكندية أم الحارث الأعرج ،
وهي ذات القرطين الذين يضرب بها المثل ، فيقال لما يغلب به الثمن . بقرطى مارية ، وأختها هند
المنود امرأة حجر آكل المرار (٥) البريس : غوله دمشق (٦) صفق الشراب : حوله بمزوجا
من إماء إلى إماء ليصنفو . والريحق : الخمر أو أطيابها ، والسلسل : العذب البارد (٧) زحل عن
موضعه : زحف (٨) مرجوحة : هي ما كان في كل دينار منها عشر دنانير .

فداوْك ، والعرب وقاوْك ، والجم حاوْك ، والحكماء جلساوْك ، والمدارِه^(١) سماوْك ،
والقاوْل إخوانك والقل شمارك ، والحل دثارك ، والسكنية مهادك ، والوقار غشاوْك !
والبِر وسادك ، والصدق رداوْك ، والأيمان حذاوْك ، والسعادة ظهارتك ، والجَيَّة
بطانتك ، والملأ غايتك وأكرم الأحياء أحياوْك ، وأشرف الأجداد أجدادك ،
وخير الآباء آباوْك ، وأفضل الأعماق أعمامك ، وأسرى الأخوال أخوالك ، وأعف
بنسائه حلايثك ، وأفخر الشبان أبناءك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ، وأغلى البنين
بنيانك ، وأعدب المياه أمواهك ، وأفيح الدارات^(٢) دارتُك ، وأنزه الحدائق
حدائقك ، وأرفع اللباس لباسك ، قد حالف الإضربيج^(٣) عائقك ، ولازم المسْكُ
مسَكَك^(٤) ، وجاور العنبر ترايِيك^(٥) ، وصاحب النعيم جَسَدَك .

المسجد آنيتُك ، واللَّجَنْ صِحَافَك ، والعَصْب^(٦) مناديلك ، والحوارى^(٧)
طعامك ، والشهد إدامك ، وأنْلُر طوم^(٨) شَرَابَك ، والأشراف مناصيفك^(٩) ،
والخير بفنائك ، والشر بساحة أعدائك ، والنصر متتوط بلوائنك ، والخذلان مع
أوبية حُسَادَك ، والبِر فعلمك . قد طَحَطَحَ^(١٠) عدوَك غضبُك ، وهزم مَقَابِهم^(١١)
مشهدُك ، وسار في الناس عدلك ، وسكن قوارع الأعداء ظفرُك .

الذهب عطاوْك ، والدواة رمزُك ، والأوراق لَفْلُك ، والنفَنِ إمْرَاك ، وألف
دينار مرجوحة إيماؤك .

(١) المداره : جم مدره ، وهو السيد الشريف ، والقدم في اللسان واليد عند المقصومة

(٢) الدارة : المهل يضم البناء (٣) الإضربيج : الخز (٤) المسك . الجلد (٥) الترائب : خدام

الصدر (٦) العصب : نوع من البرود (٧) الموارى : لباب الدقيق (٨) المطروم : أول ما يجري
من النبع قبل أن يذاس (٩) جمع منصف وهو الخام (١٠) طَحَطَحَ : كسر وفرق وبدد إهلاكا .

(١١) القنب من التليل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين .

أيَفَاخْرُكَ النَّذْرُ الْلَّاغِيْنِ ! فَوَاللَّهِ لَقَاتَكَ خَيْرٌ مِنْ وِجْهِهِ ، وَلَشَمَالِكَ خَيْرٌ مِنْ يَعْيَنِهِ
وَلَأَخْصَكَ خَيْرٌ مِنْ رَأْسِهِ ، وَلَخَطْوَكَ خَيْرٌ مِنْ صَوَابِهِ ، وَلَصِنْتُكَ خَيْرٌ مِنْ كَلَامِهِ ،
وَلَأَمْكَ خَيْرٌ مِنْ أَيْيَهُ ، وَلَخَدْمُكَ خَيْرٌ مِنْ قَوْمِهِ . فَهَبْ لِي أُسَارَى قَوْمِيْ ، وَاسْتَرْهِنْ .

بَذَلَكَ شَكْرِيْ ، فَإِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ قَحْطَانَ ، وَأَنَا مِنْ سَرَوَاتِ عَدَنَانَ .
فَرَفِعْ عَمْرُو رَأْسَهُ إِلَى جَارِيَةِ كَانَتْ تَأْمَعُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَالَ : بِمِثْلِ هَذَا فَلَيْتَنَّ عَلَى
الْلَّوْكَ ، وَمِثْلِ ابْنِ الْفَرِيْعَةِ فَلِيمَدْهُمْ . وَأَطْلَقَ لَهُ أَسْرَى قَوْمِهِ .

٧٩ - عتبة وأعرابي *

حجَّ عتبة^(١) سنة إحدى وأربعين ، والناسُ قرِيبٌ عَهْدُمْ بفتنة ، فصلَ عبكة الجمعة ، ثم قال : أَيُّها الناس ؟ إِنَا قَدْ وَلَيْنَا هَذَا الْقَامُ الَّذِي يُضَاعِفُ فِيهِ الْحُسْنَى الأَجْرُ ، وَعَلَى الْمُسِيءِ فِيهِ الْوِزْرُ ، وَنَحْنُ عَلَى طَرِيقِ مَا قَصَدْنَا ؛ فَلَا تَمْدُوا الْأَعْنَاقَ إِلَى غَيْرِنَا ؛ فَإِنَّهَا تَنْقُطُ دُونَنَا ، وَرَبُّ مُتَمَنِّنِ حَتَّفَنِي أُمْنِيَّتِهِ ؛ فَاقْبِلُوا الْعَافِيَّةَ مَا قَبَلْنَا هَا فِيمُكُمْ وَقَبَلْنَا هَا مِنْكُمْ ؛ وَإِيَاكُمْ وَلَوْا^(٢) فَإِنَّهَا أَنْبَتَتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَنْ تُرْجِعَ مَنْ بَعْدَكُمْ ؛ وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِينَ كُلَّاً عَلَى كُلِّهِ .

فصالَّ بِهِ أَعْرَابِيَّ : أَيُّها الْخَلِيلَةَ ! قَالَ لَسْتُ بِهِ وَلَمْ تُبْعِدْ^(٣) . قَالَ : يَا أَخَاهُ . قَالَ : سَمِعْتُ قَلْ . قَالَ : تَالِلِهِ إِنْ تَحْسِنُوا - وَقَدْ أَسْأَنَا - خَيْرُ مَنْ أَنْتُمْ تَسْيِنُوا وَقَدْ أَحْسَنْتُمْ ؛ فَإِنْ كَانَ الإِحْسَانُ بِكُمْ دُونَنَا فَا أَحْكِمْ بِاَسْتِئْمَاهِ ، وَإِنْ كَانَ مَنَا فَا أَوْلَاكُمْ بِمَكَافِفَتِنَا ! رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ صَفَصَعَةَ يَلْقَاكُمْ بِالْمُؤْمَنَةِ ، وَيَقْرُبُ إِلَيْكُمْ بِالْخُلُولَةِ ، قَدْ كَثَرَهُ الْعِيَالُ^(٤) ، وَوَطَنُهُ الزَّمَانُ ، وَبِهِ قَرْ ، وَفِيهِ أَجْرٌ ، وَعِنْدَهُ شَكْرٌ .

قَالَ عَتْبَةُ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكُمْ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَيْكُمْ ، قَدْ أَمْرَنَا لَكُمْ بِنِيَّاتِكُمْ ، فَلَيْتَ إِنْرَاعَنَا إِلَيْكُمْ يَقُومُ بِإِبْطَائِنَا عَنْكُمْ !

* الأَمْالِيُّ : ١-٢٣٦ .

(١) هو عتبة بن أبي سفيان ، أخو معاوية بن أبي سفيان ، ولاه أخوه معاوية إمارة مصر سنة ٤٣ - وشنَد يوم الدار مع عثمان ، ويوم الجمل مع عائشة ، وكان من خطباء بن أبي المدددين ، وتوفى سنة ٤٤ هـ (٢) اللو : قول المتنتم على الفائت : لو كان كذا لقلت ولقلت ، ومنه الحديث « إِيَّاكُمُ الَّلَّوْ ؟ فَإِنَّ الَّلَّوْ مِنَ الشَّيْطَانِ » (٣) ولم تبعده : أي أنا أخو الخليفة وهو معاوية بن أبي سفيان . (٤) كثرة العيال : كانوا كثرين فقلبوه بكتورهم .

وقد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير قان^(١) بن بدر وعرو^(٢) بن الأهم^(٣) ؛ فقال الزبير قان^(٤) : يا رسول الله ، أنا سيد تميم ، والطاع^(٥) فيهم ، والجحاب^(٦) منهم ، آخذ لهم بحقهم ، وأمتعهم من الظلم ؛ وهذا يلم^(٧) ذلك - يعني عراً . قال عرو^(٨) : أجل يا رسول الله ! إنه مانع لخوزته^(٩) ، مطاع^(١٠) في عشيرته ، شديد^(١١) العارضة^(١٢) فيهم .

فقال الزبير قان : أما إله والله قد علم أكثر مما قال ، ولكن حسنه شرق !
 فقال عمرو : أما والله لئن قال ما قال ، فهو الله ما علمته إلا ضيق العطن ^(٥) زمير ^(٦)
 للروءة ، أحق الأب ، لثيم اخال ، حديث الفتن !

فرأى الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ، فقال
يا رسول الله ، رضيت 'قتلت أحسن ما علمنا' ، وغضبت 'قتلت أبغى ما علمنا' ،
وما كذبت 'في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية !

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا الْبَيَانُ لِسِخْرَةٍ » .

* زهر الأدب : ١-٥ . بجم الأمثال : *

(١) الزيرفات : اسمه حسين بن بدر ، وفدي على رسول الله في قومه - وكان أحد سادتهم ، فأسلوا في سنة لسع ، وولاه صفات قومه . وأقره أبو بكر وعمر على ذلك ، والزيرفات في الأصل : القر ، ولقب به لحسته . وتوقيت نحو سنة ٤٥ هـ (٢) عمرو بن الأهم : هو عمرو بن سنان ، وسمى سنان الأهم ، لأن قيس بن حاصم النقري ضربه بقوس فهم قاه . وبنو الأهم أهل بيت بلاغة في الجماهيلية والإسلام (٣) حوزة الرجل : مایخوزة وعلک (٤) العارضة : البديهة وقوفة الكلام (٥) العطن : المناخ حول الورد ، وضيق العطن : كنایة عن البغل .

(٦) زیر المرودة : قلبلها .

٨١ - عبد الله بن عباس والخطيئة *

يَبْنَا ابْنُ عَبَّاسٍ جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ^(١) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا كَفَرَ
بَصَرُهُ، وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قَرِيشٍ، إِذَا أَقْبَلَ أَعْرَابٍ^(٢) يَخْطُرُونَ، وَعَلَيْهِ مُطْرَفٌ^(٣)
وَجْهَةٌ وَعَامَةٌ خَرَّ، حَتَّى سَلَّمَ عَلَى الْقَوْمِ، فَرَدُوا عَلَيْهِ السَّلَامَ، قَالَ: يَا بْنَ عَمِّ رَسُولِ
اللَّهِ؟ أَفْتَنَنِي، قَالَ: فِيمَ؟ قَالَ: أَخَافُ عَلَى جَنَاحَيْنِ إِنْ ظَلَمْتِنِي رَجُلٌ فَظَلَمْتَهُ، وَشَتَّنِي
فَشَتَّمْتُهُ، وَقَصَرَ بِي فَقَصَرْتُ بِهِ؟ قَالَ: الْغَفُورُ خَيْرٌ، وَهُنَّ اتَّصَرُ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ.
قَالَ: يَا بْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ؛ أَرَأَيْتَ امْرَأً أَتَانِي فَوَعَدَنِي وَغَرَّنِي وَمَنَّانِي، ثُمَّ أَخْلَفَنِي
وَاسْتَخْفَتْ بِحُرْمَتِي، أَبْسَعَنِي أَنْ أَهْجُوْهُ؟ قَالَ: لَا يَصْلُحُ الْمُجَاهَدُ لِأَنَّهُ لَا بَدَّ لَكَ مِنْ
أَنْ تَهْجُوَ غَيْرَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ، فَتَظَلَّمَ مَنْ لَمْ يَظْلَمْكَ، وَتَشَتَّمَ مَنْ لَمْ يَشَتِّمْكَ، وَتَبْغِي
عَلَى مَنْ لَمْ يَبْغِي عَلَيْكَ، وَالْبَغْيُ مَرْئَةٌ وَخَيْرٌ، وَفِي الْغَفُورِ مَا قَدْ عَلِمْتَ مِنْ الْفَضْلِ؟
قَالَ: صَدَفْتَ وَبَرَدتََ.

فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ أَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَيْعَانَ الْمُحَارَبِيَّ حَلِيفَ قَرِيشٍ،
فَلَمَّا رَأَى الْأَعْرَابَ أَجْلَهُ وَأَعْظَمَهُ وَالْلَّطْفَ فِي مَسَأَلَتِهِ، قَالَ: قَرْبُ اللَّهِ دَارَكَ
يَا أَبَا مُلِيكَةَ، قَالَ يَعْبُدُ عَبَّاسٌ: أَجْرَوْلَ؟ قَالَ: جَرُولُ! فَإِذَا هُوَ الْخَطِيْثَةُ، قَالَ
عَبَّاسٌ: اللَّهُ أَنْتَ! أَيْ مِرْدَى^(٤) قِذَافٌ، وَذَائِدٌ عَنْ عَشِيرَةِ، وَمُثْنٌ بِعَارِفَةٍ تُؤْتَاهَا

* الأعلان: ١٩٢-٢

(١) عاش رسول الله . أى المكان الذى كان يجلس فيه (٢) هو جرول بن أوس من بنى عبس؛ كان من خقول الشعراء ومتقدميهم ، ولكنه كان ذا شروسة شديدة المجاهد يخاف العرب لسانه وب Stevenson يلمايل خوفاً من شره ومات سنة ٥٩ هـ (٣) الطرف : رداء من خز

(٤) المردى : في الأصل حجر يرى ، ويطلق على الرجل الشجاع فقال : مردى حروب .

أنت يا أبا ملِيكةَ ! والله لو كنتَ عرَّحتَ ^(١) بجنبك بعض ما كرْهْتَ من أمرِ
الزَّبْرِقانَ كان خيراً لكَ ، ولقد ظلمتَ من قومِهِ من لم يظلمكَ ، وشتمت من لم يشتمكَ ،
قال : إني والله بهم يا أبا العباس ^(٢) لعلمَ ؛ قال : ماأنتَ بأعلمَ بهم من غيركَ ، قال :
بل والله ! يرحمك الله ! نعم أناً يقول :

أنا انْ بعْدَتُهُمْ ^(٣) عِلْمًا وَتَجْرِيَةً
سعدُ بن زيدٍ كثيرونَ إِنْ عَدْتَهُمْ ^(٤) وَرَأْسُ سعدٍ بن زيدٍ آلُ شَمَاسٍ
والزِّيرقانُ ذُنَابَاهُمْ ^(٥) لِيسَ الذَّنَابِيُّ أبا العباسَ كَالْأَسِ
قال ابن عباس : أقسمت عليكَ ألا تقولَ إلا خيراً ، قال : أفعل .
نعم قال ابن عباس : يا أبا ملِيكةَ ؟ من أشرَّ الناسَ ؟ قال : فمن الماضينَ أم
من الباقيينَ ؟ قال : من الماضينَ ، قال : الذي يقول :

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَرْوُفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَغْرِيَهُ ، وَمَنْ لَا يَتَقَرَّ الشَّرُّ يُشْتَمِ
وَمَا بَدَوْنَهُ الَّذِي يَقُولُ :
ولستَ بِمُسْتَقِرٍ أَخَالُ لَتَّلَثَّهُ عَلَى شَمَشِ ، أَئِ الرِّجَالُ الْمَذْبُّ !
ولَكِنَّ الْفَرَاعَةَ أَفْسَدَهُ كَمَا أَفْسَدَتْ جَرَوْلَا - يعنِي نفسه - والله يابنَ هَمَّ
رسول الله لولا الطمعُ والجشعُ لكونَ أشرَّ الماضينَ ، فَأَمَا الباقيونَ فَلَا تشكَّ أَنِّي
أشعرُم وأمْرَدُهُمْ ^(٦) سَهْماً إِذَا رَمَيْتَ أَ

(١) عرك بجنبه ما كان من صاحبه : احتمله (٢) كنية عبد الله بن العباس (٣) الجدة :
دخلة الأمر وباطنه ، والمراد : أنا العالم بالمعنى (٤) ذنابهم : ذنبهم (٥) أقذم .

لما وُلِيَ سعیدُ بن عثمان بن عفانَ خراسانَ أرادَ أنْ يستَصْحِبَ بِزَيْدَ^(١) بن ربيعةَ بن مفرغَ ، فَأَبَى عَلَيْهِ ، وَصَاحِبُ عَبَادَ بن زِيَادَ ، قَالَ لِسعیدِ : أَمَا إِذَا يَبْتَأِيْتَ أَنْ تَصْحِبَنِي وَآتَيْتَ عَبَادًا فَاحْفَظْ مَا أُوصِيكَ بِهِ : إِنَّ عَبَادًا رَجُلٌ ثَيْمٌ ، فَإِنَّكَ وَالدَّالَّةَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ دَعَاكَ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِهِ ، فَإِنَّهَا خُدُّعَةٌ مِنْهُ لَكَ عَنْ فَسَكِ ، وَأَقْلَلَ زِيَارَتَهُ ، فَإِنَّهُ طَرِيفٌ^(٢) مَلُولٌ ، وَلَا تُفَكِّرْهُ وَإِنْ فَانَّرَكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَحْتَمِلُ لَكَ مَا كَنْتَ أَحْتَمِلَهُ .

ثُمَّ دعا سعيد بمال فدفعه إلى ابن مفرغ وقال : استعين به على سفك ؟ فإنَّ صَحَّ لَكَ مَكَانُكَ مِنْ عَبَادَ ، وَإِلَّا فَكَانَكَ عَنِّي مُهَمَّدٌ فَأَنَّى .

ثُمَّ سار سعيد إلى خراسان وتختلف ابن مفرغ عنه ، وخرج مع عبادَ ابن زِيَادَ .

قال الراوى : فلما بلغ عبيد الله^(٣) بن زِيَادَ صحبةَ ابن مفرغِ أخاه عبادًا شقَّ عليه ، ولما عزمَ عبادًا على السير إلى سجستان ، جاءَ عَبَدُ اللهُ بِوَدْعَهُ ، فَدَعَاهُ ابن مفرغَ وقال له : إِنَّكَ سَأَلْتَ عَبَادًا أَنْ تَصْحِبَهُ وَأَجَابَكَ إِلَى ذَلِكَ وَقَدْ شقَّ عَلَى .

قال له ابن مفرغ : ولم أصلحَكَ اللهُ ؟ قَالَ : لَأَنَّ الشاعرَ لَا يُقْنِعُهُ مِنْ

* تاريخ الطبرى : ٦ - ١٧٧ ، الأغانى : ١٧ - ٥٥ (طبعة السادس) .

(١) بِزَيْدَ بن ربيعةَ بن مفرغَ : شامرَ مُحَمَّدَ غَزَلَ من شراءِ الحَمَّةَ ، تُوفِيَ سنة ٦٩ هـ .

(٢) الطرفَ : مَنْ لَا يَنْتَهِ مَنْ صَاحِبَ (٣) كَانَ عَبِيدَ اللهَ وَالْبَصْرَةَ عَلَى مَهْدِ مَعَاوِيَةَ .

الناس ما يُقْنِعُ بعضهم من بعض ؟ لأنَّه يظنُّ فيجعل الفتنَ يقيناً ، ولا يذر في
مَوْضِعٍ ؛ وإنْ عباداً يقدِّمُ على أرض حرب فيشتغلُ بحربه وخرابِه عنك ، فلا
تَذَرِّه أنت وتسكبنا شرّاً وعاراً .

قال له : لستُ كاظنَ الأمير ، وإنْ لمعرفة عندى لشَكراً كثيراً ، وإنْ له
عندى - إنْ أَغْفَلَ أُمْرِي - عذراً مُمَهَّداً .

قال عبيد الله : لا ، ولكنْ تضمن لي إنْ أَبْطأً عنك ما تحبه ألا تعجل عليه
حتى تكتب إلى ! قال : نعم ، قال : امض على الطائر الميمون .

قال الراوى : فلما قدم عباد سجستان ، واشتعل بحربه مع الترك وخرابه
استبطأه ابن مفرغ ، ولم يكتب إلى عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن له ، ولكنْ
بسط لسانه ، فذمَّه وهجاه ؛ وكان عباد عظيم اللحية كأنها جوالق^(١) ، فدخلت الربيع
فنشتتها ، فضحك ابن مفرغ وقال لرجل كان إلى جنبه :

ألا ليت اللحى كانت حيشاً فتعلمتها خيول المسلمين !^(٢)

فسى به الرجل إلى عباد ، فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال : لا يحملُ بي
عقوبته في هذه السرعة مع الصحبة لي ، وما أُخْزِرُ هـ إلا لأشفيَّ نفسي منه .

وبلن الخبر ابن مفرغ فقال : إني لأجد ريحَ الموت من عباد ؟ ثم دخل عليه
قال : أيها الأمير ؟ إني كنت مع سعيد بن عثمان ، وقد بلغك رأيه في ، وجيل أثره
على ، وإنَّي اخترتُكَ عليه فلم أظفرَ بذلك بطائل ؟ وأريد أن تاذنَ لي في الرجوع ؟
فلا حاجةَ لي في صحبتك .

(١) الجوالق : الوعاء . (٢) كان قد أصاب الجندي مع عباد ضيق في أعلاه دوابهم .

(٤) قسم العرب (٤)

قال له : أَمَّا اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُ فَإِنِّي اخْتَرُكَ كَمَا اخْتَرْتَنِي ، وَاسْتَصْبِيْتُكَ حِينَ سَأَلْتُنِي ، وَقَدْ أَغْبَلْتَنِي عَنْ بَوْعِي مَجْبَتِي فِيهِ ؛ وَمَلْبَتَ الْآن أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمَكَ فَتَضْسَحَنِي فِيهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى الْإِذْنِ قَادِرٌ بَعْدَ أَنْ أَفْضِيَ حَقَّكَ . فَسَكَتَ ابْنُ مَفْرَغَ .

ثُمَّ أَجْرَى عَبَادَ الْخَلِيلَ يَوْمًا ، بِفَاهِ سَابِقًا ، قَالَ ابْنُ مَفْرَغَ يَهْرَأُ بِهِ : سَبِقَ عَبَادَ وَصَلَّتْ^(١) لَهُ لَحْيَتِهِ . فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبَادًا ، وَبَلَغَهُ أَنَّهُ لَا يَزَالْ يَسْبِهِ وَيَذْكُرُهُ ، فَطَلَّبَ عَلَيْهِ الْعِلْلَ ، وَدَسَّ إِلَى قَوْمٍ كَانُوا لَهُمْ عَلِيهِ دِينٌ ، فَأَمَرَّهُمْ أَنْ يَقْدِمُوهُ إِلَيْهِ ، فَفَعَلُوا بِهِ فَسَبَّهُ وَأَسْرَرَ بِهِ .

ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ : أَنْ يَعْنِي الْأَرَاكَةَ^(٢) وَبِرُّدَّا ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ مَفْرَغَ مَعَ الرَّسُولِ : أَبِي بَعْضِ الرِّءُوفِ نَفْسَهُ أَوْ وَلَدَهُ ! ثُمَّ نَسَرَ^(٣) بِهِ عَبَادَ حَتَّى يَأْتِهِمَا رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ ، قَالَ ابْنُ مَفْرَغَ :

لَمَا نَطَّلَتْ فِي يَسِعٍ لَهُ رَشَدًا مِنَ الْحَوَادِثِ مَا فَارَقَهُ أَبْدَأَ عِيشًا لَذِيدًا وَكَانَتْ جَنَّةً رَغْدَأَ نَفَنَّى بِهَا إِنْ خَشِبَنَا الْأَزْلُ وَالنَّكَدَأَ ^(٤) أَهْلَى لَقِيتُ عَلَى عُدُوانِهِ الْأَسْدَأَ مِنْ يَامِنِ الْيَوْمِ أَمَّنْ ذَا بَعِيشَ غَدَأَ لَا تَهْلَكِ إِنْ بُرُزَدْ هَكَذَا كَمَدَا	شَرِيتَ بِرَدًا وَلَوْ مَلَكتَ صَفَقَتَهُ لَوْلَا الدَّاعِيُّ وَلَوْلَا مَا نَعَرَضَ لِي أَمَّا الْأَرَاكَةُ فَكَانَتْ مِنْ مَحَارِبِنَا كَانَتْ لَنَا جَنَّةً كَنَا نَعِيشُ بِهَا يَا لِيْتَنِي قَبْلَ مَانَابِ الزَّمَانِ بِهِ قَدْ حَانَنَا هَيْشُ مِنْ لَمْ نَخْشَ عَزَّتَهُ لَامْتَنَى النَّفْسَ فِي بِرُدِّ فَقْلَتْ لَهَا :
--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

(١) المصل في الخليل : هو الذي يتلو السابق . (٢) كانت الأراكدة قبة لابن مفرغ ، وببرد غلامه ، رباهما ، وكان شديد الضن بهما . (٣) الأزل : الفسيق والشدة .

كم من نسيم أصبتنا من لذاته قلنا له إذ توئى : ليته خلدا^(١) !
 ثم قال عباد الحاجي : ما أرى هذا يبال بالمقام في الحبس ، فبعض فرسه وسلاحه
 وأئنته ، واقسم منها بين غرماه . ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم ، وبقيت عليه
 بقية حبسه بها .

وعلم ابن مفرغ أنه إن أقام على ذم عباد وهجائه ، وهو في حبسه ، زاد نفسه
 شرّا ، فكان يقول للناس - إذا سأله عن حبسه ما سببه - رجل أده به أميره ليقوم
 من أوده ، أو يكف من غربته ، وهذا العذر خير من جرّ الأمير ذيله على
 مداعنة صاحبه .

فلما بلغ ذلك عباداً من قوله رقة له ، وأخرجه من السجن ، فهرب حتى أتى
 البصرة ، ثم خرج منها إلى الشام ، وجعل ينتقل في مدنها هارباً ، ويهجو زياداً
 وولده ، وأشعاره فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم ، ثم تدعى ذلك إلى أبي سفيان
 فقذفه وسب ولداته .

ولما تماهى في ذلك جاء عباد إلى أخيه عبيد الله بالبصرة ، فوجده وافداً على
 معاوية ، فكتب إليه ببعض ما هجا به آل زياد وأبا سفيان .

(١) ذكرروا أن الأراكة وبرداً حينها دخل منزل الخراساني قال له برد - وكان داهية أربياً -
 أندري ما اشتريت ؟ قال : نعم ، اشتريتك وهذه الجارية ، فقال : لا والله ما اشتريت إلا العار والسمار
 والفضحة أبداً ما حيت ! فجزع الرجل ، وقال له : كيف ذلك ؟ وبارك ! قال : نحن لزياد بن
 مفرغ ، والله ما أصاره إلى هذه الحال إلا لسانه وشره ، أفتراء يهجو ابن زياد وهو أمير خراسان
 وأخوه أمير العراقين وعمه الخليفة في أن استبطأه ، ويسرك عنك وقد ابتنى وابتنت هذه الجارية ،
 وهي نفس التي بين جنبيه ! والله ما أرى أحداً أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما أدخلته على
 منزلك ! فقال : فأشهد أنك وإياله ؟ فإن شتماً أن تعصيا إليه فامضيا ، وإن شتماً أن تكونا عندى
 فاقضلا ! قال : فاكتب إليه بذلك ، فكتب الرجل إلى ابن مفرغ في الحبس بما فعله ، فكتب إليه
 بشكر فعله وسأله أن يكونا عندك حتى يفرج الله عنه .

فَلَمَا قَرَأَ عِبْدُ اللَّهِ الشَّعْرَ دَخَلَ عَلَى مَعاوِيَةَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي قَتْلِ ابْنِ مَفْرَغٍ، فَأَبَىَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْتَلَهُ وَقَالَ: أَدْبَهُ وَلَا تَبْلِغُ بِهِ الْقَتْلَ.

ثُمَّ جَعَلَ ابْنَ مَفْرَغٍ يَنْتَقِلُ مِنْ بَلْدٍ إِلَى بَلْدٍ، فَإِذَا شَاءَ خَبْرُهُ انتَقَلَ حَتَّى لَفَظَتْهُ الشَّامُ؛ فَأَتَى الْبَصَرَةَ، وَنَزَلَ عَلَى الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسَ فَالْتَّجَأَ وَاسْتَجَارَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ: إِنِّي لَا أَجِيرُ عَلَى ابْنِ سَمَيَّةَ^(١)، إِنَّمَا يَجِيرُ الرَّجُلُ عَلَى عَشِيرَتِهِ، فَأَمَّا عَلَى سُلْطَانِهِ فَلَا.

ثُمَّ آتَى خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَاسْتَجَارَ بِهِ، فَأَبَى أَنْ يَجِيرَهُ، فَأَتَى عَمْرَ بْنَ عِبْدِ اللَّهِ فَوَعَدَهُ، وَآتَى طَلْحَةَ الْطَّلْحَاتِ فَوَعَدَهُ، ثُمَّ آتَى النَّذْرَ الْمُبْدَى فَأَجَارَهُ، وَكَانَ عِبْدُ اللَّهِ بْنَ زِيَادَ زَوْجًا لِبَنْتِهِ، وَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَاغْتَرَّ بِذَلِكَ، وَأَدَلَّ بِمَوْضِعِهِ مِنْهُ وَطَلَبَهُ عِبْدُ اللَّهِ فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَجَارَهُ النَّذْرَ.

فَبَعْثَتْ عِبْدُ اللَّهِ إِلَى النَّذْرِ فَأَتَاهُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْثَةً بِالشُّرَطِ، فَكَبَسُوا دَارَ النَّذْرِ وَأَتَوْهُ بِابْنِ مَفْرَغٍ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِالنَّذْرِ إِلَّا بِابْنِ مَفْرَغٍ قَدْ أَقِيمَ عَلَى رَأْسِهِ.

فَقَامَ إِلَى عِبْدِ اللَّهِ فَسَكَمَهُ فِيهِ وَقَالَ: أَذْكُرْكَ اللَّهُ أَيْهَا الْأَمِيرُ، لَا تَخْفِرْ جَوَارِي فَإِنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ.

فَقَالَ عِبْدُ اللَّهِ: يَا نَذْرِي، لِمَدْحَنْ أَبَاكَ وَلِيَمْدَحَنْكَ، وَلَقَدْ هَجَانِي وَهَجَانِي ثُمَّ تَجَيَّرَهُ عَلَيَّ أَوَّلَهُ لَا يَسْكُونُ ذَلِكَ أَبْدًا، وَلَا أَغْفِرُهُ لَهُ . فَفَضَّبَ النَّذْرَ،

فَقَالَ لَهُ عِبْدُ اللَّهِ: لَعْلَكَ تُدَلِّلُ بِسَكْرِيَّتِكَ عَنِّي، إِنْ شَئْتَ وَاللَّهُ لَا يُنَشِّئُ بِتَطْلِيقِ الْبَتَّةِ^(٢).

فَخَرَجَ النَّذْرُ مِنْ عَنْهُ، وَأَقْبَلَ عِبْدُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ مَفْرَغٍ، وَقَالَ لَهُ: بِنَسِمَا

(١) سَمَيَّةُ: أُمُّ زِيَادٍ (٢) مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدِرِ، يَقَالُ: لَا فَطَهُ الْبَتَّةُ . لَكُلِّ أَمْرٍ لَا رَجْعَةُ فِيهِ .

محبتَ به عباداً ! قال : بنسماً محبني به عباد ! اختته على سعيد بن عثمان ، وأنفقتُ على صحبته كلَّ ما أندثه وكلَّ ما أملكه ، ثمْ عاملني بكلِّ قبيح ، وتناولني بكلِّ مكروه ، من حبس وغُرم ، وشتم وضرب ، فكنت كمن شَامَ برقاً خلباً في سحاب جَهَام ، فأراق ماءه طمماً فيه فات عطشاً ، وما هرَبَت من أخيك إلَّا لما خفت أن يُحرِّي فـ ما يندم عليه ، وقد صرتُ الآن في يدك ، فشأنك فاصنع بي ما أحبتَ .

فأخذ عبيدُ الله في تعذيبه ، وأمر أن يُطاف به ، بحالة سُيْنة ، وقرن ببرة وخزيرة ، والصبيان حوله يصيرون به ويلعنون عليه ، ثم رُدَّ إلى السجن ، وسُقِّي فيه من ألوان العذاب والنَّكال . قال يذكر ما فعل به وإهمال قريش إياه :

كيف نومُ الأسيرِ في الأغلال !	دارَستَي بالخبتِ ذِي الأطلال
فارجعى لى تحيتى وسوالى !	أينَ مُنْيِّ السلامُ من بعدِ نَائِي
وغرَّالى ، سقِ الإلهِ غزالى !	أينَ مُنْيِّ نجاشى وجِيادِي
ومطلايا سيرتها لازْتحَالى !	أين ، لا أين جُنَاحِي وسِلاحِي
قبيلنا إذْ كلُّ عيشِ بال	هَدَمَ الدَّهرُ عرشَنا فخداعَي
كلُّ دنيا ونعمَةِ زوال	إذْ دَعَانَا زوالهُ فاجْبَنا
تِ مصيرُ اللواكِ والأقِيال	أمْ قضينا حاجاتِنَا فإلى المَوْ
وصلافِ أدعوهُ بها وابتهاه	لا وصُونِي لوبَنَا وزَكَانِي
ولدى اللهِ كابرُ الأعمال	ما أتَيتُ الفداةَ أمراً دَنِيَا
ليبلغَتَ النَّكالَ كُلَّ النَّكالِ	أبُهَا المَلَكُ المَرَّبُ بالقَة
يُقدِّفُ الناسَ بالدُّواهي التَّقالِ	فأخْشَ نَاراً تُقْذِفُ الوجوهَ ويَوْمَا

قد تهديتَ في القصاص وأدركْ
تَ ذُحُولاً^(١) لمشرِّفِ أفتاكِ
وكسرتِ السنَّ الصالحةَ مِنْيَ
لَا تُذِلِّنِي تُمْكِنْهُ إِذْلَالِي
وَقَرَّتُمْ مَعَ الْخَنَازِيرِ هَرَّاً
وأطلتمَ مع العقوبةِ سِجْنَانِ
فَكُمْ السجن؟ أو متى إِرسالِ
راسخِ منكَ فِي الْعَلَامِ الْبَوَالِي
يَنْسُلُ اللَّاهُ مَا صنعتَ، وَقَوْلِي
قلتُ: خذْهُ ، فَدَاهُ نَفْسِيَ مَالِ
لو قَبَلْتَ الْفِدَاءَ أَوْ رُمِّتَ مَالِهِ
لَوْ بَغَيْرِي مِنْ مُعْشِرِ لَعِبِ الدَّهِ
كَمْ بِكَانَيْ منْ صاحِبِ وَخَلِيلِ
حافظِ الغَيْبِ حَامِدِ لِلْخَصَالِ!

* * *

لَيْتَ أَنِّي كُنْتُ الْحَلِيفُ لِلْغَمِّ
وَجُذَامٌ أَوْ طَيْبٌ الْأَجْبَالِ
بَدَلًا مِنْ عَصَابَةِ مِنْ قَرِيشٍ
أَسْلَمْنِي لِلْخَصَمِ عِنْدَ التَّضَالِ
خَذَلَنِي وَمِنْ لِذَاكَ دَعَوْنِي
لَا تَدْعُنِي ، فِدَاكَ أَهْلِي وَمَالِي
لِيْسَ حَامِي الْذَّمَارِ بِالْخَذَالِ
إِنْ حَبَّلْتَكَ مِنْ مِنْ الْحَيَالِ
حَسِرْتَ إِذْ أَطْعَمْتُ اُمْرَ غُوانِي
وَعَصَيْتَ النَّصِيحَ ، خَلَّ ضَلَالِيَ!

ولَكِنْ عَبِيدَ اللهُ أَرْسَلَهُ إِلَى أَخِيهِ عَبَادَ بِسِجْسَانَ ، فَكَلِمَتِ الْيَانِيَةَ فِيهِ
بِالشَّامِ معاوية ؛ فَأَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى عَبَادَ أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْهِ ابْنَ مَفْرُغَ ، فَحُمِّلَ مِنْ
عِنْدِهِ ، وَقَالَ فِي طَرِيقِهِ :

عَدَمْ مَا لِعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةُ
نَجُوتٍ، وَهَذَا تَحْمِيلُنِي طَلِيقٌ^(١)

لَعْرَى لَقْدَ نَجَّالَكَ مِنْ هُوَّةِ الرَّدَى
إِمامٌ وَحْبَلٌ لِلأَنَامِ وَثِيقٌ

سَأَشْكُرُ مَا أُولَيْتَ مِنْ حَسْنَ نِعْمَةٍ
وَمِثْلِي بِشَكْرِ النَّعْمَيْنِ حَقِيقٌ

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى معاوية بَكَى وَطَالَ : رَكِبَ مِنْ مَالٍ يَرْكَبُ مِنْ مَسْلِمٍ ، عَلَى غَيْرِ
حَدَثٍ وَلَا جَرِيرَةٍ ! قَالَ أَوْلَى سُلْطَانِ الْقَائِمِ :

أَلَا أَبْلُغُ معاوية بْنَ حَرْبٍ

أَفَلَمْ تَقْلُ :

فَأَشْهَدُ

فِي أَشْعَارِ كَثِيرَةٍ هَجَوْتُ بِهَا زِيَادًا ! اذْهَبْتُ فَقَدْ عَفَوْنَا عَنْ جُرْمِكَ ، أَمَّا لَوْ إِيَّابِنَا
تَعَالَى لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ شَيْءٌ ؟ انْطَلَقَ ، وَفِي أَيِّ أَرْضٍ شَنَّتَ فَانْزَلَ . فَنَزَلَ الْمَوْصِلُ .

(١) عَدْسٌ : اسْمٌ زَجْرِ الْبَغْلَالِ .

٨٣ — عبد الله بن الزبير ومقتل أخيه مصعب*

قال شيخ من أهل مكة :

لما أتى عبد الله^(١) بنَ الزَّبِيرَ قُتْلُ مُصْبِبَ^(٢) أخِيهِ أضْرَبَ عَنْ ذِكْرِهِ أَيَامًا حَتَّى
تَحْدَثَتْ بِهِ إِمَاءَ مَكَّةَ فِي الْطَّرِيقِ، ثُمَّ صَدَّ الْمَنَبَرَ، فَلَسَّ عَلَيْهِ مَلِيلًا لَا يَتَكَلَّمُ،
فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ وَالْكَابَّةُ عَلَى وَجْهِهِ، وَجَبَّتْ يَرْشَحُ عَرْقًا، قَلْتَ لَآخْرَ إِلَى جَنِيِّ:
مَا لَهُ لَا يَتَكَلَّمُ؟ أَتَرَاهُ يَهَابُ النَّطْقَ! فَوَاللهِ إِنَّهُ خَطِيبٌ، فَأَتَرَاهُ يَهَابُ! قَالَ: أَرَاهُ
يَذْكُرُ قُتْلَ مُصْبِبِ سَيِّدِ الْعَرَبِ، وَهُوَ بِغَنِيَّيْعِ تَذْكِرِهِ غَيْرُ مُلُومٍ. قَالَ: «الْحَمْدُ لِهِ
الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَمَلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يُعِزُّ مَنْ يُشَاءُ وَيُذَلِّلُ مَنْ يُشَاءُ؛ أَلَا
إِنَّهُ لَمْ يُذَلِّلْ - وَاللهِ - مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ وَإِنْ كَانَ مُفَرِّدًا ضَعِيفًا، وَلَمْ يُعِزْ مَنْ كَانَ
الْبَاطِلُ مَعَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي الْعُدَّةِ وَالْعَدْدِ وَالْكَثْرَةِ».

ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ أَتَانَا خَبْرٌ مِنَ الْعِرَاقِ، بِلِدِ الْفَدَرِ وَالشَّقَاقِ، فَسَاءَنَا وَسَرَّنَا؛
أَتَانَا أَنَّ مُصْبِبًا قُتِلَ - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ وَمَغْفِرَتِهِ! فَأَمَّا الَّذِي أَحْزَنَنَا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ
لِلْعِرَاقِ الْحَمِيمِ لِذَعْنَةٍ يَجْدُهَا حَمِيمَةٌ عِنْدَ الْمَصِيَّبَةِ، ثُمَّ يَرْتَعُو مِنْ بَعْدِ ذَوِ الرَّأْيِ وَالدِّينِ
إِلَى جَيْلِ الصَّبْرِ، وَأَمَّا الَّذِي سَرَّنَا مِنْهُ، فَإِنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ قَتْلَهُ شَهَادَةٌ لَهُ، وَأَنَّهُ

* الأغانى : ١٧ - ١٦٦

(١) انظر صفحة ١٢٦ (٢) كان من أجواد العرب ، وولاه أخوه عبد الله بن الزبير العراقيين فسار إليه عبد الملك بن مروان بعيش وجه أخيه محمد بن مروان على مقدمته فلقيه مصعب فقاتله ، قُتُلَ مصعب . ودخل عبد الملك المكفة ، وبايع له أهليها .

عز وجل جاعل ذلك لنا خيرةً إن شاء الله تعالى .

إنَّ أهْلَ الْعَرَاقِ أَسْلَوْهُ وَبَا عَوْهُ بِأَقْلَمِ نَمْنَ، لَقَدْ قُتِلَ أَبُوهُ وَعَمَّهُ وَأَخْوَهُ وَكَانُوا
خِيَارَ الصَّالِحِينَ؛ إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَمُوتُ حَتَّىْ أَنْفُنَا؛ مَا نَمُوتُ إِلَّا قُلَلا فَعَصَمَ^(١) بِالرَّماحِ،
وَنَحْتَ ظَلَالِ السَّيْفِ، وَلَيْسَ كَمَيْوَتْ بْنُو مَرْوَانَ؛ وَاللَّهُ مَا قُتِلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ فِي
جَاهِلِيَّةِ وَلَا إِسْلَامَ قَطُّ؛ وَإِنَّمَا الدُّنْيَا عَارِيَّةٌ مِنَ التَّلِكَ الْقَهَّارِ، الَّذِي لَا يَزُولُ سُلْطَانَهُ،
وَلَا يَبْيَدُ مُلْكَهُ، فَلَمَّا تَقْبَلَ الدُّنْيَا عَلَيْهِ لَا أَخْذُهَا أَخْذُ الْأَشْرِ الْبَطِيرِ، وَإِنْ تُذَبَّرِ
عَنِّي لَا أَبْكِي بَكَاهَ الْمُهَرَّ^(٢)». ثُمَّ نَزَلَ!

(١) فَعَصَمَ : قُتِلَ مَكَانَهُ (٢) الْمُهَرَّ : الَّذِي فَقَدَ عَقْلَهُ مِنَ الْكَبَدِ أَوِ الْمَرْضِ أَوِ الْحَزَنِ .

اجتمع هرُّ بن أبي ربيعة ، وجيبل ^(١) بن عَدَدِ الله العُذْري ، فأنشد جيبل
قصيدة التي يقول فيها :

لقد فرِحَ أَوَاشُونَ أَنْ صَرَّمْتَ ^(٢) حَبْلَ
يَقُولُونَ : مهلاً يا جيبل ، وإنني
خليلىٌ فيما عشتُ هل رأينا
أَيْتُ مَعَ الْهَلَاكِ ^(٣) ضيقاً لأهلهَا
أَفِقَ أَيْهَا الْقَلْبُ الْجَوْجُ عنِ الْجَهْلِ
فَلَوْ تَرَكْتَ عَقْلَى مَعِ مَا طَلَبْتُهَا
حَتَّى أَنِّي عَلَى آخِرَهَا . نَمْ قَالَ لِعَمْ : يَا أَبا الْخَطَابِ ، هَلْ قَلْتَ فِي هَذَا الرَّوْيَ
شِينَ؟ قَالَ : نَمْ ، قَالَ : فَأَنْشَدْنِيهِ ، فَأَنْشَدَهُ :

جَرِي ناصِحٌ بِالْوَدِ يَنْفِ وَيَنْهَا
فَلَمَّا تَوَاقَنَّا عَرَفْتَ الَّذِي بِهَا
قَلَنَّ لَهَا : هَذَا عِشَاءُ وَاهْلُنَا
قَالَتْ : فَإِشْتَنَّ ؟ قَلَنَّ لَهَا : اِنْزِلِ
فَقَرَّبَنِي يَوْمُ الْحِسَابِ إِلَى قَتْلِي
فَقَرَّبَنِي يَوْمُ الْحِسَابِ ^(٤) إِلَى قَتْلِي
قَرِيبُ الْمَاتَنَامِي سَرَكَبَ التَّغْلِ
فَلَلَّارْضُ خَيْرٌ مِنْ وَقْوفِي عَلَى رَخْلِ

* الأغانى : ١ - ١١٥ (طبعة دار الكتب) ، زهر الآداب : ٢ - ٢٤٠

(١) يَعْدُ جيبل بن معمر مثال الغزن البدوى الفيف ، ثائٍ في البايدية ، وأحب ابنته عَيْثَةَ بنتَه
وعرف بها ، وقال فيها شعراً كثيراً وقد لاقى في سبيل جبه الصفت والمذاب ، مات سنة ٢٨

(٢) صرمت حيبل : قطعت الصلة بي (٣) الملائكة : الصعاليك الذين ينتابون الناس ابتلاء معروفة بهم

(٤) جل : علم على امرأة ، وهو يقصد بها بنتة . (٥) طلائيها : طلب لإيمانها .

(٦) الحساب كالمحاسب : موضع روى الجزار .

نُجُومٌ دارىٌ تكثفَ صورة
من البدر، وافتَغِيرَهُوجَ^(١) ولاعْجلَ
مَدُونٌ مقامي أو يرى كاشحٌ فقلَ
مى - فكلم غير ذى رقبةٍ - أهلَ
ولكنَ سرئي ليس يحمله مثلِ
وهن طيبات بمحاجة ذى الشُّكْل^(٢)
نَطْفٌ ساعةٌ فِي بَرْدٍ لِيلٍ وفي سَهْلٍ
أَتَيْناكَ ، وانسِنَ انسِيابَ مَهَا الرَّمل
أَتَيْنَـ الذِي يأتينَ من ذاكَ من أَجْلِ
قال جيل : هيهات يا أبا الخطاب ! لا أقول والله مثل هذا سَجِيسَ اللِّيالِي^(٣) ،
والله ما يخاطب النساء مخاطبتك أحد ، وقام مشمراً .

(١) هوج : جمع هوجاء ، وهى التعبقة فى السير كأن بها هوجاً وحقاً (٢) الشكل : دل المرأة
وغزها (٣) أى لا أقول مثل هذا أبداً ، وهى كلة تستعمل للتأيد .

٨٥ - لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة بالقلب*

ذُكِرَ شِعْرُ الْحَارِثِ^(١) بْنِ خَالِدٍ وَشِعْرُ عَمَّرَ بْنَ^(٢) أَبِي رَبِيعَةِ عِنْدَ أَبِي عَتِيقَ فِي مَجْلِسِ رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ خَالِدٍ بْنِ الْعَاصِ بْنِ هَشَامٍ ، قَالَ : صَاحِبُنَا - بِعَنِ الْحَارِثِ أَبْنَ خَالِدٍ - أَشْعُرُهَا .

قَالَ لَهُ أَبِي عَتِيقَ . بَعْضُ قَوْلِكَ يَا بْنَ أَخِي ! لِشِعْرِ عَمَّرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةِ نَوْطَةَ^(٣) فِي الْقَلْبِ ، وَعُلُوقُ بِالنَّفْسِ ، وَدَرَكُ لِلْحَاجَةِ لِيُسْتَلِ شِعْرُ الْحَارِثِ ، وَمَا عُصِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شِعْرِ أَكْثَرِ مَا عُصِيَ بِشِعْرِ عَمَّرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةِ ، فَخَذْ عَنِي مَا أَصْفَلْتَكَ : أَشْعُرُ قَرِيبَشِ مَنْ دَقَّ مَعْنَاهُ ، وَلَطْفَ مَدْخَلَهُ ، وَسَهْلَ تَخْرِجَهُ ، وَمَتْنَ حَشْوُهُ ، وَنَطْقَتْ حَواشِيهِ ، وَأَنَارَتْ مَعَانِيهِ ، وَأَعْرَبَ عَنْ حَاجَتِهِ !

قَالَ الْمُفْضُلُ لِلْحَارِثِ : أَلِيسْ صَاحِبُنَا الَّذِي يَقُولُ :

إِنِّي وَمَا نَحَرَوْا غَدَاءَ مِنِّي
عِنْدَ الْجَارِ يَتَوَدَّهَا الْقَلْبُ^(٤)
لَوْ بُدَّتْ أَعْلَى مَا كَنِّهَا
سُقْلًا ، وَاصْبَعَ سُقْلَاهَا يَقْلُو
فِي كَادِ يَعْرِفُهَا الْخَبِيرُ بِهَا
فِرْدُهُ الْأَقْوَاءِ وَالْمَحْلُ^(٥)
لَعْرَفَتْ مَفْنَاهَا بِمَا احْتَلَتْ
مِنِّي الْفُلُوْعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

* الأغاني : ١ - ١٠٨ (طبعة دار الكتب) ، الأمال : ٢ - ١٧

(١) انظر س ١٥٣ .

(٢) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الترشي ، اختى شعره يوسف النساء ، وعد أنس الشعراه وأوصفهم لربات المجال ، وكان يقيم بمكة ويشعر بالحجاج ، وله في ذلك أخبار كثيرة توفي سنة ٩٣

(٣) النوطة : التلدق (٤) يتقدما : يتنطلا ، والقل ، المليس (٥) أقوت الدار : أفترت وخلت من أهلها ، وال محلب : الجدب .

قال له ابن أبي عتيق : يابن أخي ؟ استر على نفسك ، واكتم على صاحبك ،
ولا تشاهد المخالف بمثل هذا ؟ أما أطير الحارث عليهما حين قلب ربئها ، بجعل عاليه
سافلها ، ما بقي إلّا أن يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارة من سجيل^(١) ؛ ابن أبي
ربيعة كان أحسن صحبة للرّبّع من صاحبك ، وأجمل مخاطبة حيث يقول :
سائل الرّبّع بالبُلْي^(٢) وقولا مجت شوقا لي الفدا طوبلا
أين هي حلوك إذ أنت مخنو ف بهم آهل أراك جيلا !
قال : ساروا فامنوا واستقلوا^(٣) وبرغمي لو استطعت سبيلا
سئونا وما سئنة مقاما وأحبووا دمانة وتهولوا
فانصرف الرجل خيلا مذعنًا .

(١) السجيل : الطين المتجر . (٢) البلي : تل قصير . (٣) استقلوا : واصلوا السير وجدوا
في الارتحال .

٨٦— ابن المسيب يفخر بصاحبه*

قال بعض الرواة :

دخلت مسجداً رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نوافل بن مساحيق؛ وإنه لم يتمد على يديه إذا مرنا بسعيد بن المسيب^(١) في مجلسه، فسلمنا عليه، فرداً سلامنا ثم قال لنوافل: يا أبا سعيد؛ من أشر؟ أصحابنا أم أصحابكم؟ يعني عبد الله ابن قيس الرقيات أو عمر بن أبي ربيعة - فقال نوافل: حين يقولان ماذا؟ فقال: حين يقول أصحابنا :

خليلٌ مبابُ الْمَلِىءِ كَائِنٌ
زراها على الأدبار بالقوم تنسّكس^(٢)
وقد أبعدنا الحادي سرّاهنَ واسعى
بینَ فَايَالُو عَجُول مقلع^(٤)
وقد قطّفتْ أعنقُهنْ صَبَابَةَ
فأنفسُنا ما تكفلْ شَخْصٌ
بِزِدْرَفَ بنا قُرْبًا فيزدادُ شَوْقَنا
إذا زاد طولُ الْمَهْدِ ، والبعدُ ينْقصُ
ويقول صاحبكم ماشت! فقال له نوافل: صاحبكم أشر^{*} بالقول في الغزل -
أمعن الله بك - وصحابنا أكثر أفنين شعر .

قال : صدقت ؟ فلما اقتفى ما بينهما من ذِكْرِ الشعر ، جعل سعيد يستغفر الله ويعدد بيده ، ويعده بالثمين كلها ، حتى وف مائة .

* الأغان : ٥ - ٩٢ (طبعة دار الكتب)

(١) كان سعيد بن المسيب سيد التابعين من الطراز الأول ، جمع بين الحديث والفقه والزمد والورع والصادقة ، وله في كل ذلك أخبار مأثورة ، توفي سنة ١٠١ هـ (٢) المطبع : جمع مطية

(٣) تنسكس : ترجع وتتولى وتحجم (٤) مقام : مشرق جاد في السير .

قال الراوى : فلما فارقناه قلت لنوقل : أتراء استغفر الله من إنشاده الشرف
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كلا ! هو كثير الإنشاد والاستشهاد
للشر ، ولكنني أحسبه للغدر بصاحبه !

* ٨٧ - أعشى همدان يهجو ويعدح *

كان أعشى ^(١) همدانَ شاعرَ أهلَ المِنَابِعِ بالكوفةِ وفارسَهُمْ ، وكان مع خالد
ابن عتاب بن ورقاء الرياحى بالرىاحى ، فلما قدم خالد ^{الله} من مَفَازَهُ خرج جواريه
يتلقينه ، وفيهنَّ أُمُّ ولدِهِ كانت رفيقةَ القدرِ عندهِ ؛ فحمل الناس يمرونُونَ عليها
إلى أن جازَ بها الأعشى ، وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً من النَّعَاسِ ، فقالت
أمُّ ولدِ خالد لجواريهَا : إنَّ امرأةَ خالد لتفاخرنِي بأبيها وعمها وأخيها ، وهل يزدونَ
على أن يكونوا مثل هذا الشَّيخِ الْمُرَّ تعيشُ ^(٢) !

وسمها الأعشى فقال : مَنْ هذِهِ ؟ قال له بعضُ الناسِ : هذه جاريةُ خالد ،
فضحكت وقال لها : إليك عنِي يا لِكَعَاءَ ^(٣) ؛ ثم أنساً يقول :

وَمَا يُدْرِيكَ مَا فَرَسٌ جَرَوْرٌ ^(٤)
وَمَا يُدْرِيكَ مَا شَيْخٌ كَبِيرٌ
عَدَاءُ الدَّهْرِ عَنْ سَنَنِ الْمِرَاحِ ^(٥)
فَأَقْسَمُ لَوْ رَكِبْتِ الْوَرَدَ ^(٦) يَوْمًا
وَلِيَلَّهِ إِلَى وَضَحِّ الصَّبَاحِ

* الأغانى : ٦ - ٤٢

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله ، ويكنى أبا المصبع ، شاعر فصيح كوفى من شعراء الدولة الأموية ،
وكان أحد القبةاء القراء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر ، وقتلته الحاج صبراً حين خروجه عليه مع ابن
الأشعث سنة ٨٣ هـ . (٢) تزيد الأعشى . (٣) لِكَعَاءَ : لائمة . (٤) فرس جرور :
لا ينقاد ولا يكاد يتبع صاحبه . (٥) المراح : الاختيال والتخيّر . (٦) الورد من الحيل :
ما بين السكينة والأشقر .

إذن لنظرت
فأصبحت الجارية ، فدخلت إلى خالد فشكّتُ إليه الأعشى ، وقالت : والله
ما شكرم ، ولقد اجترى عليكَ أفال لها : وماذاك ؟ فأخبرته أنها مررت برجل
في وجه الصبح ، ووصفته له وأنه سبها ، فقال : ذلك أعشى همدان ، فأي شيء
قال لك ؟ فأنشدته الأبيات ، فبعث إلى الأعشى ، فلما دخل عليه قال له : ما تقول
هذه ؟ زعمت أنك هجوتها ، فقال : أسامت سماماً ؛ إنما قلت :

مررت بنسوة متعطراتٍ كضوءِ الصبح أو بيضِ الأداحي^(١)
على شفيفِ البغال فصِدْنَ قلبي بمحنِ الدَّلَّ والخدقِ الملاح
فقلتُ : من الظباء ؟ فقلنَ سرُبٌ بدا لكَ من ظباءِ بنى رياح
فقالت : لا ، والله ، ما هكذا قال . . . وأعادت الأبيات .

قال له خالد : أما لولا أنها قد ولدت مني لوهبناك ، ولكن أفتدي
جيابها بمثل ثمنها ، فدفعه إليه وقال له : أقسمتُ عليك يا أبي الصبح أن لا تعيدي
هذا المعنى شيئاً بعد ما فرطتِ ذلك .

(١) الأداحن : جمع أدحنة وهي ميسن النعام في الرمل .

٨٨ - أشجع الناس شمراً *

سأله يوماً عبدُ الملك^(١) بن مروان : مَنْ أشجعُ النَّاسِ شَعْرًا؟ فقيل ععرو بن
معد يكرب . فقال : كيف وهو الذي يقول :
بَاشَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَرَدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَتْ^(٢)
قالوا : فعرو بن الإطنابة . فقال : كيف وهو الذي يقول :
وَقُولَى كَلَا جَثَّاتْ وَجَاهَتْ مَكَانَكِ تَحْمِدِي أَوْتَسْتِيمِي^(٣)
قالوا : فعاشر بن الطفيلي . قال : كيف وهو الذي يقول :
أَقُولُ لِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمَثْلِهَا : أَقُلْ مِرَاحًا إِنِّي غَيْرُ مُدْبِرٍ
قالوا : فمن أشجعهم عند أمير المؤمنين؟ قال : أربعة ، عباس بن مرداش
السلفي ، وقيس بن الخطيم الأوسي ، وعشرة بن شداد البصري ، ورجل من
بني مزينة .

أما عباس فلقوله :

أَشَدَّ عَلَى الْكِتْبَةِ لَا أَبَالِ أَفِيهَا كَانَ حَتَّى أَمْ سَوَاهَا

* بجم الأمثال : ٢ - ٢٢ .

(١) كان عبدُ الملك بن مروان لبياً عاقلاً جباراً ، قويَ المية ، شديد السياسة حسن التدبير
أتوى الخليفة سنة ٦٥ ، فوطد أركانها ، وقتل ابن الزبير وأناه مصطفياً ، وكافع حتى استقرت له
الأمور ، ومات سنة ٨٦ هـ (٢) باشت النفس ؟ اضطربت من الفزع ، وأصل باشت : غشت
ووفاقت (٣) جثاث : ارتفعت من حزن أو فزع .

وأما قيس بن الخطيم فلقوله :

واني لدئي الحرب العوان موكل بتقديم نفس لا أريد بتقامها

واما عنترة بن شداد فلقوله :

إذ تتفون بي الأسنة لم أخِم^(١) عنها ولكن قد تضَّلت مقدمي^(٢)

واما المزني فلقوله :

دعوت بني فحافة فاستجبابوا قلت : رِدُوا فقد طاب الورود

(١) أخِم : أجبن (٢) نسائق مدمى : نسائق الموضع الذي هو قبأى من أن يدنوه أحد .

٨٩ - الحجاج على قبر ابنه *

لما هلك أباً بن الحجاج ، وأمه أم أباً بن بنت النعمان بن بشير ، ودفنه الحجاج^(١)
 قام على قبره ؛ فتمثل بقول زياد الأنجبي :
 الآن لما كنْتَ أَكُلَّ مَنْ مَشَى وافترَ نَابِك عن شَبَّاكِ التَّارِيخ
 وتكلمتَ فيك المروءةُ كُلُّهَا وأعْنَتَ ذلك بالفَعَالِ الصَّالِحِ !
 فلما انصرف إلى منزله قال : أرسلا خلف ثابت بن قيس الأنصاري ؟ فأنشدَه
 قال : أَنْشَدَنِي مِرْثِيَّتَكَ فِي ابْنِكَ الْحَسْنِ ، فَأَنْشَدَه :

قد أَكَذَّبَ اللَّهُ مِنْ نَعْمَانَ لِيَسْ لِكَذِيبِ مُوْتَهِ شَنْ^(٢)
 أَجُولُ فِي الدَّارِ لَا أَرَاكَ وَفِي الدَّارِ أَنَّاسٌ جِوَارُهُمْ غَيْبَنَ
 بُدُّلُهُمْ مِنْكَ لَيْتَ أَنْهَمَمْ أَضْحَوْنَا وَبَيْنَ وَبَيْنَهُمْ عَدَنَ^(٣)
 فقال له الحجاج : ارثِ ابني أباً بن . قال له : لا أجد به ما كنتُ أجدُ بمحسن ،
 قال : وما كنت تَجَدُه ؟ قال : ما رأيْتُه قطُّ فشيَّمت من رُؤيَتِه ، ولا غَاب عن قطُّ
 إلا اشتقتُ إِلَيْهِ .
 قال الحجاج : كذلك كنت أجدُ أباً بن !

* ذيل الأعلى : ٧

(١) اظر صفة ٣٧ (٢) ضف.

* ٩٠ — إن صدقناك أغضبنياك *

شَكَ الْحَجَاجُ يَوْمًا سَوِيًّا طَاعَةً أَهْلَ الْعَرَاقِ وَسَقَمَ مَذَهْبِهِمْ ، وَسَخَطَ طَرِيقَتِهِمْ
 فَقَالَ لِهِ جَامِعُ الْمَهَارِبِ — وَكَانَ شِيخًا صَالِحًا خَطِيبًا لَسِنَاتٍ : أَمَا إِنَّهُمْ لَوْ أَحْبَبْتُكَ
 لَا طَاعُوكَ ، عَلَى أَنَّهُمْ مَا شَنَثُوكَ^(١) لِنَسِبِكَ ، وَلَا لِبَلْدِكَ ، وَلَا لِذَاتِ نَفْسِكَ ،
 وَلَا كُنْهُمْ نَقَمُوا أَفْقَالَكَ ؟ فَدَعَ مَا يُبَعْدِمُ عَنْكَ إِلَى مَا يُدْنِيْهُمْ مِنْكَ ، وَالْمَسِ
 الْعَافِيَةُ مِنْ دُونِكَ تُمْطَهَّرَةً فَوْقَكَ ، وَلِيَكُنْ إِيقَاعُكَ ، بَعْدَ وَعِيدِكَ ، وَوَعِيدُكَ^(٢)
 بَعْدَ وَعِدَكَ .

فَقَالَ لِهِ الْحَجَاجُ : وَاللهِ مَا أَرَى أَنْ أَرْدَدَ بَنِي الْكَيْمَةِ إِلَى طَاعَتِي إِلَّا بِالسِيفِ !

فَقَالَ جَامِعٌ : أَيْهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ السِيفَ إِذَا لَاقَ السِيفَ ذَهَبَ الْخَيْارُ !

فَقَالَ الْحَجَاجُ : الْخَيْارُ يَوْمَذِلَةُ إِنْ قَالَ جَامِعٌ : أَجَلُ ، وَلَكِنْ لَا تَدْرِي لَمْ
 يَحْمِلْهُ اللَّهُ !

فَفَضَبَ الْحَجَاجُ وَقَالَ : يَا هَنَاهُ^(٣) ، إِنَّكَ مِنْ مُحَارِبٍ !

فَقَالَ جَامِعٌ :

وَلِلْحَرْبِ سُئِينٌ — وَكَانَ مُحَارِبًا إِذَا مَا لَقَنَا أَمْسَى مِنَ الطُّفْنِ أَحْرَأَ

فَقَالَ لِهِ الْحَجَاجُ : وَاللهِ لَقَدْ هَمَتْ أَنْ أَخْلَعَ لِسَانَكَ ، وَأَضْرَبَ بَهْ وَجْهَكَ .

* زهر الأدب : ٤ - ٤٨ ، البيان والتبيين : ٢ - ٦٨ ، المقد الفريد : ١٥١ - ٢ ، عيون الأخبار : ٢ - ٢١٢

(١) شَنَثُوكَ : أَبْفَصُوكَ (٢) الْوَعِيدُ فِي الشَّرِّ ، وَالْوَعْدُ فِي الْحَيْرِ (٣) يَا هَنَاهُ : يَا فَلَانَ .

قال جامع : إنْ صَدَقْتَكَ أَغْضَبْنَاكَ ، وَإِنْ كَذَّبْتَكَ أَغْضَبْنَا اللَّهَ ، وَغَضَبَ
الْأَمِيرُ أَهُونُ عَلَيْنَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ .

قال الحاج : أَجَل ! وَسَكَنَ وَاشْتَفَلَ بِعِصْمِ الْأَمْرِ ، فَرَجَ جَامِعًا ، وَانْسَلَ
مِنْ صَفَوْفِ النَّاسِ .

* ٩١ - الحاج يخطب*

دخل الحاج الكوفة ؟ فقصد النبر ، فانكسر تحت قدمه لوح ، فعلم أنهم
قد نظروا له بذلك ؛ فالتفت إلى الناس قبل أن يحمد الله تعالى ، وقال :

شاهدت الوجه^(١) ، وتبت^(٢) الأيدي ، وبُوّتم بغضب من الله ! إذا انكسر
عودٌ جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاهتم بالشوم ! إني على أعداء الله تعالى
لأنكدر من الفراب الأبعق^(٣) ، وأشأم من يوم تخسي مستمر ، وإنى لأعجب من
لوط قوله : {أَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} ؟ فاني ركن
أشد من الله تعالى !

أو ما علمت ما أنا عليه من التوجّه إلى أمير المؤمنين ، وقد وليت عليكم أخي
محمد بن يوسف ، وأمرتكم بمخالف ما أمر به رسول الله معاذًا في أهل بيته ! فإنه

* المطرد : ٢ - ٨٥

(١) شامت الوجه : قبحت (٢) تبت يدها : خسرنا (٣) الأبعق : الذي فيه سواد وبياض .

أمره أن يُخْسِنَ إِلَى مُخْسِنِهِمْ ، وَيَتَجَاهِزَ عَنْ مُسِيَّهِمْ ؛ وَقَدْ أَمْرَتُهُ أَنْ يَسِّيَّ إِلَى
مُخْسِنِكَ ، وَالْأَ بَتَجَاهِزَ عَنْ مُسِيَّكَ .

وَأَنَا أَعْلَمُ أَنْكُمْ تَقُولُونَ بَعْدِي : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لِهِ الصَّاحِبَةُ ! وَأَنَا مَعْجَلٌ
لَكُمُ الْجَوابُ ; لَا أَحْسَنَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْخِلَافَةُ ! أَفَوْلُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ
لِي وَلَكُمْ .

٩٢ — جميل أشعر الناس*

—

حدث أحد الرواة قال :
 دخل علينا كثير^(١) يوماً وقد أخذ بطرف رَيْطَتِه^(٢) ، وألقى طرفها الآخر
 وهو يقول : هو والله أشعر الناس حيث يقول :
 وخبر تُمَكَّنَى أنْ تَيْمَاء^(٣) منزل لليل إذا ما الصيف ألقى المراسيم
 فهذا شهر الصيف عن قدانفست فـا لـلـنـوـي تـرـمـي بلـلـي الـرـامـيـاـ!ـ
 ويـجـبـ رـيـطـتـهـ حـتـىـ يـلـغـ إـلـيـناـ ،ـ ثـمـ يـوـلـيـ عـنـاـ وـيـجـرـ هـاـ وـيـقـولـ :ـ هـوـ وـالـلـهـ أـشـعـرـ
 الناس حيث يقول :

وأنتِ التي إن شئتِ كدَرْتِ عِيشَتِي وإن شئتِ بعد اللهِ أَنْعَتِ بالِيَا
 وأنتِ التي مَامِنْ صَدِيقِي ولا عِدَّا يرى نِصْوَنَ ما أَبْقَيْتِ إِلا رَئَنَ لِيَا
 نِمْ يَرْجِعُ إِلَيْنَا وَيَقُولُ : هـوـ وـالـلـهـ أـشـعـرـ النـاسـ ؟ـ قـلـنـاـ :ـ مـنـ تـعـفـ يـاـ أـبـاـ صـخـ ؟ـ
 قـالـ :ـ وـمـنـ أـعـفـ سـوـيـ جـيـلـ !ـ هـوـ وـالـلـهـ أـشـعـرـ حيث يقول هذا .

* الأغانى : ٨ - ١٢٥ (طبعة دار الكتب) .

(١) كثير بن عبد الرحمن : شاعر من أهل المجاز ، أخباره مع عزبة كثيرة ، توفي سنة ١٠٥ .

(٢) الريطة : كل ملاحة غير ذات لفبن ؛ كلها نسج واحد وقطنة واحدة (٣) تياء : منزل لبني عذرة .

٩٣ — مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ؟ *

قال عبد الملك بن مسلم : كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج : إنه لم يبق
شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ، ولم يبق لي إلا مُناقة^(١) الإخوانه
الأحاديث ؛ و قبلك عَامِرُ الشَّعْبِيَّ^(٢) ، فابعث به إلى يحذثني .
قد عا الحجاج بالشعبي وجهزه ، وبعث به إليه ، وأطراه في كتابه .

خرج الشعبي ، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب : استأذنْ لي ،
قال : ومنْ أنت؟ قال : عَامِرُ الشَّعْبِيَّ ، قال : حَيَاكَ اللَّهُ أَثْمَ نَهْضَ ، وأجلسه على
كرسيه ، فلم يلبث أن خرج إليه فقال : ادخل .

قال الشعبي : فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسى ، وبين يديه رجل
أيضاً الرئُسُ واللحية على كرسى ، فسلّمَ فرد السلام ، ثم أوتمنا إلى ، فقعدت
عن يساره ، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال : ويحك ! من أشعر الناس؟ قال :
أنا يا أمير المؤمنين ! فاظلم على مايني وبين عبد الملك ، ولم أصبر أن قلت :
ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس؟ فعجب عبد الملك من عجلتى
قبل أن يسألني عن حالي ، ثم قال : هذا الأخطل ! فقلت : يا أخطل ، أشعرُ منك
الذى يقول^(٣) :

* أمال المرتضى : ٣ - ١٠١ ، خزانة الأدب : ٢ - ١١٨ (المطبعة السلفية) ، الأغاني : ٩ : ١٦٢ (طبعة الساسى) .

(١) المناقة في النطق : أن تحدثه وعدهتك (٢) هو عامر بن شراحيل . كوفى المشا ، تابعى

جليل القدر وافر الطم ، يقال إنه أدرك خمسة من الصحابة . توفي سنة ١٠٣ هـ

(٢) قال النابغة هذا الشعر حين نظر إلى التمان بن الحارث أخي عمرو بن الحارث الأصغر بن
الحارث الأكبر بن أبي شمر (مهذب الأغانى : ٢ - ٢٣٠) .

هذا غلامٌ حسنٌ وجهه مقبل الخير سرير تمامٍ
للعارث الأكبر والمحارث الأصْغَر والأعرج خير الأئمَّة
نم لندي ولهند، فقد ينبع في الرؤضاتِ ماءِ العامِّ
خسبة آباءِ هُمْ ماهُمْ هُمْ خَيْرُ مَنْ يشربُ صوب الدامِ

قال عبد الملك : رددها على ، فرددتها حتى حفظها ؟ قال الأخطل : منْ
هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الشعبي ، قال : صدق والله ، النابفة أشعر مني !
قال الشعبي : ثم أقبل على عبد الملك قال : كيف أنت ياشعبي ؟ قلت : بخير .
قال : لا زلتَ به - ثم ذهبتُ لأصنع معاذيرى لما كان من خلافى على المجاج مع
عبد الرحمن بن محمد الأشعث .

قال : مَهْ ! فإننا لا نحتاج إلى هذا المنطق ، ولا تراه منافق قول ولا فعل حتى
تُفارقنا ، ثم أقبل على فقال : ما تقول في النابفة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، قد فضله
عمرُ بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء ، وذاك أنه خرج يوماً وبابه وفدا
خطفان ، فقال : يامعشر خطفان ، أى شعرائكم الذي يقول :

حَلَّفْتُ فِيمَا تَرَكْتُ لِنفْسِكَ رَبِّيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلمرءِ مَذْهَبُ
تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَّذِبُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً
إِذَا طَلَّتْ لِمَ يَدْعُونَهُ كَوْكِبُ كَانَكَ شَمْسٌ وَالْمَلَوْكُ كَوْكِبٌ
لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلْفَتَ عَنِ الْخِيَانَةِ لَمْ يُلْفِكَ الْوَاشِيَّ أَغْشَشْتُ وَأَكَذَّبُ
وَلَسْتَ بِمُسْتَبِقٍ أَخَا لَا تَلِهُ عَلَى شَعْثِي ؛ أَى الرَّجَالِ الْمَذْبَبِ
قالوا : النابفة ؟ قال فأيّكم الذي يقول :

فَإِنَّكَ كَالْلَيْلِ الَّذِي هُوَ مَدْرِكٌ
وَإِنْ خَلَتْ أَنَّ النَّثَائِي عَنْكَ وَاسِعٌ
خَطَاطِيفٍ^(١) حُجْجَنُ فِي حِبَالِ مَتِينَةٍ
تُمَدِّ بِهَا أَبْدِيْ إِلَيْكَ نَوَازِعُ
قَالُوا : النَّابِغَةُ ؛ قَالَ أَيْتَكُمُ الَّذِي يَقُولُ :

إِلَى ابْنِ تَحْرِيقٍ أَعْمَلْتُ نَفْسِي
وَرَاحْلَتِي وَقَدْ هَدَتِ الْعَيْوَنُ
أَبْيَتْكَ عَارِيًّا خَلَقْتَنِيَّا ثَيَابِي
عَلَى خَوْفِ تُنَظَّنُ بِي الظُّنُونُ
فَأَلْفَيْتَ الْأَمَانَةَ لِمَ تَخْنَهَا
كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَنْهُونُ

قَالُوا : النَّابِغَةُ ، قَالَ : هَذَا أَشْعَرُ شِعْرَ اسْكَمْ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى الْأَخْطَلِ
فَقَالَ : أَنْجَبَ أَنَّكَ قِيَاضًا^(٢) بِشِعْرِكَ شِعْرَ أَحَدِ الْعَرَبِ ، أَوْ أَنْجَبَ أَنَّكَ قَلْتَهُ
فَقَالَ : لَا وَاللهُ ، إِلَّا أَنِّي وَدَدْتُ أَنِّي كَفَتْ قَلْتُ أَبْيَاتًا قَالَ مَارِجُلُ مَنَا ؟ كَانَ وَاللهُ
مُغْدِفٌ^(٣) الْقَنَاعُ ، قَلِيلُ السَّمَاعِ ، قَصِيرُ الدَّرَاعِ ، قَالَ : وَمَا قَالَ ؟ فَأَنْشَدَهُ :

إِنَّا مُحِبُّوكَ فَاسْلَمْ أَيْهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلِيتَ وَإِنْ طَالَتْ^(٤) بِكَ الطَّوْلُ
لِيسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَقَّى بَشَاشَتُهُ
إِلَّا قَلِيلًاً وَلَا ذُو خَلَّةٍ يَصْلُ
وَالْعِيشُ لَا عِيشَ إِلَّا مَانَقَرُّ بِهِ
عَيْنُ ، وَلَا حَالَ إِلَّا سُوفَ تَنْقُلُ
وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا فَاقْتُلُونَ لَهُ
مَا يَشْتَهِي ؛ وَلَأَمَّا الْمُخْطَىءُ الْهَبَلُ
قَدْ يَدْرِكُ الْمَثَائِي بِعَضِ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الْزَّلَلُ

قَالَ الشَّعْبِيُّ : فَقَلْتُ : قَدْ قَالَ الْقَطَّاعِيُّ أَفْضَلَ مِنْ هَذَا ، قَالَ : وَمَا قَالَ ؟
قَلْتُ : قَالَ :

طَرَقَتْ جَنْوَبُ رِحَالَنَا مِنْ مَطْرِيقٍ
مَا كَنْتُ أَحْسَبُهُ قَرِيبُ الْعَنْقِ

(١) الخطاف : حديدة حجناه تعقل بها البكرة ، والحجن : الاعوجاج .

(٢) المقايسة : المبادلة والماواضة (٣) أغذف قناعه : أرسله على وجهه (٤) يقال : طال طولك أى عمرك .

حتى أتيتُ على آخرها ، فقال عبد الملك : شَكَّاتِ الْقَطَانِيْ أَمْهَا ! هذا والله
الشعر ، ثم قال : ياشعبي ، أى شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء ؟ قات : أَنْتَ نَسَاء
قال : وَلِمَ فَضَلْتَهَا عَلَى غَيْرِهَا ؟ قلت : لِقَوْلِهَا :

وَقَائِمَةِ وَالنَّعْشِ قَدْ فَاتَ خَطْوَهَا لَتَدْرِكَهُ : بِالْهَفَّ فَسَى عَلَى صَغْرِهَا
أَلَا نَكِّلْتُ أَمْ الْبَرْنَ غَدَوْنَا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ ، مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ !

قال عبد الملك : أشعر والله منها بليل الأخيلية حيث تقول :

مُهْنَهَفُ الْكَشْحَ وَالسُّرُّ بِالْمُنْخَرِقِ عَنِ الْقَمِيسِ لِسِيرِ اللَّيْلِ مُخْتَفِرِ
لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ وَمُصْبَحَهُ فِي كُلِّ حَيٍّ ، وَإِنَّ يَفْزُوهُ يُنْتَظَرَ

ثم قال : ياشعبي ، لعله شق عليك ما سمعته ! قلت : إى والله يا أمير المؤمنين
أشد المَشَقَّةَ ، إى قد حدثتك فلم أُفْدِكَ إِلَّا أَبِيَاتَ التَّابَغَةَ فِي النَّلَامِ .

ثم قال عبد الملك : ياشعبي ، إنما أعلمك هذا ، لأنه باقني أن أهل العراق
يتطاولون على أهل الشام ويقولون : إن كانوا غلبونا على الدولة ، فلن يغلبونا على
السلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق . ثم ردَّدَ علىَّ أبياتَ ليلٍ حتى
حفظتها ، وأذن لي فانصرفت ، فكنت أوَّلَ داخلاً وآخر خارج .

٩٤ — الشعبي عند عبد الملك بن مروان *

قال الشعبي : دخلت على عبد الملك بن مروان في عِلْتِه التي مات فيها ، قلت :
 كيف تحدك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ياشعبي ؟ أصبحت كا قال عمزو بن قيضة ^(١) :
 كأني وقد جاوزت سبعين حجة خلعت بها عن عِنَان ^(٢) لجامى
 فكيف بن يُرْبُى وليس بِرَأْيِي
 فرمضنى بنات الدهر من حيث لا أرى
 ولكننى أُزْمَى بغير سِهَامِي
 فلو أننى أرمى بتنليلِ رميته
 وتأمِيلُ عامِي بِوَمِي وليلة
 وأهلَكَنِي تأمِيلُ ثالثَةِ عَامٍ بعد ذاك وعام
 على الرَّاحِيفِ تارة وعلى العصا
 آنُوه ثلاثَةَ بَعْدَهُنَّ قيامي
 قلت : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كا قال لَبِيد ، وقد بلغ سبعين حجة :

كأني وقد جاوزت سبعين حجة خلعت بها عن منكبيِّ رِدَائِيَا
 فلما بلغ سبعاً وسبعين سنة قال :
 باتت تَشَكَّى إِلَى النَّفْسِ مُجْهِشَةً ^(٣)
 وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا
 فإن تُرَادِي ثلاثَةَ تَبَلُّغِي أَمَلاً
 فلما بلغ مائةَ سنة قال :

* الأغانى : ٦٦ - ١٥٩ (طبعة الساسى) ، مهدب الأغانى : ٧ - ٦٢

(١) هو عمرو بن قيضة : شاعر جاهلى مقدم ؟ أقام في الحيرة مدة ، وخرج مع امرىء القيس فتوجه إلى قصر ، فات في الطريق (٢) عنان الجام : السير الذي يشد به (٣) المجهش والإجهاش أن يفزع الإنسان إلى غيره ، وهو مع ذلك كأنه يزيد البكاء .

ولقد سمعتُ من الحياةِ وطوفها وسؤالٍ هذا الخلقَ كيف ليدي !
فلا بلغ مائةَ سنةٍ وعشراً قال :

أليس ورأى إن تراختَ مئيّقَ لزوم العصا تُخْنَى عليها الأصابع
أخبرَ أخبارَ القرونِ التي خلتَ أدبَ كافٍ كلما قت راكع
فلا بلغَ ثلثينَ ومائةَ سنةٍ ، وقد حضرَتهُ الوفاةَ قال :

تمنَى ابنتَيَ أنتَ يعيشَ أبوها وهل أنا إلا من ربيعةَ أو مُضرَّ !
فإن حانَ يومًا أن يموتَ أبوكَا فلا تخِسَا وجهَهَا ولا تخلقا الشَّعرَ
أضاعَ ، ولا خَانَ الخليلَ ولا شَدَرَ
وقولاً : هو المرءُ الذي لا صدِيقَه
إلى الحولِ ثمَ اسمُ السلامِ عليكَا ومن يَبْكِ حوالًا كاملاً فقد اعتذرَ^(١)

قال الشجاعي : فجسمَ عبدَ الملكِ وقال : لقد قويتَ من نفسِ بقولك يا عامر ، وإنَّ
لأجدَ خِفَّاً وما بِي من بأس ، وأمرَلِي بصلة . وقال لي : اجلسْ يا شعبي ؟ خذْتني ما يبنك
وبيِنَ الليلِ . خلستَ خذْتَهُ حتى أُسيَتُ وخرجتَ من عندهِ ، فما أصبحتَ
حتى سمعتَ الوعائيةَ في داره^(٢) .

(١) اعتذر : أني بعذر (٢) الوعائية : الصراخ والصوت .

٩٥ — تلطف عبد الله بن الحجاج *

كان عبد الله بن الحجاج شجاعاً فاتسّاكاً صُلوكاً من صالحيك العرب ، وكان متسرعاً إلى الفتن ، فكانت ممّن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك ابن مروان .

فَلَمَّا ظفر به عبد الملك هرب إلى ابن الزبير ، فكان معه حتى قُتِلَ ، ثم جاء إلى عبد الملك متنكراً ، واحتال حتى دخل عليه ، وهو يطعم الناس ، وجلس حَجْرَةً^(١) ، فقال له : مالك يا هذا لاتأكل ! قال : لا أستحلّ أنْ آكل حتى تاذنَ لي . قال : إني قد أذنت للناس جميعاً ، قال : لم أعلم ، أَفَآكل بأمرك ؟ قال : كُلْ . فَأَكَلَ عبد الملك ينظر إليه ويعجب من فعله .

فَلَمَّا أَكَلَ الناس جلس عبد الملك في مجلسه ، وجلس خواصه بين يديه ، وتفرق الناس ، فجاء عبد الله ووقف بين يديه ، واستأذنه في الإنشاد فأذن له ، فأنشد :

أَبْلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَوَادِثِ مُوجَّحَ

مُنِعِّمُ الْقَرَارِ بِفَتْحِ نَمُوكَهارَبَا جَيشَ يَمْرَثُ ، وَمَقْنَبُ يَتَلَمَّعُ^(٢)

قال عبد الملك : وما خوفك لا أم لك ! قال عبد الله :

إِنَّ الْبَلَادَ عَلَىٰ وَهُنَّ عَرِيشَةٌ وَعَرَتْ مَذَاهِبُهَا ، وَسُدُّ الْمَطَلِّعِ

قال عبد الملك : ذلك بما كسبت يداك ، وما الله بظلام للعيid ، قال

عبد الله :

* الأغانى : ١٢ - ٢٥ (طبعة الساسى)

(١) حجرة : منفرداً في ناحية (٢) المقب : جماعة الخيل تجتمع للفارة ، ويتعلم : يعني .

إِنَّ الَّذِي يَعْصِيكَ مَنَا بَعْدَهَا
مِنْ دِينِهِ وَحِيَاتِهِ مُتَوَدِّعٌ
أَتَى رَضَاكَ وَلَا أُعُودُ لِثَلَمًا
وَأَطْبَعَ أَمْرَكَ مَا أَمْرَتَ وَأَسْعَمَ

فَقَالَ لِهِ عَبْدُ الْمَلِكَ : هَذَا لَا قَبِلَهُ مِنْكَ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِكَ وَبِذَنْبِكَ ، فَإِذَا عَرَفْتَ
الْحَوْبَةَ ^(١) قَبْلَ التَّوْبَةِ ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهَ :

وَلَقَدْ وَطَثَتَ بْنَ سَمِيدٍ وَطَآةً
وَابْنَ الْزَّيْرِ فَرَشَهُ مُتَضَمِّنُ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : لَهُ الْحَمْدُ وَالْمَنَةُ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهَ :

مَا زَلْتَ تُنْزِبُ مُنْكَبًا عَنْ مُنْكَبٍ
تَمَلُّو وَيَسْتَفْلُ غَيْرَكُمْ مَا يُرْفَعُ
لَا يَسْتَوِي خَاوِي نَجْوَمٌ آفِلٌ
وَالْفَجْرُ مُنْبِلْجًا إِذَا مَا يَطْلَعُ
وَضَعَتْ أُمِيَّةُ وَاسْطِلِينَ لِتَوْهِمِ
يَدِتْ أَبُو الْعَاصِي بَنَاهُ بِرْبُوقٍ
عَلَى الشَّارِفِ عَزَّهُ مَا يُدْقَعُ

فَقَالَ لِهِ عَبْدُ الْمَلِكَ : إِنَّ تُورِينِكَ عَنْ نَفْسِكَ لَتَرِيَنِي ، فَأَئِنَّ الْفَسْقَةَ أَنْتَ ؟
وَمَاذَا تُرِيدُ ؟ فَقَالَ :

حَرَبَتْ ^(٢) أَصْبَيْتِي يَدُ أَرْسَلَتِي
وَإِلَيْكَ بَعْدَ مَعَادِهَا مَا تَرْجَعُ
وَأَرَى الَّذِي يَرْجُو تِرْاثَ مُحَمَّدٍ
أَفَلَتْ نَجْوَمُهُمْ وَنَجْمُكَ يَسْطَعُ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهَ :

فَارْحِمْ أَصْبَيْتِي الَّذِينَ كَانُوكُمْ حَجْلَ تَدْرَجَ بِالشَّرِبَةِ وَمَقْعُ ^(٣)

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : لَا أَنْشِمُهُمُ اللَّهُ ، وَأَجَاعُ أَكْبَادَهُمْ ، وَلَا أَبْقِي وَلِيَدًا مِنْ نَسْلِهِمْ ،
فَإِنَّهُمْ نَسْلٌ كَافِرٌ فَاجْرٌ لَا يَبْلُى مَا صَنَعَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهَ :

(١) الحوبة : الإيمان (٢) حربه : سلب ماله ، وأصبيه : تصغير صبية (٣) المجل : حبوان ، والشربة : موضع ينجد .

مال لهم مما يُضنَّ جمعته يوم التقليب فيز عنهم أجمع
فقال له عبد الملك : لعلك أخذته من غير حلة وأنفقته في غير حقه ، وأرصدت
به لشاشة أولياء الله ، وأعددته لخواونة أعدائه ، فزعزعه منك إذا استظهرتَ به على
معصية الله : فقال عبد الله :

أذْنُو لترَحْمِنِي وَتَجْبِرُ فاقْتِنِي فَارَاثَ تَدَقْنِي ، فَأَيْنَ الْمَدْفَعُ !

فتبسم عبد الملك وقال له : إلى النار ! فمن أنت ؟ قال : أنا عبدالله بن الحجاج ؛
وقد وطئت دارك ، وأكلت طمامك ، وأنشدتك ، فإن قلتني بعد ذلك فأنت
وما تراه ، وأنت بما عليك في هذا عارف أنم عاد إلى إنشاده فقال :

ضاقت ثياب المليسين وفضليهم عنى ، فألبسنى فتو بك أوضاع

فنبذ عبد الملك إليه رداء كان على كتفه ، وقال : البسه لا نبست ! فالتحف به ،
ثم قال له عبد الملك : أولى لك ! والله لقد طاولتك طمامي أن يقوم بعض
هؤلاء فيقتلوك . فأبى الله ذلك ، فلا تجساوري في بلد ، وانصرف آمنا ، وأقم
حيث شئت !

٩٦ - نصيـب عند عبد العزيـز بن مروـان *

قال نصـيب ^(١) : قلت الشـعر وأنا شـاب فـأعجبـني قولـي ؛ فـجعلـت آتـي مـشيخـة من بـنـي ضـفـرة ، وـمـشيخـة ^(٢) من خـرـاء ، فـأنـشـدـمـ القـصـيدـة من شـعـرـي ، أـنـسـبـهـا إـلـى بـعـضـ شـعـراـهـمـ الـماـضـيـنـ فـيـقـولـون : أـحـسـنـ وـالـهـ ! هـكـذـا يـكـوـنـ الـكـلامـ اـوـهـكـذـا يـكـوـنـ الـشـعـرـ .

فـلـمـ سـمعـتـ ذـلـكـ مـنـهـ عـلـمـتـ آنـيـ مـحـسـنـ ؛ فـأـزـمـعـوا وـأـزـمـعـتـ الـخـرـوجـ إـلـى عبدـالـعـزـيزـ بـنـ مـرـوـانـ ، وـهـوـ يـمـثـلـ بـعـرـاءـ ؛ قـلـتـ لـأـخـتـيـ أـمـامـةـ - وـكـانـتـ عـاقـلـةـ جـلـدـةـ : آنـيـ أـخـيـةـ ؛ آنـيـ قـلـتـ شـعـرـاـ ، وـآنـاـ أـرـيدـ عبدـالـعـزـيزـ بـنـ مـرـوـانـ ، وـأـرـجـوـ أـنـ يـعـتـقـدـ اللهـ بـهـ وـأـمـكـ وـمـنـ كـانـ مـرـقـوـقاـ ^(٣) مـنـ أـهـلـ قـرـآـبـيـ .

قـالـتـ : إـنـاـ اللـهـ وـإـنـاـ إـلـيـهـ رـاجـعـونـ ! يـابـنـ أـمـ ، أـنـجـمـعـ عـلـيـكـ الـخـلـصـلـاتـانـ : السـوـادـ ، وـأـنـ تـكـوـنـ ضـحـكـةـ ^(٤) للـنـاسـ ! قـلـتـ : فـاسـمـيـ . فـأـنـشـدـتـها فـسـمـعـتـ ، فـقـالـتـ : بـابـيـ أـنـتـ أـحـسـنـ وـالـهـ ! فـهـذـاـ رـجـلـ عـظـيمـ ، فـأـخـرـجـ عـلـىـ بـرـكـةـ اللهـ .

فـغـرـجـتـ عـلـىـ قـمـودـ لـىـ حـتـىـ قـدـمـتـ الـمـدـيـنـةـ فـوـجـدـتـ بـهـاـ الفـرـزـدقـ فـيـ مـسـجـدـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، فـعـرـجـتـ إـلـيـهـ قـلـتـ : أـنـشـدـهـ وـأـسـتـنـشـدـهـ ، وـأـعـرـضـ عـلـيـهـ شـعـرـيـ . فـأـنـشـدـهـ ، فـقـالـ لـيـ : وـيـلـكـ ! أـهـذـاـ شـعـرـكـ الـذـيـ تـطـلـبـ بـهـ الـلـوـكـ اـقـلـتـ :

* الأغانى : ١ - ٣٢٥ (طبعة دار الكتب) .

(١) هو نصـيبـ بـنـ رـيـاحـ : كـانـ رـقـيقـاـ لـبـعـضـ الـعـربـ ، ثـمـ اـشـتـراهـ عبدـالـعـزـيزـ ، وـكـانـ شـاعـرـاـ خـلاـ

مـقدـمـاـ فـيـ النـسـبـ وـالـمـدـيـعـ ، وـكـانـ عـنـيفـاـ كـيـرـالـنـسـ يـجـيدـ مـدـائـعـ الـلـوـكـ وـمـرـائـيـمـ : تـوـفـيـتـ ١٠٠ـهـ

(٢) المـشـيـخـ الشـيـوخـ (٢) مـرـقـوـقاـ : صـارـ فـرـقـ (٤) الضـحـكـ بـسـكـونـ الـحـاءـ : مـنـ يـضـعـكـ النـاسـ مـنـهـ

(١٦ - قـصـصـ الـعـربـ ٢)

نعم . قال : فلستَ فِي شَيْءٍ . إِنْ أَسْتَطَعْتُ أَنْ تَكْتُمْ هَذَا عَلَى نَفْسِكَ فَأَفْعَلْ !
فَانْفَضَّخْتُ^(١) عَرْقًا !

فصحبني رجل من قريش كان قريباً من الفرزدق ، وقد سمع إنشادى ، وسمع
ما قالَ لِي الفرزدق ؟ فأوْمأَ إِلَيْهِ فَقَمَتْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : وَيَحْكُ : مَا شَعْرُكَ الَّذِي
أَشَدَّتَهُ الْفَرْزَدِقَ ؟ قَلَتْ : نَعَمْ . فَقَالَ : قَدْ وَاللَّهِ أَصَبْتَ ، إِنْ كَانَ هَذَا الْفَرْزَدِقَ
شَاعِرًا لَقَدْ حَسَدَكَ ، فَإِنَّا لَنَعْرِفُ مَحَاسِنَ الشِّعْرِ ؟ فَامْضِ لِوَجْهِكَ ، وَلَا يَكْسِرْنَكَ .

فَسَرَّنِي قَوْلُهُ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَنِي فِيمَا قَالَ ، فَاعْتَزَمْتُ عَلَى الْمَفَىِ ، فَضَيَّبْتُ
فَقَدَمْتُ مَصْرَ وَبِهَا عَبْدَ الْعَزِيزَ بْنَ مُرْوَانَ ، خَضَرْتُ بَابَهُ مَعَ النَّاسِ ، فَنَحِيَّتُ
عَنْ مَجْلِسِ الْوِجْهَاتِ ، فَكَنْتُ وَرَاءَهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا جَاءَ عَلَى بَغْلَةٍ ، حَسَنَ الشَّارَةَ ،
سَهْلَ الْمَدْخَلِ ، يُؤْذَنَ لَهُ إِذَا جَاءَ . فَلَمَّا انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ انْصَرَفَ مَعَهُ أَمَاشَيَ بَقْلَتَهُ ،
فَلَمَّا رَأَيَنِي قَالَ : أَلَكَ حَاجَةٌ ؟ قَلَتْ نَعَمْ ! أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجازِ ، شَاعِرٌ ، وَقَدْ
مَدَحْتُ الْأَمْيَرَ ، وَخَرَجْتُ إِلَيْهِ رَاجِيًّا مَعْرُوفَةً ، وَقَدْ ازْدَرِيَتْ فَطَرَدَتْ مِنَ الْبَابِ ،
وَنَحِيَّتُ عَنِ الْوِجْهَاتِ . قَالَ : فَأَنْشَدْنِي : فَأَنْشَدْتُهُ ، فَأَعْجَبَهُ شِعْرِي ، فَقَالَ : وَيَحْكُ !
أَهْذَا شِعْرُكَ ؟ فَإِيَاكَ أَنْ تَنْتَحِلْ ! فَإِنَّ الْأَمْيَرَ رَاوِيَةً عَالِمَ بِالشِّعْرِ ، وَعِنْدَهُ رُوَاةٌ ، فَلَا
تَفْضَحْنِي وَنَفْسَكَ ، قَلَتْ : وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا شِعْرِي . فَقَالَ : وَيَحْكُ ! فَقُلْ أَبْيَاتًا
تَذَكَّرُ فِيهَا حَوْفَ^(٢) مَصْرَ وَفَضَلَّهَا عَلَى غَيْرِهَا ، وَالْقَنِيَّ بِهَا غَدَّاً .

فَغَدَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ غَدْ فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلِي :

سَرَّى الْهَمُ تَثْنَيْنِي إِلَيْكَ طَلَائِعَهُ بِمَصْرَ وَبِالْحَوْفِ اعْتَرَتْنِي رَوَائِهُ

(١) افْضَحْتَ عَرْقًا : تَدَفَّقَتْ عَرْقًا (٢) الْحَوْفُ : بِمَصْرَ حَوْفَانُ ؛ الشَّرْقُ وَالْغَربُ وَمَا مُتَّصلَانِ .

وبات وسادى ساعد قل لمه عن المظم حتى كاد تبدُّل وأشاجعه^(١)

قال : وذكرت فيها الغيث قلت :

وكم دون ذاك العارض البارق الذى
تمشى به أفناء^(٢) بكر ومذحج
فكل مسلي من تهامة طيب
أعني على برق أريك وميضه
إذا اكتحلت عيناً حبّ بضوئه تجافت به حتى الصباح مضاجعه
قال : أنت والله شاعر احضر بالباب حتى أذكرك للأمير .

قال : بخلست على الباب ودخل ، فما ظننت أنه أمكنه أن يذكرني حتى دعا
بي ، فدخلت على عبد العزيز ، فسلمت ، فصمد في بصره وصواب ، ثم قال : أنت
شاعر ، ويلك ! قلت : نعم أيها الأمير ! قال : فأنشدته فأعجبه شعرى .

وجاء الحاجب فقال : أيها الأمير ، هذا أمين بن خريم الأسدى بالباب . قال :
ائذن له ، فدخل فاطمان ، فقال له الأمير : يا أمين ، كم ترى من هذا العبد ؟ فنظر إلى
قال : والله لنعم الغادى في أمر المخاص^(٤) ، هذا أيها الأمير ؟ أرى منه مائة دينار .
قال : فإن له شعراً وفصاحة ! فقال لي أمين : أنتول الشعر ؟ قلت : نعم . قال :
فيه ثلثون ديناراً . قال : يا أمين ، أزفقة وتحفظه أنت ؟ قال : لكونه أحق أيها
الأمير ، مالهذا وللشعر؟ مثل هذا يقول الشتر أو يحسن شعراً ؟ فقال : أنشده يانصيب ،
فأنشدته .

(١) الأشاجع : أصول الأصانع التي تتصل بصب ظاهر الكف (٢) أفناء بكر ومذحج :
أخلاق الناس (٣) الدوافع : مسائل الماء (٤) المخاص : المواطن من النوق ، وهو يريد : إنهم
هذا العبد يرعى الإبل .

قال له عبد العزيز : كيف تسمع بأيمين ؟ قال : هو أشر أهل جلده . قال : هو والله أشر منك . قال : أيني إليها الأمير ! قال : إى والله منك . قال : والله أينها الأمير إنك تَلُول طَرِف^(١) . قال : كذبت ، والله ما أنا كذلك ، ولو كنت كذلك ماصبرت عليك ، تنازعني التحية ، وتواكلني الطعام ، وتنسكي على وساندي وفرشى ، وبك ما بك ! وكان بأيمين بياض .

قال : إنذن لي أن أخرج إلى بشر بالعراق^(٢) ، وأحملني على البريد . قال : قد أذنت لك ، وأمر به تحمل على البريد إلى بشر . فقال فيه مدحه ويعرض بأبيه عبد العزيز :

ركبت من المقطم في جَهَادِي	إلى بشر بن مروان البريداً
ولو أعطاك بشر ألف ألف	رأى حقاً عليه أن يزيداً
أمير المؤمنين أتم ببشر	عمود الحق إن له عموداً
وداع بشاراً يقوّمهم ويحدث	لأهل الزينة إسلاماً جديداً
كان الناج تاج بني هرقل	جلوه لأعظم الأيام عيداً
على ديار خدائي وجه بشر	إذا الألوان خالفت الخلودوا ^(٣)

قال . فأعطاه بشر مائة ألف درهم .

(١) يقال رجل طرف : إذا كان لا يثبت على عهد (٢) بشر بن مروان : أخو عبد العزيز ابن مروان (٣) في قوله هذا يعرض بكلف كابن بوجه عبد العزيز بن مروان .

٩٧ - سليمان بن عبد الملك وسيئه *

أقبلَ على سليمان^(١) بن عبد الملك فتى من بني عبس ، وَسِمْ : فأعجبه ، فقال : مَا سُمْتَ ؟ قال : سليمان ، قال : ابنُ مَنْ ؟ قال : ابنُ عبدِ الْمَلِكِ ! فأعرض عنه ؛ وجعل يُفْرِضُ^(٢) لِمَنْ دونه ، فعلم الفتى أنه كره موافقة اسمه واسم أبيه .

قال : يا أمير المؤمنين ، لا عدلتَ أنتَ ، ولا شقي اسم يوافق اسمك ، فارضْ ؟ فلما أبا أنا سيف^{*} يدك ، إن ضرَبْتَ به قطعتَ ، وإن أمرْتَني أهْلَمْتُ^{*} ؛ وسمْ في كناتك أشتدَ إن أرْسلْتُ ، وأنْفَذْ حيث وجئتْ .

قال له سليمان وهو يختبره : ما قولك يا فتى لو لقيتَ عدوا ؟ قال : أقول : حسيبي الله ونعم الوكيل ! قال سليمان : أكنتَ مكتفيًّا بهذا لو لقيت عدوَك دون ضربٍ شديد ؟

قال الفتى : إنما سألتني يا أمير المؤمنين : ماأنت قائل ؟ فأخبرتك ، ولو سألتني : ماأنت فاعل ؟ لأنْبَأْتُك ، إنه لو كان ذلك لضررت بالسيف حتى يتصرف^(٣) ، ولطمته بالرمح حتى يتصرف !

فأعجب به سليمان وألحقه في العطاء بالأشراف ، وتمثّل :

إذا ما أتَى الله الفتى ثم لم يكن على قومه كُلًا قد كمل الفتى

* ابن أبي الحديد : ١ - ٣٢٢

(١) كان سليمان ملكاً غيوراً ، نهياً يحب الطعام ، كما كان فصيحاً لسناً ، توفي سنة ٩٩ هـ .

(٢) يقال أفرض له : إذا جعل له فريضة ، والفرضة ، البعد المأمور في الزكاة ، ثم المس فيه حتى سمي البعير فريضة من غير الزكاة (٣) التعريف : التوعي .

٩٨ - عقید الندى *

قال الحارث بن سليمان : شهدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ، وأتاه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فقال : يا أمير المؤمنين ؟ أتيتك مُستَعْدِيَا . قال : ومنك ؟ قال : موسى شهوات ^(١) . قال : وما له ؟ قال : سمع ^(٢) بي ، واستطاع في عرضي .

قال : ياغلام ؟ على موسى ، فأتني به ، فأتني به ، فقال : وبلك أسمعت به واستطللت في عرضيه ؟ قال : ما فعلت يا أمير المؤمنين ، ولتكن مدحت ابن عمه فقضب هو .

قال : وكيف ذلك ؟ قال : أردت شراء جارية لم يبلغ ثمنها حدّتي ^(٣) ، فأتيته وهو صديق ، فشكوت إليه ذلك ، فلم أصب عنده شيئاً ، فآتتني ابن عمه سعيد ابن خالد ، فشكوت إليه ما شكرته إلى هذا . فقال : تَمُودُ إلَيْهِ ؟ فتركته ثلاثة أيام أتتها ، فتسهلَ مِنْ إذني ، فلما استقربي المجلس قال : يا غلام ؟ قل لقيّي : هاتِ وديعتي .

فَفَتَحَ بَاباً بَيْنَ بَيْتَيْنِ ، وَإِذَا بِجَارِيَةٍ ، فَقَالَ لِي : أَهْذِهِ بُفْيُتُك ؟ قَلْتُ : نَعَمْ ، فَدَأَكَ

* الأغاني ٣ : ٣٥٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) هو موسى بن يسار مولى قريش ، ويكنى أبا محمد ، وشهوا ، لقب غالب عليه ، كان سروراً ملحاً ، وسكن كلـا رأى مع أحد شيئاً يعجبه من مال أو متع أو نوب أو فرس تباكي ، فإذا قيل له : مالك ؟ قال : أشتهي هذا ، فلقب موسى شهوات ^(٢) سمع به في الناس : شهوة وفضحة

(٣) الحدة : الفن ، ويريد هنا ما عنده من مال .

أبى وأمى ! قال : اجلس . ثم قال : ياغلام ؟ قل لقىّتى : هاتى ظبىّة^(١) نفقيّ ، فأتى بظبىّة ، فنررت بين يديه ، فإذا مائة دينار ، فرددت فى الظبىّة . ثم قال : عتيدة طبى^(٢) ، فأتى بها ؛ ثم قال : ملحقة^(٣) فراشى ، فأتى بها ؛ فصبر ما فى الظبىّة وما فى العتيدة فى حواشى الملحقة ، ثم قال : شأتك بالخارية واستعن بهذا .

قال له سليمان بن عبد الملك : فذلك حين تقول ماذا ؟ قال : قلت :

أبا خالد^(٤) - أعني سعيد بن خالد أخا العرف ، لا أعنى ابن بنت سعيد ولكننى أعني ابن عائشة الذى أبُو أبوه خالد بن أَسِيد عقيد^(٥) الندى ماعاش يرضى به الندى فإن مات لم يرض الندى بمقيد دعوه إنكم قد رقدتم وما هو عن أصحابكم برقوه تقتل أنساً هكذا في جلودهم من الغيط لم تقتلهم بمحابي^(٦) فقال سليمان : على ياغلام بسعيد بن خالد ، فأتى به ، فقال : أحق ما وصفك به موسى ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فأعاد عليه . فقال : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين . قال : فما طرقتك هذه الأفعال ؟ قال : دين نثلاثين ألف دينار . فقال له : قد أمرت لك ببنلها وبثلث مثلها ، فحملت إليه مائة ألف دينار .

قال الحارث : فلقيت سعيد بن خالد بعد ذلك فقلت له : ما فعل المال الذى وصلك به سليمان ؟ قال : ما أصبحت والله أملك منه إلا خمسين ديناراً . قلت : ما أغتناله ! قال : خلة^(٧) (٥) من صديق ، أو فاقفة^(٨) من ذى رحيم .

(١) الظبىّة هنا : جراب صغير من جلد ظبي (٢) العتيدة : المقة يكون فيها طيب الرجل أو العروس (٣) الملحقة : الملاحة . (٤) عقيد الندى : حليف السكرم (٥) الخلة : الحاجة والقر .

٩٩ — خليفة يعطي القراء وينع الشعرا *

لما استخلف عمر ^(١) بن عبد العزيز وفت إلية الشعرا كا كانت تفت على الخلفاء من قبله ، فأقاموا ببابه أيامًا لا يأذن لهم بالدخول حتى قدم عدی بن أرطاة على عمر - وكانت له منه مكانة - فقال جرير :

يَا هَبَّا الرَّجُلُ الْمُزِجِيُّ مَطِيقَتِهِ
هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضِيَ زَمْنِي
أَبْلَغَ خَلِيفَتِنَا إِنْ كَنْتَ لَاقِيَتِهِ
أَنِّي لَدِي الْبَابِ كَالْمَصْفُودُ ^(٢) فِي قَرْنَى
وَحْشُ الْمَكَانِيْهِ مِنْ أَهْلِ وَمَنْ وَلَدَى
نَأْيَ الْخَلَهُ عَنْ دَارِي وَعَنْ وَطْنِي
قال : نعم يا حرزة وسمى عين ! فلما دخل على عمر قال : يا أمير المؤمنين ؟
إن الشعرا ببابك ، وأقوالهم باقية ، ومهما هم مسنونة .

قال : يا عدی ، مالي ولالشعرا !

قال : يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله قد مدح وأعطى ؛ وفيه أسوة لكل مسلم . قال : من مدحه ؟ قال : عباس بن مرداد ؟ فكساه حلة قطع بها لسانه .

* المقد الفريد : ١ - ١٠٨ ، غرارات الأوراق : ١ - ٧١ .

(١) ولـ عمر بن عبد العزيز الخليفة بعد سليمان بن عبد الملك سنة ٥٩٩ ، وكان من خيار الخلفاء عالماً ، زاعداً ، عابداً ، تقىاً ، سار سيرة مرضية ، وسلك الشـل الأعلى في الحـكم . توفـي سنة

(٢) صندـه : أـوقـه .

قال : صدقت ، فن بالباب منهم ؟ قال : ابن عك عمر بن أبي ربيعة القرشى .

قال : لا قرَبَ اللَّهُ قرَابَتَهُ ، ولا حِيَا وَجْهَهُ ؛ أليس هو القائل :

الآليتَ أَنِّي يَسْوَمَ تَدْنُو مَنْيَتِي
شَمِّيتَ الَّذِي مَا بَيْنَ هَيْنِيكِ وَالْفَمِ
ولَيْتَ طَهُورِي كَانَ رِيقَكَ كَلَهُ
وَلَيْتَ حَنَوْطِي مِنْ مُشَاشِكَ^(١) وَالْدَّمِ
وَبَالْيَتْ سَلَّيَ فِي الْقَبُورِ ضَجِيعَتِي
هَنَالِكَ أَوْ فِي جَنَّةٍ أَوْ جَهَنَّمَ
فَلِيَتَهُ تَمَّنَ لَقَاهَا فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ بَعْلَ عَمَلاً صَالِحًا ، وَاللَّهُ لَا يَدْخُلُ عَلَىٰ أَبْدًا .
فن بالباب غيره من ذكرت ؟ قال : جحيل بن معمر العذرى .

قال : أليس هو القائل :

أَلَا لَيَتَنَا نَحْنُ أَنْجِيَّا جَيْمَا وَإِنْ تَمَّتْ
يُؤْافِ لَدِي الْلَّوَّقَ ضَرِبَحِي ضَرِبَحُمَا
فَا أَمَا فِي طُولِ الْحَيَاةِ بِرَاغِبِرِ
إِذَا قِيلَ قَدْ سُوَى عَلَيْهَا صَفِيفَهَا^(٢)
أَظْلَلَ نَهَارِي لَا أَرَاهَا وَتَلَقَّ
مَعَ اللَّيْلِ دُوْسِي فِي اللَّنَامِ وَرُحْمَا
وَلَهُ لَا يَدْخُلُ عَلَىٰ أَبْدًا . فن بالباب غيره من ذكرت ؟ قال : كثير عزوة ،
قال : أليس هو القائل :

رُهْبَانُ مَدَيْنَ وَالَّذِينَ عَمَدُتْهُمْ يَكُونُونَ مِنْ حَدَّرِ الْفَرَاقِ قُمُودَا
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمْ سَمِّعْتُ حَدِيَّهَا خَرَّوْا لَعْزَةَ رَكَّماً وَسَجُودَا
أَبْدَهُ اللَّهُ ! فَوَاللَّهِ لَا يَدْخُلُ عَلَىٰ أَبْدًا ، فن بالباب غيره من ذكرت ؟ قال :
الأحوص الأنصارى . قال : لَا دَخَلَ عَلَىٰ أَبْدًا ، أليس هو القائل - وقد أفسد
على رجل من أهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه :

الله ييفى وبين سَيِّدِهَا يغُرُّ عنِيهَا وَأَبْتَعِي

(١) الشاش : رهوس المظام ؛ مثل الركبتيين والرفقين والنكفين . (٢) الصفانع : المحارة
العربيفة ؛ واحدتها صفيح وصفيفة .

فن بالباب وغيره من ذكرت؟ قال : هام بن غالب الفرزدق ! قال : أليس هو القائل :

هادئان من ثمانين قامة
كما انقض باز أقمة الريش كاسرة
فلا استوت رجلاي بالأرض فالتا : أحى يرجى أم قتيل نحاذرها ؟
قلت : أرضا الأسباب لا يشعروا بنا ووليت في أعقاب تسل أبادرها
والله لا دخل على أبدا ، فن بالباب غيره من ذكرت؟ قال : الأخطل التغلبي
قال : أليس القائل :

ولست بصائم رمضان عمرى
ولست بزاجر عنسا (١) بكورا
ولست بقائم كالعذير يدعسو
ولكنى سأشربها شمولا (٢)
أبعدة - أبعدة الله - عن افو الله لا دخل على أبدا ، ولا وطى لي بساطا ،
فن بالباب غيره من الشعراء من ذكرت؟ قال : جرير ، قال أليس هو القائل :
ذم النازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام
طرقت صائد القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فاز جمعي بسلام
فإن كان ولا بد فهذا ، فاذن له .
قال عدى بن زطاء : فرجت إليه ، قلت : ادخل يا جرير ، فدخل
وهو يقول :

إن الذى بعث النبي محمدأ جمل الخلافة في إمام عادل

(١) الأضاحى : جمع أضاحية وهي شاة يضحى بها . (٢) العنس : البازل الصلبة من الإبل .

(٣) الشمول : البارد من الحر . (٤) انباج الصبع : أضاء وأشرق .

وسع الخلاائق عدله ووفاؤه حتى ادعوا وأقام ميل المائل
والله أَنْزَلَ فِي الْكِتَابِ فَرِيضَةً لابن السبيل وللفقير العائلي
إِنِّي لأُرْجُو مِنْكَ خَيْرًا عاجلاً والنفس مولعة بحب العاجل
فَلَمَا مَثَلَ بَيْنَ يَدِيهِ قَالَ : يَا جَرِيرَ ، اتَّقِ اللَّهَ ، وَلَا تَقْلِ إِلَّا حَقًّا ،
فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

كم بالبِامَسَةِ من شعاءَ أَرْمَالَةِ
ومن بَعْدَكَ تَسْكُنَى فَقَدْ وَالدَّهِ
اَذْ كَرَ الْجَهَدَ وَالْبَلْوَى الَّتِي نَزَلَتْ
إِنَّا لَنَرْجُو - إِذَا مَا النَّيْثُ أَخْلَفَنَا -
نَالَ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا
هَذِي الْأَرْمَلُ قَدْ قَضَيْتَ حاجتها
الْخَيْرُ مَا دَمْتَ حَيًّا لَا يَفَارِقُنَا بُورْكَتْ يَأْمُرُ الْخَيْرَاتِ مِنْ عَمَرٍ !
قال : ياجرير ، ما أرى لك فيها هاهنا حَقًّا ! قال : يا أمير المؤمنين ، إني ابن
سبيل ومنتقطع به ا فقال له : ويحك ياجرير ! قد ولينا هذا الأمر ، ولا نملك إلا
ثلاثمائة درهم فائدة أخذتها عبد الله ، وما تأة أخذتها أم عبد الله ، يا غلام ، أعطه
المائة الباقية .

فأخذها جرير ، وقال : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا أَحَبَّ مَالَ اَكْتَسَبَهُ ، ثُمَّ
خرج ، فقال له الشعراو : ما وراثك ؟ قال : ما يسوكم ! خرجت من عند حليفه يعطي
القراء ، وينعن الشعراء ، وإنى عنه لراض ، وأنشد :

رأيت رُقَي الشيطانِ لَا تَسْتَغْفِرُهُ وقد كانَ شيطانِي من الجنِ راقيا

(١) درج : مشى .

١٠٠ — الشعرا و عند عمر بن عبد العزيز *

قال حَمَادُ الراوِيَةُ :

دخلتُ المدينةَ النَّسَاءَ الْعِلْمَ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِيتُ كَثِيرًا عَزَّةً . قَلَتْ : يَا أَبَا صَفَرْ ؟ مَا عَنْدَكَ مِنْ بَصَاعِدٍ ؟ قَالَ : عَنْدِي مَا عَنْدَ الْأَحْوَصِ (١) وَنُصَيْبٌ . قَلَتْ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : هُمْ أَحْقَى بِإِخْبَارِكَ . قَلَتْ لَهُ : إِنَّا لَمْ نَحْثُ الْعَلَى نَحْوَكَ شَهْرًا نَطَلَبُ مَا عَنْدَكُمْ إِلَّا لِيَقِنَّ لَكُمْ ذَكْرٌ ، وَقُلْ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، فَأَخْبَرْنِي عَمَّا سَأَلْتُكَ لِيَكُونَ مَا تَخْبِرُنِي بِهِ حَدِيثَنَا آخِذُهُ عَنْكَ .

قَالَ : إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا كَانَ ، قَدِيمٌ أَنَا وَنُصَيْبٌ وَالْأَحْوَصُ ، وَكُلٌّ وَاحِدٌ مِنَا يُدْلِلُ بِسَابِقِهِ عَنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَإِخْاهِهِ لِعُمَرَ . فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِيَنَا مَسْلِمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكَ ، وَهُوَ يَوْمَ ذِفْقَى الْعَرَبِ ، وَكُلٌّ وَاحِدٌ مِنَا يَنْظَرُ فِي عِطْفَنَيْهِ لَا يُشَكُّ أَنَّهُ شَرِيكُ الْخَلِيفَةِ فِي الْخِلَافَةِ ، فَأَحْسَنَ ضِيَافَتِنَا وَأَكْرَمَ مَثَواَنَا ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا عَلِمْتُ أَنَّ إِمَامَكُمْ لَا يُعْطِي الشَّعْرَاءَ شَيْئًا ، فَلَنَا : قَدْ جَثَنَا الْآنَ ، فَوَجَّهَ لِنَافِ هَذَا الْأَمْرِ وَجْهًا . قَالَ : إِنَّ كَانَ ذُو دِينٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ قَدْ وَلَى الْخِلَافَةَ قَدْ بَقَى مِنْ ذُو دِينٍ دُنْيَاهُ مِنْ يَقْضِي حَوْاجِبَكُمْ ، وَيَفْعَلُ بِكُمْ مَا أَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ .

فَأَقْنَاعِلِي بَابَهُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ لَا نَهْلِلُ إِلَيْهِ ، وَجَمِيلٌ مَسْلِمَةُ يَسْتَأْذِنُ لَنَا فَلَا يُؤْذَنُ . قَلَتْ : لَوْ أَتَيْتُ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَتَحْفَظَتْ مِنْ كَلَامِ عُمَرَ شَيْئًا ! فَأَتَيْتَ

* الأغاني : ٩ - ٢٥٦ (طبعة دار الكتب) ، المقدمة الفريد : ١ - ٢١٣ .

(١) انظر صفحة ٢٢٥ (٢) انظر صفحة ١٤٨ .

المسجد فأنا أول من حفظ كلامه ، سمعته يقول في خطبة له : « لِكُلِّ سَفَرٍ زادَ
لَا حَمَالَةً ، فَزَوَّدُوا لِسْفَرِكُم مِنَ الدِّينِ إِلَى الْآخِرَةِ بِالْتَّقْوَى ، وَكُونُوا كَمَنْ عَائِنَ مَا أَعْدَ اللَّهُ
لَهُ مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ ، فَعِلْمٌ طَلِيَّاً هَذَا وَخُوفًا مِنْ هَذَا . وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمْدُ
فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ ، وَتَنْقَادُوا لِلَّدُوْنَكُمْ » .

« وَاعْلَمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَطْمَئِنُ بِالدِّينِ مَنْ وَقَّعَ بِالنِّجَاهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ .
فَأَمَّا مَنْ لَا يُدَاوِي جُرْحًا إِلَّا أَصَابَهُ جُرْحٌ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى فَكَيْفَ يَطْمَئِنُ بِالدِّينِ !
أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ آمِرْكُمْ بِمَا أَنْهَى نُفْسِي عَنْهُ فَتَخْسِرَ صَفْقَتِي ، وَتَبَدُّلَ عَيْنَلَتِي ، وَتَظْهَرَ
مَشْكُنَتِي يَوْمَ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّدْقُ » .

فَارْتَجَّ الْمَسْجِدُ بِالْبَكَاءِ ، وَبَكَى عُرْمَ حَتَّى بُلَّ ثُوبَهُ ، وَظَنَّنَا أَنَّهُ قَاضِيَّ بَنِيهِ .
فَبَلَّتُ إِلَى صَاحِبِي قُلْتُ : جَدَّدًا لِعُمْرِ مِنَ الشِّعْرِ غَيْرَ مَا أَعْدَدْنَا ، فَلِيُسِّيَ
الرَّجُلُ بَدْنِيُّوِيَّ .

نَمْ إِنْ مَسْلَمَةً اسْتَأْذِنْ لَنَا يَوْمَ جُمُوعَةَ بَعْدَ مَا أَذِنَ لِلْعَامَةِ . فَدَخَلْنَا فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ
بِالخِلَافَةِ فَرَدَّ عَلَيْنَا ؟ قُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ طَالَ الثَّوَاءُ^(١) ، وَقُلْتُ لِلْفَانِدَةِ ،
وَتَحْدَثَتْ بِجَفَانِكِ إِيَّانَا وَفُودُ الْعَرَبِ .

فَقَالَ : يَا كَثِيرَ ؟ أَمَا سَمِعْتَ إِلَى قُولَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ : { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ
لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُوْلَفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي أَرْقَابِ وَالْغَارِمِينَ
وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيقَةٌ مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } ، أَفْنَ هُؤُلَاءِ
أَنْتَ ؟ قُلْتُ لَهُ - وَأَنَا ضَاحِكٌ : أَنَا ابْنُ سَبِيلٍ وَمُنْتَطَعٌ بِهِ ! قَالَ : أَوْلَسْتَ ضَيْفَ
أَبِي سَعِيدٍ ! قُلْتُ : بَلَّي ؛ قَالَ . مَا أَحَسْبَ مَنْ كَانَ ضَيْفَهُ ابْنَ سَبِيلٍ ، وَلَا مُنْتَطَعَّ بِهِ .

(١) الثَّوَاءُ : الْمَكْتُ وَالْإِنَامَةُ .

ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُهُ فِي الإِنْشادِ، قَالَ : قَلْ ، وَلَا تَقُلْ إِلَّا حَقًّا . فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُكَ :

فَقُلْتَ :

بَرِّيَّا وَلَمْ تَنْتَعِ مَقَالَةَ مُجْرِمٍ
فَعَلْتَ ، فَأَضْحَى رَاضِيًّا كُلُّ مُسْلِمٍ
وَأَبْدَتَ لَكَ الدِّينَ بِكَفَّٰ وَمُفْصَمٍ
وَتَبَسَّمَ عَنْ مَشْلِ الْجَمَانِ الْمُنْظَمِ
سَقْتَكَ مَدْوِفًا ^(٢) مِنْ سَمَامَ وَعَلْقَمَ
وَمِنْ بَحْرِهَا فِي مُزْبِدِ الْمَوْجِ مُفْعَمٍ
صَعَدْتَ بِهَا أَعْلَى الْبَنَاءِ الْمَقْدَمِ
لَطَالِبِ دُنْيَا بَعْدِهِ مِنْ تَكْلِمٍ
وَآتَرْتَ مَا يَبْقَى بِرَأْيِي مَصْمَمٍ
أَمَّا تَكَّ فِي يَوْمِ مِنْ الْمَوْلِ مُظْلَمٍ
سُوَى اللَّهِ مِنْ مَالِ رَعِيتَ وَدِرْهَمٍ
صَعَدْتَ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِي بِسُلْمٍ
مُنَادِي يُنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَاعْبَمٍ
بِأَخْذِ لَدِينَارٍ وَلَا أَخْذِ دِرْزَمٍ
لَكَ الشَّطْرَ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرِ نَدَمٍ
مُغَذِّي مُظَيْفٌ بِالْمَقَامِ وَزَمْزَمٌ

وَلِيَتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلَيْنَا وَلَمْ تُخْفِ
وَقَلْتَ فَصَدَّقَتَ الَّذِي قَلْتَ بِالَّذِي
لَقَدْ لَبَسْتَ لُبْسَ الْمُلُوكِ ^(١) ثَيَابَهَا
وَتُوْمِضُ أَحْيَا نَا بَعْنَ مَرِيضَةِ
أَعْرَضْتَ عَنْهَا مَشْمُزاً كَانَا
وَقَدْ كَنْتَ مِنْ أَجْبَالِهَا فِي مُمْنَعٍ
وَمَا زَلْتَ سَبَاقًا إِلَى كُلٌّ غَايَةِ
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمَلَكُ غَفَوْا وَلَمْ يَكُنْ
تَرَكَتَ الَّذِي يَفْنِي وَإِنْ كَانْ مُوْنِقاً
فَأَضْرَبْتَ بِالْفَسَانِي وَشَمَرْتَ لِلَّذِي
وَمَالَكَ أَنْ كَنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعَ
سَمَا لَكَ ^(٣) مِنْ فِي الْفَوَادِ مُؤَرِّقٌ
فَإِنْ شَرَقَ الْأَرْضُ وَالْفَرَبُ كَلَّهَا
يَقُولُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي
فَلَوْ يَسْتَطِعُ الْمَسْمُونُ لَقَسَمَوْا
قِعْدَتَ بِهِ مَاحِجَّ اللَّهُ رَاكِبٌ

(١) الْمُلُوكُ مِنَ النَّاسِ : الْفَاجِرَةُ الْمُتَسَاقِطَةُ عَلَى الرِّجَالِ (٢) مَدْوِفًا : مَخْلُوطًا ، وَسَامَ : السَّمَّ

(٣) سَمَا لَكَ : ارْتَفَعَ .

فَأَرْبِحْ بِهَا مِنْ صَفَقَةِ لَمْبَاعِ وَأَعْظَمْ بِهَا أَعْظَمْ بِهَا ثُمَّ أَعْظَمْ !
فَقَالَ لِي يَا كَثِيرٌ ؛ إِنَّ اللَّهَ سَائِلُكَ عَنْ كُلِّ مَا فَقَتْ . ثُمَّ تَقْدِمُ إِلَيْهِ الْأَخْوَصُ
فَاسْتَأْذَنْهُ فَقَالَ : قُلْ ، وَلَا تَقْلِ إِلَّا حَقًّا ، إِنَّ اللَّهَ سَائِلُكَ . فَأَنْشَدَهُ :

وَمَا الشِّعْرُ إِلَّا خُطْبَةٌ مِنْ مَوْلَفٍ
فَلَا تَقْبَلْنَ إِلَّا الَّذِي وَافَقَ الرِّضَا
رَأَيْنَاكَ لَمْ تَعْدِلْ عَنِ الْحَقِّ يَمْنَةً
وَلَكِنْ أَخْذَتِ الْقَصْدَ جُهْدَكَ كَلَمَّا
فَقَلَنَا وَلَمْ نَكْذِبْ بِمَا قَدْ بَدَأَ لَنَا
وَمَنْ ذَا يَرُدُّ الْحَقَّ مِنْ قَوْلِ عَادِلٍ
وَلَوْلَا الَّذِي قَدْ عَوَدَتْنَا خَلَافَتْ
لَمَا وَحَدَتْ شَهْرًا بِرَحْلِي جَسْرَةَ^(١)
وَلَكِنْ رَجُونَا مِنْكَ مِثْلَ الَّذِي بِهِ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلشِّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ
وَكَانَ مُصِيبَةً صَادِقًا لَا يَعِيْهِ
فَإِنَّ لَنَا قُرْبَى وَمَخْضَ مَوَدَّةٍ
فَذَادُوا عَدُوَ السَّلْمٍ عَنْ عُقْرِ دَارِهِمْ
فَقَبْلَكَ مَا أَعْطَى الْهَنَيْدَةَ جِلَّةَ

تَقْلِيَّ مُؤْنَةَ الْبَيْدِ بَيْنَ الرَّاهِوْلِ
صُرْفَا قَدِيمًا مِنْ ذُوِّيَّكَ الْأَفَاضِلِ
وَإِنْ كَانَ مِثْلَ الدُّرَّ مِنْ قَوْلِ فَاقِيلٍ
سُوِيْ أَنَّهُ يَبْنِي بَنَاءَ الْمَنَازِلِ

عَلَى الشَّمْرَ كَعْبًا مِنْ سَدِيسِ وَبَازِلَ^(٤)
وَمِيرَاثَ آبَاءَ مَشَوْنَا بِالْمَنَاصِلَ^(٣)

(١) السَّهْمُ الْعَالِرُ : الَّذِي لَا يَدْرِي مِنْ أَيْنَ أَتَى (٢) الْجَسْرَةُ : النَّافَةُ الْمُظْبَيْمَةُ (٣) الْمَنَاصِلُ : جَمِيعُ مَنْصِلٍ وَهُوَ السِّيفُ الْفَاطِعُ (٤) هَنَيْدَةُ : اسْمُ الْمَائِةِ مِنِ الإِبْلِ خَاصَّةٌ ، وَيُرِيدُ بِكَعْبَ كَعْبَ بْنَ زَهِيرٍ ، وَالسَّدِيسُ : مِنِ الإِبْلِ مَا دَخَلَ فِي التَّامِنَةِ ، وَبَازِلُ : مَا بَلَغَ التَّاسِعَةَ .

رسولُ الإلهِ المصطفى بنُبُوَّةٍ عَلَيْهِ سَلَامٌ بالضحا والأصائل
فَكُلُّ الَّذِي عَدَّتْ يُكْفِيكَ بَعْضُهُ وَنَيْلُكَ خَيْرٌ مِنْ بَحْورِ السَّوَابِلِ
فقال له عمر : يا أخوص ؟ إن الله سألك عن كل ما قلت . ثم تقدم إليه
نصيب فأستاذن في الإنشاد ، فأبى أن يأذن له، وغضب غضبا شديدا ، وأمره باللحاق
بدايق ^(١) ؛ وقال لنا : ما عندى ما أعطيكم ، فانتظروا حتى يخرج عطائى فأواسيمك
منه . فانتظرناه حتى حرج ، فأسر لى وللأخوص بثمانمائة درم ، وأمر لنصيب بمائة
وخمسين درهماً . فرأيت أعظم بركة من الثلاث المائة التي أعطاني ، ابتمت بها
وصيحة فقلتها يالله ألف دينار .

(١) دايق : قرية قرب طب .

١٠١ - إيجاز في المقال وبلاهة في البيان.*

قال سفيان الترمي :

كنا عند هشام^(١) بن عبد الملك ، وقد وفد عليه وقد أهل الحجاز - وكان شباب الكتاب إذا قدم الوفد حضروا الاستماع بلاغة خطبائهم - فحضرت كلامهم . وكان محمد بن أبي الجهم أعظم القوم قدرًا، وأكبّرهم سنًا، وأفضلهم رأياً وحلاً؛ فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ! إن خطباء قريش قد قالت ما قالت ، وأكثرت وأطبنت ، والله ما يبلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصي خطبائهم فضلتك ، وإن أذنت في القول قلت . قال : تكلم ، قال : أفالوجز أم أطيب ؟ قال : بل أوجز .

قال : تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتعوى ، وجمع لك خيراً الآخرة والأولى ، إن لي حوانج أفاد ذكرها ؟ قال : هاتها ، قال : كبرت سنّي ، ونال الدهر متنى ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى ، وينق فقري فعل ! قال : وما الذي ينفي فكرك ، ويجبر كسرك ؟ قال : ألف دينار ، وألف دينار ، وألف دينار !

فأطرق هشام طويلاً ، ثم قال : هيبات يا بن أبي الجهم ! بيت المال لا يحتمل ما ذكرت ، فقال : إن الله آثرك لمجلسك ، فإن تعطينا خفّاً أديت ، وإن تمنعنا

* العقد الفريد : ٣ - ١٨٦ ، الأمالى : ١ - ١٤٧ ، صبح الأعشى : ١ - ٢٦٤

(١) تولى الخليفة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ، وكان غزير العقل ، حليماً عفيفاً ، امتدت أيامه ، وجرى فيها كثيرون من الواقائع . توفي سنة ١٢٥ هـ .

(٢) قسم العرب

فَسْأَلَ الَّذِي يَدْهُ مَاحْوِيَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْمَطَاءَ مَحْبَةً ، وَالْمَنْعَ مَبْغَضَةً ؟ وَاللَّهُ لَا نَ أُحِبُّكَ أَحَبَّ إِلَى مَنْ أُبْغِضَكَ !

قَالَ : فَأَلَفْ دِينَارٌ لِمَاذَا ؟ قَالَ : أَقْضَى بِهَا دِينَارًا فَدَحَنَيْ (١) قَضَاؤُهُ ، وَقَدْ عَنَانِي حَمْلُهُ ، وَأَضْرَأَ بِهِ أَهْلَهُ . قَالَ : فَلَا بَأْسٌ ؟ تُنَفَّسْ كُرْبَةً ، وَهَدِيَ أَمَانَةً . وَأَلَفْ دِينَارٌ لِمَاذَا ؟ قَالَ : أَزْوَجْ بِهَا مَنْ أَدْرَكَ مِنْ وَلَدِي . قَالَ : نِعْمَ السَّلْكُ سَلَكْتَ ، أَغْضَضْتَ بَصَرًا ، وَأَعْفَتَ وَلَدًا ، وَرَفَعْتَ نَسَلًا . وَأَلَفْ دِينَارٌ لِمَاذَا ؟ قَالَ : أَشْتَرَى بِهَا أَرْضًا يَعِيشُ بِهَا وَلَدِي ، وَأَسْتَعِنُ بِفَضْلِهَا عَلَى نَوَابِ دَهْرِي ، وَتَكُونُ ذُخْرًا لِمَنْ بَقَى بَعْدِي .

قَالَ : فَإِنَّا قَدْ أَمْرَنَا لَكَ بِمَا سَأَلْتَ . قَالَ : فَالْمَحْمُودُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَجَزَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّحْمَ خَيْرًا ثُمَّ خَرَجَ .

فَاتَّبَعَهُ هَشَامُ بَصَرَهُ ، وَقَالَ : تَالَّهِ مَا رَأَيْتَ رَجُلًا أَلْطَفَ فِي سُؤَالٍ ، وَلَا أَرْفَقَ فِي مَقَالٍ مِنْ هَذَا ، هَكَذَا فَلِيَكُنَّ الْقَرْشَى . أَمَا وَاللَّهِ إِنَّا لَنَعْرِفُ الْحَقَّ إِذَا نَزَّلَ ، وَنَكْرَهُ الْإِسْرَافُ وَالْبَخْلُ ، وَمَا نَعْلَمُ تَبْذِيرًا ، وَلَا نَمْنَعُ تَقْتِيرًا ، وَمَا نَحْنُ إِلَّا خُزَانُ اللَّهِ فِي بَلَادِهِ ، وَأَمْنَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، إِذَا أَذِنَ أَعْطَيْنَا ، وَإِذَا مَنَعَ أَبَيْنَا ، وَلَوْ كَانَ كُلُّ قَائِلٍ يَصُدُّقُ ، وَكُلُّ سَائِلٍ يَسْتَحْقُ ، مَا جَبَهَنَا (٢) قَائِلًا ، وَلَا رَدَدَنَا سَائِلًا ، وَنَسَالَ الَّذِي يَدْهُ مَا اسْتَحْفَظَنَا أَنْ يُجْرِيَهُ عَلَى أَيْدِينَا ، فَإِنَّهُ يَبْسِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ (٣) ؟ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا ! قَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لَقَدْ تَكَلَّمَتْ فَأَبْلَغْتَ ، وَمَا بَلَغَ فِي كَلَامِهِ مَا قَصَصْتَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ مَبْتَلٌ ، وَإِنَّهُ كَالْمَعْتَلِي !

(١) فَدَحَنَيْ : أَنْقَلَى (٢) جَبَهَ : لَقِيهِ بَعْدَ كَرْهِهِ (٣) يَقْدِرُ : يَقْسِمُ .

١٠٢ — سميت فأكديتُ، ورجحت فرمّقت *

وفد عروة ^(١) بن أذينة الشاعر على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ،
فما دخلوا عليه عرف عروة ، فقال له : ألسنت القائل :
لقد علمتُ وما الإشراف ^(٢) من خلقى أنَّ الذى هو رزق سوف يأتينى
أمسى له قيئنَى تطلبُه ولو قدمتُ أنا فى لا يعنى
وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ! فقال له : يا أمير المؤمنين ؟
زادك الله بسطةً في العلم والجسم ، ولا ردَّ وافدَك خاتما . والله لقد بالفتَ في الوعظ ،
وأذْ كرتني ما أنسانيه الدهر !

وخرج من فوره إلى إاحتله ؛ فركبها وتوجه راجحا إلى الحجاز ، فما كان الليل
ذكره هشام ، وهو في فراشه ، فقال : رجل من قريش قال حكمة ، ووفد إلى
فيجته ورددته عن حاجته ، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول .
فما أصبح سأله ، فأخبر بانصرافه ، فقال : لا جرم ، ليعلم أن الرزق سيأتيه .

* الشعر والشعراء : ٢٢٥ ، المستطرف : ١ - ٧ ، ابن خلكان : ١ - ٢١٢

(١) عروة بن أذينة : كان من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله شعر في الغزل عجيب رائق ؛
وقفت عليه سكينة بنت مرة فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدت أوار الحب في كبدى
هبني بردت برد الماء ظاهره
فنإنار على الأحساء تندى !
قال لها : نعم . فقالت : وأنت القائل :
قالت : وأنتتها سرى وبخت به
قد كنت عندي تحب الستر فاستر
ألاست تبصر من حولي ؟ فقلت لها :
غطى هواك وما ألقى على بصرى !
قال : نعم ، فالتفتت إلى جواريها وقالت : من الحرائر إن كان خرج هذا من قلب سليم .
(٢) الإشراف : النطلم للأمر .

ثم دعا مولى له ، وأعطاه ألفى دينار ، وقال : الحق بهذه ابن أذينة ، وأعطيه إياها ؟
غادرَ كه وقد دخل بيته ، فشرع الباب عليه ، فخرج إليه ، فأعطاه المال .
قال : أبلغ أمير المؤمنين قوله : سعيت فأكديت ، ورجعت إلى بيتي
فأنا في رزق .

١٠٣ — هذا الذي تعرف البطحاء وطاته *

حج هشامُ بن عبد الملك في خلافة الوليد أخيه ، ومعه رؤساه أهل الشام ،
فيهدِّي أن يستليم الحجر ، فلم يقدر من ازدحام الناس ، فنُصب له منبر فلس عليه
ينظر إلى الناس ، وأقبل على بن الحسين - وهو أحسن الناس وجهًا ، وأنظفهم ثواباً ،
وأطيبهم رائحة - فطاف بالبيت ، فلما بلغ الحجر الأسود تنهى الناس كلهم ، وأخلوا
له الحجر ليستلمه هيبةً وإجلالاً .

فما نظر ذلك هشاماً ، وبلن منه ، فقال رجل لمشام : من هذا أصلح الله الأمير ؟
قال : لا أعرفه - وكان به عارفاً - ولكنه خاف أن يرثيَ فيه أهل الشام ،
ويسمعوا منه ، فقال الفرزدق - وكان لذلك كله حاضراً : أنا أعرفه ، فسلني يا شامي .
قال : ومن هو ؟ قال :

هذا الذي تعرف البطحاء (١) وطاته
والبيت يعرفه والحل وحرام
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النق الطاهر العلام

* الأغانى : ١٤ - ٧٥ (طبع الساسى) ، المحسن والمساوي : ٢٣١ (طبع ليزج) .

(١) البطحاء : مسيل واسع فيه دفاف المحتوى .

إذا رأته قريش قال قائلهم :
إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يُكاد يمسكه عِرْفَانَ^(١) راحته
رُكْنُ الْحَطَمِ^(٢) إذا ما جاء يستَلِمُ
الْعُرْبُ تعرَّفُ منْ أَنْكَرَتَ وَالْعَجَمُ
فليس قوله : مَنْ هَذَا بِضَائِرَه
فبِسْهِ هَشَامٌ قَالَ فِي حَبْسِهِ :

أَنْجَسْنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْقَى
إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهُوَ مِنْهُا !
يَقْلِبُ رَأْسَهُ لِيَكُنْ رَأْسَ سَيِّدِ
وعِنَّا لَهُ حَوْلَاهُ بَادِ عِبُوبُهَا
فبعثَ إِلَيْهِ هَشَامٌ فَأَخْرَجَهُ ، وَوَجَهَ إِلَيْهِ عَلَىٰ بْنُ الْحَسِينِ عَشْرَةَ آلَافَ دَرَهْمٍ ،
وَقَالَ : اعْذِرْنِي يَا أَبا فَرَاسٍ ، فَلَوْ كَانَ عِنْدَنَا فِي هَذَا الْوَقْتِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا لَوْصَلَنَاكَ بِهِ ،
فَرَدَهَا ، وَقَالَ : مَا قَلْتُ مَا كَانَ إِلَّا اللَّهُ ، وَمَا كَنْتُ لَأَرْزَأُ^(٣) عَلَيْهِ شَيْئًا ، فَقَالَ لَهُ
عَلَىٰ : نَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ إِذَا أَنْهَذْنَا شَيْئًا مَا نَرْجِعُ فِيهِ .

(١) عِرْفَانٌ : مُنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ مُفْعُولٌ لِهِ (٢) الْحَطَمِ : حَجَرُ الْكَعْبَةِ أَوْ جَدَارَهَا ، أَوْ مَا يَنْتَهِي
الرَّكْنُ وَزَمْرَدُ وَالْمَقَامُ (٣) رِزْأَهُ مَالَهُ : أَصَابَ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا .

* ١٠٤ — واعظ الملوك *

قال خالد بن صفوان بن الأهم ^(١) :

أوفدنى يوسف[ُ] بن عمر[َ] التقى إلى هشام بن عبد الملك في وفد أهل العراق
فقدِّمتُ عليه ، وقد خرج بقرباته وحشته وغاشيته^(٢) وجلسائه ، فنزل في أرض
قاع صَحْصَحَ^(٣) ، تناهى أفيح^(٤) ، في عام قد بكر وسمِّيَه ، وتتابع ولِيَه^(٥) ، وأخذَت
الأرض فيه زيتها على اختلاف ألوان نَبَتها ؛ من نَوْرِ رَبِيعِ مُونِقٍ^(٦) ، فهو فَ
أحسن منظر وَخَبَرٌ ، وأحسن مُسْتَمَطٌ ، بصَعِيدٍ^(٧) كأنَّ ترابه قطعُ الكافور .
وقد ضُرب له مُرَادِقٌ من حِبْرٍ^(٨) ، كانَ يوسف[ُ] بن عمر[َ] صنَعَه له باليمين ، فيه فُسْطَاطٌ
فيه أربعة أفرشةٌ من خَزَّ أَحْرَ ، مِثْلُها مَرَاقِفُها ، وعليه دُرَاعَةٌ^(٩) من خَزَّ أَحْرَ
مِثْلُها عَمَامَهَا ، وقد أخذ الناس مجَالِسَهُمْ .

فأخرجت رأسي من ناحية السَّمَاط^(١٠) ، فنظر إلى شِبَهِ المُسْتَنْطَقِ لِي !
قلت : أَمَّ الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه ، وجعل ما قَدَّكَ من هذا الأمر رُشْدا ،
وعاقبة ما يَتَوَلَّ إِلَيْهِ حَمْدا ؟ وأخلصَه لك بالثُقُّ ؛ وكثُرَ لك باتِّهاء ، ولا كدرَ عليك

* الأغانى : ٢ - ١٥٣ (طبعة دار الكتب). معجم الأدباء : ١١ - ٢٧

(١) كان خالد خطيباً بليناً ولساناً مبيناً ، حسن السمر جيد المناومة ، مات سنة ١٣٣ هـ .

(٢) غاشية الرجل : من ينتابه من زواره وأصدقائه (٣) القاع الصَّحْصَحَ : الأرض البرداء
المستوية ، والتناهى : جسم ت Wolfe ، وهى أرض لا أنس بها ولا ماء (٤) الأفيح : الواسع

(٥) الوسي : مطر الرياح الأول ، والولى : المطر الذى يلي الوسي (٦) مونق : معجب

(٧) الصَّعِيد : التراب أو وجه الأرض (٨) الحبر : جم الحبرة ، وهى نوع منسوج من اليمين

(٩) الدراعَة : الثوب المشقوق من الأمام (١٠) السَّمَاط : جمع سَمَط ، وهو الصُّفَّ

من الناس وغيرهم .

منه ماصفاً ، ولا خالط سروره بالردى . فقد أصبهت المسلمين نفقة ، إليك يَقْصُدُون في أمرهم ، ويفرغون في مظلتهم ، وما أجد شيئاً - يا أمير المؤمنين - هو أبلغ في قضاء حَكْمٍ وتوقيع مجلسك ، وما من الله على به من مجاسِتك ، من أن أذْكُرَكَ نَعَمَ اللهُ عليك ، وأنبَهُكَ لشُكْرِها ؛ وما أجد في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث من سَلَفَ قبلكَ من الملوك ؛ فإن أذن أمير المؤمنين أخبرته به .

فاستوى هشام جالساً - وكان مُتَكَبِّناً - ثم قال : هات يابن الأهتم ! فقلت : يا أمير المؤمنين ؟ إن مَلِكَا من الملوك قبلاً خرج في عامٍ مثل عامك هذا إلى الخوارق والسدير^(١) في عام قد بَكَرَ وَسَيِّدَ ، وتتابعَ وَلَيْهُ ، فهو في أحسنِ مَنْظَرٍ ، وأحسنِ مُسْتَمْطَرٍ ، بصعيد كأن ترابه قطع السكافور ، وكان قد أُعْطى فتاء^(٢) السن ، مع الكثرة والغلبة والقهر ؛ فنظرَ فأبَعَدَ النظر ؛ ثم قال جلسانه : من هذا ؟ هل رأيْتَ مثلَ مَا أنا فيه ؟ وهل أحدٌ أُعْطى مثلَ مَا أُعْطِيتَ ؟

وكان عنده رجل من بقابيا حَمَلةُ الْحِجَّةِ^(٣) ، والمفضى على أدبِ الحقِ ومناهجه - ولم تخُلِّ الأرض من قائمٍ لله بالحجارة في عباده - فقال : أيها الملك ؟ إنك سألت عن أُمِّي ، أتفاذهُ لِي في الجواب عنه ؟ قال : نعم ، قال : أرأيْتَ^(٤) هذا الذي أنتَ فيه ، أشيءٌ لم تَزَلْ فيه ، أم شئٌ صار إليك ميراثاً وهو زائلٌ عنك وصائرٌ إلى غيرك ، كما صار إليك من لَدُنْ غيرك ؟ قال : كذلك هو ! قال : فما أراك إلا أُحببتَ بشيءٍ يسيرٍ تَسْكُونُ فيه قليلاً ، وينجيبُ عنك طويلاً ، وتكون غداً بمحاسبةٍ مُرْتَهِناً . قال : ويحيك ! فَإِنَّ الْمَهْرَبَ ؟ وَأَيْنَ الْمَطَلَّبَ ؟ فقال : إِنَّمَا أَنْ تَقِيم

(١) الخوارق والسدير : قصران بالميزة (٢) الفتاء : الشباب (٣) الحجة : البرهان .

(٤) أرأيْتَ : أخبرني .

فِي مُلْكِكَ فَقُتُلَ بَطَاعَةَ اللَّهِ رَبِّكَ عَلَى مَا سَاءَكَ وَسَرَّكَ، وَأَمْضَكَ^(١) وَأَرْتَضَكَ^(٢)،
وَإِنَّا أَنْ نَضْعَ تَاجَكَ، وَنَخْلُمَ أَطْمَارَكَ^(٣)، وَنَلْبِسَ أَسَاحَكَ^(٤)، وَنَبْدِلَ رَبَّكَ، حَتَّى
يَأْتِيَكَ أَجْلُكَ ۚ

قال الملك : فإذا كان السحر فاقرع على بابي ؟ فإني مختار أحد الرأيين ، فإن
اخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لا يفعى ، وإن اخترت فلوارات الأرض وقفز
البلاد كنت ريفاً لا يخالف .

فلا كان السحر قرع عليه بابه ، فإذا هو قد وضع تاجه ، وخلع أطماره ، ولبس
أمساه ، وتهيا للسياحة ، فلزموا والله الجبل ، حتى أنماها أعلمها ، فذلك حيث يقول
عدي بن زيد ، أخو بنى تميم :

أَيَّهَا الشامُ الْمُعِيرُ بالدَّهْرِ أَنْتَ الْمُجْرِيُّ الْمَوْفُورُ !
أَمْ لَدِيكَ الْمَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيَّامِ بِلَ أَنْتَ جَاهِلُ مَغْرُورُ !
مَنْ رَأَيْتَ الْمَنْوَنَ خَلْدَنَ أَتَنْ . ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ !
أَيْنَ كَسْرِيُّ ، كَسْرِيُّ الْمَلُوكُ أَنُوِّشْرُونَ . وَانْ ، أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ !
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكَرَامُ مَلُوكُ الرَّوْم ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
وَأَخْوَ الْحَضْرِ^(٥) إِذَا بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَهُ تُجْبِي إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ^(٦)
شَادِهِ سَرْمَرَأْ وَجَلَلَهُ كِلْنَ سَآ^(٧) فَلَطَّافِرِ فِي ذَرَاهِ وَكُورُ
لَمْ يَبْهِهِ رَيْبُ الْمَنْوَنِ فَبَادَ الْمُلْكُ عَنْهُ ، فَبَابُهُ مَهْجُورُ

(١) يقال أمنفي : أحرقني وشق على (٢) أرمضك : أوجعك (٣) الطمر : الثوب الملقم
(٤) المسح : الكساء من الشعر الفليظ ويجمع على مسامح على قوله (٥) الحضر : قصر بجمبال
تكرير بين دجلة والفرات بناء الفيزين بن معاوية ، ملك الجزيرة (٦) الخابور : نهر بالجزيرة

(٧) الكلس : ما يدهمن به التزل وغيرها .

وَتَذَكَّرَ رَبُّ الْخَوْرَنَقِ إِذَا أَشْرَفَ يَوْمًا وَالْمَدَى^(١) تَفْكِيرُ
سَرَّهُ مَأْلَهُ وَكَثْرَةُ مَإِيلَكُ الْبَحْرُ مُغْرِضاً^(٢) وَالسَّدِيرُ
فَارْعَوِي قَلْبُهُ قَالَ : وَمَا غَبْطَةُ حَنِّي إِلَى الْمَاتِ بَصِيرُ
ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمَلَكِ وَالْإِلَهِ^(٣) وَرَأَتْهُمْ هُنَاكَ الْقُبُورُ
ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقُّ جَنَّ^(٤) فَأَلَوَّتْ^(٥) بِهِ الصَّبَابَا وَالدَّبُورُ
فَبَكَى هَشَامٌ حَتَّى اخْضُلَتْ^(٥) لَحِيَتِهِ ، وَبُلَّتْ عَامَتِهِ ، وَأَسْرَبَ نَزَعَ أَبْنِيهِ ، وَنَقَلَ
قَرَابَتِهِ وَحَشَمِهِ وَغَاشِبَتِهِ وَجَاسَائِهِ ، وَلَزِمَ قَصْرَهُ .
فَأَقْبَلَتِ الْمَوَالِيُّ وَالْحَشْمُ عَلَيْهِ فَقَالُوا : مَا أَرْدَتَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! أَفْسَدَتَ عَلَيْهِ
لَذَّتِهِ ، وَنَفَّصْتَ عَلَيْهِ مَأْدُوبَتِهِ . فَقَلَتْ : إِلَيْكُمْ عَنِّي ، فَإِنِّي عاهَدْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَلَا
أَخْلُقَ بَمْلَكَ إِلَّا ذَكَرْتَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ !

(١) يزيد بهذه الجلة : أن التفكير طريق المدى (٢) معرضاً : متضاً (٣) الإله : المعة

(٤) ألوت : ذابت (٥) اخضلت : ابتلت .

١٠٥ - إن خالداً أدلَّ فأملَّ *

قال خالد بن صفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك ، وذلك بعد عزْله خالداً بن عبد الله القسري ، فألفيتُه جالساً على كرسىٍ في بركَةٍ ، ماوها إلى الكعبين ، فدعا لي بكرسىٍ خلاستُ عليه ، فقال : يا خالد ؟ ربَّ خالدٍ جلسَ مجلسك ، كان ألوط بقلبي ، وأحبَّ إلى !

قالت : يا أمير المؤمنين ؟ إن حلمك لا يضيقُ عنه ، فلو صفتَ عن جرمِه !
 قال : إن خالداً أدلَّ فأملَّ ، وأوجفَ فأجحفَ ، ولم يدع لاجع مرجعاً ، ولا
 لعودَةٍ موضعَ ، ثم قال : ألا أخبرُك عنِي يابنَ صفوan ؟ قلت : نعم ، قال : إنه
 مابدأني بسؤال حاجةٍ قطُّ مذْقَدَ العراق حتى أكون أنا الذي أبدوه بها قلت :
 فذاك أخرىٍ أن ترجعَ إليه ، فقال متمثلاً :

إذا انتصرتْ نفسِي عن الشيءِ ملتَكْدُ إلَيْهِ بوجهِ آخرِ الدَّهْرِ تقبلُ
 قال خالد : نعم قال لي هشام : حاجتك ، قلت : تزيدُني في عطائي عشرة
 دنانير . فاطرق ثم قال : ولم ؟ وفيم ؟ العبادةُ أحدثَتها فتعينتك عليها ، أم بلاده
 حسن أبليتها عند أمير المؤمنين ، أم لماذا يابن صفوan ! إذن يكثر السؤال ولا يحتملُ
 ذلك بيتُ المال ! قلت : يا أمير المؤمنين ، وفَقَاتُ اللهُ وسددَك ، أنت واللهِ كما
 قال أخو خزانة :

إذا المال لم يوجبْ عليك عطاَءَهُ قرابةُ قربَى أو صديقٌ توافقُه

مَنْعَتْ وَبَعْضُ الْمَنْعِ حَزْمٌ وَقَوْةً
وَلَمْ يَفْتَلْتُكَ (١) الْمَالَ إِلَّا حَاقَّهُ
فَلَمَا قَدِمَ خَالِدُ الْبَصْرَةَ، قُيلَ لَهُ : مَا الَّذِي حَلَّكَ عَلَى تَزْيِينِ الْإِمْسَاكَةِ ؟ فَقَالَ :
أَحِبْتَ أَنْ يَمْنَعَ غَيْرِي فِي كُثُرَةِ مَنْ يَلْوِمُهُ !

١٠٦ - أبو النجم عند هشام بن عبد الملك*

وَرَدَ أَبُو التَّجْمَ (٢) عَلَى هَشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الشِّعْرَاءِ ، قَالَ لَهُمْ هَشَامٌ : صَفَّوْا
لِي إِبْلًا فَقَطَّرُوهَا (٣) وَأَزْرَدُوهَا وَأَصْدَرُوهَا بِحَقِّ كَانَى أَنْظَرَ إِلَيْهَا ؛ فَأَنْشَدُوهُ، وَأَنْشَدَهُ
أَبُو النِّعَمْ :

* الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهُوبِ الْمُجْزِلِ *

حَتَّى يَلْغُ إِلَى ذِكْرِ الشَّمْسِ قَالَ : « وَهِيَ عَلَى الْأَفْقِ كَمِينٍ » وَأَرَادَ أَنْ
يَقُولَ « الْأَحْوَلُ » ، ثُمَّ ذَكَرَ حَوَلَةَ هَشَامٍ ؛ فَلَمْ يَتَمَّ الْبَيْتُ وَأَرْتَمَ عَلَيْهِ .

قَالَ هَشَامٌ : أَجِزَ الْبَيْتَ ؟ قَالَ : « كَمِينُ الْأَحْوَلُ » وَأَتَمَ الْقُصْيَدَةَ ، فَأَسْرَ
هَشَامَ فَوْجِيَهُ (٤) عَنْهُ ، وَأَخْرَجَهُ مِنِ الرَّصَافَةِ ؛ وَقَالَ لِصَاحِبِ شَرْطَتِهِ : يَا رَبِيعَ ؛
إِيَّاكَ وَأَنْ أَرَى هَذَا ! فَكَلَمَ وَجْهَ النَّاسِ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ أَنْ يَقْرَأَهُ فَفَعَلَ .
قَالَ أَبُو النِّعَمْ : وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِالرَّصَافَةِ يُضِيفُ إِلَّا سُلَيْمَ بْنَ كَيْنَاسَ الْكَلَبِيَّ

(١) افْتَلَ الشَّيْءَ : أَخْذَهُ فِي سُرْعَةٍ ، وَيَتَعَدَّ لِلْمَفْعُولِينَ .

* الْأَغَانِيَ : ١٠ - ١٥٥ (طبعة دار الكتب) ، رغبة الآمل : ٦ - ٢٢٩ .

(٢) اسْمَهُ الْفَضْلُ بْنُ قَدَمَةَ أَحَدُ رِجَالِ الإِسْلَامِ الْفَحْوُلِ الْمَدْمِينِ ، وَفِي الطَّبْقَةِ الْأُولَى مِنْهُمْ .

(٣) قَطَرُ الْإِبْلِ : قَرْبُ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ عَلَى نَسْقٍ .

(٤) وَجَيْهُ : وَجَاهَ بِالْيَدِ وَبِالسَّكِينِ إِذَا ضَرَبَهُ .

وَعْرُوْبِنِ بِسْطَامِ التَّغْلِيْبِيِّ ، فَكَفَتُ أَتَى سُلَيْمَانَ فَأَنْقَدَهُ عَنْهُ ، وَأَتَى هُرَا فَأَنْشَى
عَنْهُ ، وَأَتَى الْمَسْجِدَ فَأَيْتَ فِيهِ .

قَالَ : فَاهْتَمْ هَشَامْ لِيَلَةً ، وَأَمْسَى لَقِيسَ النَّفْسَ ، وَأَرَادَ مُحَمَّداً يَحْدُثُهُ ؛ فَقَالَ
خَلَادِمْ لَهُ : إِبْرَقُ مُحَمَّدَنَا أَعْرَابِيَا شَاعِرًا بِرْوَى الشِّعْرِ .

فَرَجَ الخَلَادِمَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي النَّجْمِ ، فَضَرَبَ بِهِ بِرِجْلِهِ ، وَقَالَ لَهُ : قَمْ
أَجْبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : إِنِّي رَجُلُ أَعْرَابِيِّ غَرِيبٍ . قَالَ : إِيَّاكَ أَبْنِي ، فَهَلْ تَرَوِي
الشِّعْرَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَأَقُولُهُ .

فَأَقْبَلَ بِهِ حَتَّى أَدْخَلَهُ التَّعْسُرَ ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ ، فَأَيْقَنَ بِالشَّرِّ ، ثُمَّ مَغَى بِهِ، فَأَدْخَلَهُ
عَلَى هَشَامَ فِي بَيْتِ صَفَيرٍ ، وَالشَّمْ يَبْنِ يَزَّهَرَ^(١) .

فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لَهُ هَشَامُ : أَبُو النَّجْمِ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ طَرِيدَكِ ! قَالَ :
اجْلِسْ ، فَسَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : أَيْنَ كُنْتَ تَأْوِي ؟ وَمَنْ كَانَ يُنْزَلُكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرُ .
قَالَ : وَكَيْفَ اجْتَمَعَ لَكَ ؟ قَالَ : كُنْتَ أَنْقَدَتِي عَنْهُ هَذَا ، وَأَنْشَى عَنْهُ هَذَا . قَالَ :
وَأَيْنَ كُنْتَ تَبِيتَ ؟ قَالَ : فِي الْمَسْجِدِ حِيثُ وَجَدْنِي رَسُولُكَ . قَالَ : وَمَالِكُ مِنْ
الْوَلَدِ وَالْمَالِ ؟ قَالَ : أَمَّا الْمَالُ فَلَا مَالَ لِي ، وَأَمَّا الْوَلَدُ فَلِي ثَلَاثَ بَنَاتٍ وَبُنْقَ يَقَالُ
لَهُ شَيْيَانَ .

قَالَ : هَلْ زَوَّجْتَ مِنْ بَنَاتِكَ أَحَدًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ زَوَّجْتَ اثْنَتَيْنِ ، وَبَقِيَتْ
وَاحِدَةٌ تَجْمِيزُ^(٢) فِي أَبِيَاتِنَا كَانَهَا نَعَامَةً .

قَالَ : وَمَا وَصَيَّتْ بِهِ الْأُولَى ؟ فَقَالَ :

(١) يَزَّهَرُ : بِتَلَاءً (٢) تَجْمِيزٌ : تَعْدُوُ وَتَسْرُعُ .

أوصيتك من بَرَّةَ^(١) قلبًا حُرًّا بالكلبِ خيرًا والحياة شرًا
لا تسامي ضربًا لها وجرًا حتى ترى حلوَ الحياة مُرًا
وإن كستك ذهباً ودرًا والحي عُميم بشر طرًا

فضحك هشام ، وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال : قلت :

سُبِّي الحلة وابهتِ^(٢) عليها وإن دنت فازداني إليها
وأوجع بالفِهْرِ^(٣) ركبتيها وأضربي جنبيها
وظاهرى النذر لها عليها لا تخبرى الدهر به ابنتيها

قال : فضحك هشام حتى بدت نواحِذه ، وسقط على قفاه . فقال : ويحكم !
ما هذه وصية يعقوب ولدَه ! فقال : وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين . قال : فما قلت
للثالثة ؟ قال : قلت : قلت :

أوصيك يا بنتي فإنِّي ذاهبُ
والحارُ والضيفُ الْكَرِيمُ الساغبُ
ولاتني أظفارُك السَّلَاحبُ^(٤) منهُ فِي وجهِ الحياة كاتبُ
والزوج إن الزوج بنس الصاحبُ

قال : فكيف قلت لها هذا ولم تتزوج ؟ وأى شئ قلت في تأخير تزويجها !

قال : قلت فيها :

(١) كان اسمها برة (٢) بهته : قذفه بالباطل ، وقال عليه ما يفعل (٣) الفهر : المجر
علاً الكف (٤) السلام : الطويلة .

كَانَ ظَلَّامَةً أَخْتَ شَيْبَانَ بَنِيمَةُ وَوَالدَّاهَا حَيَّانَ
الرَّأْسُ قُلْ كُلُّهُ وَصِنْبَانُ^(١) وَلَيْسَ فِي الرَّجَائِنِ إِلَّا خَيَّانَ
فَهِيَ الَّتِي يُذْعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ

فَقَالَ هَشَامُ لِحَاجِهِ : مَا فَعَلْتَ الدَّنَانِيرُ الْخَنْوَمَةُ الَّتِي أَسْرَتُكَ بِقِبْضَهَا ! قَالَ :
هِيَ عَنْدِي ، وَوَزْنُهَا خَمْسَانَةَ اَقْدَامٍ : فَادْفَعْهَا إِلَى أَبِي النَّجْمِ ؛ يَجْعَلُهَا فِي رَجْلَيْ
ظَلَّامَةً مَكَانَ الْخَيَّطِينَ !

(١) الصَّيْبَانُ : جَمْعُ الصَّيْبَابَةِ وَهِيَ : بَشَّةُ الْقَمَلِ ؛ جَمْعُهُ صَيْبَانٌ .

١٠٧ — لا يَرَفِ الْكَلَامُ إِلَّا بَنْشَرِهِ *

تحطت البدية في أيام هشام بن عبد الملك ، فقدمت العرب من أحيا القبائل ،
جلس هشام لرؤسائهم فدخلوا عليه ، وفيهم درواس بن حبيب وله أربع عشرة
سنة ، عليه شملتار وله ذئابة . فأحتجم القوم وهابوا هشاما ، ووسمت عين
هشام على درواس فاستصرفه ، فقال ل حاجبه : ما يشاء أحد أن يصل إلى إلا وصل
حتى الصبيان !

فلم درواس أنه يريد ، فقال : يا أمير المؤمنين ؟ إن دخولي لم يُخل بك
 شيئاً ، ولقد شرفني ، وإن هؤلاء القوم قدموا الأمر أحجموا دونه ، وإن الـكلام
نشر ، والسكوت طي ، ولا يعرف الكلام إلا بنشره . فقال هشام : فانشر لأنك
أعمبه كلامه .

قال : أصابتنا ثلاثة سنين ، فـسنة أذابت الشَّعْمَ . وـسنة أكلت اللحم ،
وـسنة نـقـت^(١) العظم ، وفي أيديكم فضول أموال ؟ إن كانت لله فـنـقوها على
عباده المستحقين لها ، وإن كانت لهم فعلم تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم ،
فتصدقوا بها عليهم ، فإن الله يجزي التصدقين ، ولا يُبعـيـعـ أجرـ الحـسـنـينـ .
واعلم يا أمير المؤمنين أن الوالى من الرعية كالزوج من الجسد ، لأـحـيـاـ لـلـجـسـدـ
إلا به .

قال هشام : ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذرًا . وأمر أن يقسم في

* لباب الآداب : ٣٥٣ .

(١) النـقـ : مـنـ العـلـامـ وـشـحـهـ ، وـنـقـ الـظـلـمـ : اـسـتـخـرـ قـيـهـ .

باديته مائة ألف درهم ، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم . فقال : يا أمير المؤمنين ؟
ارددوها إلى أخطبوطية أهل باديتها فإني أكره أن يعجز ما أمر لكم به أمير المؤمنين عن
كفايتهم . قال : فما لك من حاجة تذكرها لنفسك ؟ قال : مالي من حاجة دون
عامة المسلمين !!

ولما عاد درواس إلى منزله بعثَ إليه هشام بمائة ألف درهم ، ففرقها في تسعه
أبطن من العرب ، لشكل بطن عشرة آلاف ، وأخذ هو عشرة آلاف ، فقال
هشام : إن الصناعة عند درواس لتضعف على سائر العناصر ^(١) .

(١) جمع صناعة ، وهي المعرفة والإحسان .

١٠٨ - أَنْجَحْتُ وَفَادْتُكَ، وَوَجَبْتُ صِيَافِتُكَ*

وفد سعد^١ بن مربة بن جعيبير - وكان شاعرًا - على الوليد^(١) بن يزيد، فعرض له في يوم من أيام الربيع ، وقد خرج إلى متنه له ، فصال به : يا أمير المؤمنين ؟
 وأَفْدُكَ وَزَائِرُكَ وَمَوْلَكَ ! فَتَبَادَرَ إِلَيْهِ الْحَرْسُ لِيَصْدُوهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : دُعُوهُ ، اذْنُ
 إِلَيْهِ . فَدَنَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْحِجَازِ ، شَاعِرٌ ، قَالَ :
 تَرِيدُ مَاذَا ؟ قَالَ : تَسْمَعُ مِنِّي أَرْبَعَ آيَاتٍ ، قَالَ : هَاتِهِ ؟ فَقَالَ :
 شِئْنَ^(٢) الْمَخَالِيلَ نَحْوَ أَرْضِكَ بِالْحَيَا^(٣) وَلَقِينَ رَكِبَانًا بُرْفِكَ قُفَّلَ
 قَالَ : ثُمَّ مَاهُ ؟ قَالَ :
 فَعَمَدْنَ نَحْوَكَ لِمَ يُنَخْنَنَ لِحَاجَةٍ إِلَّا وَقَوْعَ الطَّيْرِ حَتَّى تَرْحَلَا
 قَالَ : إِنَّ هَذَا السِّيرَ حَيْثِ ، ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ :
 يَعِدْنَ نَحْوَ مَوْطَئِ حِجَارَتِهِ كَرْمًا ، وَلَمْ تَعْدِلْ بِذَلِكَ مَقْدِلَا
 قَالَ : قَدْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ فِيهِ ؟ قَالَ :
 لَاحَتْ لَهَا نَيْرَانٌ حَيَّ قَسْطَلِ^(٤) فَأَخْتَرَنَ نَارِكَ فِي الْمَنَازِلِ مِنْ زَلا
 قَالَ : فَهُلْ غَيْرُ هَذَا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَنْجَحْتُ وَفَادْتُكَ، وَوَجَبْتُ صِيَافِتُكَ،
 أَعْطَوْهُ أَرْبَعَةَ آلَافَ دِينَارٍ ، فَقَبَضَهَا وَرَحَلَ !

* الأغاني : ٧ - ٢٤ (طبعة دار الكتب) .

(١) كان الوليد قبل أن يل المخلافة من فتيان بنى أمية وظرفاهم وشعرائهم ، ولما ول المخلافة
 انهمك في الظهر والشراب وسماع النساء ، مات مقتولاً سنة ١٢٦هـ (٢) شئت مخايل الشيء :
 إذا تعلمت نحوه يبصرك منتظراً له (٣) الحياة : الخصب والمطر (٤) قسطل : اسم لوضعين :
 أحدهما قرب البلقاء من أرض دمشق ، والثانية بين حمص ودمشق .

(١٨ - قصص العرب ٢)

١٠٩ - شاعر بنى هاشم*

لما قال **الكعبيت**^(١) بن زيد الأسدى الماشيميات قدم البصرة ، فأنى الفرزدق ،
قال : يا بابا فراس ؟ إنك شيخ مصر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك ! قال : ومن أنت ؟
فأنتسب له . قال : صدقت ، فما حاجتك ؟ قال : نَفِثَ حَلَى لسانى ، فقلت شعرا ،
وأحببت أن أعرض عليك ماقات ، فإن كان حسناً أمرْتني بإذاعته ، وإن كان
غير ذلك أمرتني بستره ، وسترته على . قال : يا بن أخي ؟ أحسب شعرك على
قدر عقلك ، فهات ماقلت راشداً ، فأنشدته :

طربت وماشوقا إلى البيض^(٢) أطربت وما لعباً متى ، وذو الشيب يلعب^(٣) !
قال : بلى ؟ فإنك في أوان اللعب فاللعب . قال :

ولم يُلْمِنِي دار ولا رسم^(٤) منزلٌ ولم يتطرّبْنِي بنانٌ مُخْضَبٌ
قال : فما يطرب لك يا بن أخي ؟ قال :

وما أنا من يزجر الطيرَ كَمَهُ أصاحَ غرابَ أَمْ تعرَضَ ثعلب^(٥)
قال : فما أنت ؟ ويحملك ؟ وإلى من تسمُّ ؟ قال :

* خزانة الأدب : ٤ - ٢٣٧ (الطبعة الأميرية) ، المسعودي : ٢ - ١٩٠

(١) نَفِثَ الكعبيت في الكوفة وتأدب على علمائها ، وأخذ عن الأعراب ، وعالج الشعر حتى
نبه شأنه ، وانصل بالولادة والماشيميين يمدحهم وينال جوازهم ، وقد لقى في سبيل مذهبـه الشيعـي بلاءـ
كثيرـا ، وقد أثارـ الفتـنة بين عـدنـان وـقـطـمان ، وفتحـ للـشـيعة طـريقـ منـاظـرةـ خـصـومـهـ بالـشـعرـ ، وتـوفـ
سـنةـ ١٣٦ (٢) البيضـ : جـمعـ يـبـضـاءـ ، يـرـيدـ النـسـاءـ (٣) رـسـمـ : أـثـرـ ، وـيـتـطـربـيـ : يـحـملـيـ
عـلـىـ الـطـرـبـ (٤) الرـجـرـ لـلـطـيـرـ : هوـ التـيـنـ وـالـتـشـاؤـمـ بـهـ ، وـالـغـرـابـ أـعـظـمـ ماـ كـانـ العـرـبـ تـتـطـيرـ
بـهـ . وـهـ نـوـعـ مـنـ الـعـيـافـةـ .

ولا السانحات^(١) البارحات عشيّةً أمرَ سليمُ القرنِ أومرَّ أعضَبُ

قال : أمّا هذا فقد أحسنتَ فيه ، فقال :

ولكن إلى أهلِ الفضائل والثئي وخيرِ بنى حواء والخيرُ يُطلب

قال : مَنْ هُمْ ! وينجك ! قال :

إلى النَّفَرِ البيض^(٢) الذين بجهَّهم إلى اللهِ فيها نابني أتقرَّبُ

قال : أرجُنِي ؟ ويحيك ! مَنْ هؤلاء ؟ قال :

بني هاشم رهط^(٣) النبيَّ فإنْتَ بهم ولهم أرضي مراراً وأغضب

قال : الله درُّ بني أبيك ! أصَبْتَ وأحسنتَ ؛ إذْ عدلْت عن الزعاف والأو باش ؛

إذَن لا يضرُّ د^(٤) سهمك ، ولا يكذب قوله .

ثم مرَّ فيها ، فقال له : أظهرْ نُمْ أظْهَر ؟ فأنْتَ واللهِ أشعَرْ مَنْ مضى ، وأشعَرُ

من بقي .

قدم المدينة فأقى أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ، فأذنَ له لَيْلاً ، وأنشدَه ،

فلما بلغ من الميسة قوله :

وقتيلٌ بالطف^(٥) غُودَرَّ منهم بين غوغاء أمةٍ وطفَام

بكى أبو جعفر ، ثم قال : يا كُيُّت ! لو كان عندنا مالٌ لأعطيتك ، ولكن

لك ما قال رسول الله لحسان بن ثابت : لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذبَّتَ هنا

أهْلَ الْبَيْتِ !

(١) السانح : ما لا يميشه ، والبارح : ما لا يمسره ، وكان أهل نجد يتبنون بالأول ويتشاهدون بالثاني ، وأهل العالية على المكس . والأعضب . الثور المكسور القرن ، وكانوا يتشاهدون به

(٢) البيض هنا : المشهورين من الأشراف (٣) الرهط : القوم والتيبة (٤) صرد السهم : أخطأ (٥) الطف : موضع قرب الكوفة ، وقتيل الطف هو الحسين عليه السلام .

خرج من عنده فأتى عبد الله بن الحسن بن علي فأشده فقال له . إن لي ضيعة أعطيتُ فيها أربعة آلاف دينار ، وهذا كتابها ، وقد أشهدت لك بذلك شهودا ، وناوله إياه !

قال : بأبي أنت وأمي ! إني كنت أقول الشعر في غيركم أريد بذلك الدنيا والمال ، ولكنني - والله - ماقلته فيكم إلا لله ، وما كنت لأخذ على شيء جعلته الله مالا ولا نينا ؛ فاللح عبد الله عليه ، وأبى من إعفائه .

فأخذ السكريت الكتاب ومضى ، فكث أياما ، ثم جاء إلى عبد الله فقال : بأبي أنت وأمي ؟ يابن رسول الله ! إنَّ لي حاجة ؟ قال : وما هي ، وكل حاجة لك مقضية ؟ قال : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم ! قال : هذا الكتاب تقبله ، وترجم الضيضة . ووضع الكتاب بين يديه ، فقبله عبد الله .

ونهى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فأخذ ثوبًا ، فدفعه إلى أربعة من علمائه ، ثم جمل يدخل دور بني هاشم ويقول : يابني هاشم ، هذا السكريت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم ، وعرض دمه لبني أمية ، فأثيبوه بما قدرتم ! فيطرح الرجل في التوب ما قدر عليه من دراهم ودنانير ؛ وأعلم النساء بذلك ؛ فكانت المرأة تبعث ما أمسكتها ، حتى إنها لتخلع الحلى عن جسدها . فاجتمع من الدنانير والدرام ما قيمته مائة ألف درهم .

جاء بها إلى السكريت فقال له : أتيتك بمحمد المقل ، ونحن في دولة عدونا ، وقد جمعنا هذا المال ، وفيه حلى النساء كما ترى ، فاستعن به على دهرك . فقال . بأبي أنت وأمي ! قد أكرثُ وأطيئُ ، وما أردت بمدحِّي إياكم إلا لله ورسوله ، ولم أكُ لأخذ ذلك ثوابا من الدنيا ، فازدده إلى أهله ، فجهد به عبد الله أن يقبله بكل حيلة

فأبى ، فقال : أبىت أن تقبل فإنِّي رأيت أن تقول شيئاً يغضب منه بعض الناس ؟
لعل فنتة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما يجب .

فابتدأ السكبيت ، وقال قصيده^(١) التي يذكر فيها قومه مناقب من مصر ،
وربيعة^(٢) وإياد وأنمار ، ويكثر فيها من تفضيلهم ، ويطنب في وصفهم ، وأنهم أفضل
من قحطان .

ثارت العصبية في البدو والحضر ، وأنحرف أهل اليمن إلى الدعوة العباسية ،
وأعقب ذلك انتقال الدولة عن بنى أمية إلى بنى هاشم .

(١) من هذه القصيدة :

وجـدت الله إذـمى زـارـا وأـسـكـنـمـ بـعـكـةـ قـاطـنـيـناـ
لـناـ جـمـلـ المـكـارـمـ خـالـصـاتـ ولـنـاسـ الـقـفاـ ولـنـاسـ الجـبـيـناـ
وقد نـقـنـ دـعـبـلـ هـذـهـ القـصـيـدـةـ عـلـىـ السـكـبـيـتـ ،ـ وـذـكـرـ مـنـاقـبـ الـيمـنـ وـفـضـالـلـهاـ مـنـ مـلـوكـهاـ كـماـ فـلـ

ـ :

أـفـيـقـ مـنـ مـلـامـكـ يـاظـعـيـناـ كـفـاكـ اللـوـمـ مـرـ الـأـرـبـعـيـناـ
أـمـ تـعـزـنـكـ أـحـدـاتـ الـلـيـالـيـ يـشـيـنـ الـنـوـافـيـ وـالـقـرـونـاـ
(٢) كان السكبيت من شعراء مصر وأست أنها التصعيدين على الفتحمانية المغارعين بالثالث .

* ١١٠ - إِنْ يُنْفَيْ يَغْلِبْ شَوْمَكْ

لَا تُؤْفِي السفاح دخل أبو دلامة^(١) على النصوص ، والناس عنده يعزونه

قال :

أُمِسْتَ بِالأنبارِ يابنَ مُحَمَّدٍ لَمْ تُسْطِعْ عَنْ عَقْرِهَا^(٢) تَحْوِيلًا
 وَبِلَى عَلَيْكَ وَوَبِلَ أَهْلِي كَلْمَهُ
 فَلَتَبَكِّينَ لَكَ السَّجَاهَ تَعْبَرَةً
 مَاتَ النَّدَى إِذْ مِتَ يابنَ مُحَمَّدٍ
 إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بَعْدَكَ كَاهِمَ
 أَشْقَوْتَنِي أَخْرَتُ بَعْدَكَ لِتَّيَ
 فَلَا حَلْفَنَ يَمِينَ حَقِّ بَرَّةَ
 فَأَبَكَ النَّاسَ قَوْلُهُ ؛ فَفَضَّبَ النَّصُورَ غَضْبًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : لَئِنْ سَمِعْتُكَ تَشَدَّدَ
 هَذِهِ الْقَصِيدَةَ ، لَأَقْطَعْنَاهُ لَسَانَكَ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 كَانَ لِي مُكْرِمًا ، وَهُوَ الَّذِي جَاءَ بِي مِنَ الْبَدْوِ ، كَمَا جَاءَ اللَّهُ بِإِخْرَوْهُ يُوسُفَ إِلَيْهِ ،
 قَلَ كَمَا قَالَ يُوسُفَ لِإِخْرَوْهُ : { لَا تَنْزِيبَ عَلَيْكُمْ أَيْمَوْمَ يَنْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ، وَهُوَ
 أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } .

* الأغاني ١٠ - ٤٤٠ (طبعة دار الكتب) ، معاهد التصوير : ٢ - ٢١٠

(١) أبو دلامة : اسمه زند بن الجبور ، كوفى المنشا ، كان أبو عبداً لرجل من بنى أسد ثم أحقه ، نبغ في الشعر ، واقتصر على السفاح والنصوص والمهدى ، وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبونه عاصمه ونواحه توفى سنة ١٦٢ هـ (٢) عقر الدار : أصلها ووسطها (٣) السون : يهز ولا بهز : مسألته .

فُسْرَى عن المنصور ، وقال : قد أفلناك يا أبا دُلامة ، فَسَلْ حاجتك ! قال : يا أمير المؤمنين ؟ قد كان أبو العباس أمرـاً لـ عشرة آلـاف درـم و خـمسـين ثـوـبـاً ، وهو صـريـضـ ، وـلمـ أـقـبـضـهاـ ؟ فقال المنصور : ومن يـعـلـمـ ذـلـكـ ؟ قال : هـؤـلـاءـ . وأشار إـلـى جـمـاعـةـ مـنـ حـضـرـ .

فوشب سليمان بن مجـالـ ، وأـبـوـ الجـنـمـ ؟ فـقاـلاـ : صـدقـ أـبـوـ دـلـامـةـ ، نـحـنـ نـعـلمـ ذـلـكـ . قال المنصور لأـبـيـ أـيـوبـ الـخـازـنـ . وـهـوـ مـغـيـظـ : يـاسـلـيـمـانـ ، اـدـفـعـهـ إـلـيـهـ ، وـسـيـرـهـ إـلـىـ هـذـاـ الطـاغـيـةـ . يـعـنـيـ : عـبـدـ اللهـ (١)ـ بـنـ عـلـىـ ، وـكـانـ قـدـ خـرـجـ بـالـشـامـ ، وـأـظـهـرـ اـنـخـلـافـ . فـوـبـ أـبـوـ دـلـامـةـ ، وـقـالـ : يـاـ أـمـيـرـ المـؤـمـنـينـ ، أـعـيـذـكـ بـالـلـهـ أـنـ أـخـرـجـ مـعـهـ ، وـاهـ إـلـىـ مشـتـومـ !

قال المنصور : اـمـضـ ، فـإـنـ يـعـنـيـ يـغـلـبـ شـوـمـكـ . فـقاـلـ : يـاـ أـمـيـرـ المـؤـمـنـينـ ، وـالـلـهـ ماـ أـحـبـ أـنـ يـجـرـبـ ذـلـكـ مـنـىـ عـلـىـ مـثـلـ هـذـاـ السـكـرـ ؟ فـإـنـ لـاـ أـدـرـىـ أـيـهـماـ يـغـلـبـ : يـعـنـكـ أـمـ شـوـمـ ؟ إـلـاـ أـنـيـ بـنـفـسـيـ أـوـقـنـ وـأـعـرـفـ وـأـطـولـ تـجـربـةـ .

فـقاـلـ : دـعـنـيـ وـهـذـاـ ؟ فـاتـكـ مـنـ الخـرـوجـ بـدـةـ . قـالـ : فـإـنـيـ أـصـدـقـكـ الـآنـ ، شـهـدـتـ وـالـلـهـ تـسـعـةـ عـشـرـ عـسـكـرـاـ ، كـلـهـاـ هـزـمـتـ ، وـكـنـتـ سـبـهـاـ ، فـإـنـ شـئـتـ الـآنـ . عـلـىـ بـصـيـرـةـ . أـنـ يـكـوـنـ عـسـكـرـكـ تـامـ الـعـشـرـيـنـ فـاقـعـلـ .

فضـحـكـ المنـصـورـ ، وـأـمـرـهـ أـنـ يـتـخـلـفـ مـعـ عـيـسـىـ بـنـ مـوـسـىـ بـالـكـوـفـةـ .

(١) هو عبد الله بن علي ، عم الخليفة المنصور ، خرج عليه ودعا ل نفسه ، فوجه إليه المنصور أبا مسلم .

١١١ - قَلْمَم الشَّمْر *

كان أبو العباس جالساً في مجلسه على سريره ، وبنو هاشم دونه على الكراسي ، وبنو أمية على الوسائد ، قد ثنيت لهم - وكانتوا في أيام دوّتهم يجلسون هم والخلفاء منهم على السرير ، ويجلس بنو هاشم على الكراسي - فدخل الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين ؟ بالباب رجل حجازي أسود راكب على نجيب ، مُثَلِّم^(١) ، يستأذن ولا يخرب باسمه ، ويختلف ألا يتسر اللثام عن وجهه حتى يرآك ؟ قال : هذا مولاي سديف ، يدخل ؟ فدخل ، فلما نظر إلى أبي العباس وبنو أمية حوله ، حدر^(٢) اللثام عن وجهه ثم سلم ، ودنا وقبل يده ، ثم انصرف إلى خلفه ، فقام مقام مثله ، وأنشأ يقول :

أصبحَ الْكُوكُ ثابتَ الْأَسَاسِ
بِالْبَهَالِيلِ^(٣) مِنْ بَنِيِّ الْعَبَّاسِ
بِالصَّدُورِ الْمُقْدَمِينِ قَدِيمًا^(٤) وَالرَّؤْسِ الْقَامِ^(٥)
يَا أَمِيرَ الظَّاهِرِينَ مِنَ الدَّارِ^(٦) وَيَا رَأْسَ مُنْتَهَىِ كُلِّ رَاسِ
أَنْتَ مَهْدِيُّ هَاشِمٍ وَهُدَّاها^(٧) كَمْ أَنَّاسٌ رَجُوكَ بَعْدَ إِيَّاِسِ
لَا تُقْبِلَنَّ عَبْدَ شَمْسِ عِثَارًا^(٨) وَأَطْعَمُنَّ كُلَّ رَقْلَةٍ^(٩) وَغِرَاسِ
أَنْزَلُوهَا بِمَحِيثٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ بِدارِ الْهُوَانِ وَالْإِنْعَاصِ

* الأغانى ٤ - : ٣٤٥ (طبعة دار الكتب) ، المحسن والمتسوى : ٤١٠ ، (ليزج)

(١) نائم الرجل : وضم اللثام ؛ وهو رد العامة على الوجه (٢) حدر اللثام : حطه من على إلى سفل (٣) البهاليل : جم بهالول وهو العزيز الجامع لشكل خير (٤) القمام : السيد الكثير التبر ، الواسع الفضل (٥) الرؤس : الولاة والحكام (٦) الرقلة : النخلة الطويلة التي تفوت اليد .

خوفهم ظهر التوّدَّدَ منهم وبهم منكم كحُرْزَ المواسِي
 أَفْصِحُونَ إِلَيْهَا الْخَلِيفَةُ واحْسِنْ
 وَادْكُرْنَ مَصْرَعَ الْحَسِينِ وَزَيْدَ^(١)
 وَالْإِمَامَ^(٤) الَّذِي بَحْرَانَ أَمْسَى
 فَلَقَدْ سَاءَنِي وَسَاءَ سَوَائِي قُرْبُهُمْ مِنْ نَمَارِقِ وَكَرَاسِي

فتغير لون أبي العباس ، وأخذه زَمَع^(٥) ورِعدة ؛ فالتفت بعضُ ولد سليمان
 ابن عبد الملك إلى رجلٍ منهم ، وكان إلى جنبه ، فقال : قتلنا والله العبد ، ثم أقبل
 أبو العباس عليهم ، فقال : أرى قتلامكم من أهل قد سلفوا وأتم أحياء تلذذون
 في الدنيا ، خذوه ؛ فأخذتهم أثلاسانية وضربوهم فأهْمِدوا ؛ إلا ما كان من
 عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فإنه استجار بدادود بن علي ، وقال له : إن أبي لم
 يكن كآبائهم ، وقد علمت صنيعَتَهُ إِلَيْكُمْ ؛ فأجراه واستوْهَبَهُ من السفاح ، وقال
 له : قد علمت يا أميرَ المؤمنين صنيعَ أبيه إلينا . فوهبه له ، وقال له : لا تربيني وجهه ،
 وليس بمحيث تأمنه ، وكتب إلى عماله في التواحي بقتل بني أمية .

(١) الأرجاس : جمع رجس ؛ وهو الفذر (٢) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قتل في أيام هشام بن عبد الملك (٣) المeras : ماء بأحد ، ويعني بالقتل حزنة بن عبد المطلب ، قتلها يوم أحد غلام لعيبي بن مطعم ؟ اسمه وحشى (٤) الإمام الذي بحران : هو إبراهيم الإمام ، رئيس الدولة العباسية ؟ قتلها مروان بن محمد صبراً وجسا (٥) الزمع : شبه الرعدة تأخذ الإنسان .

١١٢ - المنصور أحق بشعر طريف *

قال أبو بكر المذلى : سرت مع أمير المؤمنين المنصور ^(١) إلى مكة وسايرته يوماً ، فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تذهب في الأرض ، وعليه جبة خز عمامة عدنية ، وفي يده سوط يكاد يمس الأرض ، سوى الهيئة .

فأ لما رأه أمرني أن أدعوه ، فدعوتُه فجاء ، فسألته عن نسبة وبلاده وباديتها قومه وعن ولاة الصدقة ، فأحسن الجواب ؛ فأعجبه ما رأى منه ، فقال : أنشدني . فأنشده شعراً لأوس بن حجر وغيره من الشعراء ، وحده حتى أتى على شعر لطريف ابن ثيم العنبرى ؛ وهو قوله :

إن قناتي لنبع ^(٢) لا يؤيسيها ^(٣)
غمز الثقاف ^(٤) ولا دهن ولا نار
متى أجز خائفاً تأمن مسارحه ^(٥)
وإن أخف آمنا تقلق به الدار
إن الأمور إذا أوردتها صدرت ^(٦) وإن الأمور لها وزر وإصدار

قال : ويحك ! ما كان طريف فيكم حيث قال هذا الشعر ؟ قال : كان أتقى العرب على عدوه وطأة ، وأدرّ كهم بثار ، وأيّنهم نقية ^(٧) ، وأصلبهم قناعة لمن رام

* الطبرى : ٩ - ٢٩٨

(١) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ، نانى خلفاء بني العباس وأعظمهم شدة وبأساً ويفظة وبنانا . توفي سنة ١٥٨ هـ (٢) النبع : شجر من أشجار الجبال ؟ تتخذ منه القسي

(٣) التأيس : التذليل والتأنيد ؟ أى لا يؤثر فيها شيء (٤) الثقاف : ما تقوم به الرماح

(٥) المسارح جمع مسرح : وهو الموضع الذى تسرح إليه الماشية بالفداء للرعى .

(٦) النقية : النفس ؟ وميمون النقية : مبارك النفس .

هَضْمَهُ ، وَأَقْرَامُ لِضِيَفَهُ وَأَحْوَطَهُم مِنْ وَرَاءِ جَارِهِ ؛ اجْتَمَعَتِ الْعَرْبُ بِعَكَاظِ فَكُلُّهُمْ
أَفْرَلَهُ بِهِذِهِ الْخِلَالِ ، غَيْرَ أَنَّ اسْرَأً أَرَادَ أَنْ يَقْصُرَ بِهِ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِيَمِينِ
الثَّجْعَةِ^(١) وَلَا قَاصِدَ الرَّمِيمَةِ^(٢) ؟ فَدَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ جُلَّ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَأْكُلْ إِلَّا
لَمْ فَنَصْ يَقْتَنِصْهُ ، وَلَا يَنْزَعْ كُلَّ عَامٍ عَنْ غَزْوَةِ يَمِينِهِ أَثْرَهُ .
قَالَ : يَا أَخَا تَمِيمَ ، لَقَدْ أَخْسَنْتَ إِذْ وَصَّفْتَ صَاحِبَكَ ، وَلَكِنِي أَحَقُّ بِيَمِينِهِ مِنْهُ ،
أَنَا الَّذِي وَصَّفَ ، لَا هُوَ !

(١) الثَّجْعَةُ : الْنَّهْبُ فِي طَلْبِ السَّكَلَةِ (٢) قَاصِدُ الرَّمِيمَةِ : أَسَابِهَا .

* ١١٣ - الحبة مفتاح كل خير *

دعا المنصور بالربيع^(١) فقال : سُلْنَى ماتريد ! فقد سكت حتى نطق ، وخففت حتى نقلمت ، وأقللت حتى أكثرت !

قال : يا أمير المؤمنين ؟ ما أرهب بخلّك ، ولا أستصغر فضلك ، ولا أغتنم مالك ، وإن يومي بفضلك على أحسن من أمسى ، وغدك في تأميني أحسن من يومي ! ولو جاز أن يشكرك مثل بيفر الخدمة والناصحة لما سبقني لذلك أحد .

قال : صدقت ، على بهذا منك أحلّك هذا العمل ، فَسَلَّنِي ماشت !

قال : أسألك أن تقرّبَ عبده الفضل^(٢) ، وتؤثّره وتُجّبه ! قال : يا ربيع ؟ إنَّ الحبَّ ليس بمال يوهب ، ولا رتبةٌ تُبذل ، وإنما تُؤكّدُه الأسباب ! قال : فاجعل له طريقةً إليه بالتفضّل عليه !

قال : صدقت ، وقد وصلته بألف درهم ! ولم أصل بها أحداً غير عمومي ؟ لتعلمَّ ماله عندى ؟ فيكون منه ما يستدعي به محبني .

ثم قال : فكيف سالتَ له الحبة يا ربيع ؟ قال : لأنها مفتاح كل خير ، ومغلّق كل شر ؟ تستر بها عندك عيوبه ، وتصير حسنات ذنبه !

قال : صدقت .

* زهر الآداب : ٢ - ٢٩٩ .

(١) هو الربيع بن بونس ، خدم المنصور ، ثم تدرج في الناصب عنده إلى أن استوزره ، وكان جليلاً نبيلاً عارفاً بخدمة الخليفة ، مات سنة ١٧٠ هـ (٢) هو ابنه الفضل بن البيه ، وقد وزر للرشيد بعد البراءة ؛ ولابنه الأمين .

١١٤ — المنصور والشعراء*

قال الربيع بن يونس يوماً لأبي جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ! إنَّ الشعراً
يبابك ، وهم كثير ، وقد طالت أيامهم ، ونفذت نفقاتهم ، فقال : اخرُجْ إلَيْهِمْ ، وسلِّمْ
عَلَيْهِمْ ، وقلْ لَهُمْ : مَنْ مَدَحَنَا مِنْكُمْ ؟ فلَا ياصفُ الأَسْدِ ؟ فَإِنَّمَا هُوَ كَلْبٌ مِنَ الْكَلَابِ ،
وَلَا الْحَيَّةِ ؟ فَإِنَّمَا هُوَ دُوَيْبَةٌ مُنْتَنَّةٌ تَأْكُلُ التَّرَابَ ؟ وَلَا الْجَبَلِ ؟ فَإِنَّهُ جَرْ أَصْمَمَ ،
وَلَا الْبَحْرَ ؟ فَإِنَّهُ عَطِينٌ لَجِيبٌ^(١) ؟ فَمَنْ لِيْسَ فِي شَعْرِهِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فَلَيَدْخُلْ ،
وَمَنْ كَانَ فِي شَعْرِهِ شَيْءٌ مِنْهُ فَلَيَنْصُرِفْ . فَأَبْلَغُهُمْ فَانْصَرُوا كَلْمَمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ^(٢) بْنَ
هَرَمَةَ ، فَقَالَ : أَنَا لَهُ يَارِبِّي ، فَأَذْخُلْ عَلَيْهِ .

فَادْخُلْهُ ، فَلَمَّا مَتَّلَّ بَيْنَ يَدِيهِ ، قَالَ لَهُ : يَارِبِّي ؟ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَجْيِبُكَ غَيْرَهُ ،
فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةَ الَّتِي مِنْهَا :

. لَهُ لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافِي^(٣) سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا^(٤) فِيهَا عَقَابٌ وَنَائِلٌ
فَأَمَّ الَّذِي أَمْنَتَ آمِنَّهُ الرَّدِيِّ وَأَمَّ الَّذِي خَوْفَتَ بِالشُّكْلِ نَا كُلُّ

* نهاية الأربع : ٣ - ٣٠٦ ، المقدمة الفردية : ١ - ١٦٥ ، ذيل زهر الآداب : ٨٤ ،
الفرر : ١٨٥ ، الأغانى : ٦ - ١٠٩ (طبعة دار الكتب) .

(١) لَجِيبٌ : ذُو لَجِيبٍ ، وَبَعْضُ ذُو لَجِيبٍ : إِذَا سَمِعَ اضطِرابَ أَمْوَاجِهِ (٢) هُوَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَلِيٍّ
ابن هرمَةَ الْمَنْتَبِ مَلِلَ قَرِيبَش ؟ كَثُرَ بالْمَدِينَةِ ، وَأَخْذَهُنَّ مِنَ الرَّوَاةِ وَالْمَتَّقِدِمِينَ وَالْمَنَادِيِنَ كَثِيرًا ، وَقَالَ
الشَّعْرُ وَأَجَادَهُ . وَتَوَفَّ سَيِّدَهُ ١٥٠ هـ (٣) الْحَقَامَانِ : الْجَمَانَانِ (٤) كَرَهَا : أَرْجَعَهَا ،
وَالنَّائِلُ : الْمَطَاءُ .

قال له المنصور : أَمَا لَقِدْ رأَيْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ قَائِمًا بَيْنِ يَدَيِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ سَلِيمَانَ تُنْشِدُهُ قَوْلَكَ فِيهِ :

وَجَدْنَا غَالِبًا كَانَتْ جَنَاحًا وَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةَ الْجَنَاحِ
فَقُطِعَ بَابُنْ هَرْمَةَ حَتَّىٰ مَا قَدِرَ عَلَى الاعْتَذَارِ ، فَقَالَ لِهِ الْمُنْصُورُ : أَنْتَ رَجُلٌ
شَاعِرٌ طَالِبٌ خَيْرٍ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ ، وَقَدْ أَسْرَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِثَلَاثَانِةَ دِينَارٍ .

فَقَامَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنَّ ابْنَ هَرْمَةَ رَجُلٌ مُنْفَاقٌ
مُتَلَافٌ لَا يَبْقَى شَيْئًا ؛ فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْمُرَ لَهُ بِهَا ، يُجْرِيَ عَلَيْهِ مِنْهَا
مَا يَكْفِيهِ ، وَيَكْفِي عِيَالَهُ ، وَيَكْتُبُ بِذَلِكَ فَعَلٌ .

فَقَالَ : افْعُلُوا ذَلِكَ بِهِ .

١١٥ - المؤمل يدح المهدى*

وفد المؤمل^(١) بن أميل على المهدى^(٢) بالرى فامتدحه ، فأمر له بعشرين ألف درهم ، فاتصل الخبر بالمنصور ، فكتب إليه أن يمذله ويقول: إنما كان سيفك أن تأمر للشاعر بعد أن يقوم بيابك سنة بأربعة آلاف درهم ! وكتب إلى كاتب المهدى يإنفاذ الشاعر إليه . فسأل عنه . فقيل له : قد شخص إلى مدينة السلام .

فكتب إلى المنصور يخبره ، فأنفذ المنصور قائدًا من قواه إلى التهر وان يتصفح وجوه الناس رجالاً رجلاً من يمر به حتى يظفر بالمؤمل .

وسار القائد حتى اتى إلى القافلة التي فيها المؤمل ، فسأله من أنت؟ قال : أنا المؤمل بن أميل الحاربي الشاعر ، أحد زوار الأمير المهدى ، فقال : إياك طلبت .

قال المؤمل : فكاد قلبى ينتصدح خوفاً من أبي جعفر ، وبغض على ؟ ثم أتى بي وأسلمنى إلى الربيع ، فأدخلنى إلى أبي جعفر ، فسلمتُ تسليمَ مروع ، فردَّ السلام ،

* نهاية الأرب : ٣ - ٣٠٧ ، مهذب الأعاني : ٤ - ١٣٥ ، أمالى الزجاجى : ٢٦ ، ذيل زهر الآداب : ٨٤ ، الفرق : ١٨٥ ، المحسن والساوى^{*} : ٢٧٠ ، معجم الأدباء : ٩ - ٢٠٣
 (١) شاعر كوفى من محضرى الدولين : الأموية والعباسية ، وانقطع إلى المهدى في حياة أبيه وبعده ، وكان في شعره لين ، وله طبع صالح (٢) المهدى هو ابن أبي جعفر المنصور والخليفة
 بعده ، كان فطناً كريعاً شديداً على أهل الإلحاد ، كغير الجلوس بنفسه للمظلوم . توفى سنة ١٦٩ .

وقال : أتيتَ غلاماً غرّاً كريماً فدعته ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما أتيت ملكاً جواداً كريماً فدحته فحملته أرجعيته على أن وصلني وبرئي ؛ فكان ذلك أحبه ، فقال له : أنسدي ما قلت فيه ، فأنسده .

هو المهدى إلا أن فيه
تشابهًا إذا وذا فهمًا إذا ما
فهذا في الضياء سراج عدل
ولكن فضل الرحمن هذا
وبالملك العزيز فذا أمير
ونقص الشهرين مُخمدًا ، وهذا
فيابن خليفة الله المصطفى
لئن فت الملوكة وقد تواقوها
لقد سبق الملك أبوك حتى
وجئت وراءه تجري حينها
قال الناس : ما هذان إلا
فإن سبق الكبير فأهل سبق
ولأن بلغ الصغير مدار كبير

مشابه^(١) صورة القمر المنير
أناراً يشകلان على التصوير
وهذا في الظلام سراج نور
على ذا بالمنابر والسرير
وماذا بالأمير ولا الوزير
مثير عند نقاصان الشهور
به تعلو مفاخر الفخور
إليك من الشهولة والوعور
ترأه بين كاب أو حسبر
ومابك حين تجرى من فنور
بمنزلة الخلق من الجدير
له فضل الكبير على الصغير
فقد خلق الصغير مع الكبير

قال : أحسنت ! ولكن هذا لا يساوى عشرين ألف درهم ، ثم قال له :

(١) مشابه : جمع شبه على غير قياس .

أين المال؟ قال : هاهو ذا ! قال : ياربيع ؟ أُغْطِهِ منه أربعة آلاف درم ،
وخذ الباقي .

قال المؤمل : فأخذ مني ستة عشر ألفاً ، فآليت على نفسي ألا أدخل العراق
وللمتصور بها ولاية .

فلما صارت الخلافة إلى المهدى رفعتُ إليه رقمة ذكرت فيها قصّتي ، فلما قرأتها
ضحك حتى استلقى ، وقال : هذه مظلمة أنا بها عارف ؟ ردوا عليه ماله ، وزيدوا
له عشرين ألفاً ، فأخذتها وانصرفت .

١١٦ — مدائِح وعطایاً*

أهْدَيَتْ جارِيَةً يَمَانِيَّةً إِلَى أَبِي جَعْفَرِ الْمُنْصُورِ، فَأَنْشَدَهُ شِعْرًا مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ^(١) يَمْدُحُ بِهِ السَّرَّى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَيَذَكُرُ فِيهِ وِرَاثَةَ الْعِبَاسِ، فَسَأَلَهَا مَلِّنُ هَذَا الشِّعْرَ؟ فَأَخْبَرَتْهُ، فَأَمْرَ بِإِحْضَارِ مَرْوَانَ، فَوَافَاهُ بِالْرَّبَّذَةَ^(٢) حَاجًاً، فَلَقِيَ الرَّبِيعَ بْنَ يُونُسَ وَالْمُنْصُورَ عَلِيلًا؛ الْمَلَةُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا. قَالَ: كُنْ قَرِيبًا حَتَّى نَدْعُوكَ، فَلَمْ تَزُلْ الْمَلَةُ تَشْتَدُ بِهِ حَتَّى مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَصْلُ إِلَيْهِ مَرْوَانَ، فَقَالَ لَهُ الرَّبِيعُ: الْحَقُّ بِالْمَهْدِيِّ^(٣) وَلَا تَخْلُفُ عَنْهُ؛ وَانْصَرَفَ مَرْوَانُ إِلَى الْمَيَامِةِ، فَعَلَّمَهَا طَرِيقًا، وَعَلَيْهَا شِرْبُ بْنَ الْمَنْذُرِ وَالْيَآمَّا، فَأَوْفَدَهُ بَشْرٌ فِيمَنْ أَوْفَدَهُ، وَأَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ أَلْفَ دَرْهَمٍ، فَقَدِمَ مَرْوَانُ عَلَى الْمَهْدِيِّ؛ وَقَدْ مَدَحَهُ بِأَرْبَعِ قَصَائِدٍ. فَأَعْطَاهُ الْمَهْدِيُّ ثَلَاثَيْنَ أَلْفَ دَرْهَمٍ، فَانْصَرَفَ إِلَى الْمَيَامِةِ.

ثُمَّ عَادَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَطَلَبَ الْوَصْوَلَ يَمْقُوبَ بْنَ دَاؤِدَ^(٤)، فَأَقْامَ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ، وَغَضِبَ الْمَهْدِيُّ عَلَى يَمْقُوبَ بْنَ دَاؤِدَ.

قَالَ مَرْوَانُ: يَبْنَا أَنَا وَاقِفٌ عَلَى بَابِ الْمَهْدِيِّ إِذْ خَرَجَ خَالِدُ بْنَ يَزِيدَ بْنَ مَنْصُورَ فَقَالَ: يَابْنَ أَبِي حَفْصَةَ؛ ذَكَرَكَ أَمِيرُ الْؤُمُنْيَنَ آنِفًا؛ وَهُوَ يَرَاكَ أَشَعَّ النَّاسَ، غَيْرُ أَنَّهُ يَقُولَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهَا قَبْلَكَ؛ فَانْصَرَفَ عَنْ بَابِنَا.

* المحسن والمساوي : ٢٤٠ (طبع ليزج)، الفرج بعد الشدة : ١ - ٧٣

(١) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . نشأ في أواخر الدولة الأموية؛ ولم يشتهر إلا في دولة بني العباس ، مدح المهدي ومن بن زائدة والرشيد ، ويعد من فحول الشعراء ، مات سنة ١٨١ هـ (٢) الربذة : من قرى المدينة (٣) انظر المدينة ص ٢٨١ (٤) كان يعقوب وزير المهدي ، وكان على المزيلة عنده ، موضع نقا منه ، ثم تغير عليه وجسه ، وما زال في حبسه حتى تولى الرشيد وأخرجه منه .

فانصرفتْ معموماً ؛ ثم تذكّرتْ رجلاً أتحدث عنه ، وآنسُ لديه ؟ فأتتني
يزيدَ بن مزيدَ ، فشكوتُ إليه مقالَ لِي خالدَ بن يزيدَ . فقالَ : أدلكَ على رجلٍ
صدوقيٍ ، له رقةٌ ، لعله ينفعُكَ ! قلتَ : ومن هو ؟ قالَ : الحسنُ الحاجبُ ، فندوتُ إلى
الحسنَ ، فشكوتُ إليه ماحكاَه خالدٌ مِنْ رأى أمير المؤمنين ؟ فقالَ : بل ذلكَ من
يعقوبَ بن داودَ . قلتَ : بِأَيِّ أَنْتَ وَأَمِّي ! أَنْتَ ترجو أن يكونَ ذلكَ مفتاحاً لِما أنا
فيه ! قالَ : ذاكَ كَا أقولُ لَكَ ، فانصرفتْ ؟ وقلتَ :

—

أَتَانِي مِنْ الْمَهْدِيِّ قَوْلٌ كَانَمَا
وَقَلْتُ - وَقَدْ خِفْتُ أَنَّهُ لَا شَوَّى لَهَا^(١)
وَمَا لِي إِلَى الْمَهْدِيِّ لَوْ كَنْتُ مُذْنِبًا
وَلَا هُوَ - عَنْدَ السُّخْطِ مِنْهُ وَلَا الرُّضَا -
عَلَيْهِ مِنَ التَّقْوَى رَدَاءٌ يَكْتُنُهُ
يُغَضِّ لَهُ طَرْفُ الْعَيْنِ وَطَرْفُهُ
هُلْ الْبَابُ مُغَضِّ بِإِلَيْكَ أَبْنَاهَاشِمَ
أَتَيْتُ أَمْرًا أَطْلَقْتُهُ مِنْ وَثَاقِهِ
وَجَلَّ ضَبَابَ الْمُدْمِ عنْهُ وَرَاسَهُ
فَقَلْتَ : وَزِيرٌ ناصِحٌ قَدْ تَبَاعَتْ
وَمَا كَانَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَرِيْمَةَ
وَإِنْ كَانَ مَطْوِيًّا عَلَى الْفَدَرِ كَشْحَةَ

(١) لاشوى لها : لا بره لها

(٢) الجوابع : جمع الجامعة : الفل .

وقلت في قصيدة أخرى :

سَيَحْشُرُ يعقوب بن داودَ خائِبًا
 يَلْوَحُ كِتابٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرًا
 بَدَا مِنْكَ لِلْمَهْدِيِّ كَالصَّبْعِ سَاطِعًا
 مِنَ الْفِشَّ مَا كَانَتْ تُجْنِنُ الضَّمَارُ
 فَبَابُ الدُّجَاهِ مِنْ نَلْمَةِ الْلَّيلِ سَارِرًا
 وَهُلْ لِبِياضِ الصَّبْعِ إِنْ لَاحَ ضَوْءُهُ
 أَمْزَلَةُ فَوْقَ الْتِي كَنْتَ نَلْتَهَا
 نَمْ أَتَيْتَ الْحَسْنَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ ، فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ ؟ فَأَنْشَدَهَا إِلَيَّاهُ ، فَقَالَ :
 اكْتَبْهَا لِي . فَقَلَتْ : قَدْ فَعَلْتَ . فَقَالَ : هَاتْهَا ، فَتَنَاهُمَا ، وَقَالَ : لَسْتُ وَاضْعَهُمَا
 مِنْ يَدِي حَتَّى أَصْعَهُمَا فِي يَدِ الْمَهْدِيِّ ، ثُمَّ مَضَى .

وَأَتَيْتُهُ مِنَ الْفَدِيرِ ، فَقَالَ : مَا وَضَعْتُهُمَا مِنْ يَدِي حَتَّى وَضَعْتُهُمَا فِي يَدِ الْمَهْدِيِّ !
 فَقَرَأَهَا فَرَقَ لَكَ وَأَسْرَ يَادَخَالِكَ عَلَيْهِ ؛ فَاحْسَرَ يَوْمَ الْاثْنَيْنِ .

فَخَضَرَ ، فَرَجَ عَلَى ؛ فَقَالَ : قَدْ عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَكَانِكَ ، وَقَدْ أَحَبَّ أَنْ
 يَجْعَلَ لَكَ يَوْمًا بِشْرَفَكَ فِيهِ وَيَلْعَبَ بِكَ ، قَلَتْ : فَنِي ؟ بَأْبَى أَنْتَ وَأَمِي ! قَالَ :
 يَوْمَ الْخَيْسِ .

فَعَدْتُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْخَيْسِ ، فَإِذَا وَجْهُ بَنِي الْعَبَاسِ يَدْخُلُونَ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، فَلَمَّا
 تَتَّمَّ الْجَلْسُ دَعَانِي فَدَخَلْتُ فَسْلَتْ فَرَدَ السَّلَامُ ، وَقَالَ : إِنَّمَا حَبَسَكَ عَنِ الدُّخُولِ
 اقْطَاعُكَ إِلَى يَعْقُوبَ بْنَ دَاؤِدَ ، فَأَفْتَحْتَ النَّشِيدَ بِمَا قَلْتَ فِي يَعْقُوبَ ، فَأَنْشَدْتَهُ ،
 ثُمَّ أَنْشَدْتَهُ :

طَرَقْتَكَ^(١) زَائِرَةً فِي خَيَالِهَا بِيَضَاءِ تَخْلِظُ بِالْجَمَالِ دَلَالِهَا

(١) طرق القوم : أنام بلا .

قادَتْ فُؤادَكَ فاستقادَ ومتلِّها
قاد القلوبَ إلى الصُّبا^(١) فأمالَها
فأنصَتَ الناسَ حتى بلغَتْ إلى قولِي :

هل نَطَمِسُونَ من السَّماءِ نُجُومَها
بَا كَفْكَمْ أو تَسْرُونَ هَلَالَها !
أو تَجْحَدُونَ مَقَالَةَ عن رَبِّكم
جَبْرِيلُ بِلِفَهَا النَّبِيُّ فَقالَهَا
شَهَدَتْ من الْأَنْفَالِ آخِرَ آيَةَ
بِتَرَاهِمْ^(٢) فَارْدُمْ إِبْطَالَها
فَاعِجَبَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ! قَلْتَ : اشْهَدُوا ، هَذَا وَاللهُ الشَّرْفُ ،
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَحْزِنُ خَيْرًا ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ :
* أَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ عَائِدُ *

حتى صرَتْ إلى قولِي :

أَيْاديُ بَنِي العَبَاسِ بِيَضْ سَوَابِغَ
عَلَى كُلِّ قَوْمٍ بَادِيَاتُ عَوَائِدُ
فِيهِمْ يَعْدِلُونَ السَّمْكَ مِنْ قُبَّةِ الْمَدَى
كَمَا يَعْدِلُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ الْقَوَاعِدُ
سَوَاعِدُ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّا
يَزِينُ بَنِي سَاقِ الْحَجَّاجِ^(٣) خَلِيفَةً
يَكُونُ غَرَارًا نُومَهُ مِنْ حِذَارِهِ
سَوَاعِدُ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدًا
عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ مِنَ الْحَقِّ شَاهِدُ
عَلَى قُبَّةِ الإِسْلَامِ وَالْخَلْقِ رَاقِدُ
لِرَأْفَتِيهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَاللهُ
عَلَى أَنَّهُ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ مِنْهُمْ

(١) استقاد : انقاد ، والصُّبا : الشُّوف (٢) الزَّاث : ما يترك الميت لورثته ، ويعني باخر آية من سورة الأنفال قوله تعالى : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى بعض في كتاب الله » (٣) يشير إلى سقاية الحاج ، وهي ما كانت قريش تسميه الحاج من الزبيب المنبوذ في الماء ، وكان يليها العباس ابن عبد المطلب ، جد الملائكة العباسين .

فأشار إلىه فأمسكته . فقال : يا بني العباس ، هذا شاعركم المنقطع إليكم ، المعاذى فيكم ، فأعطيوه ما يسره . قلت : ينبغي إذ سمعوا كلام أمير المؤمنين ، وعرفوا رأيه أن يصلوني من أموالهم ، فقال : أنا فارض عليهم لك مالاً ، ففرض على موسى ابنه خمسة آلاف درهم ، وعلى هارون خمسة آلاف ، ثم فرض على القوم على قدر حالاتهم ، حتى فرض عليهم سبعة وثلاثين ألف درهم ، والرابع يكتب كل ما فرض على كل رجل منهم .

قال واحد من حضر : يا أمير المؤمنين ؟ إنما نحن من أهلك ، فأخذنا فيما أدخلتهم فيه ؟ فحمل عليه ألفاً ، وعلى الربع ألفين ؟ فتمت أربعين ألفاً .

قالت : يا أمير المؤمنين ؟ من لي بهذا المال ؟ قال : هذا - وأشار إلى الربع . ثم قال : إن أمير المؤمنين يعطيك من صلب ماله . فأمر لي بثلاثين ألف درم في ثلاثة بدر (١) غبي ، بهن ؟ فطرخن قريباً ، فدعوتُ شكرتُ ، فقال : يابن أبي حفصة ؟ ستعينك صلاتي وبرّي ، ويأتيك مني ما يؤدّيك إلى الفنى .

قلت : يا أمير المؤمنين ؟ قد رأيت من قبولك وبشرتك وسرورك بما سمعت متى ما سأزداد به شرعاً ، وستسمع ويبلغك ، وقلت : يا أمير المؤمنين ؟ لا يبلغ ما أعطيتني لشاعر بعدى ، قال : أجل ! قلت : وآذن في زيارتك ؟ قال : نعم .

قلت : يا أمير المؤمنين ، لي عدو فيك ، وفي أهل بيتك ، فإن رأى أمير المؤمنين إلا يجمل لأحد على سلطان دونه ! قال : لا سلطان عليك دون أمير المؤمنين ، فقلت : أكتب إلى بذلك كتاباً ، فأمر بالكتاب بذلك ! فانصرفت .

فلا صرت خلف الستر خرج إلى خادم بندبلة ، أربعة أنواع وشي وثوب

(١) البدرة : كيس فيه عشرة آلاف .

خز^(١) وجبة وقيص. فقال : ألبسوه وأعيدوه إلى ؛ فلبست الخز والوشى على الثياب التي كانت على ، وألقيت القميص على أحد مفكبي و الجبة على المفك الآخر . قال لي : يابن أبي حفصة ؟ أتدخل على أمير المؤمنين هكذا ، وقد مثلت بنفسك ! قلت : والله لو كانت كرامة أمير المؤمنين أحدها ماخليت منها شيئاً أطيق حمله . ثم دخلت فلما رأني تبسم ، ثم قال : مطرف^(٢) ، فأبطئوا به ، فقال : المطرف - وأنا قائم - ، ثم قال الثالثة : المطرف . فلما أبطئوا انصرفت ، وقعدت خلف الستر ، فلم ألبث أن رفع الستر ، وخرج أمير المؤمنين على دابة فقمت إليه فلما رأني قال : المطرف ، فما برح حتى أتي به ؛ فأشعر على بين يديه ، وأمر لي بعشرة من خدم الروم ، وجائزة سنية ، وبرذون^(٣) بسرجه وجلامه .

(١) الخز : الحرير (٢) المطرف : ثوب في طرفيه علامان (٣) البرذون : الدابة .

١١٧ - فصاحة نصيبي

وَجَهَ الْمَهْدِيُّ نُصِيبًا^(١) التَّاعِرَ مُولَاهُ إِلَى الْيَنْ في شَرَاءِ إِبْلِ مَهْزِيَّة^(٢) ، وَوَجَهَ
مَعَهُ رَجُلَانِ مِنَ الشِّيَعَةِ ، وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَى عَامِلِ الْيَنْ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَلَدَّ يَدِهِ
فِي الدَّنَانِيرِ يَنْقَهَا فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ ، وَشَرَاءِ الْجَوَارِيِّ وَالتَّزوِيجِ ، فَكَتَبَ الشِّيَعَةَ
بِخَبْرِهِ إِلَى الْمَهْدِيِّ ، فَكَتَبَ فِي جَنْلَهِ مُوتَقًا فِي الْحَدِيدِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْمَهْدِيِّ أَنْشَدَهُ
شِعْرًا ، قَالَ :

تَأْذِيبٌ تِقْلٌ مِنَ الْمُمْجَعِ
هُومٌ تَوَالٌ لَوْ أَطَافَ يَسِيرُهَا
وَعَادَتْ بِلَادُ اللَّهِ ظَلَاءَ حِنْدِسًا
إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ أَجِدْ
تَلَهُسْتَ: هَلْ مِنْ شَافِعٍ لِي؟ فَلَمْ أَجِدْ
لَنْ جَلَّتْ الْأَجْرَامُ^(٤) مِنْ وَأَفْلَمَتْ
لَنْ لَمْ تَسْعَنِي يَابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ
طَبَعْتَ عَلَيْهَا صِبْنَةً لَمْ لَمْ تَزَلْ

* الأغاني : ٢٠ - ٢٦ (طبعة الساسي) .

(١) هو عبد نشا بالجامعة ، واعتلى المهدى في حياة النصوص . ولما سمع شعره قال : وانه ماموهون نصيب مولى بني مروان ، فأعتنقه وزوجه ، وأقطعه ضيمة بالسوداء ، توفى سنة ١٧٥ هـ .

(٢) مهرة بن حيدان: أبو حي في اليمن، والإبل المهرية منسوبة إليه (٣) سلمى هنا: جبل

(٤) الأجرام : الدفوب .

تَنَاهِيْك عن ذى الذنبِ ترْجُو صلاحَه
وَعْفُوك عن لو تَكُون جزِيَّته
وَأَنْك لا تَنْفَكَ تَنْفَشُ عَائِرًا
وَحَلْمُك عن ذى الجهل من بعد ماجرى
وَإِنَّ لَوْلَابَ الذى إن جفوته
وَإِنَّ لَمَوْلَاكَ الضعيف فَاعْفِنِي
ثُمَّ تَشْفَعَ له المادى وأعْتَقَهُ، وأمضى المهدى ذلك له، وأمر بمحديده فقلَّ عنه ،
وَخَلَعَ عليه عدَّة من الخَلَع ، ووصله بـألف دينار ، وأمر له بـجارية يقال لها جمارة ،
جيلاة فائقة ، فقال له سالم قيم الرقيق : لا أدفعها إليك أو تعطيني ألف درم ، فعاد
إلى المهدى وأنشدَه :

ما زلتَ تبَذلُ لى الأموال مجتهداً
رَوْجَتِنِي يابنَ خير الناس جارية
رَوْجَتِنِي بضَّة بيضاء ناعمة
حتى توهَّتْ أنَّ الله عَمَلَ —
ما كانَ أَمثَالَه يُهْدِي لأَمْثَالِي
كَانَهَا دُرَّةٌ في كفَّ لَآلٍ (١)
يابنَ الْخَلَافِ — لى من خير أَعْمَالِي
أَنِّي لِيَ الأَلْفُ ؟ ياقْبَخْتَ من سَالَ !
هِيَهاتِ أَنْك إِلَآنَ أَجِيَّ بهَا
فَأَمَرَ له المهدى بـألف دينار ، ولـسالم بـألف درم .

(١) الخُمُّ : الظَّلَام (٢) العنق في الأصل : نوع من السير (٣) الـلـآل : بالـمـؤـلـوـ .

(٤) سـالـي : سـالـي .

* ١١٨ — أُته الخلافة منقادة *

جلس المهدى للشراة يوماً فاذن لهم ، وفيهم بشار^(١) وأشجع^(٢)؛ وكان أشجع يأخذ عن بشار ويمظمه ، وكان في القوم غير هذين أبو العناية^(٣) ، قال أشجع : فلما سمع بشار كلام أبي العناية قال : يا أخا سليم ؟ أهذا ذلك السكوف الملقب ؟ قلت : نعم ! قال : لا جزى الله خيراً من جمعنا معه . ثم قال له المهدى : أنشد ، فقال : ويحك ! أو يُشنَّد أيضاً قبنا ! فقلت : قد ترى ، فأنشد :

أَلَا مَا سِيدَنِي مَالَهَا أَدْلَا فَأَحِيلَ إِذْلَالَهَا !
 وَإِلَا فَقِيمَ تَجْنَّبَتْ وَمَا سَقَى اللَّهُ أَطْلَالَهَا
 أَلَا إِنَّ جَارِيَةَ الْإِمَامَ مَقْدُوسَكَنَ الْحَسْنَ سِرَّ بَالَّمَا
 مَشَتْ بَيْنَ حُورِ قَصَارِ الْخَطَا تَجَادِبَ فِي الْمَشِّ أَكْفَالَهَا
 وَقَدْ أَنْبَتَ اللَّهُ نَسْوَى بَهَا وَأَنْبَتَ بِاللَّوْمِ عَذَّالَهَا

قال أشجع : فقال لـ بشار : ويحك يا أخا سليم ! ما ذري من أى أمرية أجب : أمن ضعف شعره ، أم من تشبيهه بـ جارية الخليفة ، وهو يسمع ذلك بأذنه ! حتى أنى على قوله :

* الأغاني : ٤ - ٣٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) هو فارسي الأصل ، أخذ أبوه في سبي المهلب بن أبي صفرة ، ثم ولد بشاراً ، وأعنق . ولد أعمى قبيح النظر ، ونبث في الشعر ، فـ كان رئيس شعراء المصر العباسى غير مدافع ، وتوافق سنة ١٦٧ هـ (٢) أبو العناية : اسم إسماعيل بن القاسم ، نشا بالكوفة ، وعالج الشعر صبياً خليعاً ، ثم ألم بـ عذابـ الكلمـينـ والـفـلاـسـفـةـ ، وظـهرـ ذـلـكـ فـ شـمـرـهـ . مـاتـ سـنةـ ٢١١ هـ .

أَتْتَهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً
إِلَيْهِ تَجْرِّرُ أَذْيَالَهَا
فَلَمْ تَكُنْ تَصْلِحُ إِلَّا لَهُ
وَلَمْ يَكُنْ يَصْلِحُ إِلَّا هَا
وَلَوْرَأَتْهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ
لَوْلَزِلتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
وَلَوْلَمْ نُطِّمْهُ بَنَاتٍ^(١) اَنْقُلَوبُ
لَمَّا قَبَلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا
وَإِنَّ الْخَلِيفَةَ مَنْ يُفْضِّلُ «لَا»
إِلَيْهِ كَيْفَيْضُ مَنْ قَالَهَا

قال أشجع : فقال لي بشار ، وقد اهتز طرباً : ويحك يا أخا سليم ! أترى
ال الخليفة لم يطر عن فراشه طرباً لما يأتي به هذا الكوفة .

(١) يزيد النبات .

١١٩ — صریح المَوَانِي*

خرج مُسْلِم^(١) بن الوليد ذات يوم ، فلقى يزيد بن منصور الحميري بباب الرشيد ، فسلم فرد عليه السلام ، ورحب به ، وسأله عن شأنه فخبره ، وسأله أن يقرّبه من الخليفة ، وأن يحتال حتى يُعَذَّب في مُكازِحِيه ، ومن يجري عليه أزفَاقَة ! فقال له الحميري : سأتأتني لوصولك إلى أمير المؤمنين .

دخل الحميري ، فأصاب أمير المؤمنين نفس^(٢) ، قد اشتمل عليه الفكر في سرعة تقضى أمور الدنيا ، وأنه لا يُتَسْبِّطُ منها بشيء إلا كان كالظلّ الزائل ، والسراب الخادع ! فقال له جعفر بن يحيى : يا أمير المؤمنين ؟ أَفَعَنْ أَنَّ هذا الفكر يجسّ عليك الأيام ، ويعنفك ما لا يستمع به ؟ إنما هذا الذي أنت فيه عارض عرض لك ، وقد كان ملك من الملوك حكيمًا يقول : المُّمْسَدَة للنفس ، ومَضَلَّة للهم ، ومشدّدة للقلب ، ومن أَعْظَمَ الخطا التساغل^{*} بما لا يمكن دفعه .

وقال له سليمان بن أبي جعفر : يا أمير المؤمنين ؟ قد قال لقمان الحكم : من يملك بستائر ، ومن لا يستثير يندم ، والمُمْسَدَة للمرء ، والقمر^{*} الموت الأكبر .

* المحسن والساوى : ٢٥٣ (طبع ليزج) .

(١) مسلم بن الوليد : من أبناء الأنصار ، كان مداحًا محسناً ، لطيف المعنى رقيق القول ، مدح يزيد ابن مزيد والبرامة والرشيد ، وولاه المأمون برید جرجان ، ولم يزل بها إلى أن مات سنة ٤٠٨

(٢) بقال : لقت نفسه من الشيء : اخترفت .

فكان الرشيد نشيط ، واندفع عنه ما اعتراه من ذلك الفكر ، فتقدمن إليه الحيرى ، وقال : يا أمير المؤمنين ؟ خلقت بالباب آثناً رجلاً من أخوالك الأنصار ، متقدماً في شعره وأدبه وظرفه ؟ أنشدني قصيدة يذكر فيها أنه ولده ولعبه ومحادته إخوانه ، ويذكر مجالس اتصلت له بأبلغ قول وأحسن وصف وأقرب رصف ، يبعث والله على الصيابة والفرح ، ويعاود عن المم والتّرح ، وكأنه قد وفق - يمين أمير المؤمنين ، وسعادة جدة - لأن يكون مُبِّنَا من هذه الشكوى ، زائداً في سرور أمير المؤمنين ، مستدعياً له صلة رحمة ، والتشرُّف بخدمته .

فاستفزَّه السرورُ والقلق إلى دخوله ، واستماع قصيده ، وجعل يتابع الرسل بعضهم في أثر بعض ، حتى دخل ، وكان حلو الشمايل ، فوصل إليه في وقت قد كان خرج فيه من رسم الشباب وشرته ، ولم يكن في عداد من اضطرب سناً ، وكان - ناهيك من رجل ! معه فهم وتجربة وتميز ومعرفة ، فأمهل حتى سكن ، ثم أذن له في الجلوس ، فأنبرى مسلم ينشد قصيده التي يقول فيها :

أَدِيرَاَهَى الْكَلْسَى لَا تَشَرَّبَا قَبْلِي
وَلَا نَطَلْبَا مِنْ عِنْدِ قَاتِلِي ذَهْلِي^(١)
فَا جَزَّعَى أَئِي أَمْوَتْ صَبَابَةَ
وَلَكِنْ عَلَى مَنْ لَا يَحْمِلُ هَمَاقْتَلِي
أَحِبَّ التَّى صَدَّتْ وَقَالَتْ لِتَرْبِهَا :
دَعِيهِ ؛ الْثَّرِيَّا مِنْهُ أَقْرَبُ مِنْ وَصْلِي
إِلَيْهَا تَرْزِيدُ الْقَلْبَ خَبْلًا عَلَى خَبْلِي
كَتَتْ تِبَارِيجَ الصَّبَابَةِ عَاذِلِي
فَلَمْ يَدْرِ مَابِي ، وَاسْتَرْحَتْ مِنْ الْمَذْلِي

إلى أن قال :

(١) الدحل : التأر .

إذا ما عَلَتْ مِنَا ذُوَابَةُ وَاحِدٍ تَمَشَّتْ بِهِ مَشَّيَّ الْقَيْدِ فِي الْوَخْلِ
فَلَا نَحْنُ مِنْنَا مُوتَةُ الدَّهْرِ بِغَثَّةٍ
سَأَنْقَادُ لِلذَّاتِ مُتَبَعِّهَا أَوْ أُصِيبُ فَتَى مِثْلِي
هَلْ يَعْيَشُ إِلَّا أَنْ تَرُوحَ مَعَ الصَّبَّا وَتَعْدُ وَصَرِيعَ الْكَلْسِ وَالْأَعْيُنِ التَّجْلِ!
فَجَعَلَ الرَّشِيدُ يَتَطَالُّلُ هَذَا ، وَيَسْتَحْسِنُ مَا حَكَاهُ مِنْ وَصْفٍ شَرَابِ وَلَهُ
وَغَزَّلِ وَسْهُولَةِ الْفَاظِ ؟ فَأَمْرَ لَهُ بِمَا لَمْ يَأْمُرْ ، وَأَمْرَ أَنْ يَتَخَذَ لَهُ مَجْلِسٌ يَتَحَوَّلُ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَ
الْرَّشِيدُ وَأَحْبَابَهُ يَتَنَاهَدُونَ قَصِيْدَتِهِ ، فَسَمَاهُ يَوْمَذْ - بَآخِرِ بَيْتٍ مِنْ شِعْرِهِ : صَرِيعُ
الْغَوَانِي !

* ١٢٠ — الرشيد وابن مناذر *

قال ابنُ مناذر^(١) : حجَّ الرشيدُ بعْدِ إِيقَاعِهِ بِالْبَرَامِكَةَ ، وَحَجَّ مَعَهُ الْفَضْلُ بْنُ الْرَّبِيعَ ، فَهِيَاتُ فِيهِ قَوْلًا أَجَدْتُ تَنْمِيَّهَ ، وَتَنَوَّقْتُ^(٢) فِيهِ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فِي يَوْمِ التَّرْوِيَّةِ^(٣) ، وَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِي وَيَطْلُبُنِي ؛ فَبَدَرَنِي الْفَضْلُ بْنُ الْرَّبِيعَ قَبْلَ أَنْ أَتَكَلَّمَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ هَذَا شَاعِرُ الْبَرَامِكَةِ وَمَادِحُهُمْ - وَكَانَ الْبَشَرُ ظَهَرَ لِي فِي وِجْهِهِ مَا دَخَلْتُ - فَتَفَسَّكَرَ وَعَبَسَ فِي وِجْهِي ، فَقَالَ الْفَضْلُ : مُرْهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُنَشِّدَكَ قَوْلَهُ فِيهِ :

* أَنَّا بْنُ الْأَمْلَاكِ مِنْ آلِ بَرْمَكَ *

فَقَالَ : أَنْشَدَنِي ، فَأَيْتُ ، فَتَوَعَّدَنِي وَأَكْرَهَنِي فَأَنْشَدَهُ :

أَنَّا بْنُ الْأَمْلَاكِ^(٤) مِنْ آلِ بَرْمَكِ فَيَاطِيبَ أَخْبَارِ وَيَاحْسَنَ مَنْظَرِ !
 إِذَا وَرَدَا بَطْعَاءَ مَكَةَ أَشَرَّقَتْ سَعِيَ وَبِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَجَعْفَرِ
 فَتُظْلِمُ بَغْدَادَ وَيَجْلُولُنَا الدَّجَى بَسَكَةَ - مَا حَجَّوَا - ثَلَاثَةَ أَفْرُ
 فَاصَّلَحَتْ إِلَى جَلْبُودَ أَكْفَاهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ إِلَى لَأْعَوَادِ مَنْبِرِ
 إِذَا رَاضَ يَحْيَى الْأَمْرَ ذَلَّتْ^(٥) صَعَابُهِ وَحْسِبُكَ مِنْ رَاعِ لِهِ وَمَدْبِرِ

* الأغانى : ١٧ - ٢٥ (طبعة الساسى)

(١) هو محمد بن مناذر ، شاعر فصيح مقدم في العلم باللغة ، كان في أول أمره ناسكاً متأثراً ، ثم عدل عن ذلك فهجا الناس ، وتهتك وخلع وقدف أعراض أهل البصرة ، ومدح الهوى ، ومات في أيام المأمون (٢) توقف فيه : بالفت في تجويده (٣) التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذي الحجة (٤) الأملاك : الملوك (٥) سهلت .

ترى الناس إجلالا له وكأنهم غرانيق^(١) ماه تخت باز مصر صر^(٢)
 نم أتبعت ذلك بأن قلت : كانوا أولياءك يا ملير المؤمنين أيام مدحتم ، وكأنوا
 في طاعتكم ، لم يلهمهم سخطكم ، ولم تخلُّ بهم يقانتكم ، ولم أكن في ذلك مبتدعاً ،
 ولا خلا أحداً من نظرائي من مدحهم ، وكانوا قوماً قد أظلتني فضلهم ، وأغناني
 برفدهم ، فأنثيت بما أوْلَوْنا .

قال : ياغلام ؟ العلم وجهه ، فلأطمت والله حتى سدِرت^(٣) وأظلم ما كان ييفي
 وبين أهل المجلس . ثم قال : اسحبوه على وجهه ، والله لأحرمنك ، ولا تركت
 أحداً يعطيك شيئاً في هذا العام افسحْجَتْ حتى أخرجت .

وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالاً في نفسي وحالى ، وما جرى على ؟ لا والله
 ما عندى ما يكفي عيال لعيدهم ، فإذا بشاب قد وقف على ؟ ثم قال : أعزِّزْ على والله
 ياكبرنا بما جرى عليك ، ودفع إلى صرّة ، وقال : تَبَلَّغْ بما في هذه ! فظننتها
 دراجم ، فإذا هي ثلثاً دينار ؟ فقلت : من أنت ؟ جعلني الله فداك ! قال : أنا أخوك
 أبو نواس ، فاستعن بهذه الدنانير وأغذِرنى ، فقبلتها وقلت : وصَلَكَ الله يا أخي ،
 وأحسن جزاءك !

(١) الترانيق : جمع غرائق ؟ وهو طائر أبيض من سبور الماء (٢) المصصر : من يرجع
 الصوت (٣) سدر بصره : أظلم ولم يصر :

* ١٢١ - رَبِيعَةُ الرَّقَّى يَدْحُفُ فَلَا يَشَابُ *

امتدح رَبِيعَةُ الرَّقَّى^(١) العباس بنَ مُحَمَّدٍ بنَ عَلَى ؛ بقصيدة لم يُسبَقْ إلَيْهَا ،
يقول فيها :

لو قيل للعباسِ : يابنَ مُحَمَّدٍ ؛
قل : «لا» وأنتَ مُخْلَدٌ ما قالها
ما إنْ أَعْدَمْتَ الْكَارَمَ خَصَّلَةً
إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أوْ خَالِمَا
وَإِذَا الْمَلْوَكُ تَسَايِرَتْ فِي بَلْدَةٍ
كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكَنْتَ هِلَالَهَا
إِنَّ الْكَارَمَ لَمْ تَرَكْ مَعْقُولَةً^(٢) حَتَّى حَلَّتْ بِرَاحْتِيَكَ عِقالَهَا

فبعث إليه العباس بدینارين ، وكان يقدّر فيه ألتين ، فلما نظر إلى الدینارين
قاد أن يُجَنَّ غضباً ، وقال للرسول : خذ الدینارين فهُما لكَ على أن ترده إلى الرقة
من حيث لا يدرى العباس ، فعل الرسول ذلك ، فأخذها ربیعة وأسر من كتب
في ظهرها .

مَدْحُوكَ مَذْحَةَ السَّيْفِ الْمُحَلَّ
لِتَجْرِيَ فِي الْكَرَامَ كَمَا جَرَيْتُ
فِيهِمَا مِذْحَةً ذَهَبَتْ ضِيَاعًا
كَذَبْتُ عَلَيْكَ فِيهَا وَأَفْتَرَيْتُ

* الأغانى : ١٥ - ٣٨ (طبعة السادس) ، نهاية الأرب : ٣ - ٢١٥ ، معجم الأدباء : ١١ - ١٣٤

(١) اسمه ربیعة بن ثابت ، وكان ينزل الرقة ، وبها مولده ومنشأه . وكان من الشعراء المكترين
المجيدين ، ولكن خل ذكره عن طبقته لبعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء ،
ومع ذلك فما عدم مفضلاً مقدماً له . ومات سنة ١٩٨ هـ (٢) عقل البعير : شد وظيفه إلى
ذراعه ، وهو استعارة من هذا .

ثم دفها إلى الرسول ، وقال : ضمها في الموضع الذي أخذتها منه ، فعل .
فلا كان من الند أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الآيات ، غضب ، وقام
من فوره ، فركب إلى الرشيد - وكان أثيرا^(١) عنده يبجله ويقدمه ، وكأنه قد هم
أن يخطب إليه ابنته - فرأى الرشيد الكراهة في وجهه ، فقال : ما شأتك ؟ قال :
هجانى ربيعة الرق .

فأحضره الرشيد ، وقال له : أتهجو عني وأثر خلق الله عندي ! لقد همت أن
أضرب عنك ! فقال : يا أمير المؤمنين : والله لقد امتدحته بقصيدة ماقال أحد مثلها
من الشعرا في أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت في الثناء ، وأكثرت من الوصف ؛
فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضارها فعل .

فلا سمع الرشيد ذلك سَكَنَ غضبه ، وأحب أن ينظر في القصيدة ، فأمر العباس
 بإحضارها ، فتكلّكاً عليه ، فقال له الرشيد : سألك بحق أمير المؤمنين إلا أمرت
 بإحضارها . فحضرت ، فإذا فيها القصيدة بعينها ؛ فاستحسنها واستبعادها ، وأعجب
 بها ، وقال : والله ما قال أحد من الشعرا في أحد من الخلفاء مثلها ، ولقد صدق
 ربيعة فبرة .

ثم قال للعباس : كم أثبته عليها ؟ فسكت العباس ، وتغير لونه ، وغضّ بريقه ،
 فقال ربيعة : أنا بني علىها بدينارين يا أمير المؤمنين ! فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من
اللوّجدة^(٢) عليه ، فقال : بخياني يارق كم أثبتك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين
 ما أثبتي إلا بدينارين .

فغضب الرشيد غضباً شديداً ، ونظر في وجه العباس ، وقال : سودة لك ! أية

(١) أثيرا : مكرما (٢) الوجدة : الغضب .

حال قصدت بك عن إثابته ؟ أفلة مال ؟ فوالله لقد مَوَّلْتُك جهدي^(١) ، أم انقطاع المادة عنك ؟ فوالله ما انقطعت ، أم أصلك ؟ فهو الأصل الذي لا يُدانيه شيء ، أم نفسك ؟ لا ذنب لي ! بل نفسك والله فعلت بك ذلك حتى فضحت أجدادك وفضحتني وفضحت نفسك ، فنكس العباس رأسه ، ولم ينطق .

قال الرشيد : يا غلام ! أعط ربيعة ثلاثة ألف درهم وخلعه ، وأحمله على بصلة .

ثم قال له : بمحياي لا تذكره في شيء من شعرك تعرضاً ولا نصرياً ، وفقر الرشيد عما كان قد هم به من أن يتزوج إليه ، وأظهر له بعد ذلك جفاء واطراحا .

(١) موله : أعطاه مالاً كثيراً ، والجهد : الطلاقة .

١٢٢ — شاعر بين يَدَيِ الرَّشِيدِ *

قال أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدَ الْبَاهْلِيَّ : كُنْتُ عِنْدَ الرَّشِيدِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَشْجَعَ^(١) السَّلْيَ وَمَنْصُورَ التَّمْرِيَ^(٢) ، فَأَنْشَدَهُ أَشْجَعَ :

فَقَرَرْتُ عَلَيْهِ تَحْكِيمَ وَسَلَامٍ
فَقَرَرْتُ سُقُوفَ الْمُزْنِ دُونَ سُقُوفِهِ
فِيهِ اجْتَلَى الدُّنْيَا الْخَلِيفَةُ وَالْتَّقَتْ
نَشَرَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضَ كُسُوتَهَا الَّتِي
أَذْتَكَ مِنْ ظَلَّ النَّبِيِّ وَصَيَّةَ
بِرْقَتْ سَمَاوَكَ فِي الْعَدُوِّ وَأَمْطَرَتْ
وَإِذَا سِيَوْفُكَ صَافَحَتْ هَامَ الْعَدَاءَ
ثَنَى عَلَى أَيَّامِكَ الْأَيَّامُ

أَلْقَتْ عَلَيْهِ جَالِيَ الْأَيَّامِ
فِيهِ لِأَعْلَامِ الْهُدَى أَعْلَامُ
الْمَلَكِ فِيهِ سَلَامٌ وَسَلَامٌ
نَسَجَ الرَّبِيعَ وَزَخَرَفَ الْأَرْهَامَ^(٣)
وَقَرَابَةً وَشَجَّتْ^(٤) بِهَا الْأَرْهَامُ
هَامًا لَمَّا ظَلَّ السِّيَوْفُ غَامُ
طَارَتْ لَهُنَّ عَنِ الرَّهْوَسِ الْهَامُ
وَالشَّاهِدَاتِ : الْخَلُّ وَالْإِحْرَامُ

ولَا بَلْغَ قُولَهُ :

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ ضَوْءِ الْشَّبْعِ وَالْإِظْلَامِ

* أَمَالُ الْمُرْتَضَى : ٤ - ١٧٨ ، الأَغَانِي : ١٢ - ١٩ ، ١٧ - ٣٢ (طبعة السادس) .

(١) مُوْأشِجُ بْنُ عَمْرُو السَّلْيَ ، ثَناً بِالْبَصَرَةِ وَقَالَ الشَّهْرُ وَأَجَادَهُ ، وَعَدَ مِنَ الْفَحْولِ ، ثُمَّ اتَّصَلَ بِالْبَراَمَةَ ، وَانْخَصَّ بِيَعْفُرَ بْنِ يَحْيَى فَأَنْجَبَ بَهُ وَأَوْصَلَهُ إِلَى الرَّشِيدِ (٢) مَنْصُورُ التَّمْرِيُّ :

ثَناً فِي الْمَبْرِرَةِ بَيْنَ التَّهْرِينِ ، أَخْذَ عَنْ كَلْمَوْنِ التَّابِيِّ ، ثُمَّ قَصَدَ إِلَى الْبَراَمَةَ ، وَمَدْحُومُ ، ثُمَّ قَالَ الشَّهْرُ السِّيَاسِيُّ وَوَصَلَ بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ (٣) الرَّهْمَةُ : الْعَطْرُ الصَّمِيفُ الدَّامُ ، وَالْجَمْعُ رَمْ (كَنْبُ) ، وَأَرْهَمَتِ الْمَاءُ : أَنْتَ بِالْرَمِّ (٤) وَشَجَّتْ : عَلَقَتْ .

فإذا تنبأ رُّعْتَهُ وإذا غَفَّا سَلَّتْ عليه سِيوفَكَ الأَحْلَامُ
فاستحسن ذلك الرشيد؛ وأوْمَأْتُ إِلَى أَشْجَعَ أَنْ يَقْطَعَ الشِّعْرَ؛ إذْ عَلِمْتُ أَنَّهُ
لَا يَأْتِي بِثَلَاثَةِ فَلَمْ يَفْعَلْ. وَلَمَّا أَنْشَدَهُ مَا بَعْدَهَا فَتَرَ الرَّشِيدُ وَضَرَبَ بِمُخْصَرَةً^(١)
كَانَتْ بِيَدِهِ الْأَرْضُ، وَاسْتَفَشَدَ مُنْصُورًا لِلنَّرِيَّ، فَرَأَى اللَّهَ فِي قُصْدِيَّةٍ قَلَمَّا تَقُولُ
الْأَرْبُّ مِثْلَهَا، وَمَطْلُعُهَا:

ما تَنْفَضِي حَسَرَةً مِنِي وَلَا جَزَاعُ
إِذَا ذُكِرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يُؤْتَمَجِعُ
بَانَ الشَّبَابُ وَفَاتَنِي بِلَذَّتِهِ صَرْوَفُ دَهْرٍ وَأَيَامٌ لَهَا خُدَاعُ
وَلَا يَبْلُغُ إِلَى قَوْلِهِ:

ما كَنْتُ أَوْفِي شَبَابِي كُنْهَ غَرِّتَهُ
حَتَّى انْفَضَى إِذَا الدِّنِيَا لَهُ تَسَعَ
قال الرشيد: أحسن والله! لا يتهنى أحدٌ يعيش حتى يختظر في رداء الشباب.
ولَا يَبْلُغُ إِلَى قَوْلِهِ:

أَئِ امْرَى بَاتَ مِنْ هَارُونَ فِي سُخْطَةٍ
فَلَيْسَ بِالصَّلَواتِ الْخَسْرَ يَنْتَفِعُ
إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أُودِيَّةٌ
أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حِيثُ تُنْتَجِعُ
إِذَا رَفَعْتَ امْرَأَ فَاللهُ رَافِعُهُ
وَمَنْ وَضَمَّتَ مِنَ الْأَقْوَامَ مُتَّصِعٌ
نَفْسِي فَدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالُ مُعْلِمَةٌ
يَوْمَ الْوَغْنِ وَالْمَنِيَا يَنْهَمُ قُرْعَ
رمي الرشيد بالأخوان بين يديه ، وصاح وقال : هذا والله أطيب من كل طعام ؟
وأعطاه سبعة آلاف دينار .

(١) المُخْصَرَةُ: ما يتوَكَّأُ عَلَيْهِ: كَالْعَصَابَ وَنَحْوُهَا، وَمَا يَأْخُذُهُ الْمَلَكُ يَهْبِرُ بِهِ إِذَا خَاطَ وَالْمُطَبِّبُ
إِذَا خَطَبَ.

قال أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ : فَلَمَّا خَرَجْنَا قَاتِلَ الْأَشْجَعَ : غَزَّتُكَ أَنْ تَقْطَعَ فَلَمْ تَقْطَعْ ،
وَيَلَكَ ! لَمْ تَأْتِ بِشَيْءٍ ، فَهَلَّا مَتَّ بَعْدَ الْبَيْتَيْنِ أَوْ خَرَسْتَ ، فَكَنْتَ تَكُونُ
أَشَعَّ النَّاسَ !

١٢٣ - يَا بَكَ أَنْزَلْتُ حَاجَتِي *

قصيدة أَعْرَابِيَّةً مَالِكَ بْنَ طَوْقَ التَّنْفِلِيِّ (١) صَاحِبِ الرَّحْبَةِ (٢) ، وَكَانَ رَثَّ الْمَيْتَةَ،
ذَرِيَّ الْحَالَ ، فَمَنْعَ من الدُخُولِ عَلَيْهِ مَدَةً ، إِلَى أَنْ خَرَجَ مَالِكَ ذَاتَ يَوْمٍ يَرِيدُ التَّرْزَهَةَ
حَوْلَ مَدِينَتِهِ ؛ فَاعْتَرَضَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ ، فَرَدَهُ رَجَالُهُ ازْدَرَاهُ بِهِ ، فَلَمْ يَنْتَهِ (٣) بِلَاقْتَرَبَ
مِنْهُ حَتَّى أَخْذَ يَعْنَانَ فَرَسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ أَنَا عَائِذُ بِكَ (٤) مِنْ شَرِ حَوَسَكَ ا
ذَهَنَهُمْ (٤) عَنْهُ ، وَقَالَ لَهُ : مَا حَاجَتِكَ ؟ قَالَ : أَنْ تُصْنِفَ إِلَى كَلَمِي بِسْمِكَ
وَتَنْظَرَ إِلَى بَطْرَفِكَ ، وَتَقْبِيلَ عَلَى بَوْجِكَ ، ثُمَّ أَنْشَدَ :

يَا بَكَ دُونَ النَّاسِ أَنْزَلْتُ حَاجَتِي	وَأَقْبَلْتُ أَسْقَى نَحْوِهِ وَأَطْوُفَ
وَيَنْعَنِي الْمَحَاجَبُ وَالْلَّيْلُ مُسْبِلُ	وَأَنْتَ بَعِيدُ وَالرَّجَالُ صَفُوفُ
يَطْعُونُونَ حَوْلَى عَابِسِينَ كَاهِمْ	ذَئَابُ جَيَاعٌ يَنْهَى خَرُوفُ
فَكَيْفَ وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مَقْبِلاً	تَرْدَّ امْرَأُ وَافَاكَ وَهُوَ لَهِيفُ
وَمَالِيَّ فِي الدُّنْيَا سَوَاكَ وَمَا لَمْ	تَرَكْتُ وَرَائِي مَرَبَعَ (٥) وَمَصِيفُ

* غَرَرُ الْمَائِسِ : ١٦٨

(١) مَالِكُ بْنُ طَوْقٍ : أَحَدُ نَدَاءِ الرَّشِيدِ ، أَهْبَطَهُ أَرْضًا بَنَاهَا نَسْبَتْ إِلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ عَلَى الرَّشِيدِ
فَأَقْهَذَ إِلَيْهِ الْجَيُوشَ حَتَّى ظَفَرُوا بِهِ ، وَجَبِسَ ، ثُمَّ عَنَا عَنْهُ (٢) مَدِينَةُ جَيَّلَةَ يَنْ بَغْدَادَ وَالرَّاقَةَ ،
بَنَاهَا مَالِكٌ عَلَى الْفَرَاتَ ، وَسَاعَدَهُ الرَّشِيدُ عَلَى بَنَاهَا بِالْأَمْوَالِ وَالرَّجَالِ (٣) عَاذَ بِهِ : لَجَأَ إِلَيْهِ
(٤) يَنْهَمْ : زَجْرَمُ وَكَفَمْ (٥) الْمَرَبَعُ : مَبْرَلُ الْقَوْمِ فِي الرَّبِيعِ خَاصَّةً .

فُيَشْتَكِ أَبْنَى الْخَيْرَ مِنْكَ فَرَاعْنَى بِيَابِكَ مِنْ ضَرْبِ الْعَبِيدِ صَنُوفُ^١
فَلَا تَجْعَلْنَ لِي نَحْوَ بَابِكَ عُودَةً قَلْبِيَّ مِنْ صُنْعِ الْقَسَّاءِ نَحْوَفُ
فَضَحْكَ مَالِكٌ ، ثُمَّ قَالَ لِهِ رَأْسَهُ : مَنْ يُعْطِيهِ دَرَاهِمَ بَدْرَهِينَ ؟ فَأَتَمَّ كَلْتَهُ حَتَّى
نُثَرَتِ الدَّرَاهِمُ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحْيَرَ ، وَاخْتَلَطَ لِدِيهِ الْحَابِلُ بِالْفَابِلِ ؛
لَكَثْرَةِ مَا أُعْطِيَ .

فَعَنْدَ ذَلِكَ التَّفَتَ إِلَيْهِ مَالِكٌ ، وَقَالَ لَهُ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَخَا الْعَرَبِ ؟
قَالَ : أَمَا إِلَيْكَ فَلَا . قَالَ : وَإِلَى مَنْ ؟ قَالَ . إِلَى اللَّهِ أَنْ يَبْقِيَكَ لِلْعَرَبِ ؛ فَإِنَّهُمْ
لَنْ يَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا بَقِيَتْ لَهُمْ !

١٢٤ - التَّكْتُكُ فِي الْبَيْعِ خَيْرٌ مِنْ خِيَانَةِ الشَّرِيكِ *

جلس مالك بن طوق في قصره ، في شبابك مطل على رحبيته ، ومعه جاساؤه ؛
فأقبل أعرابي تَخَبَّطَ ^(١) به ناقه . فقال : إِيَّاهُ أَرَادَ ، ونحوه قصد ، ولعل منه أدبا
يُنفع به . نعم أمر يأخذ الله .

فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدِيهِ قَالَ : مَا أَقْدَمْتَ يَا أَعْرَابِي؟ قَالَ : سَبَبَ ^(٢) الْأَمِيرَ ، وَرَجَاهَ
نَائِلَهُ ؛ قَالَ : هَلْ قَدَّمْتَ أَمَامَ رَغْبَتِكَ وسِيلَةً؟ قَالَ : نَعَمْ ! أَرْبَعَةَ أَيَّاتٍ قَلْتُهَا بِظَهَرِ
الْبَرِّيَّةِ ، فَلَمَّا رَأَيْتَ مَا يَبْابُ الْأَمِيرَ مِنَ الْهَبَّةِ وَالْجَلَالِ اسْتَهْرَتْهَا وَاسْتَصْفَرَتْهَا .
قَالَ : فَهَلْ لَكَ أَنْ تُنْشِدَنَا أَيَّاتَكَ عَلَى أَنْ تُجْزِيَنَا أَلْفَ دَرْهَمٍ؟ فَإِنْ كُنْتَ مِنْ
أَحْسَنِ رَبِّنَا ، وَإِلَّا قَدْ نِلْتَ مُرْادَكَ ، وَرَبَحْتَ إِنْ قَالَ : رَضِيتُ ، وَأَنْشَدَهُ :

وَمَا زَلتُ أَخْشَى الدَّهْرَ حَتَّى تَعْلَقَتْ يَدَايِي بِنَ لَآيَتِي الدَّهْرَ صَاحِبَهُ
فَلَمَّا رَأَى الدَّهْرَ تَحْتَ جَنَاحِهِ رَأَى مَرْتَقَيِ صَعْبَا مَنِيعًا مَطَالِبَهُ
رَأَى بَحِيثَ النَّجْمِ فِي رَأْسِ بَادْخَنِ ^(٣) تُنْظِلُ الْوَرَى أَكْنَافَهُ وَجِوابَهُ
فَتَى كَسَاءَ الْفَيْثِ وَالنَّاسُ حَوْلَهِ إِذَا قُحِطُوا ^(٤) جَادَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَهُ

فَقَالَ : وَاللهِ ظَفَرْنَا يَا أَعْرَابِي ، وَرُزِقْنَا الْفَلَجَ ^(٥) عَلَيْكَ ، وَاللهِ مَا قَيَّمْتَهَا إِلَّا
عَشْرَةُ أَلْفَ دَرْهَمٍ . قَالَ : فَإِنْ لَيْ صَاحِبًا شَارَكَتُهُ فِيهَا ، وَمَا أَرَاهُ يَرْضَى بَيْعِي . قَالَ :

* ذيل زهر الآداب : ٢٨٢ .

(١) الحب : نوع من السير (٢) السبب : العطاء والمرور (٣) بادخن : عال (٤) تحطوا :
أصحابهم القحط ، وهو الجدب (٥) الفلج : الفوز والظفر .

أترأك حدَّثْتُك نفسك بالنَّكْثِ^(١)؟ قال : نعم ! وجدت النَّكْث في البيع خيراً من خيانة الشريك ، فأمر له بعشرة آلاف دينار .

١٢٥ — باتت تَمِيرِنِي الإقْتَارُ والمَدْمَاءُ*

قال الأَضْنَى : لقيت أَعْرَابِيَاً بِالبَادِيَةِ فَاسْتَرْشَدَهُ إِلَى مَكَانٍ ، فَأَنْشَدَنِي :

لِيسَ الْعَيْ طَوْلُ السُّؤَالِ وَإِنَّمَا كَامَ الْعَيْ طَوْلُ السَّكُوتِ عَلَى الْجَمْلِ
فَكُنْ : سَائِلًا عَمَّا عَنَّاكَ فَإِنَّمَا خَلَقْتَ أَخَا عَقْلَ لِتَسْأَلَ بِالْعُقْلِ
نَمْ رَجَعْتُ إِلَى الْبَصَرَةِ فَكَثَتْ بِهَا حِينَا ؛ ثُمَّ قَدَّمْتُ الْبَادِيَةَ ، فَإِذَا بِالْأَعْرَابِيِّ
جَالَسَ بَيْنَ ظَهَرَانِيَ قَوْمٌ ، وَهُوَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ ، فَارَأَيْتُ قَضِيَّةَ أَخْطَأَتْ قَضِيَّةَ الصَّالِحِينَ
مِنْ أَقْضِيَتِهِ ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَيْهِ وَقَلَتْ : يَرْحَكَ اللَّهُ ، أَمَّا مِنْ رِشْوَةِ ! أَمَّا مِنْ هَدِيَةِ !
أَمَّا مِنْ صِلَةِ ! قَالَ : إِذَا جَاءَ هَذَا ذَهَبَ التَّوْفِيقِ . فَشَكُوتُ إِلَيْهِ مَا أَلْقَى مِنْ
عَذْلٍ حَلِيلَةٍ لِي إِيَّاهُ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ ، قَالَ : لَسْتَ فِيهَا بِأَوْدَدٍ ، وَإِنِّي لَشَرِيكُكَ ،
وَلَقَدْ قَلَتْ فِي ذَلِكَ شِفْرَاهُ ، قَلَتْ : أَنْشِدْنِيهِ ، فَأَنْشَدَنِي :

بَاتَتْ تَعْيِرِنِي الإِقْتَارُ وَالْمَدْمَاءُ لَمَّا رَأَتْ لَأْخِيَهَا الْمَالَ وَالْخَدَمَّا
عَنْفَتْ رَأِيَكَ مَا الْأَرْزَاقُ مِنْ جَلَّهُ وَلَا مِنَ الْعَبْرِ مِنْ جَلَّهُ
يَأْمَمَهُ اللَّهُ إِنِّي لَمْ أَدْعُ طَلَبًا لِلرِّزْقِ — قَدْ تَعْلَمَنِي — الشَّرْقُ وَالشَّامُ

* أَمَالِي الرَّاضِي : ٤ - ١٤٠

(١) بِنَقْصِ الْمَهْدِ .

لوكان من جلـٰه ذا المالُ أو أدبٌ
أرضي من العيش مالم تمحوجى معهُ
 واستشعرى الصبر عـلـٰ الله خالقنا
لا تمحوجينى إلى ما لو بذلتُ له
بـالله سـرـك إـن الله خـوـلـنى
ما سـرـنى إـنـى خـوـلـتـُ ذـاك وـلـا
وـأـنـى لـم أـفـدـ عـشـلـاً وـلـا أـدـبـاً
فـعـسـرـةـ الـرـءـ أـخـرىـ فـعـاشـكـ مـنـ
قال : فـوـ اللهـ ماـ أـنـشـدـتـهـ زـوـجـىـ حـتـىـ حـلـفـتـ أـلـاـ تـمـذـلـنـىـ أـبـداـ .

١٢٦ — سكنت عنى والله الحمى*

قال الأصمى : نزلت ليلةً في وادى بنى العنبر؛ وهو إذ ذاك غانٌ^(١) بأهلها، فإذا فتيةً يريدون البصرة، فأحببت صحبتهم، وأفتلتليت تلك، وإنى لتوصي^(٢) عمومً، أخاف ألاً استمسك على راحلتي، فلما أقاموا ليرحلوا يقطلوني، فلمنا رأوا حال حلونى، وركب أحدهم ورأى يمسكى، فلما أمعنا السير تnadوا : ألا فرق يخذل بنا أو ينسدنا؟ فإذا منشد في سواد الليل ينشد بصوت ندى حزين :

لعمرك إني يوم بانوا فلم أمت خفاتها^(٣) على آثارهم لصبور
غداة المنقى^(٤) إذ دميت بنظرة ونحن على متن الطريق نسير
وكاد من الوجد المبر^(٥) يطير : فقلت لقلبي حين خفت به الهوى
فهذا ولما تمض للبين ليلةً وأصبح أعلام الأحبة دونها
وأصبحت بحدى الهوى متهم الثوى
عسى الله بعد النوى أن يُسعف التوى
من الأرضِ غول^(٦) نازح ومسير
أزيد اشتياقاً أن يَجْعَنَ بغيره
ويمْجَمَ شملٌ بعدها وسرور
قال : فسكت والله عنى الحمى ما أحس بها؛ وقلت لرفيق : انزل يرحلك ألا
إلى راحلتك فإني متأسث ، وجزاك الله عن الصحبة خيراً !

* أمال المرتضى ٢ - ١٤٢

(١) غان : أهل (٢) الوصب : المرض (٣) يقال : مات خفاتها ؟ أى فجأة (٤) المنق : طريق
العرب إلى الشام ؟ كان في الجاهلية يسكنه أهل تهامة (٥) البر : الشديد (٦) الغول : بعد الشقة.

١٢٧ — عجوز تُنشد الأصمعي شعراً *

قال الأصمعي : إني لفي سوق ، وقد نزلتُ على رجلٍ من بني كلاب ، كان متزوجاً بالبصرة ؛ إذ أقبلت عجوز على ناقةٍ لها ، حسنةُ البرزة ، فيها باق جمال ، فأناخَتْ وعَقَلتْ ناقتها ، وأقبلتْ تتوَكِّأ على يمْجِنَّ^(١) لها ، فلست قريباً منها ، وقالت : هل من مُنشد ؟ فقلت للكلابي : أبحضرك شيء ؟ قال : لا ، فأنشدتُها شعراً للبشر بن عبد الرحمن الأنصاوي :

وَقَصِيرَةُ الْأَيَامِ^(٢) وَدَجَلِيسُهَا لَوْبَاعُ^(٣) مَجْلِسُهَا بِقَدْرِ حَمِيمِ
مِنْ حَمْدِيَاتِ^(٤) أَخِي الْمَوْى غُصَصُ الْجَوَى بِدَلَالِ غَانِيَةٍ وَمُفْلِهِ رِيمِ
صَفَرَاهُ مِنْ بَقَرِ الْجَوَاهِ^(٥) كَامِا خَفَرُ الْحَيَاةِ بِهَا رُدَاعُ سَقِيمِ^(٦)
قَالَ : فَجَبَثَتْ عَلَى رَكْبَيْهَا ، وأَقْبَلَتْ تَحْرَشَ^(٧) الْأَرْضَ بِمَحْجُنَهَا
وَأَشَّأَتْ تَقُولَ :

فِي يَامِيمِ الْقَلْبِ نَقْرَا تَحْمِيَةً
فَلَوْ قَلْتِ : طَأْ فِي النَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ
لَقَدْ دَمْتُ رَحْلِي مَحْوَهَا فَوْطَتْهَا
سَلِي الْبَانَةِ الْعَلِيَاءِ بِالْأَجْرَعِ الَّذِي

* أمالى المرتضى ٢ : ١٣٨

(١) الحجن : العصا الموجة (٢) يزيد : أن أيام جليسها تقص ، إذ أن أيام السرور موصنة بالقصر (٣) باع : اشتري ، وهو من الأضداد (٤) يقال : أحذيت الرجل ؟ أعطيته (٥) الحواه : موضع (٦) الرداع : الوجه في الجسد ، وكأنه أراد أنها منقبضة منكسرة من الحياة كما يتغير لون السقم (٧) تحرش الأرض : تخدها .

وهل قتُ في أطلالِهن عشيَّةً
لهمَّا كَيْفَ عَنِيَّةُهُمْ مَنْ زَيَّلَكَ؟
لهمَّا كَيْفَ عَنِيَّةُهُمْ مَنْ زَيَّلَكَ^(١)
لهمَّا كَيْفَ عَنِيَّةُهُمْ مَنْ زَيَّلَكَ^(١)
قال الأصمى : فأظلت على والله الدنيا بحلوة منطقها ، وفصاحه لمجتمعا ،
فدنوت منها وقلت : أنشدتك الله لما زدتني من هذا فرأيت الضحك في عينها
وأنشدت :

يسْجُونَ أَذِيَالَ الصَّبَابَةِ وَالشَّكْلِ^(٢)
نَزَعْنَ وَقَدْ أَكْثَرْنَا فِيهَا مَنْ قُتِلَ
بِحَتْلِ ذُوِّ الْأَلَابَ بِالْجَدَّ وَالْهَزْلِ
يَحْذِرُنِي مَنْ أَطْبَعَ ذُوِّ الْعَدْلِ
ومسخفياتٍ ليس يخفين زُرْنَتَهَا
جَمَعْنَ الْهَوَى حَتَّى إِذَا مَأْكَلْنَاهُ
مَرِيَضَاتِ رَجْعِ الْطَّرَفِ خَرَسَ عَنِ الْخَنَّا
يَعْنَفُنِي الْمُعْذَالُ فِيهِنَ ، وَالْهَوَى

(١) الزِّيَالُ : المفارقة (٢) الشَّكْلُ (بِالْفُتحِ وَالْكَسْرِ) : دل المرأة وغزلها :

١٢٨ - الأصمعي وبعض الأعراَب*

قال بعض الرواة : كنا مع أبي نصر راوية الأصمعي ، في رياض من المذاكرة ،
نبحثُنَّى ثمارها ، ونختلي أنوارها ، إلى أن أفضنا في ذكر أبي سعيد عبد الملك بن
قريب الأصمعي ، فقال : رحم الله الأصمعي ! إنه لمعدن حِكْمَ ، وبحر عِلْمٍ ، غير أنه
لم يرقط مثل أغراضي وقف بنا فسلَّمَ ، فقال : أيكم الأصمعي ؟ قال : أنا ذاك ! قال :
أنا ذنون بالجلوس ؟ فاذنا له ، وعيينا من حُسْنِ أدبه ، مع جفاء أدب الأعراب !
قال : يا أصمعي ؛ أنت الذي يزعم هؤلاء النفر أنك أفقُهم معرفة بالشعر
والمربيَّة ، وحكايات الأعراب ! قال الأصمعي : منهم من هو أعلم مني ، ومنه
هو دوني !

* زهر الأداب: ٢ - ١٠٠

(٣) الأكرومة: فعل الكرم . (٤) اليسر: الأسلوب المعاشر بآدابه .

فَبِسْمِ الْأَعْرَابِيِّ، وَهُنَّ رَأْسُهُ؛ فَقُلْنَا أَنْ ذَلِكَ لَا سُخَانَهُ الشَّمْرُ، ثُمَّ قَالَ :
 يَا أَصْمَى اهْذَا شِعْرٌ مُهْلِلٌ، خَلَقَ النَّسْجَ، خَطَّوْهُ أَكْثَرُ مِنْ صَوَابِهِ، يَفْطُلُ
 عَبُو؛ حَسْنُ الرَّوِيِّ وَرَوْيَةُ الْمَشْدَادِ يَشْهُونَ الْمَلَكَ إِذَا امْتَدَّحَ بِالْأَسْدِ، وَالْأَسْدِ
 أَنْخَرَشَتْمُ^(١) لِلنَّظَرِ، وَرَبِّا طَرَدَهُ شِرْدِمَةُ مِنْ إِمَانَتِنَا، وَتَلَاعَبُ بِهِ صِبَّانَا وَيَشْهُونَهُ
 بِالْبَحْرِ، وَالْبَحْرُ صَبَّ عَلَى مَنْ رَكَبَهُ، مُرِّ عَلَى مَنْ شَرَبَهَا وَبِالسَّيفِ، وَرَبِّا خَانَ
 فِي الْحَقِيقَةِ، وَنَبَاعُونَ الْفَرِيقَةِ ! أَلَا أَنْشَدْتَنِي كَمَا قَالَ صَبَّيُّ مِنْ حِينَا !
 قَالَ الْأَصْمَى : وَمَاذَا قَالَ صَاحِبُكُمْ ؟ فَأَنْشَدَهُ :

الْلَوْتُ يَسْكُرُهُ أَنْ يَلْقَى مِنْيَتَهُ فِي كَرْهٍ عِنْدَ لَفَّ الْخَيْلِ بِالْخَيْلِ
 وَرَاجِمُ الْشَّمْسَ أَبْنَقَ الشَّمْسَ كَاسِفَهُ
 أَوْ زَاحِمُ الصَّمَمَ أَجْلَاهَا إِلَى الْمَيْلِ
 وَعِنْدَ أَعْدَانِهِ أَجْرَى مِنْ السَّيلِ
 أَنْفَى مِنْ النَّبِعِ إِنْ نَابَتْهُ نَابَةً
 وَلَا تَرَاهُ إِلَيْهَا سَاحِبُ الدَّيْلِ
 لَا يَسْتَرِيعُ إِلَى الدُّنْيَا وَرِيتَهَا
 بَقْسُرُ الْجَدُّ عَنْهُ فِي مَكَارِيهِ كَمَا يَقْتَرُ عَنْ أَفْسَالِهِ قَوْلِي !

قَالَ أَبُو نَصْرٍ : فَأَبْهَتَنَا وَاللهُ مَا سَمِعْنَا مِنْ قَوْلِهِ .

ثُمَّ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : أَلَا تَنْشَدْنِي شِعْرًا تَرْتَاجِعُ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَبِسْكُنِ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ؟
 فَأَنْشَدَهُ لَابْنِ الرَّقَاعِ الْعَامِلِ :

وَنَاعِمَةٌ تَجْعَلُو بَعْدِ أَرَاكَتِهِ مُؤْثِرَةً^(٢) يَسْبِي الْمَعْانِقَ طَبِيبُهَا
 أَرَاكَ إِلَى نَجْدِي تَعِنْ^{*} وَإِنَّمَا مُنْيِ كلَّ نَفْسٍ حِيثُ كَانَ حِبِيبُهَا
 فَبِسْمِ الْأَعْرَابِيِّ، وَقَالَ : يَا أَصْمَى ؟ مَا هَذَا بِدُونَ الْأَوْلِ ، وَلَا فُوقَهُ ؟

(١) شِيمٌ : كَرِيهٌ (٢) تَأْثِيرُ الْأَسْنَانَ : تَعْزِيزُهَا .

ألا أنسدتنى كاً قلتُ؟ قال الأصمى : وما قلتَ جِمِلتُ فذاك ! فأنشدَه :

تعلقتها بِكْرًا وعَقْتُ حِبَّها قلبي عن كل الورى فارغُ بِكْرًا
إذا احتجبت لم يكفلك البدر ضوءها وتسكفيت ضوء البدر إن حُبِّ البدر
وما الصبر عنها - إن صبرت - «جَدْتَه» جيلاً، وهل في مثلها يَحْسُن الصبر !
ولو أن جلد الذر (١) لامسَ جلدَها أثْرُ لكان لِمَسَ الذر في جلدَها أثْرُ
قال لنا الأصمى : اكتبوا ما سمعتم ، ولو بأطراف المدى في رفاق الأكباد .
وأقام عندنا شهراً ؛ فجمع له الأصمى خمسة دينار ! وكان يتعاهدُنا في الحين
بعد الحين ، حتى مات الأصمى وتفرق أصحابنا !

(١) الذر : صنار الثل .

١٢٩ - شِعْرُ مُرْتَجِلٍ*

جلس جعفر^(١) بن يحيى، بالصالحية^(٢)، يشرب على مُسْتَشْرِف له فجاءه
أعرابي من بني هلال ، فاشتكى واستمَاح^(٣) بكلام فصيح ، ولغظٍ مثله يمطِّف
المسئول .

قال له جعفر: أنتَوْلُ الشِّعْرِ يَا هَلَالِي؟ قال: كُنْتُ أقوله وَأَنَاهَدَتْ مِنْ أَتَمَلَّحُ بِهِ،
ثُمَّ تَرَكَتْهُ لَمَّا صَرَّتْ شِيجَانًا ، قال: فَأَنْشَدَنَا الشَّاعِرُ كَمْ حُمَيدُ بْنُ ثُور ، فَأَنْشَدَ قَوْلَهُ:
لِمَنِ الْدِيَارِ بِجَانِبِ الْخَنْسِ كَحْطَ ذِي الْحَاجَاتِ وَالنَّفْسِ
حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا - وَكَانَ أَشْجَعُ الشَّلْمَى حَاضِرًا الجَلْسِ - فَانْدَفَعَ يُنْشِدُ
مَدِيَحًا فِي جَعْفَرٍ ، قَالَهُ لِوقْتِهِ عَلَى الْوَزْنِ وَالْقَافِيَّةِ :

ذَهَبَتْ مَكَارِمُ جَعْفَرٍ وَفَمَالَهُ	فِي النَّاسِ مِثْلَ مَذَاهِبِ الشَّمْسِ
مَلَكَ تَسْوِسُ لِهِ الْمَعَالِي نَفْسَهُ	وَالْمَقْلُ خَيْرُ سِيَاسَةِ النَّفْسِ
إِذَا تَرَاهُهُ الْمَلُوكُ تَرَاجُمُوا	جَهْرُ الْكَلَامِ بِمِنْطَقِ هَمْسِ
سَادَ الْبَرَامِكُ جَعْفَرٌ وَهُمُ الْأَلَى	بَعْدِ الْخَلَافَ سَادَةُ الإِنْسَيِّ

قال له جعفر: صِفْتُ مَوْضِعَنَا ، قَالَ :

* الأغانى ١٧ - ٣٢ (طبعة الساسى)

(١) جعفر بن يحيى : كان على التدر بعده المهمة عظيم الكرم ، ذا منزلة قريبة عنده الرشيد ،
كان سبع الأخلاق ، طلق الوجه ، ظاهر البشر ، فصيحاً لسنأ ، قتلته الرشيد سنة ١٨٢ هـ

(٢) الصالحية : محله بغداد (٣) استمَاح : طلب المطاء .

فُصُور الصالحة كالمدارَى لِبِسْنَ ثِيابَهُنَّ لِيَوْمِ عَرْسِ
مُطَلَّاتٌ عَلَى بَطْنِ كَسْتَةٍ أَيْدِيَ السَّاءِ وَشَيْأَ نَسْحَ غَرْسِ
إِذَا مَا الطَّلَ أَثْرَ فِي نَرَاهُ تَنْفَسَ نَوْرُهُ مِنْ غَيْرِ نَفْسٍ
فَتُبَيِّقُهُ^(١) السَّاءِ يَصْبِغُ وَرْسِ وَتَضَبَّعُهُ بِأَكْوَسِ عَيْنِ شَمْسِ

فقال جعفر للأعرابي : كيف ترى صاحبنا ياهلاوي ؟ فقال : أرى خاطر طوع
لسنه ، وبيان الناس تحت بيته ، وقد جعلت له ماتصلني به ؟ فقال : بل نصلك
يا أعرابي ونرضيه ، وأمر للأعراب بمائة دينار ؛ ولأشبع بماشين .

(١) الفرق : شراب المتنى ، والصبح : شراب الصباح .

١٣٠ — هونت على العزل *

ولى الرشيد جعفر بن يحيى خراسان^(١) ، فدخل عليه الناس يهشّونه ، ثم دخل عليه الشعراه ، فقام أشجع السلى آخرم ، واستأذن في الإنشاد ، فأذن له فأنشد :

أنصبر للبين ألم تجزع
فإن الديار غداً بلقمع
غداً يتفرق أهل الموى
ويكثُر بالكِ مسترجع
وتَفْنِي الطَّلُول ويُبَقِّي الموى
ويَصْنَعُ ذو الشوق ما يَصْنَعُ
حتى اتهى إلى قوله :

ودَوْبَةٌ^(٢) بين أقطارها
مقاطيعُ أرضين لا تقطعُ
من الريح في سيرها أسرعُ
وأى فني نحوه تنزعُ !
فلا لامرئٍ غيره مُقْنَعٌ
ولا يَصْنَعُونَ الذى يَرْفَعُ
يريد الملوك مدَى جعفر
إذا نالها الحدثُ الأفْظَعُ
بديهُته مثل تدبيره
متى رُمْته فهو مستجمعُ

* الأغانى : ١٧ - ٧ (طبعة الساى) .

(١) خراسان : بلاد واسعة كانت حدودها أول ما ييل العراق

(٢) الدواية : الغلة

(٣) الريمانة : الناقة الكثيرة البن .

وَكُمْ قَاتِلٍ إِذْ رَأَى نُرُوقَ ، وَمَا فِي فَضُولِ الْفِنَى أَضَعَّ
غَدَا فِي ظِلَالِ نَدَى جَعْفَرٌ يَجْرِي ثِيَابَ الْفِنَى أَشْجَعُ
قَلْ خَرَاسَانَ : تَحْيَا فَقَدْ أَنَاهَا ابْنُ بَحْبَى الْفِنَى الْأَرْوَعُ^(١)
فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ جَعْفَرٌ ضَاحِكًا ، وَاسْتَحْسَنَ شِعْرَهُ ، وَجَعَلَ يَخْاطِبُهُ مُخَاطَبَةً الْأَخْ
أَخَاهُ ، ثُمَّ أَمْرَ لَهُ بِالْفِدَنَارِ .

قال الراوى : ثم بدا للرشيد في ذلك التدبير ، فعزل جعفرًا عن خراسان بعد
أن أعطاه المهد والكتاب . وعقد له العقد ، وأمر ونهى ، فوجم لذلك جعفر ،
دخل عليه أشجع وقال :

أَنْسَتْ خُرَاسَانُ تُعزَىْ بِمَا أَخْطَأْهَا مِنْ جَعْفَرَ الْمُرْتَجَى
كَانَ الرَّشِيدُ الْمُعْتَلُ أَمْرَهُ وَلِعَلِيهِ الْشَّرِيقَ الْأَبْلَجَا
نَمَّ أَرَاهُ رَأْيُهُ أَنَّهُ أَمْسَى إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَحْوَاجًا
فَكَمْ بِالرَّحْمَنِ مِنْ كُزْبَةٍ فِي مَدَةٍ تَقْصُرُ قَدْ فَرَجَا

فضحك جعفر وقال : لقد هونت على العزل ، وقت لأمير المؤمنين بالعزل ؟
فسلني ما شئت ، فقال : قد كفاني جودك ذلة السؤال ، فأمر له بالف
دينار أخرى .

(١) الأروع : من يعجبك بمحنته وجهارة منظره أو بشجاعته .

١٣١ - أرى الأيام لا تُذْنِي الذي أَرْتَجِي *

قال محمد بن أمية ^(١) : كنت جالساً بين يدي إبراهيم بن المهدى ، فدخل إليه أبو العتاهية ، وقد تَنَسَّكَ ولَبِسَ الصوف ، وترك قول الشعر إلا في الزهد . فرضه إبراهيم ، وسُرِّ به ، وأقبل عليه بوجهه .

قال له أبو العتاهية : أيها الأمير ؟ بلغنى خبرُ فتنَى في ناحيتك ومن مواليك يُعرف بأبن أمية ، يقول الشعر ، وأنشأته له شعراً فأعجبني ، فما فعل ؟ فضحك إبراهيم ، ثم قال : لعله أقرب الحاضرين مجلساً منك .

فالتفت إلى قيل : أنت هو فَدَيْتُكَ ؟ قلت له : أنا محمد بن أمية جعلت فدامك ! وأما الشعر فإنما أنا شاب أعبث بالبيت والبيتين والثلاثة كما يبعث الشاب . فقال لي : فَدَيْتُكَ ؟ ذاك والله زمانُ الشعر وإياته ، وما قيل فيه فهو غُرَزَه وعيونه ، وما زال يُنشطئ ويُؤنسُ حق رأى أنى قد أَنْسَتُ به .

ثم قال لإبراهيم بن المهدى : إن رأى الأمير - أكرمه الله - أن يأمره بإنشاد ما حضر من الشعر ! فقال لي إبراهيم : بخياني يا محمد أنشده ، فأَنْشَدَه :

رَبُّ وَعْدِ مِنْكَ لَا أَنْسَاهُ لِي أَوْجَبَ الشَّكَرَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ

* الأغانى : ١١ - ٣٠ (طبعة الأساس)

(١) محمد بن أمية كاتب شاعر ظريف ، كان ثديعاً لإبراهيم بن المهدى .

فبكى أبو العناية حتى جرت دموعه على لحيته، وجعل يردد البيت
الأخير منها وينتحب ، وقام فرج وهو يرددُه ويُسكي ، حتى خرج إلى
الباب !

١٣٢ — حديث عن دِعْبَلَ *

قال عمرو بن مسَمَّدة : حضرت أبا دُلَفَ عند المأمون - وقد قال له : أَيْ شَيْءٍ تَرَوْيِ لِأَخِي خُزَاعَةَ ؟ فَقَالَ : أَيْ خُزَاعَةَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : وَمَنْ تَعْرِفُ فِيهِمْ شَاعِرًا ؟ فَقَالَ : أَمَّا مِنْ أَنفُسِهِمْ ؛ فَأَبُو الشَّيْعَسِ وَدِعْبَلَ^(١) وَابْنُ أَبِي الشَّيْعَسِ ، وَدَادُودَ ابْنُ أَبِي رَزِينَ ؛ وَأَمَّا مِنْ مَوَالِيهِمْ فَطَاهِرُ وَابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ .

فَقَالَ : وَمَنْ عَسَى فِي هُولَاءِ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ شِعْرَةِ سَوَى دِعْبَلَ ! هَاتِ ! أَيْ شَيْءٍ عَنْدَكَ فِيهِ ؟ فَقَالَ : أَيْ شَيْءٍ أَقُولُ فِي رَجُلٍ لَمْ يَتَرَكْ أَهْلَ بَيْتِهِ حَتَّى هَجَامُ ، فَقَرَنَ إِحْسَانَهُمْ بِالإِسَاءَةِ ، وَبِذَلِكَمْ بِالْمُنْعِ ، وَجُودَهُمْ بِالْبَخْلِ ، حَتَّى جَعَلَ كُلَّ حَسْنَةٍ مِنْهُمْ يَازِهَ سَيِّئَةً ! قَالَ : حِينَ يَقُولُ مَاذَا ؟ قَالَ : حِينَ يَقُولُ فِي الْمُطَلَّبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَالِكٍ - وَهُوَ أَصْدِقُ النَّاسِ لَهُ ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْهُ : وَقَدْ وَفَدَ إِلَيْهِ فِي مَصْرَ ، فَأَغْطَاهُ الْجَزِيلُ ، وَوَلَّاهُ ؛ وَلَمْ يَعْنِهِ ذَلِكَ أَنْ قَالَ فِيهِ :

اَضْرِبْ نَدَى طَلْحَةَ^(٢) الطَّلْحَاتِ مُبْتَدِداً بِلَوْمِ مُطْلِبِ فِيتَا وَكُنْ حَكَا

* الأغاني : ١٨ - ٤٤ (طبعة الساسي)

(١) هو دِعْبَلَ بن عَلَى بن رَزِينَ ، مِنْ خُزَاعَةَ . شَاعِرٌ مُطَبَّعٌ مُجَاهٌ خَيْرُ الْإِنْسَانِ لَمْ يَسْلُمْ مِنْهُ أَحَدٌ مِنْ الْخَلْقَاءِ وَلَا وزَرَائِيمْ وَلَا أُولَادَهُ ، وَلَا ذِي نَبَاعَةً ؛ أَحْسَنَ إِلَيْهِ أَوْ لَمْ يَحْسُنْ ، وَتَوَفَّ سَنَةً ٢٤٦ هـ

يا طَلْحَةَ^(٢) طَلْحَاتِ : قَبِيلَ اسْمِهِ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَإِنَّهُ لِإِنْمَا سَمِيَ طَلْحَاتِ الْمُطَلَّبَاتِ بِسَبِبِ أَمَّهُ ، وَهِيَ صَنْفَيَّةُ بَنْتِ الْحَارِثَ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، وَإِنَّ أَخَاهَا طَلْحَةُ بْنِ الْحَارِثَ ، فَقَدْ تَكَفَّهُ هُولَاءِ الْمُطَلَّبَاتِ كَمَا تَرَى ، وَقَدْ مَدَحَهُ سَعْبَانُ بْنُ وَائِلَ الْبَاهْلِ ، فَقَالَ :

يَا طَلْحَةَ أَكْرَمُ مِنْ مَشِي حَسْبًا وَأَعْطَاهُمْ لَنَدَالَ
مِنْكَ الْعَطَاءَ فَأَعْطَنِي وَعَلَى مَدْحُوكَ فِي الشَّاهِدَ

فَقَالَ لَهُ طَلْحَةُ : احْتَكِ ، فَقَالَ : بِرَذْوَنَكَ الْوَرَدَ ، وَغَلامَكَ الْحَيَازَ ، وَقَصْرُكَ الَّذِي بِعَكَانَ كَذَا ، وَعَشْرَةَ آلَافَ درَمَ . فَقَالَ طَلْحَةُ : أَفْ لَكَ ! سَأْتَنِي عَلَى قَدْرِكَ وَلَمْ تَسْأَلِي عَلَى قَدْرِي ! لَوْسَأْلَتِي كُلَّ عَبْدٍ وَكُلَّ دَابَّةٍ وَكُلَّ قَصْرٍ لَيْلَ أَعْطَيْتَنِي !

تَخْرُجُ خُزَاعَةً مِنْ لَوْمٍ وَمِنْ كَرَمًا
فَلَا تَحِسَّ لِمَا لَوْمًا وَلَا كَرَمًا
قال المأمون : قاتله الله ! ما أَغْوَصَهُ وَالظَّفَرُ وَأَذْهَاهُ ! وَجَلَ يَضْحَكُ .
ثُمَّ دَخَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرَ ، قَالَ لَهُ : أَيْ شَيْءٍ تَحْفَظُ يَا عَبْدَ اللهِ لِدِعْبَلَ ؟
قَالَ : أَحْفَظُ أَيِّيَا تَاهَ فِي أَهْلِ بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : هَاتِهَا ، وَيَحْكُ ! فَأَنْشَدَهُ
عَبْدُ اللهِ قَوْلَهُ :

سَنِيًّا وَرَعِيًّا لِأَيَامِ الصَّبَابَاتِ أَيَامَ أَرْفَلُ فِي أَنْوَابِ الْذَّانِي
أَصْبَوْ إِلَى غَيْرِ جَارَاتِ وَكَنَّانِي^(١)
دَعْ عَنْكَ ذِكْرَ زَمَانِ فَلَمَّا مَطَلَّبُه
وَاقْصِدْ بِكُلِّ مَدِيعٍ أَنْتَ قَائِلُهُ نَحْوُ الْمَدَاهَ بَنِي بَيْتِ الْكَرَامَاتِ
قَالَ المأمون : إِنَّهُ قَدْ وَجَدَ وَاللهِ مَقَالًا قَالَ ، وَنَالَ بِيَعْدِ ذِكْرِهِ مَا لَا يَنْأَلُ
فِي وَصْفِ غَيْرِهِ .

ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ أَخْسَنَ فِي وَصْفِ سَفَرِهِ ، فَطَالَ ذَلِكُ السَّفَرُ عَلَيْهِ ، قَالَ فِيهِ:
أَلْمَ يَأْنِ^(٢) لِلسَّفَرِ الَّذِينَ تَحْمَلُوا
نَطَقُنَّ بِمَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ ضَلْوَعُ^(٣)
فَقَلْتُ - وَلَمْ أَمْلِكْ سَوَابِقَ عَبْرَةَ :
كَتَبَنَ ! فَكُمْ دَارَ تَفْرَقَ شَمْلُهَا
كَذَاكَ الْلَّيَالِي صَرْفُهُنَّ^(٤) كَاتِرِي
ثُمَّ قَالَ : مَا سَافَرْتُ قَطْ إِلَّا كَانَتْ هَذِهِ الْأَيَّاتُ نَصْبُ عَيْنِي فِي سَفَرِي وَهِجَرَائِي
وَمِسْلِيَّتِي حَتَّى أَعُودَ !

(١) الْكَنَّةُ : امْرَأَ الْأَبْنَاءِ أَوِ الْأَخْرَجُونَ
(٢) يَأْنُ : يَقْرُبُ وَيَحْضُرُ . وَالسَّفَرُ : السَّافِرُونَ
(٣) الْعَبْرَةُ : الدَّمْعَةُ ، وَمَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الضَّلْوَعُ : الْمَزَرُ وَالشُّوَقُ إِلَى الْوَطَنِ وَالْأَمْلَ
أَجْتَمَعَ مِنْ أَمْرٍ أَوْ مَا تَفَرَّقَ مِنْهُ ، وَالشَّتَّيْتُ : التَّفَرَقُ ، وَالْجَمِيعُ : الْجَمِيعُ
(٤) صَرْفُ الْلَّيَالِي : أَحْدَاثُهَا .
(٥) جَدَبَةُ وَرَبِيعُ : حَالَتَا خَبَرُ وَشَرِ .

* ١٣٣ - دِعْبَلْ عَنْ دَوَالِي مِصْرَ *

قال دِعْبَلْ بن عَلَى : حَجَجْتُ أَنَا وَأَخِي رَزِينَ ، وَأَخْذَنَا كِتَابًا إِلَى الْمَطْلَبِ
ابن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ ، وَهُوَ مَصْرِي تِولَاهَا .

فَصِرَنَا مِنْ مَكَةَ إِلَى مِصْرَ ، فَصَحَبَنَا رَجُلٌ يُعْرَفُ بِأَحْمَدَ بْنِ السَّرَّاجِ ، فَازَالَ
يَحْدُثُنَا وَيَؤْنِسُنَا طَوْلَ طَرِيقِنَا ، وَيَتَوَلَّ خَدْمَتَنَا ، كَمَا يَتَوَلَّهَا الرَّؤْفَاءُ وَالْأَتَّبَاعُ ،
وَرَأَيْنَاهُ حَسَنَ الْأَدْبِ - وَكَانَ شَاعِرًا لَمْ نَلْمَ - وَكَتَمَنَا نَفْسَهُ ، وَقَدْ لَمَ مَا قَصَدْنَا لَهُ
فَعَرَضْنَا عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ فِي الْمَطْلَبِ قَصِيدَةً نَنْتَحِلُّهُ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : إِنْ شَتَّمْ ، وَأَرَانَا
بِذَلِكَ سَرُورًا وَتَقْبِيلًا لَهُ ، فَعَمَلْنَا قَصِيدَةً ، وَقَلَّنَا لَهُ تُشَدِّدُهَا الْمَطْلَبُ ، وَإِنَّكَ تَنْتَفِعُ بِهَا ،
قَالَ : نَعَمْ .

وَوَرَدَنَا مِصْرَ بِهِ ، فَدَخَلْنَا إِلَى الْمَطْلَبِ ، وَأَوْصَلْنَا إِلَيْهِ كِتَابًا كَانَتْ مَعَنَا ،
وَأَنْشَدَنَاهُ ، فَسَرَّ بِمَوْضِعِنَا وَوَصَفَنَا لَهُ أَحْمَدَ بْنَ السَّرَّاجَ هَذَا ، وَذَكَرَنَا لَهُ أَمْرَهُ ،
فَأَذْنَنَ لَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، وَنَحْنُ نَظَنُّ أَنَّهُ سُيُّشِيدُهُ الْقَصِيدَةُ الَّتِي نَحْنُنَاهُ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا مَثَّلَ
بَيْنَ يَدِيهِ عَدَلَ عَنْهَا وَأَنْشَدَهُ :

لَمْ آتِ مُطَلِّبًا إِلَّا بُطَّلَبَ وَهَمَّةٌ بَلْغَتْ بِي غَايَةَ الرَّتْبِ
أَفْرَدَتْهُ بِرْجَاءَ أَنْ تَشَارِكَهُ فِي الْوَسَائِلِ أَوْ أَلْقَاهُ فِي الْكِتَابِ^(١)
رَحَلَتْ عِيسَى إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَصَبِّ فِيهَا وَمِنْ نَصَبِ

* الأغانى : ١٨ - ٤٧ (طبعة السادس).

(١) قال دَعْبَلْ : أَشَارَ بِهِذَا إِلَى الْكِتَابِ الَّتِي أَوْصَلْنَا إِلَيْهِ وَهِيَ بَيْنَ يَدِيهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَشَدَّ
عَلَى مَنْ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ بَيْهِ .

أُنْقَبَهَا وَبِوْجْهِي كُلَّ هَاجِرَةٍ^(١)
تَكَاد تَقْدَحُ بَيْنَ الْجَلَدِ وَالْعَصَبِ
حَتَّى إِذَا مَاقَضَتْ نَسْكَى ثَبَتَ لَهَا
عِطْفَ^(٢) الْزَّمَامُ فَأَمْتَ سِيدَ الْأَرَبِ
فَأَنْمَتَكَ^(٣) وَقَدْ ذَابَتْ مَفَاصِلُهَا
عِنْ طَولِ مَاتَعِبِ لَاقْتَ وَمَنْ تَبَرِ^(٤)

فَصَاحْ مُطْلَبُ : لَبِيكَ لَبِيكَ ! نَمْ قَامَ إِلَيْهِ ، فَأَخْذَهُ بِيَدِهِ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ ، وَقَالَ :
يَا غَلَامُ ؟ الْبِدَرُ^(٥) فَأَخْضَرَتْ ، ثُمَّ قَالَ : الْخَلْمُ ، فَنَشَرَتْ ، نَمْ قَالَ : الدَّوَابُ ،
فَقِيدَتْ ، فَأَمْرَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا مَلِأَ عَيْنَهُ وَأَعْيَنَا وَصُدُورُنَا ، وَحَسَدَنَاهُ عَلَيْهِ ؛ وَكَانَ
حَسَدُنَا لَهُ بِمَا اتَّفَقَ لَهُ مِنَ الْقَبُولِ وَجُودَةِ الشِّعْرِ ، وَغَيَظَنَا بِكُتُبِهِ إِيَّا نَا نَفْسَهُ وَاحْتِيَالِهِ
عَلَيْنَا أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ ، خَرَجَ بِمَا أَمْرَ لَهُ ، وَخَرَجْنَا صِفَرًا .

قَالَ الرَّاوِي : وَمَكَثَ دِعْبَلَ أَيَّامًا ، ثُمَّ وَلَاهُ الْمُطْلَبُ أَسْوَانَ ، وَلَكِنْ دِعْبَلَ
كَانَ قَدْ هَجَاهَ غَيْظًا مِنْهُ فَقَالَ :

أَمْطَلَبُ	أَنْتَ مُسْتَعْذِبٌ
سَائِنِيكُ	إِمَاؤَرَدَتْ الْعَرَاقُ
مُنْمَقَةٌ	بَيْنَ أَنْثَاهَـا
وَضَعْتَ رِجَالًا فَاضْرَهُمْ	وَشَرَّفْتَ قَوْمًا فَلَمْ يَنْبُلُوا ^(٦)
إِذَا الْحَرْبُ كَنْتَ أَمِيرًا لَهَا	خَفَطْتُمُّ مِنْكَ أَنْ يُقْتَلُوا
شِعَارُكُ فِي الْحَرْبِ يَوْمَ الْوَغَى	إِذَا انْهَزَّمُوا : عَجَلُوا عَجَلُوا !

(١) الماجرة : إنما تكون في النيل نصف النيل (٢) عطف الشيء : جانبه (٣) يقال : أمه وأمه يعني قصده (٤) قب البعير ؛ إذا حنى (٥) البدر : جمع بدرة (فتح الباء) وهي عشرة آلاف (٦) الحبا من كل شيء : شدته (٧) روى هذا البيت : وعاديت قوماً فاضرم وقدمت قوماً فلم ينبلوا

هزا مُكَّـ الفُـ مشهورة يقرـ طـسـ^(١) فيهـ مـنـ يـنـضـلـ
فـأـنـتـ إـذـا مـاـ التـقـواـ آـخـرـ وـأـنـتـ إـذـا اـنـهـزـمـواـ أـوـلـ^(٢)
وـبـلـغـ الـطـلـبـ هـجـاؤـهـ إـيـاهـ بـعـدـ أـنـ وـلـاهـ ؛ـ فـرـزـلـهـ عـنـ أـسـوانـ ،ـ وـأـنـذـإـلـيـهـ كـتـابـ
الـعـزـلـ مـعـ مـوـلـيـ لـهـ ،ـ وـقـالـ :ـ اـنـتـظـرـهـ حـتـىـ يـصـدـ المـنـبـرـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ ،ـ فـإـذـا عـلـاهـ فـأـوـصـلـ
الـكـتـابـ إـلـيـهـ ،ـ وـامـنـعـهـ مـنـ الـخـطـبـةـ وـأـنـزـلـهـ عـنـ الـمـنـبـرـ ،ـ وـاصـدـعـ مـكـانـهـ ؟ـ فـلـمـاـ أـنـ عـلـاـ
الـنـبـرـ وـتـنـحـنـحـ لـيـخـطـبـ نـاـوـلـهـ الـكـتـابـ ،ـ فـقـالـ لـهـ دـيـعـيـلـ :ـ دـعـنـيـ أـخـطـبـ فـإـذـا نـزـلـتـ
قـرـأـتـهـ ،ـ قـالـ :ـ لـاـ ،ـ قـدـ أـمـرـنـيـ أـنـ أـمـنـعـكـ الـخـطـبـةـ حـتـىـ تـقـرأـهـ .ـ قـرـأـهـ ،ـ وـأـنـزـلـهـ عـنـ الـنـبـرـ
مـعـزـوـلـاـ .ـ

(١) قـرـطـسـ :ـ أـصـابـ الـفـرـطـاسـ ،ـ أـيـ الـفـرـضـ (٢) قـالـ دـعـبـلـ :ـ قـالـ لـيـ الـطـلـبـ :ـ مـاـ تـفـكـرـتـ فـيـ
قـوـلـكـ قـطـ :

إـنـ كـاتـرـوـنـاـ جـثـنـاـ بـأـسـرـتـهـ أـوـ وـاحـدـوـنـاـ جـثـنـاـ بـعـطـلـ
إـلاـ كـتـ أـحـبـ إـلـىـ ،ـ وـلـاـ تـفـكـرـتـ وـاـنـقـ قـوـلـكـ لـىـ :ـ
وـعـادـتـ قـومـاـ فـاـ ضـرـمـ وـقـدـتـ قـومـاـ فـلـمـ يـنـبـلـوـاـ
إـلاـ كـتـ أـبـضـنـ النـاسـ لـهـ .ـ

١٣٤ — دِعْبِيل وَعَلَى الرَّضَا *

قال دِعْبِيلُ بْنُ عَلِيٍّ : دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى الرَّضَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لِي : أَنِشَدْتَنِي شَيْئًا مَا أَحْدَثَتَ ، فَأَنْشَدْتَهُ^(١) :

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَتْ مِنْ تَلَاقَةِ وَمَنْزِلٍ وَخَيْرٍ مُفْتَرِي الْمَرَّاصَاتِ^(٢)
لَآلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْخَلِيفَةِ مِنْ مَنَّى وَبِالرُّكْنِ وَالْتَّمْرِيزِ وَالْجَمَرَاتِ
دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحَسِينِ وَجَعْفَرٍ وَحَمْزَةُ وَالسَّجَادَ ذِي التَّفَنَّاتِ^(٣)

حَتَّى انتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِي :

بِنَفْسِي أَنْتُمْ مِنْ كَهْوَلٍ وَفَقِيَّةٍ
أَحَبُّ قُصَى الرَّحْمَنَ مِنْ أَجْلِ حِبِّكُمْ
وَأَكْتُمُ حُبِّكُمْ مَخَافَةً كَاشِحٍ
لَقَدْ حَفَّتِ الْأَيَّامُ حَوْلَ بَشَرَّهَا
أَلَمْ تَرَ أَنِّي مِنْ ثَلَاثِينَ حِجَّةَ
أَرَى فِيهِمْ فِي غَيْرِهِمْ صَفِيرَاتٍ

* الأغاني : ١٨ - ٤٢ (طبعة السادس)، معجم الأدباء ١١، ١٠٨، ٤.

(١) تعد هذه القصيدة من أحسن الشعر وفاخر المذاق (٢) المرصات : جمع عرصمة : وسط الدار ، والمعنى أنه لا أنيس بها (٣) بعد أسماء آل البيت ، وذو الثفانات على بن الحسين بن علي ، وسمى بذلك ، لأن طول السجود أثر في ثفانته ، والثفنة من الإسان : الركبة (٤) الغنا :

جم عان ، وهو الأسير .

فَآلُّ رَسُولُ اللَّهِ نَحْنُ جُسُومُهُمْ وَآلُّ زِيَادٍ حُفَلُّ الْقَصَرَاتِ^(١)
إِذَا وَرَوَا^(٢) مَدْوَابًا لِأَهْلِ وِتْرِيمْ أَكْفًا عَنِ الْأَوْتَارِ مُنْقَبَضَاتِ
فَبَكَى حَتَّى أَغْنَى عَلَيْهِ، وَأَوْمَأَ إِلَى خَادِمٍ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ: أَنْ اسْكُتْ، فَسَكَتْ
سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ لِي: أَعْدْ، فَأَعْدَتْ حَتَّى اتَّهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ لِي: أَحْسَنْتَ،
ثُلَاثَ صَرَاتٍ، ثُمَّ أَمْرَلَ بِعَشْرَةِ آلَافِ درَمٍ مَا ضُرِبَ بِاسْمِهِ، وَلَمْ تَكُنْ وَقْتُ
لِأَحَدٍ بَعْدَ، وَأَمْرَلَ مَنْ فِي مَزْلِهِ بِحَلْيٍ كَثِيرٍ أَخْرَجَهُ الْخَادِمُ إِلَى.
فَقَدِيرَتُ الْعَرَاقَ، فَبَعْتُ كُلَّ درَمٍ مِنْهَا بِعَشْرَةِ درَامٍ، اشْتَرَاهَا مِنْ الشَّيْمَةَ،
فَحَصَلَ لِي مائَةُ أَلْفِ درَمٍ، فَكَانَ أَوْلَ مَالٍ اعْتَقَدْتُهُ^(٣).

قَالَ حُذِيفَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ: ثُمَّ اسْتَوْهَبْ دِغْبَلَ مِنَ الرَّضَانِ ثُوبًا قَدْ لَبَسَهُ لِيَجْعَلَهُ فِي
أَكْفَانِهِ، فَلَمَّا جَاءَهُ كَانَتْ عَلَيْهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَبَلَغَ أَهْلَ قُمَّ خَبْرَهَا، فَسَأَلُوهُ
أَنْ يَبْيَعُهُمْ إِيَّاهَا بِثَلَاثَيْنِ أَلْفِ درَمٍ مِمَّا يَفْعَلُ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ، فَأَخْذَوْهُ
مِنْهُ غَصْبًا، وَقَالُوا لَهُ إِنْ شَنَّتَ أَنْ تَأْخُذَ الْمَالَ فَاقْفَلُ، وَإِلَّا فَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَقَالَ لَمْ:
إِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعْطِيْكُمْ إِيَّاهَا طَوْعًا، وَلَا تَنْهَمُوكُمْ غَصْبًا، وَأَشْكُوكُمْ إِلَى الرَّضَا؛ فَاصْلَحُوهُ
عَلَى أَنْ أَعْطَوْهُ ثَلَاثَيْنِ أَلْفِ درَمٍ، وَفَرَدَ كُمَّ مِنْ بِطَاطَاهَا، فَرَضَى بِذَلِكَ ا

(١) الْقَصَرَاتُ: جُمْ قُصْرَةُ (بالتحريك) رُهْيِ أَصْلُ الْعَنْقِ، وَحُفَلُ: مُهَنَّثَةُ، وَالْمَعْنَى أَنْ أَعْنَاثُهُمْ
مُهْلُوَةٌ غَلَظَةٌ مِنْ طَوْلِ الْعَيْمِ (٢) الْوَتَرُ: الْأَثَارُ، أَوْ الظَّلَمُ فِيهِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ إِذَا اعْتَدُوا
عَلَيْهِمْ لَا يَسْتَطِيْمُونَ رَدَ الْاعْتَدَاءِ (٣) اعْتَقَدْتُهُ: أَفْتَنَتُهُ.

١٣٥ - سَجَدُوا لِشِعْرِهِ !*

حدَّث دِغْبِل الشاعر : أنه اجتمع هو وَمُسْلِم وأبو الشِّيْصِ^(١) وأبو نواس في مجلس ، فقال لهم أبو نواس : إن مجلسنا هذا قد شهد باجتماعنا فيه ، ولهذا اليوم مابعده ، فليأتِ كلُّ واحدٍ منكم بأحسنِ ما قال فلينُشِدْه ، فأنشد أبو الشِّيْصِ :

وَقَفَ الْمُوْيَ بِي حِيثُ أَنْتِ فَلِيْسَ لِي مَتَّخِرٌ عَنْهُ وَلَا مَتَّقِدٌ
أَجَدَ الْمَلَامَةَ فِي هَوَالِكِ لِذِيْدَةَ جَئَ لَذَكْرِكَ فَلِيَكُنْتِي الْلَّوْمَ
وَاهْتَنَتِي فَاهْتَنَتِي نَفْسِي صَاغِرًا مَا مَنَ يَهُونُ عَلَيْكَ مِنْ يُسْكَرَمُ
أَشَبَّهَتِي أَعْدَائِي فَصَرَّتِي أَحْبَبِهِمْ إِذَا كَانَ حَظِّيْ مِنْكَ حَظِّيْ مِنْهُمْ
فَجَعَلَ أَبُو نواس يعجب من حسن الشعر حتى ما كاد ينفضي عبيه ، ثم أنشد
مسلم أبياتاً من شعره الذي يقول فيه :

فَأَقْسَمْتُ أَنْسَى الدَّاعِيَاتِ إِلَى الصَّبَا وَقَدْ فَاجَأْتَهَا الْعَيْنُ وَالسَّتِيرُ وَاقِعٌ
فَنَفَطَتْ بِأَيْدِيهِا نَمَارَ نَحُورُهَا كَأَيْدِيِ الْأَسَارِيِ أَنْقَلَتْهَا الْجَوَامِعُ^(٢)
قال دِغْبِل : فقال لي أبو نواس : هات أبا على ، وكأنى بك قد جئتنا بأم
القلادة فأنشدته :

أَبْنَ الشَّيَابُ ؟ وَأَبْنَةُ^(٣) سَكَا ؟ أَمْ أَبْنَ يَطَابُ ؟ ضَلَّ بَلْ هَلْ كَا

* المقد الفريد : ٤ - ٢ ، مهذب الأغانى : ٧ - ٢٢٤ ، ديوان مسلم : ٢٠٩ (طبعة أوربا).

(١) هو محمد بن رزين عم دغبل ، كان من شعراء عصره ، متوفى المحل فيهم غير نبيه الذكر
لوقوعه بين شعراء كانوا أكثر منه شهرة . توفي سنة ١٩٦ هـ (٢) جم جامدة : وهي التل؛
لأنها تجمب البدين إلى العنق (٣) أبنة سبل .

لَا تَمْجِبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ صَحِّكَ الشَّيْبَ بِرَأْسِهِ فِي
يَا لِيْتْ شُعْرِي كَيْفَ صَبَرْ كَا يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سُكَا !
لَا نَطْلَبَا بُظُّلَامَتِي (١) أَحَدًا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَكَا
نَمْ سَأَلْنَا أَبَا نَوَاسَ أَنْ يُنْشِدَ ، فَأَنْشَدَ :

لَا تَبْتَكْ هَنْدَا وَلَا تَطْرُبْ إِلَى دَعْدَ
كَائِنَا إِذَا انْحَدَرْتُ فِي كَفَ شَارِبَهَا
أَخْدَتْ بِحُمْرَتِهَا فِي الْمَبْنِي وَالْمَدْ
فِي كَفِ جَارِيَةِ مَشْوَقَةِ الْقَدْ
خَرَا ، فَالَّكَ منْ سُكَرَّنِي مِنْ بُدْ
لِي نَشْوَتَانَ وَلَلْنَّادِيَانَ وَاحِدَةَ
فَقَامُوا كَلْهُمْ ، فَسَجَدُوا ! فَقَالَ : أَفْلَتْسُوهَا أَعْجَمِيَةً ؟ لَا كَلْتُكُمْ ثَلَاثَانَ .

(١) الظلامة : ما احتمله من الظلم ، والمراد هنا موته عشقًا من أثر النظر بينه والحب بقلبه

(٢) الورد : الماء الذي يورد .

١٣٦ — إنما الدنيا أبو دلف ! *

قال المؤمن يوماً لبعض جلساه : أقسم على من حضرَ مِنْ يحفظُ قصيدة على ابن جبلة ^(١) الأغنى في القاسم ^(٢) بن عيسى إلا أنشدها ؟ فقال بعضُ الجلسا : قد أقسم أميرُ المؤمنين ، ولا بدَّ من إبرار قسمه ، وما أحفظها ، ولكنها مكتوبة عندى . قال : قم فجئني بها . فمضى وأتاه بها ، وأنشدَ :

ذادَ وزدَ الْغَيْ عن صَدَرَةِ	وازْعَوَى اللَّهُوْ مِنْ وَطَرِهِ
وأبَتْ إِلَى الْبَكَاءِ لِهِ	ضَحَّكَاتُ الشَّيْبِ فِي شَعْرِهِ
نَدَى أَنَّ الشَّبَابَ مَضَى	لَمْ أَبْلَغْهُ مَدَى أَشْرَهِ ^(٣)
حَسَرَتْ ^(٤) عَنِّي بِشَاشَتِهِ	وَذَوَى الْحَمُودُ مِنْ نَمَرِهِ
وَدِمْ أَهْدَرَتْ مِنْ رَشَاءِ ^(٥)	لَمْ يُرِدْ عَقْلًا ^(٦) عَلَى هَدَرِهِ

دعَ جَدَّاً قَعْطَانَ أَوْ مُضِيرَ
فِي يَمَانِيَهِ ، وَفِي مُضِيرِهِ
وَامْتَدَحَ مِنْ وَائِلِ رَجَالَ
عُصْرُ الْآفَاقِ مِنْ عُصْرِهِ

* الأغاني : ٨ - ٢٥٩ (طبعة دار الكتب) .

(١) علىَ بن جبلة ، ويلقب بالسكونك : شاعر مطبوع عنده اللفظ ، لطيف المان ، مداعج حسن التصرف ، استند شعره في مدح أبي دلف العجل وأبي عام الطوسى ، وزاد في تفضيل أبي دلف ؟ حتى فضل على أهل مصر كلهم ^{٢١٣} أسطع المؤمن وكان سبباً في تعذيبه . توفي سنة

(٢) كنيته أبو دلف ، وكان عمله في الشجاعة وعلو المخل عند الخدامه وعظم الفناء في الشamed وحسن الأدب وجودة الشعر علام يكن لأحد من نظرائه (٣) أشر (كفرح) : مرح

(٤) حسرت : انكفت (٥) الرشأ : (في الأصل) ولد الظبي (٦) العقل : الديبة .

الْنَّسَائِفَ مَقَانِيهِ^(١) والمعطيات في ذرَّا حُجَّرَهِ
 مَلَكٌ تَنَدَّى أَنَامِلَهِ كابلاجِ التَّوْءَهِ عن مَطَرِهِ
 مَسْتَهْلٌ عن مَواهِبِهِ جَبَلٌ عَزَّتْ مَنَاكِبِهِ
 أَمِنَتْ عَدَنَاتُ فِي نَفَرِهِ إِنَّمَا الدِّينَا أَبُو دُلْفِ^(٢)
 بَيْنَ مَبَاهَهُ وَمَحْضَرِهِ فَإِذَا وَلَى أَبُو دُلْفِ
 كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبِ بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضَرِهِ
 مَسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرُمَةً يَكْتُسِيهَا يَوْمَ مُفْتَخَرَهِ

فضسب المأمون واغناط ، وقال : لستُ لأبُي إنْ لمْ أقطعْ لسانه أو أسفك دمه .

ثم قال : اطلبوه حيث كان ؟ فطلب فلم يقدر عليه . ولما اتصلَ به الخبر هربَ إلى الجزيرة ، فكتبَ إلى الآفاق في طلبه ، فهرب من الجزيرة إلى الشام ، وظفروا به هناك ، وأخذَ وحملَ إلى المأمون .

ولما وصلَ إليه سبَهُ ، وقال له : أنت القائل للقاسم بن عيسى :

كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبِ بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضَرِهِ
 مَسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرُمَةً يَكْتُسِيهَا يَوْمَ مُفْتَخَرَهِ

جعلتنا من يستعير السَّكَارَمَ منه ! فقال له : يا أميرَ المؤمنين ؟ أنتَ أهلَ بيت

(١) المثقب : جمع مثقب ؛ وهو جماعة الحيل تغير (٢) قيل : إنه يتنا أبو دلف يسير مع معقل مرا بقصر ، فأشرف منه جاريتان ، فقالت إحداهما لآخرها : هذا أبو دلف الذي يقول فيه الشاعر : « إنما الدنيا أبو دلف » ، فقالت الأخرى : أو هذا ؟ قد وافته كنت أحب أن أراهمنذ سمعت ما قيل فيه ، فالتفت أبو دلف إلى معقل ، فقال : ما أنسفنا على بن جبله ولا وفياته حقه ، وإن ذلك لمن كيده هي ، وكان قد أعطاه ألف درهم .

لا يُقاس بكم أحدٌ؛ لأن الله جلَّ وعزَّ فضلُكم على خلقه، واختاركم لنفسه، وإنما عنيت بقولي في القاسم أشكالَ القاسمِ وأقوانَه ، فقال : والله ما استثنيت أحداً ، ولست استحلَّ دمك لذاك ، ولكنني أستحلَّ بقولك وكفرك في شرك ، حيث تقول القول الذي أشركت فيه :

أنتَ الَّذِي تُنْزِلُ الْأَيَّامَ مَنِزَّهَا وَتَنْقُلُ الدَّهْرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
وَمَا مَدَّتْ مَدَى طَرْفٍ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا قَضَيْتَ بِأَرْزاقِهِ وَآجَالِ
كَذَبَتْ . . . مَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، الْمَلِكُ الْوَاحِدُ الْمَهَارُ ،
ثُمَّ أَمْرٌ بِعِقَابٍ !

١٣٧ - مِدْحَةُ شاعرٍ وَعَطِيَّةُ أَمِيرٍ*

قال علي بن جبلة : زرت أبا دلف بالجبل^(١) ، فكان يُظْهِرُ من إكرامي وبرئي والتحفي^(٢) بـأمراً مفرطاً ، حتى تأخرت عنه حيناً حياءً ؛ فبعث إلى معقل ابن عيسى ، فقال : يقول لك الأمير : قد اقطعت عنقك ، وأحسبك استقللت بـبرئي بك ، فلا يغضبني ذلك فسأزيد فيه حتى ترضى . قلت : والله ماقطعني إلا إفراطه في البر ، وكتبت إليه :

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمه
وهل يُنْجِي نيل الزيادة بالكفر^١
ولكنني لما أتيتك زائراً
فأفرطت في برئي عجزت عن الشكر
فِمْلَان^(٣) لا آتيك إلا مسلماً
أزورك في الشهرين يوماً أو الشهرين
فإن زدتني بـرأياً تزايدت جفوة
ولم تلقني طول الحياة إلى الخضر^٢
فـلما قرأها مـعـلـمـاـتـهـاـ استـحـسـنـهـاـ ، وـقـالـ : أـحـسـنـ اللهـ ! أـمـاـ إـنـ الـأـمـيرـ لـتـعـجـبـهـ
هـذـهـ الـعـانـيـ .

فـلـمـاـ أـوـصـلـهـ إـلـىـ أـبـيـ دـلـفـ قـالـ : قـاتـلـهـ اللهـ ! مـاـ أـشـعـرـهـ وـأـدقـ مـعـانـيـهـ ! وـأـعـجـبـهـ
وـأـجـابـهـ لـوقـتهـ - وـكـانـ حـسـنـ الـبـدـيـهـ حـاضـرـ الـجـوـابـ :
أـلـأـرـبـ ضـيـفـ طـارـقـ قـدـ بـسـطـتـهـ وـأـنـسـتـهـ قـبـلـ الصـيـّـافـةـ بـالـبـشـرـ

* الأغانى : ٧ - ٢٥٦ (طبعة دار الكتب)

(١) بلاد الجبل : مدن بين أذربيجان والمرافق

(٢) تعنى به : بالغ في إكرامه

(٣) يريد فن الآلة .

* ١٣٨ - بين أبي تمام وعبد الله بن طاهر *

لما شَخَّصَ أَبُو تَمَّامَ^(١) إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ^(٢) وَهُوَ يُخْرِاسَانُ، أَقْبَلَ الشَّتَاءُ
وَهُوَ هُنَاكَ: فَاسْتَقْلَ الْبَلَدُ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ وَجَدُ^(٣) عَلَيْهِ، وَأَبْطَأَ بِحَمَّاثَتِهِ؛ لَأَنَّهُ
نُورٌ عَلَيْهِ أَلْفُ دِينَارٍ، فَلَمْ يَمْسِسْهَا بِيَدِهِ تَرْفُّعًا عَنْهَا، قَالَ: يَحْتَرِقُ فَعِلٌ، وَيَرْفَعُ عَلَيْهِ!
فَكَانَ يَبْعَثُ إِلَيْهِ بِالشَّيْءِ بَعْدِ الشَّيْءِ كَالْقُوتِ. قَالَ أَبُو تَمَّامَ:
لَمْ يَبْقَ لِلصَّيفِ رَمْمٌ وَلَا طَلَّلٌ وَلَا قَشِيبٌ فِي سَكَنِي وَلَا سَمِيلٌ^(٤)
عَدْلٌ مِنَ الدَّمْعِ أَنْ يَبْسِكِي الصَّيفَ كَمَا يُبَسِّكِي الشَّبَابُ وَيُبَسِّكِي اللَّهُوُ وَالنَّزَلُ
يَمْنَى الزَّمَانِ اتْقَضَى مَعْرُوفُهَا وَغَدَّتْ يُسْرَاهُ وَهَنِئْ لَنَا مِنْ بَعْدِهَا بَدْلُ
فَبَلَغَتِ الْأُبَيَّاتِ أَبَا الْعَمِيلِ شَاعِرَ آلِ طَاهِرٍ، فَتَقَى أَبَا تَمَّامَ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ لِعَبْدِ اللَّهِ
بْنِ طَاهِرٍ.

ثُمَّ دَخَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَيْهَا الْأَمِيرُ؛ أَتَهَاوُنَ بِنَيْلِ أَبِي تَمَّامَ، وَتَجْنُوهُ! فَوَاللَّهِ
لَوْمَ يَكْنِي لَهُ مَأْلَهٌ مِنَ النِّبَاةِ فِي قَدْرِهِ، وَالْإِحْسَانُ فِي شِعْرِهِ، وَالشَّائِعُ مِنْ ذَكْرِهِ،
لَكَانَ الْحَوْفُ مِنْ شِرِهِ، وَالتَّوْقُّعُ لِذَمَّهِ يُوجَبُ عَلَى مُثْلِكَ رِعَايَتِهِ وَصَرْاقِبَتِهِ،

* الأغانى : ١٥ - ١٠٤ (طبعة السادس)

(١) هو حبيب بن أوس ، ولد بالشام ثم انحدر إلى مصر ، فروى الأدب وأتقن الشعر ، ثم سار إلى بغداد فمدح الخليفة وغيره ، وارتفع ذكره وتقديره على شعراء عصره ومات سنة ٢٣١ هـ

(٢) عبد الله بن طاهر : ولد سنة ٢٨١ هـ في خلافة الرشيد ونشأ نشأة حبيبة ، ثم نشأ في كنف المؤمن حيث كان أبوه من أكبر قواده . ثم حل عند المؤمن بعد وفاة أبيه عمله ، وكان كثير الاعتماد عليه حسن الالتفات إليه . وكان عبد الله أيضاً ظريفاً شاعراً مترساً جيد القناء . توفى سنة ٢٣٨ هـ (٣) وجد عليه : غصب (٤) السمل : التوب الحق .

فـكـيـفـ وـلـهـ بـنـزـوـعـهـ إـلـيـكـ مـنـ نـوـطـنـ ،ـ وـفـرـاقـهـ السـكـنـ شـفـيعـ !ـ وـقـدـ قـصـدـكـ عـاـقـداـ
بـكـ أـمـلـهـ ،ـ مـعـمـلاـ إـلـيـكـ رـكـابـهـ ،ـ مـتـبـعاـ فـيـكـ فـكـرـهـ وـجـسـمـهـ ،ـ وـفـيـ ذـلـكـ مـاـيـلـزـمـكـ
قـضـاءـ حـقـهـ حـتـىـ يـنـتـصـرـفـ رـاضـيـاـ ،ـ وـلـوـ لـمـ يـأـتـ بـفـائـدـةـ وـلـاـ سـمـعـ فـيـكـ مـاـسـعـيمـ
إـلـاـ قـولـهـ .ـ

يـقـولـ فـيـ قـوـسـ^(١) صـحـبـيـ وـقـدـ أـخـذـتـ مـنـاـ السـرـىـ وـخـطـاـ الـمـهـرـيـةـ^(٢) الـقـوـدـ^(٣)
أـمـطـاعـ الـشـمـسـ تـبـغـ أـنـ تـؤـمـ بـنـاـ ؟ـ فـقـلـتـ كـلـاـ !ـ وـلـكـنـ مـطـلـعـ الـجـوـدـ
لـكـفـيـ !ـ فـقـالـ لـهـ عـبـدـ اللـهـ لـقـدـ نـبـهـتـ فـأـحـسـنـتـ ،ـ وـعـاـتـبـتـ فـأـوـجـعـتـ ،ـ وـلـكـ
وـلـأـبـيـ تـعـامـ الـعـتـبـيـ^(٤) .ـ اـدـعـهـ يـاغـلـامـ مـدـعـاهـ .ـ فـنـادـمـهـ بـوـتـهـ ،ـ وـأـمـرـ لـهـ بـأـلـفـ دـيـنـارـ وـمـاـيـحـسـمـلـهـ
مـنـ الـظـهـرـ ،ـ وـخـامـ عـلـيـهـ خـلـمـةـ تـامـةـ مـنـ ثـيـابـهـ ،ـ وـأـمـرـ بـبـذـرـ قـتـهـ^(٥) إـلـىـ آـخـرـ عـلـمـهـ .ـ

(١) قـوـسـ :ـ إـقـلـيمـ فـيـ طـبـرـسـتـانـ (٢) الـإـلـلـ الـمـهـرـيـةـ :ـ تـنـسـبـ إـلـىـ مـهـرـةـ :ـ حـىـ فـيـ الـرـبـ .ـ

(٣) الـقـوـدـ :ـ جـمـ أـقـوـدـ وـهـ الـطـوـيلـ الـعـنـقـ (٤) أـعـتـبـهـ :ـ سـرـهـ بـعـدـ مـاـسـاـهـ ،ـ وـالـأـسـمـ الـعـتـبـيـ .ـ

(٥) الـبـنـرـقـةـ :ـ الـخـارـةـ .ـ

١٣٩ — لا يعجبنيك من يصوّن ثيابه خوفَ الغبار وعرْضه مبذول *

ارتاح محمد^(١) من عبد الله بن طاهر يوماً للمنادمة ، وقد حضره ابن طالوت ، وكان وزيره وأخص الناس به وأحضرهم لخلواته ، فأقبل عليه ، وقال : لابد لنا اليوم من ثالث تطيب^{*} لنا به المعاشرة ، وتلذ بمنادمته المؤانسة ؟ فمنْ ترى أن يكون ؟ وأعفنا أن يكون شريراً الأخلاق ، أو دنيس الأعراق ، أو ظاهر الإمامان .

قال ابن طالوت : فأعملت الفِكْر ، وقلت : أبها الأمير ؟ خطر بيالي رجل ليس علينا من مجالسته مثونه ، وقد بري من إبرام^(٢) المجالسين ، وخلام من نقل المؤانسين ، خفيف^{*} الوطأة إذا أذنته ، سريع الوئبة إذا أمرته .

قال : ومن ذلك ؟ قلت : ماني^(٣) المؤوسس . قال : أحسنت والله ! فاكأن بأسرع من أن اقتنصه صاحب الشرطة ؟ فصار به إلى الأمير ، فأخذ ونظفه وأدخل الحمام ، وأليس ثياباً نظافاً ، وأدخلن عليه ، فقال : السلام عليك أبها الأمير ، قال محمد : وعليك السلام يا ماني . أما آن لك أن تزورنا على حين توقان^{*} منا إليك ، ومنازعة قلوب منا نحوك ؟ فقال : الشوق شديد ، والحب عتيد ، والمزار بعيد ، والمحاجب صعب ، والباب فظّ ؟ ولو سهل لنا في الإذن لسهّلت^{*} علينا الزيارة !

* الأغاني : ٢٠ - ٨٥ (طبعة الساسي) المسعودي : ٢ - ٤٤٥

(٢) توفي سنة ٢٥٣ هـ وذلك في خلافة المعتز . وكان من المبود والكرم وغزارة الأدب مالم يكن عليه أحد من نظرائه (٢) أيرمه : أمله (٣) ماني المؤوسس : اسمه محمد بن القاسم ، شاعر لبن الشعر رقيقه ، لم يقل شيئاً إلا في النزل ، ومانى لقب غلب عليه .

قال : ألمَّتَ فِي الْسَّنْدَانِ ، فَلِي لِطْفُكَ فِي الْإِذْنِ ؟ لَا يَمْنَعُ مَانِي أَىْ وَقْتٍ
وَرَدَ مِنْ لَيلِ أُونَهَارِ .

نَمَّ أَذْنِ لَهُ فِي الْجَلوْسِ بِفَلَسِ ، وَدَعَا بِالْطَّعَامِ فَأَكَلَ ، ثُمَّ غَسَلَ يَدِيهِ ، وَأَخْذَ
مَجْلِسَهُ . وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ تَشَوَّقَ إِلَى السَّمَاعِ مِنْ مَوْنَسَةِ جَارِيَةِ بَنْتِ الْمَهْدِيِّ فَأَحْضَرَتْ ،
فَكَانَ أُولَئِكَ مَا غَنَتْ بِهِ :

وَلَسْتُ بِنَاسٍ - إِذْ غَدُوا فَتَحَمَّلُوا - دَمْوَعِي عَلَى الْخَدَيْنِ مِنْ شَدَّةِ الْوَجْدِ
وَقُولِي وَقَدْ زَالَتْ بِلِيلِ حَوْلِمْ بُوَاكِرِ نُحْدِي : لَا يَكُنْ آخِرُ الْعَهْدِ
فَقَالَ مَانِي : أَحْسَنْتِ ! وَبِحَقِّ الْأَمِيرِ إِلَّا مَا زَادَتِ فِيهِ :
وَقَتَ أَنْاجِي الْفَكْرَ وَالدَّمْعَ حَاطِرْ بَعْلَةً مُوقَفَ عَلَى الصُّرُّ وَالْجَهْدِ^(١)
وَلَمْ يُمْدِنِي هَذَا الْأَمِيرُ بَعْدَهِ عَلَى ظَالِمٍ قَدْ لَجَ فِي الْمَجْرِ وَالصَّدَّ
فَانْدَفَعَتْ تَفْنِيهِ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : أَعَاشَقُ أَنْتَ ؟ فَاسْتَحْيَا ، وَغَزَّهُ ابْنُ طَالُوتَ
أَلَّا يَبُوحَ لِبَشِّيِّ ، فَيَسْقُطَ مِنْ عَيْنِهِ ، وَقَالَ : مَبْلُغُ طَرْبِ وَشَوْقِ كَانَ كَامِنًا فَظَاهَرَ ؛
وَهُلْ بَعْدَ الشَّيْبِ صَبَوْةً !

ثُمَّ اقْتَرَحَ مُحَمَّدٌ عَلَى مَوْنَسَةِ هَذَا الصَّوْتِ :

حَجَّبُوهَا عَنِ الرِّيَاحِ لِأَنِّي قَلْتَ : يَارَبِّ بِلِفَيْهَا السَّلَامَا
لَوْ رَأَصُوا بِالْحِجَابِ هَانَ وَلَكِنْ مَنْعِهَا عَنِ الرِّيَاحِ السَّلَامَا
فَفَتَنَتْهُ ؛ فَطَرَبَ مُحَمَّدٌ ، وَدَعَا بِرَطْلِ فَشَرْبٍ ، فَقَالَ مَانِي : مَا عَلَى قَائِلِ هَذَا الشِّعْرِ
لَوْ زَادَ فِيهِ :

(١) الصُّرُ : سُوءُ الْحَالِ ، وَالْجَهْدُ : الشَّقْةُ .

فتنفسْتُ ، ثم قلتُ لطيفِي : آه إن زُرْتَ طيفَها إلَيْ السَّاما
خُصَّه بالسلام مني فأشخى ينعواها لِشُقُوتِي أن تساما
لَكَان أثقبَ^(١) لَزَنِد الصِّبَابَةَ بَيْنَ الْأَحْشَاءِ ، وأشد تغللاً إلَى الْكَبْدَ^(٢)
الصادِيَةَ مِنْ زَلَالِ المَاءِ ، مع حُسْنِ تَأْلِيفِ نَظْمَهِ ، وَالاتِّهَامُ بِالْمَعْنَى إلَى نِهايَةِ تَعَاهِدِهِ ؛
فَقَالَ مُحَمَّدٌ : أَحْسَنْتَ ! نَمْ أَمْرَ مَوْنَسَةَ يَا لَحَافِهِمَا بِائْتَيْنِ الْأُولَيْنِ ، وَالْفَنَاءِ بِهِمَا ،
فَعَلْتَ . ثُمْ غَنَتْ بِهِذِينِ الْبَيْتَيْنِ :

يَا خَلِيلِيْ سَاعَةً لَا تَرِيْعَا^(٣) وَعَلَى ذِي صِبَابَةِ فَأَفْيَيَا
مَا مَرَرَنَا بِدارِ زَيْنَبِ إِلَّا هَتَّكَ الدَّمْعُ سَرَّنَا الْمَكْتُومَا

فَاسْتَحْسَنَهُ مُحَمَّدٌ ، فَقَالَ مَانِيٌّ : لَوْلَا رَهْبَةُ التَّعْدَى لَأَضْفَتَ إِلَى هَذِينِ الْبَيْتَيْنِ
يَيْتَيْنِ لَا يَرِدَانِ عَلَى سَمْعِ ذِي سَمْعٍ لَبِ فِي صِدْرَانِ إِلَّا عَنْ اسْتِحْسَانِ لَمَّا ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ :
يَا مَانِيٌّ ؛ الرَّغْبَةُ فِي حُسْنِ مَا تَأْتَى بِهِ حَالَةً دُونَ كُلِّ رَهْبَةٍ ، فَهَاتَ مَا عَنْدَكَ !
فَقَالَ :

ظَبِيَّةُ كَالْمَلَالِ لَوْ تَلْحَظُ الصَّدْخَ رَبَطَنْفِ لَنَادِرَةُ هَشِيَا
وَإِذَا مَا تَبَسَّمَتْ خَلِتَ إِيمَا ضَبُوقُ أَوْ لَوْلَوْأَ مَنْظُومَا
فَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا مَانِيٌّ ! فَأَجِزَ^(٤) هَذَا الشِّعْرَ :

لَمْ تَطْلُبِ الْلَّذَاتِ إِلَّا بِمَنْ طَابَتْ بِهَا الْلَّذَاتِ مَانُوسَهِ
غَنَتْ بِصَوْتِ أَطْلَقَتْ عَيْنَهَا كَانَتْ بِسُجْنِ الصَّبَرِ مَحْبُوسَهِ
فَقَالَ مَانِيٌّ :

وَكَيْفَ صَبَرَ النَّفْسُ عَنْ غَادَةٍ أَظْلَمَهَا إِنْ قَلْتُ^{*} : طَاوِسَهِ !

(١) تَقْبَتِ النَّارُ : اتَّقْدَتْ . وَالزَّنْدُ : الْمَوْدُ الَّتِي يَقْدُحُ بِهِ الْأَرْدُ وَهُوَ الْأَعْلَى . (٢) الْكَبْدُ : مَؤْتَمَةٌ
وَقَدْ تَذَكَّرَ . (٣) لَا تَرِيْعَا : لَا تَرِحَا . (٤) الإِجازَةُ فِي الشِّعْرِ : أَنْ تَمْ شِعْرُ غَيْرِكَ .

وَجُرْتِ إِنْ شَبَهْتُهَا بَانَةً^(١) فِي جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ مَفْرُوسَهُ
وَغَيْرُ عَدْلِ هَذِهِ عَدَلَنَا بِهَا جَوْهَرَةً فِي الْبَعْرِ مَعْمُوسَةً
ثُمَّ سَكَتَ ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ : مَا عَدَا فِي وَصْفِهِ لَهَا ، فَقَالَ مَانِي :

جَلَّتْ عَنِ الْوَصْفِ فَمَا فَكْرَةٌ تُلْحِقُهَا بِالنَّعْتِ مَحْسُوسَهُ
فَقَالَ مُحَمَّدٌ : أَحْسَنْتَ ! قَالَتْ مَؤْسَةً : وَجْبٌ شَكْرُكَ يَا مَانِي . نَسَاعِدَكَ
الدَّهْرَ ، وَعَطْفٌ عَلَيْكَ إِلْفَكَ ، وَقَارِنَكَ سَرْوَرُكَ ، وَفَارِقَكَ حَمْذُورُكَ ، وَاللَّهُ يُدِيمُ
لَنَا ذَلِكَ بِقَاءَ مَنْ بِهِ اجْتَمَعَ شَمْلُنَا ، فَقَالَ لَهَا مَانِي – عَنْدَ قَوْلِهِ : « وَعَطْفٌ عَلَيْكَ
إِلْفَكَ » – بِحِبِّيَا :

لِيسَ لِي إِلَفٌ فَيُعْطِفُنِي فَارَقَتْ نَفْسِي الْأَبْاطِيلُ
أَنَا مَوْصُولٌ بِنَعْمَةِ مِنْ حَبْلِهِ بِالْجَهْدِ مَوْصُولٌ
أَنَا مَغْبُوطٌ بِنَعْمَةِ مِنْ طَبْعِهِ بِالْجَهْدِ مَأْمُولٌ
فَأَوْمَأُ إِلَيْهِ ابْنَ طَالُوتَ بِالْقِيَامِ قَهْضٌ ، وَهُوَ يَقُولُ :

مَلَكٌ قَلَّ النَّظِيرُ لَهُ زَاهِيَ الْفَرْزُ الْبَهَالِيلُ
طَاهِرٌ فِي مَوَابِهِ عُرْفُهُ فِي النَّاسِ مَبْذُولٌ

فَقَالَ مُحَمَّدٌ : وَجْبٌ جَزاُوكَ لِشَكْرُكَ عَلَى غَيْرِ نِعْمَةٍ سَبَقْتَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ
طَالُوتَ ، فَقَالَ : لَيْسَتْ خَسَاسَةُ الْمَرْءِ ، وَلَا اتَّضَاعَ دَهْرَهُ ، وَلَا نُبُوَّتُ الْعَيْنَ عَنِ الظَّاهِرِ
بَدْهَبٌ مَا رَكَبَ فِيهِ مِنَ الْأَدْبِ ، وَمَا أَخْطَأَ صَالِحَ بْنَ عَبْدِ الْقَدوْسِ حِينَ يَقُولُ .

لَا يَعْجِبُنِي مَنْ يَصُونُ ثِيَابَهُ خَوْفَ الْغَبَارِ وَعَرْضُهُ مَبْذُولٌ
فَلَرِبَّهَا افْقَرَ الْفَتَى فِرَأَيْتَهُ دَنِسَ الثِّيَابِ وَعَرْضُهُ مَقْسُمٌ

فَلَمْ يَزِلْ مُحَمَّدٌ مُجْرِيَاً عَلَيْهِ رِزْقَهُ حَتَّى تَوَفَّ !

(١) الْبَانُ : ضَرَبَ مِنَ الشَّجَرِ .

* ١٤٠ - سِيَّمَايَةُ *

سُعِيَ بْأْبِي الْحَسْنِ^(١) عَلَى بْنِ مُحَمَّدِ الْعَلَوِيِّ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّ فِي مَرْزَلَةِ سَلَاحًا وَكِتَابًا وَغَيْرَهَا مِنْ شَيْعَتِهِ، فَوَجَهَ إِلَيْهِ لَيْلًا مَنْ هُجِمَ عَلَيْهِ فِي مَرْزَلَةِ عَلَى غَفَلَةِ مَنْ فِي دَارِهِ، فَوُجِدَ فِي بَيْتِ وَحْدَهُ، مَلْقِيَّ عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِ مِذْرَاعَةٌ^(٢) مِنْ شِعْرٍ، وَلَا بَسَاطٌ فِي الْبَيْتِ إِلَّا الرَّمْلُ وَالْحَصْىُ، وَعَلَى رَأْسِهِ مِنْجَفَةٌ^(٣) مِنْ الصَّوْفِ، مَتَوَجِّهًا إِلَى رَبِّهِ يَتَرَّمَّلُ بِآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ.

فَأَخْذَ عَلَى مَا وَجَدَ عَلَيْهِ، وَحُلِّى إِلَى الْمُتَوَكِّلِ فِي جَوْفِ الْلَّيلِ؛ فَمَنَّى بَيْنَ يَدِيهِ وَالْمُتَوَكِّلُ يَشْرُبُ، وَفِي يَدِهِ كَاسٌ^(٤)؛ فَلَمَّا رَأَهُ أَعْظَمَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي مَرْزَلَهُ شَيْءٌ مَا قِيلَ فِيهِ، وَلَا حَالَهُ يُتَعَلَّلُ عَلَيْهِ بِهَا؛ فَنَاوَلَهُ الْمُتَوَكِّلُ الْكَاسُ الَّتِي فِي يَدِهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! مَا خَاصَّ لَهُنِّي وَدِيَ قَطُّ! فَأَغْفَنَهُ مِنْهُ، فَأَعْفَاهُ، وَقَالَ: أَشَدَّنِي شَمْرًا أَسْتَخْسِنُهُ، فَقَالَ: إِنِّي لِقَلِيلِ الرَّوَايَةِ لِلأشْعَارِ؛ فَقَالَ: لَا بَدَأْتُ فَأَنْشَدْتُهُ :

بَاتُوا عَلَى قُلُّ الْأَجِيالِ تَحْرِسُهُمْ عُلْبُ^(٥) الرِّجَالُ فَأَغْنَتْهُمُ التَّلَلُ
وَاسْتُرِزُوا بِمَدْعَزٍ مِنْ مَعَاقِلِهِمْ فَأَوْدَعُوا حُكْرَاءِ، يَا بَنْسَ مَانِزُلَوَا!

* ابن خلكان : ١ - ٣٢٢

(١) هو أحد الأئمة الائني عشر عند الإمامية، كان مولده بالمدينة، وأقام بها، ولما كثرت السفالة به عند التوكل قله لمن سر من رأى فأقام بها ٢٠ سنة . وتوفي سنة ٢٥٤ هـ

(٢) المزراعة : نزع من الثياب (٣) الملحفة : اللباس فوق سائر اللباس يتقى به البرد كالمحاف

(٤) الثلب : جم أغلب وهو الشجاع ، وأصل الأغلب : الأسد .

نادا همْ صارخٌ من بعد ما قُبِرُوا : أين الأسرةُ واليunganُ والحللُ !
أين الوجوهُ التي كانت منعمةً
من دونها تُضَرِّبُ الأستار والكيللُ !
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم :
ذلك الوجهُ عليهما الدودُ يقتلُ
فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
قد طالما أكلوا دهرًا وما شَبَّعوا
فقارفوا الدور والأهليين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموالَ وادْخروا
فخلقوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلم قفراً معطلةً وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا
فأشفقَ منْ حضر على على ، وظنوا أن بادرةَ تبدر منه إليه ، ولكن التوكل
بكى بكاءً طويلاً ، حتى بلت دموعه لحيته وبكي منْ حضره ، ثم أمر برفع الشراب ،
وقال : يا أبا الحسن ؟ أعليك دين ؟ قال : نعم أربعة آلاف دينار ! فأمر بدفعها إليه ،
ورده إلى منزله من ساعته مكرتاً .

١٤١ — أَشْفَرُ مِنْ بِالشَّامِ وَمِنْ بِالْمَرْأَةِ *

دخل أبو نصر المنذري على أبي العلاء^(١) المعرى في جماعة من أهل الأدب؛
فأنشد كل واحد من شعره ما تيسر، وأنشد أبو نصر:

وَقَانَا لَفْحَةُ الرَّمَضَاءِ وَادِ سَقَاهُ مَضَاعِفُ الْفَيْثِ الْعَمِيمِ
نَزَلَنَا دَوْحَةً^(٢) فَحَنَّا عَلَيْنَا حَنْوَ الْوَالَدَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ
وَأَرْشَقْنَا عَلَى ظُلْمِ زُلَالَ^(٣) أَذْنَّ مِنَ الْمَدَامَةِ^(٤) لِلنَّدِيمِ
يَصُدَّ الشَّمْسَ أَنِي وَاجْهَتْنَا فِي حِجْبَهَا وَيَأْذَنَ^(٥) لِلنَّسِيمِ
يَرْوَعُ^(٦) حَصَاءَ حَالَيَةَ^(٧) الْمَذَارِي فَتَلَسْ بِجَانِبِ الْعَقَدِ النَّظِيمِ
فَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ: أَنْتَ أَشْفَرُ مِنْ بِالشَّامِ .

ثم رحل أبو العلاء إلى بغداد ، فدخل المنذري عليه في جماعة من أهل الأدب
بي بغداد ، وأبو العلاء لا يعرف منهم أحداً ، فأنشد كل واحد منهم ما حضره من شعره ،
حتى جاءت نوبة المنذري فأنشد :

لَقَدْ عَرَضَ الْحَامُ لَنَا بِسَجْعٍ إِذَا أَصْنَفَ لَهُ رَكْبٌ تَلَاهِي^(٨)

* المستطرف : ١ - ٤٦ .

(١) أبو العلاء المعرى : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعرى الفسيفس المؤلف
نشأ بالمرة ، ودرس على أبيه وأمه مسيباً ، ثم على علماء حلب وأعلى الشام حتى صار علماً فاسحاً
ثم ذهب إلى بغداد ولاق علماءها ورؤسادها ، وmekث فيها قليلاً يطلب له العيش فرجع إلى منزله ولم
يخرج منه . و عمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ (٢) الدوح : جم دوحة : الشجرة العظيمة من أي
شجر كان (٣) ماء زلال : عذب (٤) المدامنة : المخر (٥) يروع : يزعزع (٦) حلبت
للرأة : صارت ذات حلٍ ، فهى حلبة وحالية (٧) تلاهي : تنازع .

شجى ^(١) قلبَ الخلى فقيل : غَنِي وبرح ^(٢) بالشجى ^(٣) فقيل : ناجا
وكم للسوق في أخْثاء صَبَرْ إذا اندرمتْ أَجَدَّ لها جراحا
ضعيف الصبر عنك وإن تفَأوى وسکران الفؤاد وإن تصاحى
بذاك بنو الهوى سَكْرَى صحة كُحداقِ الْهَمَّ مَرْضى صحَاها
فقال أبو العلاء : ومن بالعراق : (عطفا على قوله : من بالشام ^(٤)) !

(١) شجاه : أهل ربه (٢) برح به الأمر : جهده (٣) الشجى : المزین .

(٤) المعروف أن الآيات الأولى لحدوده الأندلسية .

١٤٢ — ابن جاخ ينشد المعتضد بن عباد شعره *

ورد ابن جاخ الشاعر على المعتضد بن عباد ، فدخل الدار المخصوصة بالشعراء
فأله ، فقال : إني شاعر ! فقالوا : أنشدنا منْ شرك ؟ فأنشدهم شعراً ضحكوا
منه واذدروه .

قال بعض عقلائهم : دعوه ، فإن هذا شاعر ، وما يبعد أن يدخل مع الشعراء
ويدرج في سلوكهم ؟ فلم يلبوا كلام الرجل .

في معهم ، وكان لم في تلك الدولة يوم مخصوص ، لا يدخل فيه على الملك
غيرهم ، فقال بعض لبعض : هذه شنعة ^(١) بنا أن يكون مثل هذا البابى يقدّم
 علينا ، ويخترى على الدخ .

فاتفقوا على أن يكون هو أول متكلم في اليوم المخصوص بهم عند جلوس
السلطان ، وقدروا أن يقول مثل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهم ، ويكون ذلك
حسما لعلة إقدام مثله عليهم .

فلا كان اليوم المذكور ، وقدم السلطان في مجلسه ، ونصب الكرسي لم ،
رغبو منه أن يكون هذا القادر أول متكلم في ذلك اليوم ، فأمر بذلك فصعد
الكرسي ، وانتظروا أن ينشد مثل ذلك الشعر المضحك ، فقال :

قطّفت يا يوم النوى أكبادى وحرمت عن عيني لذيد رقادى
وتركتنى أرعى النجوم مسهدًا والنهار تُصرَم في سميم فؤادى

* فتح الطيب : ٢ - ٤٦٨

(١) الأطاعة : الظاهرة ، والأسم الشنعة .

فَكَانُوا إِلَى الظلامُ أَلْهَةٌ
 لَا ينجلِي إِلَّا إِلَى مِيَادِ
 وَلِبِ خَرْقٍ^(١) قَدْ قَطَعَتْ نِيَاطِهِ
 بِشِمَلَةٍ^(٢) حَرْفٍ^(٣) كَانَ ذَمِيلَهَا
 وَالنَّجْمُ يَحْدُو هَا وَقَدْ نَادَيْتَهَا :
 مَلِكٌ إِذَا مَا أُصْرِمَتْ نَارُ الْوَغْيِ
 فَتَرَى الْجَسُومَ بِلَا رَمْوَسَ تَنْقَنِي
 يَأْيَهَا الْمَلِكُ الْمُؤْمَلُ وَالَّذِي
 إِنَّ الْقَرِيبَ لِكَاسِدٍ فِي أَرْضَنَا
 فَجَلَبَتْ مِنْ شَرِي إِلَيْكَ قَوَافِيَّاً
 وَلَهُ هَنَا سُوقٌ بَغْيَرِ كَسَادٍ
 يَفْنِي الزَّمَانَ وَذَكْرُهَا مَتَادِي
 مِنْ شَاعِرٍ لَمْ يَضْطَلِعْ أَدْبَارًا وَلَا
 قَوْلَهُ لِهِ لِلْمَلِكِ : أَنْتَ ابْنُ جَانِخٍ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : اجْلِسْ ، فَقَدْ وَلَيْتَكَ رِيَاسَةَ
 الشُّرَاءِ ، وَأَحْسَنْ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَأْذِنْ فِي الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ لَأْحَدٍ بَعْدِهِ !

(١) الخرق : القرن والأرض الواسعة (٢) الشملة : السربعة (٣) الحرف : الناقة الضامرنة

(٤) سرح الرياح : لإرسالها (٥) اللق : ما طرحت .

الباب الرابع

في القصص التي تسرد بارع ملحهم ، ورائع طرفهم ،
في جواباتهم المسكتة ، وتصرفاتهم الحكيمية، وتخلصاتهم
اللبقية ، مما يدل على حضور الذهن وسرعة البديةة ،
وشدة العارضة .

١٤٢ - حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَالنَّابِغَةُ *

قال حسان بن ثابت : قدمتُ على النعمانِ بن المذذر وقد امتدحه ، فأتيتُ حاجبَة عِصَامَ بن شَهْبَرَ فجلستُ إليه ، فقال : إِنِّي لَأُرَى عَرَبَا ، أَفَنْ الْحِجَازُ أَنْتُ ؟ قلتُ : نَعَمْ قال : فَكَنْ قَحْطَانِيَا ، قلتُ : فَأَنَا قَحْطَانِيَا ، قال : فَكَنْ يَثْرِيبَا ، قلتُ : فَأَنَا يَثْرِيبِي ، قال : فَكَنْ خَزْرَجِيَا ، قلتُ : فَأَنَا خَزْرَجِي ، قال : فَكَنْ حَسَانَ بْنَ ثَابِتَ . قلتُ : فَأَنَا هُوَ أَنَا

قال : أَجِئْتَ بِمَدْحَةَ الْمَلِكِ ؟ قلتُ : نَعَمْ ، قال : فَإِنِّي أَرْشِدُكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ عَنْ جَبَلَةَ بْنِ الْأَيْمَمِ وَيَسْأَلُكَ ، فَإِيَاكَ أَنْ تَسْاعِدَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَمِيرَ زِكْرَهُ إِمَارَةً لَا تَوَافَقُ فِيهِ وَلَا تَخَالَفُ ، وَقَالَ : مَادِخُولُ مُثْلِي أَيُّهَا الْمَلِكِ يَبْنِكَ وَبَيْنَ جَبَلَةَ وَهُوَ مِنْكَ وَأَنْتَ مِنْهُ ! وَإِنْ دَعَاكَ إِلَى الطَّعَامِ فَلَا تَوَاكلْهُ ، فَإِنْ أَقْسَمْتَ عَلَيْكَ فَأَقْسِبْ مِنْهُ الْيَسِيرَ إِصَابَةَ بَارِقَسَهُ ، مُتَشَرِّفٌ بِهُوَا كَاتِهِ ، لَا أَكُلْ جَامِعَ سَبِيبَ^(١) ، وَلَا أُنْطِلِ مُحَادَثَتِهِ ، وَلَا تَبْدُؤَهُ بِإِخْبَارِيْ عنْ شَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ السَّائِلُ ، وَلَا أُنْطِلِ الإِقَامَةَ فِي مُجْلِسِهِ .

فَقَاتَ : أَحْسَنَ اللَّهُ رِفْدَكَ ! قَدْ أَوْصَيْتَ وَاعِيَا . وَدَخَلَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِ
قَالَ لِي : ادْخُلْ ، فَدَخَلْتُ فَسَلَّمَتُ وَحَيَّتُ تَحْيَةَ الْمَلِكِ .

ثُمَّ جَرَى بَيْنِي وَبَيْنِهِ فِي شَأنِ جَبَلَةِ مَا قَالَهُ عِصَامٌ كَأَنَّهُ كَانَ حَاضِرًا ، وَأَجِبْتُ
بِمَا أُمْرَنِي ، ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُهُ فِي الإِنْشَادِ فَأَذِنْتَ لِي ؛ فَأَنْشَدْتَهُ . ثُمَّ دَعَا بِالطَّعَامِ ، فَقَعَلْتُ
مَا أُمْرَنِي عِصَامَ بِهِ ، وَبِالشَّرَابِ فَفَعَلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَأَمْرَلَ بِجَاهَزَةِ سَنِيَّةٍ وَخَرَجَتْ .

* الأغانى : ٩ - ١٦٤ (طبعة الأسماى)

(١) السنب : الجوع ؛ ولا يكون إلا مع تعب .

قال لي عصام : بقيت على واحدة لم أوصيك بها ، قد بلغني أن النابغة^(١) الذي يانى
قدم عليه ، وإذا قدم فليس لأحد منه جَهْلٌ سواه ، فاستأذن حينئذ وانصرف
مكرماً ؛ فذلك خيرٌ من أن تنصرف تجفُّوا .

فاقت بيابه شهراً ، ثم قدم عليه فزاريان كان بينهما وبين النعمان دُخَلَّ^(٢) ،
وكان معهما النابغة قد استجبار بهما ، وسألها مسألة النعمان أن يرْضَى عنه ، فضرب
عليهما قبةً من أَدَمَ ، ولم يشعر بِأنَّ النابغة معهما ، ثم أَرْسَلَ إِلَيْهِما بطيب وألطاف مع
قبةٍ من إِيمَانٍ ، فكانتا يأسِرُانِها أن تبدأ بالنابغة قبلهما ، فذكرت ذلك للنعمان ،
فعلم أَنَّه النابغة ، ثم ألقى عليها شعره :

* يادارميَّة بِالعلْمِيَّاء فَالسَّنَدِ *

وسألها أَن تُفْنِيَّهُ بِإِذَا أَخْذَتْ فِيهِ الْخَرْ ، ففَعَلَتْ ، فأطْرَبَتْهُ ، فقال : هذا
شعر النابغة .

ثم خرج في غَيْبٍ^(٣) سِيَاهَ ، فعارضه الفزاريان والنابغة بينهما قد خَضَبَ بِحَنَاءَ ،
فأَقْنَأَ^(٤) خضابه ، فلما رأى النعمان قال : هى بِدَمِ كَانَتْ أُخْرَى أَنْ تُخْضَبَ !
قال الفزاريان : أَيْتَ اللعنَ ! لَا تُثْرِبْ ! قَدْ أَجَرَنَاهُ وَالغُوْ أَجْلُ ، فَأَمْتَهَ
وَاسْتَشَدَهُ أَشْعَارَهُ .

قال حسان : خَسْدُتُهُ عَلَى ثَلَاثَ لَا أُدْرِي عَلَى أَيْتَهِنْ كَنْتُ لَهُ أَشَدَّ حَسْدًا ؟
عَلَى إِدْنَاءِ النَّعْمَانِ لَهُ بَعْدَ الْمِبَاعِدَةِ ، وَمَسْلِمَتِهِ لَهُ وَإِصْفَاهَ إِلَيْهِ ؟ أَمْ عَلَى جَوَدَةِ شِعْرِهِ ؟
أَمْ عَلَى مَائِةِ بَعِيرٍ مِنْ عَصَافِيرِهِ^(٥) أَمْ لَهُ بَهَا ؟

(١) هو زيد بن معاوية ، من ذبيان من قيس ، وهو من الأشراف الذين غض الشعور منهم كما غض
من أمرى القيس ، مدح النعمان صاحب الحيرة وعمرو بن الحارث ملك الصستنة ، وكانت له منزلة
كبرى عند شعراء عصره ، فإذا جاء ع Kapoor ضربوا له قبة من جلد وجاء انشعراء ينشدونه أشعارهم
(٢) دخلل : خاصة (٣) غب سِيَاهَ : أى بعد أن أمطرت السماء (٤) أَقْنَأَ خضابه : سوده

(٥) المصافير : لمبل كانت للمنذر تتحذن نجائب الملوك .

١٤٤ — أُيَّةً أَخْلَاقَ كَانَتْ لِلنَّارِ فِي الْجَاهْلِيَّةِ ! *

رَافِقَ أَبُو بَكْرٍ وَعَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَيِّدِهِ^{*}
نَمَ اتَّهَوْا جَمِيعًا إِلَى مَجْلِسِ عَلِيهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ ، وَإِذَا مَا شَاءَنَحْ لَهُمْ أَقْدَارُ وَهَيَّاتُ .

فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ مَقْدَمًا فِي كُلِّ خَيْرٍ - فَسَأَلَ وَقَالَ : مَنْ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا : مَنْ
شِيَّانَ بْنَ ثَمَلَةَ ، فَالْتَّفَتْ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ ، بِأَبِي
أَنْتَ وَقَوْمِي ! لَيْسَ بَعْدَ هُؤُلَاءِ مِنْ عَزٍّ فِي قَوْمِهِمْ ، وَهُؤُلَاءِ غُرْبَةٍ فِيهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ
مَفْرُوقٌ بْنُ عُمَرٍ وَهَانِيُّ بْنُ قَبِيْصَةَ ، وَالْمُشَنَّى بْنُ حَارِثَةَ ، وَالْمَعْنَانُ بْنُ شَرِيكٍ ؛ وَكَانَ
مَغْرُوفٌ بْنُ عُمَرٍ وَقَدْ غَلَّبُوهُمْ جَمَالًا وَلِسَانًا ، وَكَانَتْ لَهُ غَدِيرَتَانٌ^(١) تَسْقَطَانَ عَلَى صَدْرِهِ ،
فَكَانَ أَدْنَى الْقَوْمِ مَجْلِسًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : كَيْفَ الْعَدْدُ فِيْكُمْ ؟
فَقَالَ لَهُ : إِنَّا لَنْزِيدُ عَلَىْ أَلْفٍ ، وَلَنْ تُنْكِبْ أَلْفٌ مِنْ قَلَةٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ الْمَنَعَةُ
فِيْكُمْ ؟ فَقَالَ : عَلَيْنَا الْجَهَدُ وَلِكُلِّ قَوْمٍ جَدٌ^(٢) . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَكَيْفَ الْحَرْبُ يَنْتَهِكمْ
وَبَيْنَ عَدُوكُمْ ؟ فَقَالَ : إِنَّا أَشَدُّ مَا نَكُونُ لِقَاءً حِينَ تَنْضَبَ ، وَإِنَّا لَنْ نُؤْثِرُ الْجِيَادَ عَلَى
الْأُولَادِ ، وَالسَّلَاحَ عَلَى الْلِقَاحِ^(٣) ، وَالنَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُدْيِلُنَا مَرَةً ، وَيُدْيِلُنَا عَلَيْنَا^(٤)
مَرَةً ، لَعْلَكُ أَخْوَقُ بَيْشَ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ كَانَ بِلَغَتِكُمْ أَنَّهُ رَسُولَ فَهَا هُوَ ذَلِكُ .
فَقَالَ مَغْرُوقٌ : قَدْ بَلَغَنَا أَنَّهُ يَذْكُرُ ذَلِكُ ؛ ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقُلْسٌ ،

* ابن كثير : ٣ - ١٤٤ ، الروض الألف : ١٠ - ٢٦٤

(١) الفديرة : النَّذْوَابَةَ (٢) الجد : الحظ (٣) اللِّقَاحُ : الْأَقْلَاقُ الْحَلَوبُ ، وَجَمِيعُهَا لِقَاحٌ .

(٤) يَرِيدُ ، تَنْكِبُ مَرَةً ، وَيَنْكِبُنَا الْمَدُو مَرَةً .

وَقَامَ أَبُو بَكْرَ يُظَاهِلَهُ بِثُوبَهُ؛ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَدْعُوكُمْ إِلَى شَهادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ تُؤْمِنُونِي وَتَنْصُرُونِي، حَتَّى أُؤَدِّيَ عَنِ اللَّهِ الَّذِي أَمْرَنِي بِهِ، فَإِنْ قَرِيبًا قدْ نَظَاهَرَتْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، وَكَذَّبَتْ رَسُولَهُ، وَاسْفَفَتْ بِالْبَاطِلِ عَنِ الْحَقِّ، وَاللَّهُ هُوَ الْفَنِيُّ الْمَحِيدُ».

فَالْمَفْرُوقُ: وَإِلَمْ تَدْعُ أَيْضًا يَا أَخَا قَرِيبَشْ؟ فَتَلَاقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ تَعَالَى^(١): «قُلْ تَعَالَوْا أَتُنْلِمُ مَاحَرَّمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْمُالِ الْدِيَنِ إِحْسَانًا وَلَا تَتَمَلُّو أُولَاءِ الْكُنْمَ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ، وَلَا تَقْرَبُوا أَنْفَوَاحِشَ مَأْظُورَهُ مِنْهَا وَمَا بَطَانَ، وَلَا تَتَقْتُلُوا النَّفْسَ أُلَّا تِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتَمِّ إِلَّا بِالْيَتِيمِ هُنَّ أَحْسَنُ حَتَّى يَنْلُغُ أَشْدَهُ، وَأَوْفُوا الْكَيْنَلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ؛ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاغْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَعِمَدُ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَعُوهُ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِي، ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تَتَقْوُنَ».

فَالْمَفْرُوقُ: وَإِلَمْ تَدْعُ أَيْضًا يَا أَخَا قَرِيبَشْ؟ فَتَلَاقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ تَعَالَى^(٢): «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعْلَمُكُمْ لَعْنَكُمْ تَذَكَّرُونَ».

فَالْمَفْرُوقُ: دَعَوْتَ وَاللَّهِ يَا أَخَا قَرِيبَشْ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، وَلَقَدْ أَفِكَ^(٣) قَوْمٌ كَذَّبُوكَ وَظَاهَرُوا عَلَيْكَ - وَكَانَهُ أَحَبَّ أَنْ يَشْرَكَهُ فِي الْكَلَامِ هَانِيْ بْنُ قَبِيْصَةَ - فَقَالَ: وَهَذَا هَانِيْ بْنُ قَبِيْصَةَ شِيخُنَا.

(١) سورة الأنعام ١٥١ ، وما بعدها.

(٢) سورة النحل ٩٠ وما بعدها

(٣) أَفِكَ: كذب

قال هانى : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش ، وصدقت قولك ، وإن أرى
أن تزَّگنا ديننا ، واتباعنا دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر - زلة في
الرأي ، وطيشة في العقل ، وقلة نظر في العاقبة ؛ وإنما تكون الزلة مع العجلة ،
وإن من ورائنا قوماً نكره أن نعقد عليهم عقداً ، ولكن ترجع وزرع ، وتنتظر
ونظر - وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المتنى بن حارثة - قال : وهذا
المتنى شيخنا وصاحب حربنا ..

قال المتنى : قد سمعت مقالتك ، واستحسنـت قولك يا أخا قريش ، وأعجبـني
ماتكلمت به ؛ والجواب هو جواب هانى بن قبيصة ، فإنـا إنـا نزلـنا الصـرـيـفـين^(١) :
العـامـةـ والـسـيـامـةـ . فـقـالـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ :ـ وـمـاـ هـذـانـ الصـرـيـفـانـ ؟ـ
قـالـ لـهـ :ـ أـمـاـ أـحـدـهـاـ فـطـفـوـفـ^(٢)ـ الـبـرـ وـأـرـضـ الـعـرـبـ ،ـ وـأـمـاـ الـآـخـرـ فـأـرـضـ فـارـسـ
وـأـنـهـارـ كـسـرـىـ ،ـ وـإـنـاـ نـزـلـنـاـ عـلـىـ عـهـدـ أـخـذـهـ عـلـيـنـاـ كـسـرـىـ أـلـاـ نـخـدـيـثـ حـدـثـاـ ،ـ وـلـاـ
نـنـوـىـ مـحـدـثـاـ ،ـ وـلـعـلـ هـذـاـ الـأـمـرـ الـذـىـ تـدـعـونـاـ إـلـيـهـ مـاـ تـكـرـهـهـ الـمـلـوـكـ ؟ـ فـأـمـاـ مـاـ كـانـ
مـاـ يـلـيـ بـلـادـ الـعـرـبـ فـذـنـبـ صـاحـبـ مـغـفـورـ ،ـ وـعـذـرـهـ مـقـبـولـ ،ـ وـأـمـاـ مـاـ كـانـ مـاـ يـلـيـ بـلـادـ
فـارـسـ فـذـنـبـ صـاحـبـ غـيرـ مـغـفـورـ ،ـ وـعـذـرـهـ غـيرـ مـقـبـولـ .ـ فـإـنـ أـرـدـتـ أـنـ تـنـصـرـكـ
وـنـمـنـعـكـ مـاـ يـلـيـ الـعـرـبـ فـعـلـنـاـ .ـ فـقـالـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ :ـ «ـ مـاـ أـسـأـمـ
الـرـدـ إـذـ أـفـصـحـتـ بـالـصـدـقـ ؟ـ إـنـهـ لـاـ يـقـوـمـ بـدـيـنـ اللهـ إـلـاـ مـنـ حـاطـهـ مـنـ جـمـيعـ
جـوـانـبـهـ »ـ .

(١) كل ماء مجتمع صرى ، وتنبيه صربان ، ويروى : « نزلنا بين صرين فقال رسول الله : وما هذان الصربان ؟ قال : مياه العرب وأنهار كسرى ». والصبر : الماء الذي يحضره الناس . لسان العرب - مادة صرى (٢) طفوف : جمع طف؛ وهو ساحل البحر وجانب البر .

نَمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ تَبْنِوْ إِلَّا بِسِيرًا حَتَّى
يَنْحَكِمَ اللَّهُ بِلَادِمْ وَأَمْوَالِهِمْ أَتَسْبِحُونَ اللَّهُ وَتَقْدِسُونَهُ؟ » فَقَالَ لَهُ الدَّعَانِيُّ بْنُ شَرِيكَ :
اللَّهُمَّ وَإِنْ ذَلِكَ يَا أَخَا قُرَيْشَ ! فَقَلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى :
« إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ». .
نَمْ نَهَضَ قَابِضًا عَلَى يَدِي أَبِي بَكْرٍ ، وَالْتَّفَتَ إِلَى عَلَى وَقَالَ . يَا عَلِيًّا ؟ أَيْةً أَخْلَاقَ
الْعَرَبِ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ! مَا أَشْرَفَهَا ! بِهَا يَتَحَاجِزُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

* ١٤٥ - مسلم يحتال على قريش *

مسلم الحجاج^(١) بن علّاط السلمي ، ولم تعلم قويش ياسلامه ؛ فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خَيْرِ فَيُنْهَا إِلَى مَكَةَ ، فِي أَخْذَ مَا كَانَ لَهُ مِنْ مَالٍ - وكانت له أموال متفرقة هناك ، وهو رجل غريب بينهم - فأذن له النبي ، فقال : يا رسول الله ؟ إِنِّي أَحْتَاجُ إِنْ أَقُولُ^(٢) . قال : قُلْ ؟ فَصَارَ إِلَى مَكَةَ .

قالت قريش : هذا لعمر^(٣) الله عنده الخبر . قال : قُولُوا . قَالُوا : بِلْفَنَا أَنَّ القاطع^(٤) قد خرج إلى أهل خَيْرٍ . قال الحجاج : نَمْ ! قَتَلُوا أَحْسَابَهُ قَتْلًا لَمْ يُسْمِعُ بِعْثَلَهُ ، وَأَخْذُوهُ أَسِيرًا ، وَقَالُوا : نَرَى أَنْ كَارِم^(٥) بْنَ قَرِيشًا ؟ فَنَدَفَعَهُ إِلَيْهِمْ ؟ فَلَا تَزَالُ لَنَا هَذِهِ الْيَدُ فِي رُقَابِهِمْ ، وَإِنَّا بَادِرْتُ لِجَمْ مَالِيٍّ ؛ لَعَلَى أَصِيبَ بِهِ مِنْ فَلَّ^(٦) مُحَمَّدٌ وَأَحْسَابُهُ قَبْلَ أَنْ يَسْقُنَ إِلَيْهِ التَّجَارُ ، وَيَتَصلَّ بَيْنَهُمُ الْحَدِيثَ .

فاجتهدوا في أن جمعوا إليه ماله أسرعَ جَمْعًا ، وَسَرُّوا أَكْثَرَ السُّرُورَ ، وَقَالُوا بلا رَغْمٍ^(٧) !

وأناه العباس بن عبد المطلب وهو كالمرأة الـ والـ^(٨) ، فقال: وَنَحْنُ يَا حَجَاجَ !

* السَّكَامُ الْمَبِيدُ : ١ - ٢٠٧

(١) وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ غَيْرُهُ ، فَأَسْلَمَ (٢) يَرِيدُ : أَقُولُ عَلَى جَهَةِ الْاحْتِيَالِ (٣) يَرِيدُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَارِ الْوَاسِلَ رَحْمَهُ ، وَكَانُوا يَرِيدُونَهُ - سَفَهًا - بِالْقَاطِعِ ، أَيِّ الْقَاطِعِ رَحْمَهُ (٤) كَارِمٌ : غَلِيْهِ ؛ الْكَرِمُ (٥) يَرِيدُ مِنْ غَنَامِ ذَلِكَ الْفَلِّ (٦) وَقَالُوا بِلَرَغْمٍ : يَرِيدُ وَفَعْلُوا ذَلِكَ بِلَأَكْرَهٍ ، الْعَرَبُ تَجْمَلُ الْقَوْلُ عِبَارَةً عَنِ الْقُلُولِ ، وَتَطْلُقُهُ عَلَى غَيْرِ السَّكَامِ (٧) الْوَلَهُ : ذَهَابُ الْقُلُولِ وَالتَّعْبُرُ مِنْ شَدَّةِ الْوَلَدِ ، وَيَقَالُ امْرَأَةُ الْوَلَهُ وَرَجُلُ الْوَلَهُ .

ما تقول ؟ فقال : أَكَاتِمْ عَلَى خَبْرِي ؟ قال : إِنَّ اللَّهَ ، قَالَ : فَالْبَثْ (١) عَلَى
شِبَاعاً حَتَّى يَخْفَ مَوْضِعِي .

ثُمَّ سَارَ إِلَيْهِ ، قَالَ لَهُ : إِنَّ الْخَبِيرَ وَاللَّهُ عَلَى خَلَافَ مَا قَلْتُ لَمْ ؛ خَلَقْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ فَتَحَ خَيْرَهُ ، وَخَلَقْتُهُ وَاللَّهُ مُغْرِسًا بِابْنَةِ مُلَكِهِمْ (٢) ،
وَمَا جَنَّتْكَ إِلَّا مُسْلِمًا ؛ فَاطْلُو الْخَبِيرَ ثَلَاثَةً ، حَتَّى أَعْجِزَ (٣) الْقَوْمَ ، ثُمَّ أَشْفَعْهُ ،
فَإِنَّهُ وَاللَّهُ الْحَقُّ .

فَقَالَ الْعَبَاسُ : وَيَمْكُثُ إِنْ أَحَقُّ مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ ثَلَاثَةَ
تَخْلُقَ (٤) الْعَبَاسُ وَأَخْذَ عَصَاهُ ، وَخَرَجَ يَطْلُوفَ بِالْبَيْتِ ؟ فَقَالَتْ قَرِيبَةُ : يَا أَبَا الْفَضْلِ ،
هَذَا وَاللَّهُ التَّبَعِلُ ، قَالَ : كَلَّا وَمَنْ حَلَقَمْ بِهِ ، لَقَدْ فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ خَيْرَهُ ، وَأَعْرَسَ
بِابْنَةِ مُلَكِهِمْ ! قَالُوا : مَنْ أَتَاكَ بِهَا الْحَدِيثُ ؟ قَالَ : الَّذِي أَنَا كُمْ بِخَلَافَهُ ، وَلَقَدْ
جَاءَنَا مُسْلِمًا .

ثُمَّ أَتَتِ الْأَخْبَارُ مِنِ الْثَّوَاحِي بِذَلِكَ ! قَالُوا : أَفْلَتَنَا الْخَبِيثَ ، أُولَئِكُمْ (٥) !

(١) أَكَثَرُ ، وَهُوَ يَرِيدُ اصْبَرَ (٢) يَرِيدُ صَفِيَّةَ بَنْتَ حَمْزَةَ بْنَ أَخْطَبَ (٣) أَعْجَزَ النَّوْمَ :
صَبِرْمَ عَاجِزِينَ (٤) الْمُلْوَقُ : الْمُلْوَقُ ، وَتَخْلُقُ : مَالِ نُوبَةِ بِهِ (٥) أُولَئِكُمْ : كَلَّةٌ تَهْدِي وَتَوْعِدُ

١٤٦ - إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٌ فَأَكْرِمُوهُ *

جاء أعرابيٌّ إلى على رضي الله عنه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن لي إليك حاجةً رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن كنت قضيتها حِدْثاً والله وشكتك . وإن كنت لم تقضيها حِدْثاً عالى وعذرْتَك ؟ فقال له على : خُطْهَا في الأرض ؛ فإني أرى الصر عليك . فكتب : إني قفير . قال : يا قَنْبَرَ^(١) أَكُسْهُ حُلْتَى !

فَلَمَّا أَخْذَهَا مَثَلَّ بَيْنَ يَدِيهِ قَالَ :

فسوف أَكُسوُكُ من حُسْنِ النَّاحِلَةِ	كسوتني حُلْتَةَ تَبَلَّ مَحَاسِنِهَا
ولستَ تَبْغِي بِمَا قَدَّمْتَهُ بَدْلًا	إِيمَّ أَبَا حَسْنٍ قَدْ نَلَتْ مَكْرُومَةً
كَالْقَبْيَثِ يَحْيِي ذَكْرَ صَاحِبِهِ	إِنَّ الثَّنَاءَ لِيُخْبِي ذَكْرَ صَاحِبِهِ
كُلُّ أَصْرَى سُوفَ يُجْزَى بِمَا فَعَلَ	لَا تَزَهَّدْ الدَّهْرَ فِي عُرْفِ بِدَاتِهِ

قال على : يا قَنْبَرَ ؟ زده مائة دينار ! قال : يا أمير المؤمنين ، لوفرقتهاف المسلمين لأصلحت بها من شأنهم ! قال على : صَهْ يا قَنْبَرَ ؟ فإني سمعت النبي يقول : اشكروا من أثني عليكم ، وإذا أتاكم كَرِيمٌ قَوْمٌ فَأَكْرِمُوهُ !

* أدب السياسة : ١٧٦ ، المستطرف : ٢ - ٢٤٤

(١) قَنْبَرٌ : مولى على رضي الله عنه .

* ١٤٧ - ما رأيْتَ لَاهِي أَحَدًا إِلَّا غَلَبَهُ *

قال عبد الله بن عمر : كنتُ عند أبي يوماً ، وعنه نفرٌ من الناس ، فجرى ذكر الشعر ، فقال : من أَشْعَرُ الْعَرَبْ ؟ فقالوا : فلان وفلان . فطلع عبد الله بن عباس ، فسلم وجلس ، فقال عمر : قد جاءكم الخير ؟ من أَشْعَرَ النَّاسَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ قال : زهير بن أبي سُلَيْمَانَ ، قال : فَأَنْشَدَنِي مَا تَسْتَجِيدُهُ لَهُ ، فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّهُ مَدْحُوْ قَوْمًا مِنْ غَطْفَانَ ، يَقَالُ لَهُمْ بَنُو سِنَانَ فَقَالُ :

لَوْكَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرْمٍ
قَوْمٌ بِأَوْلَمِمْ أَوْ بِجَنْدِهِمْ قَعْدُوا
طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
إِنْسٌ إِذَا أَمِنَوا ، حِينَ إِذَا فَزِعُوا
مُرَزَّعُونَ (١) بِهَالِيلٍ (٢) إِذَا جَهَدُوا (٣)
مُحَسَّدُونَ (٤) عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعْمَ لَا يَنْزَعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَا لَهُ حِسْدُوا

قال عمر : والله لقد أحسن ! وما أرى هذا اللدحَ يصلحُ إلا لهذا البيت من هاشم ؛ لقربتهم من رسول الله .

قال ابن عباس : وقتل الله يا أمير المؤمنين ، فلم تزل مُوقَّتاً .

قال عمر : أتدرى يا ابنَ عباس مامنع الناسَ منكِمْ ؟ قال : لا، يا أمير المؤمنين !

* ابن أبي الحديد : ٣ - ١٠٧ ، تاريخ الطبرى : ٥ - ٣٠

(١) نسبة ينسبه : ذكر نسبة ، وسأله أن ينسب (٢) المرزعون : السترة

(٣) البهلو : السيد الجامع لكل خير (٤) جهدـ كثمن : جد واجتهـ (٥) حسدهـ

غنى أن تتحول إليه نعمته .

قال : لَكِنِّي أُدْرِى ، قال : مَا هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال : كَرِهْتُ قَرِيشَ أَنْ تَجْتَمِعَ لَكُمُ النَّبُوَّةَ وَالخِلَافَةَ فَتَجْحِفُوا^(١) النَّاسَ جَحْفًا ؛ فَنَظَرَتْ قَرِيشَ لِأَنفُسِهَا فَاخْتَارَتْ، وَوُقْتَ فَاصَّابَتْ .

قال ابن عباس : أَيْمِيطُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ غَضَبِهِ فَيَسْمَعُ ؟ قال : قُلْ مَا تَشَاءُ .
قال : أَمَا قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ قَرِبَشَا كَرِهْتَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِقَوْمٍ : « ذَلِكَ يَا أَهْلَهُمْ كَمْ هُوَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبِطْ أَعْمَالَهُمْ » . وَمَا قَوْلُكَ : إِنَّا كَنَا نَجْحَفُ، فَلَوْ جَحَفَنَا بِالخِلَافَةِ جَحَفَنَا بِالْقَرَابَةِ ، وَلَكُنَا قَوْمٌ أَخْلَاقُنَا مُشْتَقَّةٌ مِنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ، الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » . وَقَالَ لَهُ : « وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ أَتَبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وَأَمَا قَوْلُكَ : فَإِنْ قَرِبَشَا اخْتَارَتْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ أَخْيَرَةً » .

وَقَدْ عَلِمْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ لَذِكَرَ مِنْ اخْتَارَ، فَلَوْنَظَرْتَ قَرِيشَ مِنْ حِيثِ نَظَرَ اللَّهُ لَهَا وُقْتَ فَاصَّابَتْ .

قال عمر : عَلَى رِسْلَكَ^(٢) يَا بْنَ عَبَّاسَ ! أَبْتَ قُلُوبَكُمْ يَا بْنَيْ هَاشِمٍ إِلَّا غَشَّا فِي أَمْرِ قَرِيشٍ لَا يَزُولُ ، وَحَدِّداً عَلَيْهَا لَا يَحْمُولُ .

قال ابن عباس : مَهْلَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَنْسِبُ قُلُوبَ بْنِي هَاشِمٍ إِلَى الْفَشِّ؛ فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ مِنْ قُلُوبِ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي طَهَرَهُ اللَّهُ وَزَكَاهُ، وَمِمَّ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ : « إِنَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ أَرْجُسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » .

وَأَمَا الْحَقْدُ ؟ فَكَيْفَ لَا يَحْقُدُ مِنْ غُصْبِ شَيْوَهُ ، وَيَرَاهُ فِي يَدِ غَيْرِهِ ؟ قَالَ عمر :

(١) أَجْحَفَ بِهِ : ذَهَبَ (٢) عَلَى رِسْلَكَ : عَلَى مَهْلِكَ .

ما أنت يا بن عباس؟ فقد بلغني عنك كلاماً أكره أن أخبرك به، فتزول منزلتك عندى! قال: وما هو بأمير المؤمنين؟ أخبرني به فإن يك باطلًا فتلي أماظ الباطل عن نفسه، وإن يك حقاً فإن منزلتي عندك لا تزول به! قال: بلغني أنك لا تزال تقول: أخذ هذا الأمر حسداً وظلماً.

قال: أما قولك يا أمير المؤمنين: «حسدا»: فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة، فتحن بنو آدم المحسود، وأما قولك: «ظلماً» فأمير المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو!

ثم قال: يا أمير المؤمنين، ألم تتحجّ العرب على العجم بحق رسول الله، واحتاجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله، فتحن أحق برسول الله من سائر قريش.

قال له عمر: قم الآن فارجع إلى منزلتك. فقام، فلما ولّ هتف به^(١) عمر: أيها المنصرف؟ إني على ما كان منك لراغ حفك. فالتفت ابن عباس وقال: إن لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حفناً برسول الله. فمن حفظه حفظ نفسه حفظ، ومن أضعاه حفنه نفسه أضعاع، ثم مضى.

قال عمر لجلسائه: واهَا لابن عباس! ما رأيته لاحى^(٢) أحداً قط إلا خصمته^(٣)!

(١) هتف به: ناداه.

(٢) لاحى: نازعه.

(٣) خاصمه: غبله.

١٤٨ — المغيرة بن شعبة وأحد الأعراب *

خرج المغيرة بن شعبة ، وهو على الكوفة يومئذ ، ومعه التهيم بن الأسود النخعي بعد مطر يسير بظاهر الكوفة ؛ فلقى أعرابياً من بنى تميم الله بن ثعلبة . وهو لا يعرف المغيرة ^(١) .

فقال له المغيرة : من أين أقبلتَ يا أعرابي ؟ قال : من السماوة ، قال : كيف تركت الأرض خلقت ؟ قال : عريضة ^(٢) أريضة ، قال : وكيف كان المطر ؟ قال : عَنَّ الأنَرَ ، وملأَ الْخَنَرَ .

قال : من أنت ؟ قال : من بكر بن وائل ، قال : كيف عملك بهم ؟ قال : إن جهلتهم لم أعرف غيرهم ، قال : فما تقول في بنى شيبان ؟ قال : سادتنا وسادة غيرنا ، قال : فما تقول في بنى ذهل ؟ قال : سادة نوكي ^(٣) ، قال : فقيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاورتهم سرقوك ، وإن انتعنتم خانوك . قال : فبَنُو تميم الله بن ثعلبة ؟ قال : رعاء ^(٤) البقر ، وعرائب الكلاب ، قال : فما تقول في بنى يشكير ؟ قال : صريح ^(٥) تحسبه مولى ، قال : فِي جُل ؟ قال : أحلاس الخيل ^(٦) ، قال : فخنيفة ؟ قال :

* الأغانى : ١٥ - ١٣٨ (طبعة السادس).

(١) المغيرة بن شعبة : صحابي جليل ، شهد في عهد رسول الله بعض الواقع ، وشهد كثيراً من الفتوح في عهد الخلفاء الراشدين . وتوفي سنة ٥١ هـ ^(٢) يقال : أرض أريضة ؟ إذا كانت زكية معجبة ^(٣) نوكي : جع أنوك وهو الأحق ^(٤) رعاء : جع راع ^(٥) الصربيح : الحالى النسب ^(٦) الحالى (في الأصل) : كماء على ظهر البعير تحت البردعة ، ويقال : هو حل بيته ؟ إذا لم يبرح مكانه ، والمراد هنا أنهم يلازمون ركوب الخيل مغيرين أو محاربين .

يطعمون الطعام ، ويضر بون المام ، قال : فعنزة ؟ قال : لا تلتقي بهم الشفغان لزماً !
 قال : فأخبرني عن النساء ، قال : النساء أربع : ربيع مربع ، وجميع يجتمع ،
 وشيطان سَمِعَ ، وغل لا يخلع ، قال : فسر ، قال : أما الربيع فالتي إذا نظرت
 إليها سرتُك ، وإذا أقامتَ عليها برستك ؛ وأما التي هي جميع يجتمع ، فالمرأة تزوجها
 فتجمع شريك إلى شبها ؛ وأما الشيطان السَّمِعَ : فالكلحقى وجهك إذا دخلتَ ،
 والملولة في إثرك إذا خرجمت ؛ وأما الفُلُّ الذي لا يخلع ، فبت عُنكَ السُّودَاء ،
 القصيدة الورَهَاء^(١) الديمية التي قد نثرت لك بطنها ؛ إن طلقها ضاع ولدك ، وإن
 أمسكتها فعلى جذع أنفك . ثم قال له : ما تقول في أميرك المغيرة ؟ قال : أعمور زناء ،
 فقال المهيمن : فعن الله فاك ! ويلك ! هذا الأمير المغيرة ، فقال : إنها كلة والله تعالى ؟
 فانطلق به المغيرة إلى منزله ، وعنه يومئذ أربع نسوة ، وستون أمة ، ثم قال له :
 ويحك ! هل يقدم أحد على هذه الكبيرة وعنه مثل هؤلاء ؟ ثم قال له من المغيرة :
 أزمين إليه بحليّكَن ، فخرج الأعرابي بمنزله كاسانه ذهبًا وفضة !

(١) الورهاء : المثرة في العمل أو الحقاء .

١٤٩ - دَهَاءُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ !*

لما نزل على بن أبي طالب الكوفة بعد فراغه من أمرين البصرة كتب إلى معاوية كتاباً يدعوه إلى البيعة، وأرسل جريراً بن عبد الله البجلي، قدم عليه به الشام، فقرأه فاغتم بما فيه وذهبت أفكاره كل مذهب؛ وطأول جريراً بالجواب عن الكتاب، حتى كلام قوماً من أهل الشام في الطلب بدم عثمان بن عفان فأجابوه ووثقوا له.

وأحب الزيادة في الاستظهار، فاستعن أخيه عتبة بن أبي سفيان؛ فقال: استعن بعمرو بن العاص؟ فإنه من قد علمت في دهائه ورأيه، وقد اعتزل عثمان ابن عفان في حياته، وهو لأمرك أشد اعزالاً، إلا أن يشمن له دينه، فيبيعك، فإنه صاحب دنيا.

فكتب إليه معاوية: أما بعد، فإنه كان من أمر على وطلحة والزبير ما قد بلغتك، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في نفر من أهل البصرة، وقد مات علينا جريراً بن عبد الله في بيعة على، وقد حبست نفسى عليك، فأقبل إذا ذكرك أموراً لا تندم مغبةها إن شاء الله.

فلما قدم الكتاب على عمرو استشار ابنه: عبد الله بن عمرو، ومحمد بن عمرو؛ فقال لها: ما تريان؟ فقال عبد الله: أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى وهو عنك راض، وخالفتانا بعده، وقتل عثمان وأنت غائب عنه؟ فقر في منزلك

* ابن أبي الحديد: ١ - ١٣٥، رغبة الأمل من كتاب السكامل: ٣ - ٢٠٨

فلستَ بِجُمُولًا خَايِفَةً ، وَلَا تَرِيدُ عَلَى أَنْ تَكُونَ حَاشِيَةً لِمَعَاوِيَةَ ، عَلَى دِنِّيَا أَوْ شَكَنَاهَا تَهْلِكَا وَتَفَارِقَاها .

وَقَالَ مُحَمَّدٌ : أَرَى أَنَّكَ شَيْخَ قَرِيشٍ وَصَاحِبَ أُمُّهَا ، وَإِنْ تَصْرِمَ هَذَا الْأَمْرَ .
وَأَنْتَ فِيهِ غَافِلٌ – تَصَاغِرُ أُمُّكَ ؟ فَالْمَلِقُ بِجَمَاعَةِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَكَنْ يَدَأُ مِنْ أَيْدِيهِهِ ،
طَالِبًا بَدْرَ عَمَانَ ، فَإِنَّهُ سَيَقُومُ بِذَلِكَ بَنْوَ أُمِّيَّةَ .

فَقَالَ عُمَرُ : أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ قَدْ أَمْرَتَنِي بِمَا هُوَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا مُحَمَّدَ
أَمْرَتَنِي بِمَا هُوَ خَيْرٌ لِي فِي دِنِّيَّاتِي ، وَأَنَا أَنْظُرُ .

ثُمَّ دَعَا عُمَرُ وَغَلامَهُ وَرْدَانَ – وَكَانَ دَاهِيَّةً مَارِدًا – فَقَالَ : ارْجِعْنِي يَا وَرْدَانَ ،
ثُمَّ قَالَ : احْطُطْ يَا وَرْدَانَ ! ثُمَّ قَالَ : ارْجِعْ يَا وَرْدَانَ ، احْطُطْ يَا وَرْدَانَ . فَقَالَ لَهُ
وَرْدَانُ : خَاطَطَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، أَمَا إِنَّكَ إِنْ شِئْتَ أَبْنَائِكَ بِمَا فِي قَلْبِكَ ، قَالَ : هَاتِهِ
وَيَخْلُكَ ! قَالَ : اعْتَرَكَ الدِّنِيَا وَالآخِرَةَ عَلَى قَلْبِكَ ، فَقَلَتْ : عَلَى مَعِهِ الْآخِرَةَ فِي غَيْرِ
دِنِيَا ، وَفِي الْآخِرَةِ عَوْضٌ عَنِ الدِّنِيَا وَمَعَاوِيَةً مَعِهِ الدِّنِيَا بِغَيْرِ آخِرَةٍ ، وَلَيْسَ فِي الدِّنِيَا
عَوْضٌ مِنَ الْآخِرَةِ ، وَأَنْتَ وَاقِفٌ بَيْنَهُمَا .

قَالَ : قَاتَلَكَ اللَّهُ أَمَا أَخْطَلَتَ مَا فِي قَلْبِي ، فَمَا زِيَّ يَا وَرْدَانَ ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ
تَقِيمَ فِي بَيْتِكَ ؟ فَإِنَّ ظَهَرَ أَهْلُ الدِّينِ عَشَتَ فِي عَنْفِو دِينِهِمْ ، وَإِنَّ ظَهَرَ أَهْلُ الدِّينِ
لَمْ يَسْتَغْنُوا عَنْكَ ، قَالَ : الْآنَ لَمَا شَهِرَتِ الْعَرَبُ سَيِّرِي إِلَى مَعَاوِيَةَ !

ثُمَّ ارْتَحَلَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى مَعَاوِيَةَ ، وَعَرَفَ حَاجَتَهُ إِلَيْهِ ، فَبَاعَدَهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَكَانَ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا صَاحِبَهُ .

فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةَ يَوْمَ دَخَلَ عَلَيْهِ : أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؟ طَرَقْتَنَا فِي لِيلَتَنَا ثَلَاثَةُ أَخْبَارٍ
لَيْسَ فِيهَا وِرْدٌ وَلَا صَدَرٌ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : مِنْهَا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حَذَّفَةَ كَسَرَ
(٤٤) قَصْصَ الْعَرَبِ –

سِجْنَ مصر ، فُرِجَ هو وأصحابه ، وهو من آفَات هذا الدين ؟ ومنها أن قيس رزح
بجماعة الروم ليُنْقَبَ على الشام ؛ ومنها أن علياً نزل الكوفة ، وتهيأً للمسير إلينا .
قال عمرو : ليس كلُّ ماذكرت عظيمًا ؛ أما ابنُ أبي حذيفة فما يتعاظمُك ^(١)
من رجل خرج في أشباهه أَنْ تبعثَ إليه رجلاً يقتله ، أو يأْتِك به ، وإنْ قاتلَ لم
يضرك ؛ وأما قيس فآهُدِي له الوصائف وآنية الذهب والفضة ، وسلَّمَ المواجهةَ فإنَّه
إليها سريع ؛ وأما على ، فلا والله ياماواية ، ما يسوئي العريُّ بينك وبينه في شيءٍ
من الأشياء ، وإنْ له في العرب لحظًا ، ماهو لأحدٍ من قريش ، وإنَّه لصاحب ما هو
فيه إلا أن تظلمه .

قال معاوية : يا أبا عبد الله ؟ إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى الله
وشقَّ عصَا المسلمين ، وقتل الخليفة وأظهرَ الفتنة ، وفرق الجماعة وقطع الرحم .

قال عمرو : والله ياماواية ، ما أنت وعلى عِدْلٍ بغير ، ايس لك هجرته ولا
سابقته ، ولا صُحبَتُه ولا جهاده ، ولا قفَّه ، ولا علمه ؟ والله إنَّ له مع ذلك لحظاً
في الحرب ليس لأحد غيره ، ولكنَّي قد تمودت من الله تعالى إحساناً وبلاء جيلاً ،
فما تجعل لي إإن شايقتك على حرَّ به ، وأنت تعلم ما فيه من الفَرْ وانخطر ؟ قال :
حُكْمُك ، فقال : مصر طعمة ، فتكلَّكاً معاوية وقال : يا أبا عبد الله ؟ إني
أكُرَّهُ لك أَنْ تحدثَ العربُ عنك أنك إنما دخلتَ في هذا الأمر لمرتضى
الدنيا ! قال عمرو : دَعْنِي عنك ، فقال معاوية : إني . شئتُ أن أمنيك وأخذَك
ل فعلت . قال عمرو : لعمر الله مامثلَ يُخْذَع ، لأنَّما أَكْدَسَ من ذلك ، فقال معاوية :
ادْنُ مني أساشك . فدنا منه عمرو ليساره ، فغضَّ معاوية أذنه ، وقال : هذه خدعة ،

(١) لا ينظم عليك .

هل ترى في البيت أحداً غيرك ! ثم تلَّكتَ عليه وانصرف عerro .
فلا حضر عتبة بن أبي سفيان قال معاوية : أما ترضى أن تستر عراً بمصر ؟
قال معاوية : ياعتبة ؟ بت عندنا الليلة . فلما جَنَ الليل على عتبة رفع صوته ليسمع
معاوية وقال :

أيها السانع سيفاً لم يهزْ
إنما ملت على خزْن وقزْ
أعط عراً إن عراً تاركْ
دينه اليوم لدنياً لم تخزْ
أعطا مصرَ وزِدَه مثلها
إنما مصرَ لمن عزْ فبرزْ
واتر الحرص عليها ضلة
واشب النار لقرور يُبَكِّزْ
إن مصر لعلى أو لنا يُغلب اليوم عليها من عجزْ

فلا سمع معاوية قول عتبة أرسل إلى عمرو فأعطياه مصر ، وكتب له
كتاباً بها .

١٥٠ — بين معاوية وهانى بن عروة*

ولئى معاوية كثير بن شهاب المذججي خراسان ؛ فاختان ملاكثيراً ، ثم هرب فاستر عند هانى^(١) بن عروة المرادي ، فبلغ ذلك معاوية ، فنذر دم هانى ؛ فرج هذا فكان في جوار معاوية .

ثم حضر مجلسه - ومعاوية لا يعرفه - فلما نهض الناس ثبت مكانه ، فسأله معاوية عن أمره ؛ فقال : أنا هانى بن عروة . قال : إن هذا اليوم ليس بيوم يقول فيه أبوك :

أرجل بمحنتي^(٢) وأجر ذليل وتحمل شكتي^(٣) أفق^(٤) ككيت^(٥)
أشنى في سرلة بني غطيف إذا ما ساكني ضيم^(٦) أبنت
قال له هانى : أنا اليوم أعز من ذلك اليوم ! قال له : بم ذاك ؟ قال :
بإسلام يا أمير المؤمنين . قال له : أين كثير بن شهاب ؟ قال : عندي في عسكرك
يا أمير المؤمنين ، فقال له معاوية : انظر إلى ما اختانه ؛ خذ منه بعضا ، وسونه
بعضًا .

* الكامل ١ : ٧٢

(١) هانى بن عروة بن الفضناش : من قراء الكوفة ، وكان من خواص على بن أبي طالب ، قتل مع مسلم بن عقيل رسول الحسين إلى الكوفة (٢) الجنة : مجتمع شعر الرأس (٣) الفكة : السلاح (٤) فرس أفق : رائج (٥) الككيت : الذي خالط حرته قنوه .

دخل عمرو^(١) بن العاص يوماً على معاوية بعد ما كبر ودقّ ، ومعه مولاه وردان ، فأخذها في الحديث ، وليس عندها غير وردان ، فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ما بقي مما تستلذ به ؟ فقال : أما الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حتى وهى بها جلد ، فما أدرى أيها ألين ؟ وأما الطعام فقد أكلت من لينه وطيبة حتى ما أدرى ما أدرى أيه أند وأطيب ؟ أما الطيب فقد دخل خياشيمى منه حتى ما أدرى أيه طيب ؟ فاشيء الله عندى من شراب بارد في يوم صائف ، ومن أن أنظر إلى بنت ، وبنى بني يدورون حولى !

فما بقي منك يا عمرو ؟ قال : مال أغرسه فأصيبح من ثمرته ومن غاته . فالتفت معاوية إلى وردان فقال : ما بقي منك يا وردان ؟ قال : صنيعة كربلة سنينة أعلقها في عنق قوم ذوى فضل وأخطار ، لا يكافنون عليها حتى ألقى الله تعالى ، وتكون لحمي في أعقابهم بعدى . فقال معاوية : تباً لمجلسنا سائر اليوم ! إن هذا العبد غلبي وغلبك !

* المسعودي ٦٦ :

(١) هو عمرو بن العاص بن وايل : أسلم سنة عمان مع خالد بن الوليد، وولاه معاوية مصر ثلاث سنين ، ثم حضرته الوفاة قبل الفطر يوم ، سنة ٤٢ هـ .

١٥٢ — ما عليه لو عرض *

دخل عمرو بن العاص على معاوية يسأله حاجة ، وقد كان بلغ معاويته عنه ما كرمه ؟ فذكره قضاها وتشاغل .

قال عمرو : يا معاوية ؟ إن السخاء فطنة ، واللؤم تناقل ، والجفاء ليس من أخلاق المؤمنين ! فقال معاوية : يا عمرو ؛ بماذا تستحق منا قضاء الحاجة العظام ؟ فغضب عمرو ، وقال : بأعظم حق وأوجبه ؛ إذ كنت في بحر عجاج ^(١) ؟ فلولا عمرو لفرقت في أقل مائة وأرقة ؛ ولكن دفعتك فيه دفعة فصرت في وسطه ، ثم دفعتك فيه أخرى ، فصرت في أعلى الواضع منه ؛ فضى حكمك ، ونفذ أمرك وانطلق لسانك بعد تأجلجه ، وأضاء وجهك بعد ظلمته .

فتباوم معاوية ، وأطبق جفنيه ملياً ، فخرج عمرو ، فاستوى معاوية جالساً ، وقال جلسائه : أرأيتم ما خرج من فم ذلك الرجل ؟ ما عليه لو عرض ! ففي التعريض ^(٢) ما يكفي ، ولكنه جبئي بكلامه ، ورمانى بسموم سهامه .

قال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين ، إن الحاجة لتقضى على ثلاثة خصال : إما أن يكون السائل لقضاء الحاجة مستحقا ، فتُقضى حاجته بحقه ، وإما أن يكون السائل لثيابه فيصون الشريف نفسه عن لسانه ، فيقضى حاجته ، وإما أن يكون السئول كريماً فيقضيها لكرمه صرفة أو كبرت .

* ابن أبي الحديد ٢ : ٤٠١

(١) بحر عجاج : مائة صوت (٢) التعريض : ضد التصريح .

قال معاوية : اللہ أبُوك ا ما أحسنَ ما نطقَتَ به ! وبصَثَ إلی عَمْرُو فَأَخْبَرَهُ ،
وقضى حاجته ، ووصله بصلةٍ جليلة .

فَمَا أَخْذَهَا وَلَّى مُنْصَرِفًا ، فَقَالَ معاوية : « إِنْ أَعْطَوْا مِنْهَا رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ
يُعْطُوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ». فَسَمِعَهَا عُمَرُ ، فَالنَّفَتَ إِلَيْهِ مُغْضِبًا ، وَقَالَ : وَاللهِ
يَا معاوية لا أَزَالُ آخْذَ مِنْكَ قَهْرًا ، وَلَا أَطْبِعُ لَكَ أَمْرًا ، وَأَحْفِرُ لَكَ بَئْرًا . عِيقَةٌ إِذَا
وَقَتَ فِيهَا لَمْ تُدْرِكْ إِلَّا زَمِيًّا ^(١) »

فضَحِّكَ معاوية فَقَالَ : مَا أَرْدَتَكَ يَا أَبا عَبْدِ اللهِ ^(٢) بِالْكَلْمَةِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ آيَةً
تَلُوْتُهَا مِنْ كِتَابِ اللهِ عَرَضْتَ بِقَلْبِي ، فَاصْنَعْ مَا شَاءْتَ !

(١) الرَّيم : البَالِ .

(٢) كُنْيَةُ عَمْرُو بْنِ العاصِ .

١٥٣ - لا يأتينا غير طالب فقه أو طالب فضل *

دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير - وهو يومئذ بعكة - قال :

أصبحت كا قال الشاعر :

فَانْتَصِبْكَ مِنَ الْأَيَّامِ جَانِحًا
لَا أَبْكِ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينَ

قال : وما ذاك ياً فرج ؟ قال : هذا عبد الله بن عباس يفقه الناس ، وعبد الله
أخوه يعلم الناس ، فما أبقياك ؟ فاحفظه ذلك ، وأرسل صاحب شرطه عبد الله
ابن مطيع وقال له : انطلق إلى أبي عباس ، فقل لها : أعدت مما إلى راية ترابية قد
وضعها الله فنصبناها ! بدداً عن جمكنا ، ومن ضوئي ^(١) إليك من ضلال أهل
العراق وإلا فعلت وفعلت . . .

قال ابن عباس : قل لابن الزبير : يقول لك ابن عباس : نكلتكم أملأكم !
والله ما يأتينا من الناس غير رجالين : طالب فقه أو طالب فضل ، فـأى هذين نعن
قال أبو الطفـيـل ^(٢) :

لَا درَّ الـلـيـالـيـ كـيـفـ تـضـحـكـنـا
مـنـهـاـ خـطـوبـ أـعـجـبـ وـتـبـكـيـنـا
وـمـثـلـ مـاـ تـحـدـثـ الـأـيـامـ مـنـ غـيـرـ
يـابـنـ الزـبـيرـ عـنـ الدـنـيـاـ تـسـلـيـنـا
كـنـنـجـيـ اـبـنـ عـبـاسـ فـيـقـيـسـنـاـ ^(٣)

* الأغانى ١٣ : ١٦١ (طبعة السادس)

(١) ضوى : الضم ^(٢) هو عامر بن وائلة ، كانت له صبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ،
و عمر بعده طويلا ، وكان من شبيعة علي بن أبي طالب ، وله منه حمل ثان ^(٣) يقينا : بعلينا .

جِهَانَه مُلْعِمًا ضَيْفًا وَمُسْكِنًا
نَالَ مِنْهَا الَّذِي نَبَّى إِذَا شَيْنَا
بِهِ عَمَّا يَكُونُ بِأَقِينَا وَمَاضِينَا
فَضْلٌ عَلَيْنَا وَحْقٌ وَاجِبٌ فِينَا
بَابُ الزَّيْرِ وَلَا أُوْنِي بِهِ دِينَا
مِنْهُمْ وَتَؤْذِيهِمْ فِينَا وَتَؤْذِينَا
فِي الدِّينِ عَزًّا وَلَا فِي الْأَرْضِ تَمْكِينَا
وَلَا يَرْدَلُ عُبِيدُ اللَّهِ مُتَرْءِي
فَالْبَلِيلُ وَالدِّينُ وَالدِّينِيَا بَدَارِيَا
إِنَّ النَّبِيَّ هُوَ النُّورُ الَّذِي كَشَفَتْ
وَرَهْطَهُ عَصْمَةُ فِي دِينِنَا وَلَمْ
وَلَسْتَ — فَاعْلَمُهُ — أُولَئِكُمْ رَحْمَانَا
فَقَمِّ تَنْعِمُهُمْ هُنَّا وَتَنْعِنُنَا
لَنْ يُؤْنِيَ اللَّهُ مِنْ أَخْزَى بِيَغْضِبُهُمْ

بقاءه .. فإنَّ كَانَ فِي نَفْسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَنَّةً مِنْ سَاعَهُ أَوْ وَاهْ أَوْ حَادِهِ فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
أَوْلَى بِالْتَّعْظِيلِ عَلَى عَبْدِهِ ، وَمَنْ أَفْنَى عُرْهَ فِي طَاعَتِهِ .

فَقَبِيلَ وَفَادِهِمْ ، وَقِبِيلَ الْمُذْرِ مِنْ مَعْنَى ، وَأَمْرَ بِصَرْفِهِمْ إِلَيْهِ .

فَلَمَّا صَارُوا إِلَى مَعْنَى وَقْرَأُوا الْكِتَابَ بِالرِّضا قَبْلَ مَا بَيْنَ عَيْنِيهِ ، وَشَكَرَ أَصْحَابَهُ ،
وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ وَأَجَازَمَ ، فَقَالَ مَجَاهِعَةُ :

أَلَا أَبْيَكَ يَامَعْنُّ بِأَطْمَاعِ	أَكِيتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ وَائِلٍ قَسَماً
عَمَتْ لُجَيْنَا وَخَصَّتْ آلَ تَجَاعَ	يَامَعْنُ إِنَّكَ قَدْ أَوْلَيْتَنِي نِعَماً
حَتَّى يُشَيِّدَ بِهِلْكَى هَفْنَةُ النَّاعِي	فَلَا أَزَالُ إِلَيْكَ الدَّاهِرَ مُنْقَطِعَ

١٥٤ - ابن أبي مخجن عند معاوية*

وفد ابنُ أبِي مخجَنَ عَلَى معاوِيَةَ ، فَقَامَ خَطِيبًا ، فَأَحْسَنَ ، فَخَسَدَ معاوِيَةَ .
فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الَّذِي أَوْصَاكَ أَبُوكَ بِقَوْلِهِ :

إِذَا مَاتَ فَادْفَنِي إِلَى جَنَبِ كَرْمَةِ تَرَوِي عَظَمَى بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقَهَا
وَلَا تَدْفَنِنِي فِي الْفَلَلَةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَاتَ أَلَا أَذْوَقَهَا
قَالَ : بَلْ أَنَا الَّذِي يَقُولُ أَبِي :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ مَآمَالِي وَمَا خَلُقَتِي
أُعْطِيَ الْحَسَامَ غَدَةَ الرَّوْعِ حَصْتَهُ
وَأَطْعَنَ الْطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ^(١) عَنْ عَرْضِ
وَأَكْتَمَ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنْقِ^(٢)
وَيَعْلَمُ النَّاسُ أُنِّي مِنْ سَرَاهِمٍ^(٣) إِذَا تَطَيَّشَ يَدُ الرَّعْدِيَّةَ^(٤) الْفَرِيقِ^(٥)
فَقَالَ لَهُ معاوِيَةَ : أَحْسَنَتَ وَاللهِ يَا بنَ أبِي مخجَنَ ، وَأَمْرَ لَهُ بَصْلَةٌ وَجَانِزَةٌ .

* المستطرف ٢ : ٢٣٦ ، ذيل زهر الآداب ٦٨ .

(١) العلق : الدَّمُ الْفَلَيْظُ (٢) النَّجْلَاءُ : الْوَاسِعَةُ (٣) سراة : بَعْضُ السَّرَّى : وَهُوَ الرَّئِيسُ .

(٤) الرَّعْدِيَّةُ : الْجَبَانُ (٥) الْفَرِيقُ : شَدِيدُ الْفَرْعُ .

١٥٦ - ذَكْرُ تِنِي يَوْمِ النَّفْخِ فِي الصُّورِ *

قدم سعيد^(١) بن جبير على الحجاج فقال له : ما أنت؟ قال : سعيد ، قال : ابن من؟ قال : ابن جبير ، قال الحجاج : بل أنت شقي بن كسير . قال سعيد : ألم أعلم باسمي واسم أبي ، قال الحجاج : شقيت وشقيت أمك . قال سعيد : الغيب يعلمه غيرك ، قال الحجاج : لأوردتك حياض الموت ! قال سعيد : أصابت إذن أمي اسمي .

قال الحجاج : لأبدلت بالدنيا ناراً تلظى ! قال سعيد : لو أعلم أن ذلك بيذك لا تخذلتك إلهما .

قال الحجاج : فما قولك في محمد؟ قال سعيد : نبي الرحمة ، وإمام المهدى . قال الحجاج : فما قولك في الخلفاء؟ قال سعيد : لست عليهم بوكيل ، كل أمرى بما كسب رهين . قال الحجاج : أشتهم أم مدمهم؟ قال سعيد : لا أقول مالا أعلم . قال الحجاج : أيهم أعجب إليك؟ قال : أرضام خالق ، قال : فأيهما أرضى للعالق؟ قال : علم ذلك عند الذي يعلم سرّهم ونجواهم . قال الحجاج : صفت لي قولهم في على؟ أفي الجنة هو أم في النار؟ قال سعيد : لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت ، ولو رأيت

* ابن خلكان ٢ : ٢٠٥ ، المعرف لابن قتيبة ١٩٧

(١) أخذ سعيد بن جبير العلم عن ابن عباس وابن عمر ، وكان من أجمع التابعين لعلم الفقه والتفسير وكان ورعا نقبا ، خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشمت على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الرحمن هرب سعيد فلحق بعكة ، ولكن إليها يومئذ خالد بن عبد الله القسري أخذه وأرسله إلى الحجاج ، فقتله سنة ٩٥ هـ .

من في النار علمت؟ فـأـسـؤـالـكـ عـنـ غـيـبـ قـدـ حـفـظـ بالـحـجـابـ! قـالـ الحـجـاجـ: فـأـئـ
رـجـلـ أـنـاـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ؟ قـالـ سـعـيدـ: أـنـاـ أـهـونـ عـلـىـ اللهـ مـنـ أـنـ يـطـلـعـنـ عـلـىـ الفـيـبـ.
قـالـ الحـجـاجـ: أـيـتـ أـنـ تـصـدـقـنـ؟ قـالـ سـعـيدـ: بـلـ لـمـ أـرـدـ أـنـ أـكـذـبـكـ.

قال الحجاج : دَعْ عنك هذا كاَه وأخربني ؟ مالك لم تضحك قط ؟ قال : لم أر شيئاً بُضحكني ، وكيف بضحك مخلوقٍ من طين ، والطين تأكله النار ، ومنْتَلبه إلى الجزاء ! قال الحجاج : فَأَنَا أضحك ؟ قال سعيد : كذلك خلقنا الله أطواراً . قال الحجاج : هل رأيت شيئاً من الله ؟ قال : لا أعلم . فدعوا الحجاج بالعود والنای ، فلما ضرب بالعود وفُتح في النای بكى سعيد : قال الحجاج : ما يبكيك ؟ قال : هو الحزن ؛ ذكرتني أمراً عظيماً . أما هذه النفحـة فذكرتني يوم النفحـة في الصور ، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق ، وأما الأوتار فن الشاء تُبعث معها يوم القيمة ، فقال الحجاج : أنا أحب إلى الله منك ؟ أنا مع إمام الجماعة ، وأنت مع إمام الفرقـة . قال سعيد : ما أنا بخارج على الجماعة ولا أنا براضٍ عن الفتنة ، ولكن قضاء الرب نافذ لا مرد له .

قال الحجاج : كيف ترَى ما نجَّمُ لأمير المؤمنين ؟ قال سعيد : لم أره . فدعا
الحجاج بالذهب والفضة والكِنْوَة والجوهر ، فَوُضِعَ بين يديه . قال سعيد : هذا
حسنٌ إن قتَ بشرطه ، قال الحجاج : وما شرطه ! قال : أن تشتري له بما تجتمع
الأمنَ من الفزع الأَكْبَر يوم القيمة ، قال الحجاج : أَنْهَبْ أَنْ تناَلَ منه شيئاً ؟
قال : لا أَنْهَبْ مَا لَا يَحِلُّ لِللهِ .

قال الحجاج : ويلك ! قال سعيد : الويل لمن زُحْزَحَ عن الجنة فأدخل

النار ، قال الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه . فلما أذْبَرَ ضحكت ؟ قال : ما يضحكك ؟ يا سعيد ؟
قال : عجبت من جرأتك على الله وحْلِمَ الله عليك ، قال الحجاج : اضرروا عنقك .
قال سعيد : دعنى أَصْلَ ركعتين . فاستقبل القبلة وهو يقول : إني وجهت وجهي
للذى فطر السموات والأرض حَنِيفاً وما أنا من المشركين . قال الحجاج : اصرفوه
عن القبلة ، قال سعيد : فَإِنَّمَا تُوَلُوا قُبْلَةً وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . قال الحجاج :
لَمْ نُؤْكَلْ بالسراير ، وإنما وَكَلَنَا بالظواهر . قال سعيد : اللهم لا نسلطه على أحد
يقتله بعدي .

ثم ضربت عنقه .

١٥٦ - أعرابي عند الحاجاج*

قال زيد بن عمرو : سمعت طاوساً يقول : بينما أنا بمكانة إذ دفعت إلى الحاجاج ابن يوسف ، فثني لي وساداً فجلسست ، فبينما نحن نتحدث إذ سمعت صوتَ أعرابي في الوادي رافعاً صوته بالتلبية^(١) ، فقال الحاجاج : على بالعلمي فأتني به فقال : من الرجل ؟ قال : من أفناء^(٢) الناس . قال : ليس عن هذا سألك ! قال : فعم سألني !

قال : من أى البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن . قال له الحاجاج : فكيف خلقتَ محمد^(٣) بن يوسف ؟ - يعني أخيه - قال : خلقتُه عظيماً جسماً خراجاً ولاجاً^(٤) ! قال : ليس عن هذا سألك ! قال : فعم سألني ؟ قال : كيف خلقتَ سيرته في الناس ؟ قال : خلقتُه ظلّ ما غشوماً عاصياً لخالق ، مطيناً للمخلوق !

فازور^{*} من ذلك الحاجاج ، وقال : ما أقدرك على هذا وأنت تعلم مكانته مني !

قال له الأعرابي : أفتراه بمكانةِ منك أعزَّ مني بمكانةِ من الله تبارك وتنالى وأنا وافدُ بيته ، وقاضي دينه ، ومصدقُ نبيه - صلَّى اللهُ عليه وسلم !

فوجم لها الحاجاج ، ولم يحرز^(٥) له جواباً ، حتى خرج الرجل بلا إدن !

* المقد الفريد ٢ : ٢٦٧

(١) التلبية : أن يقول الرجل لبيك ، ومعنى لبيك : لزوماً اطاعتكم

(٢) أبناء الناس : أخلاقهم ، وهو جم فنو^(٣) كان عامله باليمين^(٤) الخراج الولاج : المظيم الاحتيال^(٥) ما أغار جواباً : مارد .

١٥٧ - دعائى منَ هو خير منك *

حجّ الحجاجُ قُبِرَل ببعض المياء ، ودعا بالغداة ، فقال حاجبه : انظر من يغدو معي وأسأل الله عن بعض الأمور ! فنظر الحاجب فإذا هو بأعرابي نائم بين شملتين^(١) من شعر فضر به برجله ، وقال : أنت الأمير .

فأناه ، فقال له الحاجاج : أغسل يدك وتغدو معي ؟ قال : إنه دعائى منَ هو خير منك فأجبته ، فقال الحاجاج : من الذي يعاك ! قال : الله تعالى دعائى للصوم فصمت ؛ قال : في هذا اليوم الحار ؟ قال : نعم ، صمت لليوم آخر منه ؛ قال : فأفتر وتصوم غداً ؛ قال : إن صفت إلى البقاء إلى الغد ! قال : ليس ذلك إلى . قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجل لا تقدر عليه ؟ قال : إنه طعام طيب . قال : إنك لم تطئيه ولا الخباز ، ولكن طبيته العافية !

* عيون الأخبار ٢: ٣٦٦.

(١) الشلة : كساء يشتمل به .

١٥٨ — أنت إلى القبر أقرب منك إلى المغرو *

دخل أبوب (١) ابن القرية على الحجاج - وكان فيمن أسر من أصحاب عبد الرحمن بن الأشمت ، فقال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : ثلاثة صنوف ، كأنها ركب وقوف ، دنيا وأخراً ومحروف !

قال له الحجاج : بنسما منيت به نفسك يابن القرية أتراني من تخذلـه بكلامك وخطـبـك ؟ والله لأنـت أقرب إلى الآخرة من موضع نعلـهـ هذه ! قال : أقـلـي عـنـقـي ، وأسـفـي رـيقـي ، فإـنه لا بد للجـوادـ من كـبـوةـ ، ولـلـسيـفـ من نـبـوةـ ، ولـلـحـلـيمـ من صـبـوةـ ! قال : أنت إلى القبر أقرب منك إلى العنـوـ ! أـلسـتـ القـاتـلـ - وأـنـتـ تـحـرـضـ حـزـبـ الشـيـطـانـ ، وـعـدـوـ الرـحـمـنـ : « تـنـدـدـواـ بـالـحجـاجـ قـبـلـ أـنـ يـتـعـشـيـ بـكـمـ » ! أـنـمـ قـدـمـهـ فـضـرـبـ عـنـقـهـ !

* زهر الآداب ٤ : ٤٩

(١) هو أبوب بن زيد بن قيس ، والقرية أمه ، وهو من بنى هلال بن ربيعة ، وكان لـه خطـيـباـ ، قـتـلهـ الحـجـاجـ لـأـلـهـهـ مـمـ مـعـ اـبـنـ الـأـشـمـ .

١٥٩ — ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب *

قال الشعبي : لما انهزم أَبْنُ الأَشْتَقِي^(١) صافتُ بِالْأَرْضِ ، وَكَرِهْتُ تِرْكَ عِيَالِي وَوَلْدِي ؟ فَلَقِيمْتُ يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمَ ، وَكَانَ لِي صَدِيقًا ، وَكَانَ الصَّدَاقَةُ تَفْعَمُ عَنْهُ - قَلْتُ لَهُ : قَدْ عَرَفْتَ الْحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَقَدْ صِرْنَا إِلَى مَاتِرِي ! قَالَ : يَا أَبَا عُمَرْ ؟ إِنَّ الْمُجَاجَ لَا يُكَذِّبُ لَا يُؤْمِنُ^(٢) لَا يُنْبِحُ ، وَلَكِنْ قَمْ بَيْنِ يَدِيهِ ، وَأَقْرَبَ بَذْنِكَ ، وَاسْتَشْهَدْنِي مَا شِئْتَ .

فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ الْمُجَاجُ إِلَّا وَأَنَا مَائِلٌ^٣ بَيْنِ يَدِيهِ ، قَالَ : أَعْمَرْ ؟ قَلْتُ : نَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! قَالَ : أَلَمْ أَقْدِمْ الْعَرَاقَ فَأَخْسَنْتُ^٤ إِلَيْكَ وَأَذَنْتُكَ ، وَأَنْفَذْتُكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاسْتَشَرْتُكَ ! قَلْتُ : بِلِي أَيْهَا الْأَمِيرَ .

قَالَ : فَأَبْنَ كَنْتَ مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ ؟ قَلْتُ : اسْتَشَعَرْتَنَا الْخَلْفَ ، وَاكْتَحَلَنَا السَّهْرَ ، وَأَحْزَنَ بَنَا الْمَنْزِلَ ، وَأَوْحَشَ بَنَا الْجَنَابَ ، وَفَقَدَنَا صَالِحَ الْإِخْرَانَ ، وَشَلَّتْنَا فِتْنَةً لَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَّةً أَقْتِيَاهُ ، وَلَا فَرَّةً أَقْوِيَاهُ ؛ وَهَذَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمَ قَدْ كَانَ يَعْرِفُ عُذْرِي ، وَكَنْتُ أَكْتُبُ إِلَيْهِ .

قَالَ : صَدِقْ ؟ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! قَدْ كَانَ يَكْتُبُ إِلَيَّ بِعُذْرِهِ ، وَيَخْبُرُنِي بِحَالِهِ . قَالَ الْمُجَاجُ : فَهَذَا الْأَحْقَقُ ضَرَبَنَا بَيْنَهُ ، ثُمَّ جَاءَنَا بِالْأَكاذِيبِ ؟ كَانَ وَكَانَ ؟ انْصَرَفَ إِلَى أَهْلِكَ رَاشِدًا .

* المقد الفريد : - ١٥١ ، ذيل الأمال : ٢٢٠ (المطبعة الأميرية) ، مروج الذهب : ٢ - ٥٧٣ .

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، خرج على المجاج ، وخرج معه القراء والعلماء

(٢) يريد أنه لا يكلم بغير ولا شر . اللسان - نبع .

١٦٠ - الحجاج وأنس بن مالك *

حدث سعيد بن جُويرية قال :

خرجت خارجة على الحجاج بن يوسف ، فأرسل إلى أنس بن مالك أن يخرج معه فأبى ؛ فكتب إليه بستمه . . . فكتب أنس بن مالك إلى عبد الله ابن مروان يشكوه ، وأدرج كتاب الحجاج في جوف كتابه .

قال إسماعيل بن عبد الله : بعث إلى عبد الملك بن مروان في ساعة لم يكن ييمث إلى في مثلها ، فدخلت عليه وهو أشد ما كان حنقاً وغيظاً ، فقال : يا إسماعيل ، ما أشد أن تقول الرعية : ضف أمير المؤمنين وضاق ذرعه في رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ لا يقبل له حسنة ولا يتتجاوز له عن سيئة ! فقلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أنس بن مالك ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ كتب إلى يذكر أن الحجاج قد أضر به وأساء جواره ، وقد كتبت في ذلك كتابين : كتاباً إلى أنس بن مالك والآخر إلى الحجاج ، فاقبضهما ، ثم أخرج على البريد؛ فإذا وردت العراق فابداً بأنس بن مالك ، وادفع إليه كتابي ، وقل له : اشتد على أمير المؤمنين ما كان من الحجاج إليك ، ولن يأتي إليك أمر تذكره إن شاء الله . ثم أنت الحجاج ، فادفع إليه كتابه وقل له : اغتررت بأمير المؤمنين غررة لا أظنه يخالطك شرها . ثم افهم ما يتكلم به وما يكون منه حتى تفهمي إياه إذا قدمت على إن شاء الله .

قال إسماعيل : قبضتُ الكتابين وحرجتُ على البريد حتى قدِمتُ العراق ،
غبدأتِ يأنس بن مالك في منزله ؛ ودفعتُ إليه كتابَ أمير المؤمنين وأبلغته رسالته
فذعا له وجذاه خيراً . فلما فرغ من قراءة الكتاب قلت له : يا أبا حمزة ؛ إن الحاجاج
عامل ، ويقدِرُ أن يضرك وينفعك ، فأنا أريد أن تصالحه ، قال : ذلك إليك ؛
لا أخرج عن رأيك .

ثم أتيتُ الحاجاج ، فلما رأني رحب وقال : والله لقد كنتُ أحِبْ أن أراك
في بلدي هذا ؛ قلت : وأنا والله كنتُ أحِبْ أن أراك ، وأقدم عليك بغير الذي أرسلتُ
به إليك ؛ قال : وما ذاك ؟ قاتُ : فارقتُ الخليفة وهو أغضبُ الناس عليك ؛ قال :
ولم ؟ دفعتُ إليه الكتاب ؛ فعمل يقرؤه وجيئه يمرق ، فمسحه بيديه ، ثم قال :
أركب بنا إلى أنس ، قلت له : لا تفعل فإني سأنلطف به حتى يكون هو الذي يأتيك ،
وذلك للذي أشرتُ عليه من مصالحتك .

وألقى كتابَ أمير المؤمنين فإذا فيه : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ
عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانِ إِلَيْهِ الْحَاجَاجَ بْنِ يُوسُفَ ، أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ عَبْدَ طَمَّتَ^(١)
بَكَ الْأَمْوَرِ فَطَغَيْتَ ، وَعَلَوْتَ فِيهَا حَتَّى جُزِّتَ قَدْرَكَ ، وَعَدَوْتَ طَوْرَكَ ، وَإِنَّ اللَّهَ ،
لَا نَعْزِنَّكَ كَعِبْضَ غَزَّاتِ السَّيُوفِ لِلشَّالِبِ ، وَلَا رَكْضَنَكَ رَكْضَةً تَذَلُّ مِنْهَا فِي
وِجَارَكَ ! اذْكُرْ مَنَاسِبَ آبَائِكَ بِالظَّافِرِ ، إِذْ كَانُوا يَنْقُلُونَ الْحِجَارَةَ عَلَى أَكْتَافِهِمْ ،
وَيَحْفِرُونَ الْآبَارَ فِي الْمَاهِلِ^(٢) بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَدْ نَسِيَتْ مَا كَنْتَ عَلَيْهِ أَنْتَ وَآبَاؤُكَ
مِنَ الدَّنَاءَةِ وَاللَّوْمِ وَالصَّرَاعَةِ ؛ وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتِطَالَةً مِنْكَ عَلَى أَنْسَ بْنَ
مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ جُرَأَةً مِنْكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَغَرَّةً بِعِرْفَةِ غَيْرِهِ وَنِقْمَاتِهِ وَسَطْوَاتِهِ عَلَى مَنْ خَالَفَ سَبِيلَهِ ، وَعَمَدَ إِلَى غَيْرِ مُجْتَهِهِ

(١) طمت : علت (٢) الماهل : يجمع منهلاً وهو المشرب .

نزل عند سخطه . وأظنك أردت أن تروزه ^(١) بها ، لتعلم ما عنده من التفهير والنكير فيها ، فإن سوغتها مضيت قدماً ، وإن غصبت وليت دبراً ، فليك لعنة الله ، مِنْ عَدِيْ أَخِيفِش ^(٢) العينين ، أصلك ^(٣) الرجلين . وايم الله ، لو أن أمير المؤمنين علم أنك اجترمت منه جرماً ، واتهكت له عرضاً لبعث إليك من بسحبك ظهراً لبطن ؟ حتى ينتهي بك إلى أنس بن مالك فيحكم فيك بما أحب ، ولم يخف على أمير المؤمنين تبؤتك ، ولشكل نيا مستقر ، وسوف تعلمون » .

قال إسماعيل : فانطلقتُ إلى أنس ، فلم أزل به حتى انطلق معى إلى الحجاج ، فلما دخلنا عليه قال : يغفر الله لك أبا حفزة ! عجلت باللامنة ، وأغضبت علينا أمير المؤمنين ، ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير ، فقال أنس : إنك كنت تزعمُ أنا الأشرار والله سينا الأنصار ، وقلت : إنما من أنخل الناس والله يقول فينا : وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَا صَةً ». وزعمت أنا أهل نفاق والله تعالى يقول فينا : « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الْأَدَارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُتُوا ». فكان المخرج والمشتك في ذلك إلى الله وإلى أمير المؤمنين ، فتوى من ذلك ما وله الله ، وعرف من حقنا ما جهلت ، وحفظَ منا ما ضيَّتْ ، وسيحكم في ذلك ربُّه هو أرضي للمرضى ، وأسخط للمُسْخط ، وأقدر على الغير يوم لا يشوب الحقَّ عنده الباطل ، ولا التور الظلمة ، ولا اهنى الضلال ، والله لو أن اليهود أو النصارى رأتُ من خدم موسى بن عمران أو عيسى بن مريم يوماً واحداً لرأته له ما لم تروالي في رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين !

(١) تروزه : تجربة (٢) المنش : ضف البصر مع ضيق في العين (٣) الصكك : أن تضرب به احدى الركبتين الأخرى عند المعدو فتؤثر فيها أثراً.

فاعتذر إلـيـهـ الحـجـاجـ وـتـرـضـاهـ حـتـىـ قـبـلـ عـذـرـهـ وـرـضـيـ عـنـهـ ، وـكـتـبـ بـرـضـاهـ
وـقـبـولـهـ عـذـرـهـ إـلـيـ عـبـدـ الـلـكـ بـنـ مـرـوانـ .

وـكـتـبـ الحـجـاجـ إـلـيـ عـبـدـ الـلـكـ : « إـلـيـ أـمـيرـ الـؤـمـنـيـنـ عـبـدـ الـلـكـ بـنـ مـرـوانـ .
بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ ؛ أـمـاـ بـعـدـ . أـصـلـحـ اللـهـ أـمـيرـ الـؤـمـنـيـنـ ، وـأـبـقـاهـ وـسـهـلـ حـظـهـ
وـأـحـاطـهـ ، وـلـاـ أـعـدـ مـنـاهـ . فـإـنـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ أـبـيـ الـمـهاـجـرـ رـسـوـلـ أـمـيرـ الـؤـمـنـيـنـ . أـعـزـ
الـلـهـ نـصـرـهـ . قـدـمـ عـلـىـ بـكـتـابـ أـمـيرـ الـؤـمـنـيـنـ أـطـالـ اللـهـ بـقـاءـهـ ؛ وـجـمـائـيـ مـنـ كـلـ
مـكـروـهـ فـدـاءـهـ . يـذـكـرـ شـقـيقـتـيـ وـتـوـبـيـخـيـ بـأـبـاـيـ وـتـمـيـرـيـ بـمـاـ كـانـ قـبـلـ نـزـولـ النـعـمةـ
بـيـ مـنـ عـنـدـ أـمـيرـ الـؤـمـنـيـنـ . أـتـمـ اللـهـ نـعـمـتـهـ عـلـيـهـ وـإـحـسـانـهـ إـلـيـهـ ، وـيـذـكـرـ أـمـيرـ
الـؤـمـنـيـنـ . جـلـعـنـ اللـهـ فـدـاءـهـ . اـسـتـطـلـةـ مـثـىـ عـلـىـ أـنـسـ بـنـ مـالـكـ خـادـمـ دـسـوـلـ اللـهـ
صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ » .

« أـمـيرـ الـؤـمـنـيـنـ . أـصـلـحـ اللـهـ فـيـ قـرـابـتـهـ مـنـ مـحـمـدـ دـسـوـلـ اللـهـ صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ
إـمـامـ الـمـهـدـيـ وـخـاتـمـ الـأـنـبـيـاءـ أـحـقـ مـنـ أـقـالـ عـتـرـتـيـ ، وـعـفـاـعـنـ ذـنـبـيـ ، فـأـمـهـلـنـيـ وـلـمـ
يـسـعـلـنـيـ عـنـدـ هـفـوـتـيـ ؛ لـلـذـيـ جـبـلـ عـلـيـهـ مـنـ كـرـيـمـ طـبـائـهـ ، وـمـاـ قـلـدـهـ اللـهـ مـنـ
أـمـورـ عـبـادـهـ ، فـرـأـيـ أـمـيرـ الـؤـمـنـيـنـ . أـصـلـحـ اللـهـ . فـتـسـكـينـ روـعـتـيـ وـإـفـرـاجـ
كـرـبـتـيـ ، فـقـدـ مـلـثـتـ رـعـبـاـ وـفـرـقاـ مـنـ سـطـوـتـهـ ، وـفـجـاءـةـ نـقـمـتـهـ . أـمـيرـ الـؤـمـنـيـنـ .
أـقـالـهـ اللـهـ العـرـاثـ ، وـتـجاـوزـ لـهـ عـنـ السـيـثـاتـ ، وـضـاعـفـ لـهـ الـحـسـنـاتـ ، وـأـعـلـىـ لـهـ
الـدـرـجـاتـ . أـحـقـ مـنـ صـفـحـ وـعـفـاـ وـنـعـمـدـ^(١) ، وـتـعـمـلـ وـأـبـقـ ، وـلـمـ يـشـمـتـ فـيـ عـدـوـاـ
مـكـبـاـ^(٢) ، وـلـاـ حـسـودـاـ مـضـبـاـ^(٣) ، وـلـمـ يـجـرـ عـنـ غـصـصـاـ ، وـالـذـيـ وـصـفـ

(١) نـعـمـدـ : سـتـرـ مـاـ كـانـ عـنـدـهـ . (٢) أـكـبـ عـلـيـهـ : إـذـاـ أـقـبـلـ وـلـزـمـ . (٣) أـضـبـ : حـلـ الـفـيـظـ
وـالـخـدـ .

المؤمنين من صنيعه إلى ، وتنوّيه لـ بما أنسَدَ إلى من عمله ، وأوطأني من رقاب رعيته صادق فيه مجرِّي بالشُّكْرِ عليه ، والتوَسْلِي مِنْ إِلَيْهِ بالولَاية ، والتقرُّبُ لـ بالكفاية .

« وقد عاين إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي الْمَاهِرِ رَسُولَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَامِلِ كِتَابِهِ نَزْوِيِّ عَنْدَ مَسْرَةِ أَنْسَ بْنِ مَالِكٍ ، وَخَضْوَعِيْ عنْدَ كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِقْلَادِهِ إِيَّاِيَّهُ وَدُخُولِهِ بِالْمُصِبَّةِ عَلَىِّ مَا سَيَعْلَمُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ رَأَىْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - طَوْقَنِيَ اللَّهُ بِشَكْرِهِ ، وَأَعْنَى عَلَىِ تَأْدِيَةِ حَقِّهِ ، وَبَلَغَنِي إِلَىِ مَا فِيهِ موافَقَةِ مَرْضَاتِهِ ، وَمَدَّ لِي فِي أَجْلِهِ - أَنْ يَأْمُرَ لِي بِكِتَابٍ مِنْ رِضَاهُ وَسَلَامَةِ صَدْرِهِ مَا يَؤْمِنُنِي بِهِ مِنْ سُفْكَهِ دِمِيَ ، وَيَرِدَ مَا شَرَدَ مِنْ نُوْمِي ، وَيَطْمَئِنَ بِهِ قَلْبِي ، فَقَدْ وَرَدَ عَلَىِ أَمْرِ جَلِيلٍ ، خَطْبَهِ عَظِيمٍ ، وَأَمْرَهُ شَدِيدٌ » .

« أَسْأَلُ اللَّهَ أَلَا يُسْخِطَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْ يُثْبِتَهُ فِي حَزْمَهُ وَعَزْمَهُ ، وَسِيَاسَتَهُ وَفِرَاسَتَهُ ، وَمَوَالِيهِ وَحَشَمَهُ ، وَعَمَالَهُ وَصَنَائِعَهُ ، مَا يَحْمِدُ بِهِ حَسْنَ رَأْيِهِ وَبَعْدَ هَمَّتْهُ ، إِنَّهُ وَلِيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالذَّانِبُ عَنْ سُلْطَانِهِ ، وَالْفَصَانِعُ فِي أَمْرِهِ وَالسَّلَامُ » .
قال إِسْمَاعِيلُ : لَمَاقْرَأْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْكِتَابَ قَلَ : يَا كَاتِبُهُ أَفْرَخْ رُوعَ أَبِي
مُحَمَّدَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِالرِّضا عَنْهُ !

١٦١ — الحجاج والغضبان بن القبترى *

سأل الحجاج يوماً الغضبان ^(١) بن القبترى عن مسائل يتحنه فيها ، قال له : من أكرم الناس ؟ قال : أفقهم في الدين ، وأصدقهم لليمين ، وأبذلهم للمسلين ، وأكرمهم للمهانين ، وأطعهم للمساكين .

قال : فمن ألم الناس ؟ قال : المنطى على الهوان ، المفتر على الإخوان ، السكثير الأولان .

قال : فمن شر الناس ؟ قال : أطولهم جفوة ، وأذوهم صبحة ، وأكثرهم خلوة ، وأشدّهم قسوة .

قال : فمن أشجع الناس ؟ قال : أضر بهم بالسيف ، وأفراهم للضييف ، وأتركمهم للحيف ^(٢) .

قال : فمن أجبن الناس ؟ قال : المتأخر عن الصفواف ، المتقبض عن الزحوف ، المرتش عن الوقوف ، الحب ظلال السقوف ، السكاره لضرب السيوف .

قال : فمن أقتل الناس ؟ قال : المتفتن في اللام ، الضنين بالسلام ، المهدأز ^(٣) في الكلام ، المُتَبَّقِّب ^(٤) على الطعام .

* المستطرف : ١ - ٤٧

(١) الغضبان بن القبترى من أشراف العراق ، وكان من دعاة الرواية أيام حرب عبد الملك ابن مروان مع مصعب بن الزبير (٢) الحيف : الجبور والظلم (٣) المهدار : كثير المذيان ، وأهدر في كلامه : أكثر (٤) قبب الرجل : حق .

قال : فَمَنْ خَيْرُ النَّاسِ ؟ قال : أَكْثَرُهُمْ إِحْسَانًا ، وَأَقْوَمُهُمْ مِيزَانًا ، وَأَدْوَمُهُمْ غُفرَانًا ، وَأَوْسَعُهُمْ مِيدَانًا .

قال : اللَّهُ أَبُوكَ ! فَكَيْفَ يُعْرَفُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ ؟ أَحْسِبَ هُوَ أَمْ غَيْرَ حَسِيبٍ ؟
قال : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرًا إِنَّ الرَّجُلَ الْحَسِيبَ بِذَلِكَ أَدْبُوغَفْلَةَ ، وَشَمَائِلَهُ وَعِزَّتُهُ نَفْسَهُ ،
وَكَثْرَةُ احْجَالَهُ ، وَبِشَاشَتَهُ ، وَحُسْنُ مَدَارَاتِهِ عَلَى أَصْلِهِ ؛ فَالْعَاقِلُ الْبَصِيرُ بِالْأَحْسَابِ
يُعْرَفُ شَمَائِلَهُ ، وَالنَّذِلُ الْجَاهِلُ بِجَهَلِهِ ؟ فَمَثَلُهُ كَمْلُ الدُّرَّةِ ، إِذَا وَقَتَ عِنْدَ مِنْ
لَا يَعْرِفُهَا إِزْدَرَاهَا ، وَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا الْعَقَلَاءُ عَرَفُوهَا وَأَكْرَمُوهَا ؛ فَهِيَ عِنْدَهُمْ لِمَعْرِفَتِهِمْ
بِهَا حَسَنَةٌ فَيْسِيَّةٌ .

قال الحجاج : اللَّهُ أَبُوكَ ! فَمَنِ الْعَاقِلُ ؟ وَمَنِ الْجَاهِلُ ؟ قال : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرًا
الْعَاقِلُ الَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ هَذَرًا ، وَلَا يَنْتَرُ شَرَزَرًا ، وَلَا يَضْمُرُ غَدَرًا ، وَلَا يَطْلُبُ عَذْرًا ؛
وَالْجَاهِلُ هُوَ الْمَذَارُ فِي كَلَامِهِ ، النَّنَانُ بِطَعَامِهِ ، الضَّنِينُ بِسَلَامِهِ ، الْمَتَطاوِلُ عَلَى إِمَامِهِ ،
الْفَاحِشُ عَلَى غَلَامِهِ .

قال : اللَّهُ أَبُوكَ ! فَمَنِ الْحَازِمُ الْكَيْتِسُ ؟ قال : الْمُقْبَلُ عَلَى شَأْنِهِ ، التَّارِكُ لِمَا
لَا يَعْنِيهِ .

قال : فَمَنِ الْعَاجِزُ ؟ قال : الْمَجْبُ بَأْرَائِهِ ، الْمُلْتَفِتُ إِلَى وَرَائِهِ .
قال : هَلْ عَنْدَكَ مِنِ النِّسَاءِ خَبِيرٌ ؟ قال : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرًا إِنِّي بِشَأْنِهِ خَبِيرٌ ،
إِنَّ النِّسَاءَ مِنْ أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ بِنَزْلَةِ الْأَضْلَاعِ ؛ إِنَّ عَدُّهُنَّا إِنْكَسَرَتْ ، وَلِمَنْ جَوَهَرْ
لَا يَصْلُحُ إِلَى الْمَدَارَةِ ؛ فَنَّ دَارَاهُنَّ اتَّنْفَعَ بِهِنَّ ، وَقَرَّتْ عَيْنَهُ . وَمَنْ شَأْرَهُنَّ
كَدَرَنَتْ عِيشَهُ ، وَتَسْكَدَرَتْ عَلَيْهِ حَيَاَتُهُ ، وَتَنْفَضَتْ لَدَاتِهِ ؛ فَأَكْرَمُهُنَّ أَعْفَهُنَّ ،
وَأَغْفَرُ أَحْسَابِهِنَّ الْعَفَةَ ؛ فَإِذَا زِلَّنَ عَنْهَا فِنَّ أَنْتَنَ مِنَ الْجِيفَةِ .

قال له الحجاج : يا غضبان ؟ إني موجهك إلى ابن الأشعث وآفاداً ؛ فماذا أنت
قائل له ؟ قال : أصلح الله الأمير ! أقول ما يُرِيدُه^(١) ويؤذيه وبضنه ! قال : إني
أظنك لا تقول له ماقلت ، وَيَأْنَى بِصُوتِكِ يُجَالِجُ فِي قُصْرِي هَذَا ، قال : كلا ،
أصلح الله الأمير ! سأحلّد له لسانِي ، وأجرب به في ميداني .

فعند ذلك أمره بالسير إلى كرمٍ مان ؛ فلما توجّه إلى ابن الأشعث ، بعث الحجاج
عَيْنَاهُ عَلَيْهِ - وكان يفعل ذلك مع جميع رسله .

فَلَمَّا قَدِمَ الْفَضْبَانُ عَلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ قَالَ لَهُ : إِنَّ الْحَجَاجَ قَدْ هُمْ بِخَلْعِكَ وَعَزْلِكَ ؛
فَخُذْ حِذْرَكَ ، وَتَنَدَّبْ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَشَّى بِكَ ، فَأَخْذَ حِذْرَهُ عِنْدَ ذَلِكَ . ثُمَّ أَمَرَ بِالْفَضْبَانِ
بِجَاهِزَةِ سَنِيَّةٍ ، وَخَلَمَ فَاحِرَةً ؛ فَأَخْذَهَا وَانْصَرَفَ رَاجِحاً .

فَأَتَى إِلَى رَمْلَةِ كِرْمَانَ فِي شَدَّةِ الْحَرَّ وَالْعَيْنَ - وَهِيَ رَمْلَةُ شَدِيدَةِ الرَّمْضَاءِ^(٢) -
فَضَرَبَ قُبَّتَهُ فِيهَا ، وَحَطَّ عَنْ رَوَاحِلِهِ ، فَيَنْهَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا بَأْعَرَابِيَّ مِنْ بَنِي بَكْرٍ
ابْنَ وَائِلَ ، قَدْ أَقْبَلَ عَلَى بَعِيرٍ ، قَاصِدًا نَحْوَهُ ، وَقَدْ اشْتَدَ الْحَرُّ ، وَحِيتَ الْغَزَالَةِ^(٣)
وَقْتُ الظَّهِيرَةِ ، وَقَدْ ظَلَّ ظَلَّمًا شَدِيدًا ، قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ،
قَالَ الْفَضْبَانُ : هَذِهِ سَنَّةٌ وَرَدَّهَا فَرِيْضَةٌ ، قَدْ فَازَ قَاتِلُهَا ، وَخَسِرَ تَارِكُهَا ؛ مَا حَاجَتَكَ
يَا أَعْرَابِيَّ ؟ قَالَ : أَصَابَتِنِي الرَّمْضَاءُ ، وَشَدَّةُ الْحَرَّ وَالظَّلَّمُ ؛ فَتَيَمَّمْتُ قُبَّتِكَ ، وَأَرْجُو
بِرَكَتِهَا .

قال الفضبان : فهلا تيَمَّمْتَ قَبَّةً أَكْبَرَ مِنْ هَذِهِ وَأَعْظَمَ !

قال : أَيْتَهُنَّ تَعْنِي ؟ قال : قَبَّةُ الْأَمِيرِ ابْنِ الْأَشْعَثِ ! قال : تَلَكَ لَا يُوصَلُ
إِلَيْهَا ! قال : إِنَّ هَذِهِ أَمْنَعُ مِنْهَا ! قال الأَعْرَابِيُّ : مَا أَسْمَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ قال :

(١) أَرْدَادٌ : أَهْلُكَ (٢) الرَّمْضَانُ : وَقَعَ الشَّمْسُ عَلَى الرَّمْلِ وَغَيْرِهِ (٣) الْغَزَالَةُ هُنَا : الشَّمْسُ .

آخذ ، فقال : وما تعلم ؟ قال : أكره أن يكون لي اسمان !
قال : بالله من أين أتيت ؟ قال : من الأرض ! قال : فأين تריד ؟ قال : أمشي
في مَنَا كِبَها^(١) ، فقال الأعرابي - وهو يرفع رجلا ، وبضم أخرى ، من شدة الحر -
أنقرض الشعر ؟ قال : إنما يقرض الفار ؟ فقال : أَفَسَنْجَعَ ؟ قال : إنما تشجعُ
الحِمَامَةَ ! فقال : يا هذا ، ائذن لي أن أدخل قُبَّتك ! قال : خَلْفَكَ أَوْسَعُ لَكَ !
قال : قد أحرقني حر الشمسم ! قال : مالي عليها من سلطان ! فقال : إنني لا أريد
طعامك ولا شرابك ، قال : لا تعرض لما لا تصل إليه ، ولو تلقيت روحك !
قال الأعرابي : سبحان الله ! قال : نعم من قبل أن نتعلم أضراسُك ! فقال :
ما عندك غير هذا ؟ قال : بلى ، هراوة أضرب بها رأسك ! فاستفاث الأعرابي :
يا جار بنى كعب !

قال الفضبان : بئس الشيئ أنت ! فوا الله ما ظلمت أحد فتنفيت !
قال الأعرابي : مارأيت رجلا أقسى منك ؟ أتيتك مستغيناً فجربتني وطردتني ،
هلا أدخلتني قبتك وطارحتني القريض ؟ قال . مالي بمحادثتك من حاجة !
قال الأعرابي : بالله ما اسمك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الفضبان بن التَّبَّعَةِ .
قال : اسمك منكران ، خلقا من غضب ! قال : قِفْ متوكناً على باب قبتي
برجلك هذه النوجاء ! فقال : قطعها الله إن لم تكن خيراً من رجالك
هذه الشناء !

قال الفضبان : لو كنت حاكماً لجرت في حكومتك ، لأن رجلي في الظل
قاعدة ، ورجلك في الرمضاء قائمة .

(١) المكب : ناحية كل شيء .

قال الأعرابي : إنَّ لِأَظْنَنَّ هُصْرَكَ فَاسِدًا . قال : مَا أَقْدَرْتَنِي عَلَى إِصْلَاحِهِ ؟
قال الأعرابي : لَا أَرْضَاكَ اللَّهُ وَلَا حَيَاكَ ، نَمْ وَلَى وَهُوَ يَقُولُ :

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي قَوْمٍ تَسْوَدُهُمْ إِنَّ أَظْنَكَ - وَالرَّحْنِ - شَيْطَانًا
أَتَيْتُ قَبْتَهُ أَرْجُو ضِيَافَتَهُ فَأَظْهَرَ الشَّيْخَ ذُو الْقَرَنَيْنِ حِرْمَانًا
فَلَمَّا قَدِمَ الْفَضْبَانُ عَلَى الْحَجَاجَ - وَقَدْ بَاغَهُ الْجَاسُوسُ مَا جَرَى بَيْنِهِ وَبَيْنِ ابْنِ
الْأَشْعَثِ وَبَيْنِ الْأَعْرَابِيِّ - قَالَ لِهِ الْحَجَاجُ : يَا غَضْبَانُ ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَرْضَ
كِرْمَانَ ؟ قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمْيَرَ ! أَرْضَ يَابْسَةَ ، النَّاسُ بِهَا ضَعَافُ ؛ إِنْ كَثُرُوا
جَاعُوا ، وَإِنْ قَلُوا ضَاعُوا .

قال لِهِ الْحَجَاجُ : أَسْتَ صَاحِبَ الْكَلْمَةِ الَّتِي بَلَغَنِي أَنِّكَ قَلْتَهَا لِابْنِ الْأَشْعَثِ
« تَندَّ بِالْحَجَاجِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَشَّ بِكَ » ؟ فَوَاللَّهِ لَأَجْبَسْتَكَ عَنِ الْوَسَادِ ، وَلَأَنْزَلْتَكَ عَنِ
الْجَيَادِ ، وَلَأَشْهَرْتَكَ فِي الْبَلَادِ !

قال : الْأَمَانُ أَيْهَا الْأَمْيَرَ ! فَوَاللَّهِ مَا ضَرَّتْ مِنْ قِيلَتْ فِيهِ ، وَلَا نَفَعَتْ مِنْ
قِيلَتْ لَهُ !

قال لِهِ : أَمْ أَقْلَلُ لَكَ : كَأْنِي بِصَوْتِكَ يَجْلِجِلُ فِي قَصْرِي هَذَا ! اذْهِبُوا بِهِ
إِلَى السُّجْنِ .

فَذَهَبُوا بِهِ ؛ قَيْدَ وَسِجْنُ ، فَكَثُرَ مَا شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ إِنَّ الْحَجَاجَ ابْنَتَنِي الْخَلْصَرَاءَ بِيُوَاسِطِ فَأَعْجَبَ بِهَا ، قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : كَيْفَ
تَرَوْنَ قَبْتَيْ هَذِهِ وَبَنَاءَهَا ؟ قَالُوا : أَيْهَا الْأَمْيَرُ إِنَّهَا حَصِينَةٌ مَبَارَكَةٌ ، مَنْيَعَةٌ نَّفَرَةٌ
بِهِجَةٍ ، قَلِيلٌ عَيْهَا ، كَثِيرٌ خَيْرُهَا ، قَالَ : لَمْ تَخْبُرُونِي بِنَصْحٍ ؟ قَالُوا : لَا يَصِفُّهَا
لَكَ إِلَّا الْفَضْبَانُ .

فبعث إلى الفضبان فأحضره ، وقال له : كيف ترى قبتي هذه وبناتها ؟ قال :
أصلح الله الأمير ؛ بنيتها في غير بذرها ، لا لك ولا لولدك ، لا تدوم لك ، ولا يسكنها
وارثك ، ولا تبقى لك ، وما أنت لها بياق !

قال الحجاج : قد صدق الفضبان ، رُدْوه إلى السجن .

ف لما حلوا قال : « سُبْحَانَ اللَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُغْرِبِينَ » (١) .
قال : أُنزلوا ، فلما أُنزلوا قال : « رَبُّ أَنْزَلَنِي مُنْزَلًا مُبَارَّ كَمَا وَأَنْتَ خَيْرٌ
أَمْنِزَلِينَ » . قال : انبروا به الأرض ، فلما ضربوا به الأرض قال :
« مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » .

قال : جُرُّوه ، فأقبلوا يجرونه ، وهو يقول : « يَسْمَعُ اللَّهُ تَجْرِيْهَا وَمُرْسَاهَا
إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ » .

قال الحجاج : ويلكم ! أتركوه فقد غلبي دهاء وخباء . ثم عفا عنه ، وأنم
عليه ، وخلّى سبيله .

(١) مغربيين : مطريقين .

* ١٦٢ - حسن تخلص

— —

صَدِيدَ خالدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ التِّبَرِيِّ فِي يَوْمِ جُمَّةٍ ، وَهُوَ إِذَا ذَاكَ عَلَى مَكَّةَ ،
فَذَكَرَ الْحَجَاجَ ، فَقَدِ طَاعَهُ وَأَتَنَى عَلَيْهِ .

فَلَا كَانَ فِي الْجَمَّةِ الثَّانِيَةِ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابٌ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، يَأْسِرُهُ فِيهِ
بَشْرٌ الْحَجَاجُ وَنَشَرٌ عَيْوَبٌ ، وَإِظْهَارٌ الْبَرَاءَةِ مِنْهُ ؛ فَصَدَّ النَّبَرَ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَتَنَى
عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مَكَّاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَكَانَ يُظَهِّرُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ
مَا كَانَ الْمَلَائِكَةَ تَرَى لَهُ بِفَضْلِهِ ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ عَلِمَ مِنْ غِشِّهِ وَخَبْثِهِ مَا خَفَّ عَلَى
مَلَائِكَتِهِ ؛ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضْيَحَتَهُ أَمْرَهُ بِالسَّجْدَةِ لِآدَمَ ، فَظَاهَرَ لَهُ مَا كَانَ يَخْفِي
عَنْهُمْ ، فَلَمَنُوهُ .

وَإِنَّ الْحَجَاجَ كَانَ يُظَهِّرُ مِنْ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَنَّا نَرَى لَهُ بِفَضْلِهِ ، وَكَانَ
اللَّهُ أَطْلَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَشِّهِ وَخَبْثِهِ عَلَى مَا خَفَّ عَنَّا ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضْيَحَتَهُ
أَجْرِيَ ذَلِكَ عَلَى يَدِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَمَنُوهُ ؛ فَلَمَنُوهُ لَعْنَهُ اللَّهُ أَنْمَى نَزْلَ .

١٦٣ — بثينة وعزّة عند عبد الملك بن مروان *

دخلتْ بثينة وعزّة عند عبد الملك بن مروان ، فانصرفَ إلى عزّة ، وقال :
أنتِ عزّة كثيّر ؟ قالت : لستِ لـكثيّر بعزة ؟ لـكثني أُمٌّ بـسـكـر ، قال : أتروين
قولَ كثيّر :

وقد زعمتْ أني تفتقـدتْ بـعـدـهـا وـمـنـ ذـاـ الـذـىـ يـاعـزـ لـاـ يـتـغـيـرـ !

قالت : لستِ أرويَ هـذـا ، ولـكـثـنـيـ أـرـوـيـ قـوـلـهـ :

كـأـنـ أـنـادـيـ أـوـ أـكـلـ صـغـرـةـ منـ الصـمـ لـوـتـمـشـيـ بـهـاـ الـعـصـمـ (١)ـ زـلـتـ
ثـمـ اـنـحـرـفـ إـلـىـ بـثـيـنـةـ قـالـ : أـنـتـ بـثـيـنـةـ جـيـلـ ؟ قـالـتـ : نـعـمـ يـاـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ !
قـالـ : مـاـ الـذـىـ رـأـيـ فـيـكـ جـيـلـ حـتـىـ لـمـ يـجـعـ بـذـكـرـكـ مـنـ بـيـنـ نـسـاءـ الـعـالـمـينـ ؟ قـالـتـ :
الـذـىـ رـأـيـ النـاسـ فـيـكـ فـعـلـوـكـ خـلـيـقـهـ . فـضـحـكـ حـتـىـ بـدـأـهـ ضـرـسـ أـسـوـدـ لـمـ يـرـ
قـبـلـ ذـلـكـ ، وـفـضـلـ بـثـيـنـةـ عـلـىـ عـزـةـ فـيـ الـجـاـزـةـ .

وـأـمـرـهـاـ أـنـ يـدـخـلـاـ عـلـىـ عـاتـكـةـ (٢)ـ فـدـخـلـتـاـ عـلـيـهـاـ ، فـقـالـتـ لـعـزـةـ : أـخـبـرـيـنـيـ عـنـ
قـوـلـ كـثـيـرـ :

قـضـىـ كـلـ ذـىـ دـيـنـ فـوـقـ غـرـيـبـهـ وـعـزـةـ مـطـولـ مـعـنـىـ غـرـيـبـهـ
ماـ كـانـ دـيـنـهـ ؟ وـمـاـ كـفـتـ وـعـدـتـهـ ؟ قـالـتـ : كـنـتـ وـعـدـتـهـ صـلـةـ ثـمـ تـأـثـمـتـ (٣)ـ مـنـهـاـ .

* المسنطرف : ١ - ٦٩ ، الأولى : ١ - ٤٨ .

(١) الأعصر من الوعول : ما في ذراعيه أو في أحد حمايائين وسائله أسود أو أحمر .

(٢) عاتكة : امرأة عبد الملك (٣) نائم : تخرج .

١٦٤ — مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ؟

قال عبد الملك لجrir : من أشعر الناس؟ قال : ابن العشرين^(١) ، قال : فما رأيك في ابني^(٢) أبي سلمى؟ قال : كان شعرها نيراً يا أمير المؤمنين . قال : فما تقول في امرئ القيس؟ قال : اتخذ الخبيث^(٣) اشعر نعلين ، وأقسم بالله لو أدركته لرفعت^(٤) ذلائله^(٥) . قال : فما تقول في ذي الرمة؟ قال : قدر من ظريف الشعر وغريبه وحسنـه على ما لم يقدر عليه أحد . قال : فما تقول في الأخطل؟ قال : ما أخرج لسان ابن النصارى^(٦) ما في صدره من الشعر حتى مات . قال : فما تقول في الفرزدق؟ قال : في يده والله نعمة^(٧) من الشعر قد قبض عليها . قال : فما أراك أبقيت لنفسك شيئاً ، قال : بلى والله يا أمير المؤمنين ، إني لمدينة^(٨) الشعر التي منها يخرج وبالها يعود ، نسبت^(٩) فأطربت ، وهجوت^(١٠) فاردبت^(١١) ، ومدحت^(١٢) فأسئت^(١٣) ، وأرمليت^(١٤) فاغزرت^(١٥) ، وزجرت^(١٦) فابحرت ، فأنا قلت^(١٧) ضروب^(١٨) الشعر كلها ، وكل واحد^(١٩) قال نوعاً منها . قال : صدقت !

* الأغاني : ٨ - ٥٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) يعني طرفة . (٢) يعني زهيراً وابنه كعباً . (٣) ذلائل القيس : مالي الأرض من أسفله ، ويريد أنه كان يلزمها ويخدمها . (٤) النبع : شجر تتخذ منه القسي . وتتخذ من أغصانه السهام ، الواحدة نعمة . (٥) نسب بالمرأة : شيب بها في الشعر . (٦) أرديت : أهلاكت .

(٧) الرمل في الشعر : غير الفصید والرجز .

* ١٦٥ — سليمان بن عبد الملك وأبي حازم *

دخل سليمان^(١) بن عبد الملك المدينة ، فأقام بها ثلاثة ، ثم قال : أما هنا رجل من أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدهنا ؟ فقيل له : بلى ، هاهنا رجل يقال له أبو حازم . فبعث إليه ، بجاءه .

قال له سليمان بن عبد الملك : يا أبو حازم ، ماهذا الجفاء ؟ فقال له أبو حازم : وأى جفاء دأيتَ مني ؟ قال له سليمان : أتاني وجوهُ أهل المدينة كلُّهم ، ولم تأتني ! فقال له : أعيذُك بالله أن تقول ما لم يكن ، ماجرى بيني وبينك معرفة ، آتيك هكذا ؟ فقال سليمان : صدَّقَ الشِّيخ !

ثم قال سليمان : يا أبو حازم ، ما لنا نكرهُ الموت ؟ فقال أبو حازم : لأنكم خربتم آخرَكم ، وعمرَتُم دنياكم ، فأتم تكريهون أن تُنقولوا من العمَّان إلى الحرَاب . قال : صدقت يا أبو حازم ، كيف القدوم على الله ؟ فقال : أما المحسن فكالثانية يقدم على أهليه ، وأما المسيء فكالآبق^(٢) يقدم على مولاه . فبكى سليمان ، وقال : ليت شعرى ما ننا عند الله يا أبو حازم ! فقال أبو حازم : اغْرِضْ نفسك على كتاب الله عز وجل تعلم مالك عند الله ، فقال : يا أبو حازم ؛ أين نصِيبُ تلك المعرفة في كتاب الله عز وجل ؟ قال أبو حازم : عند قوله تعالى : « إِنَّ الْأَبْرَارَ

* مسامرات الأبرار : ٢ - ١٧٤ ، الفو .. الفريد : ٢ - ١٠٢

(١) اظر صفحة ٣٢٩ (٢) الآبق : المارب .

لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي جَهَنَّمِ» . فَقَالَ سَلِيمَانُ : يَا أَبَا حَازِمٍ ؟ فَأَيْنَ رَحْمَةُ اللهِ ؟
قَالَ أَبُو حَازِمٍ : قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

قَالَ سَلِيمَانُ : يَا أَبَا حَازِمٍ ، مَنْ أَحْقَى النَّاسَ ؟ قَالَ أَبُو حَازِمٍ : مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ
بِدُنْيَا غَيْرَهُ . فَقَالَ سَلِيمَانُ : مَا أَسْمَعَ دُعَاءَ النَّاسَ ؟ قَالَ : دُعَاءُ الْمُخْبِتِينَ^(١) إِلَيْهِ . قَالَ
سَلِيمَانُ : مَا أَزَكَى الصَّدَقَةَ ؟ فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : جَهْدُ الْمُقْلِ . فَقَالَ سَلِيمَانُ : يَا أَبَا حَازِمٍ :
مَا تَقُولُ فِيهَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : أَعْفُنَا مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَ سَلِيمَانُ : نَصِيحَةٌ
بِلَفْتَهَا . قَالَ أَبُو حَازِمٍ : إِنَّ أَنَاسًا أَخْذُوا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مُشَوَّرَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَلَا إِجْمَاعٌ مِنْ رَأِيهِمْ ، فَسَفَكُوا الدَّمَاءَ عَلَى طَلْبِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهَا ، فَلَيْتَ
شَعْرِي مَا قَالُوا ، وَمَا قَيلَ لَهُمْ ! فَقَالَ بَعْضُ جَلْسَانَةَ : بَئْسَ مَا قَلْتَ يَا شَيْخَ ! فَقَالَ
أَبُو حَازِمٍ : كَذَبْتَ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخْذَ عَلَى الْعَلَمَاءِ لِيَبْنَيْنَاهُ لِلنَّاسِ وَلَا
يُكْتَمُونَهُ ، فَقَالَ سَلِيمَانُ : يَا أَبَا حَازِمٍ ؟ كَيْفَ أَخْذَ بِذَلِكَ ؟ قَالَ أَبُو حَازِمٍ : تَأْخُذُهُ
مِنْ حَقَّهُ ، وَتَضْمِنُهُ فِي أَهْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ سَلِيمَانُ : أَصْبَحْنَا يَا أَبَا حَازِمٍ ، تَصِيبُ مَنَا
وَنَصِيبُ مَنْكَ ، فَقَالَ : أَعِيدُكَ مِنْ ذَلِكَ ! قَالَ سَلِيمَانُ : وَلَمْ ؟ قَالَ : أَخَافُ أَنْ أَرَكَنَ
إِلَيْكُمْ شَيْئًا قَلِيلًا ، فَيُذَيْقَنَ اللَّهُ مِنْهَا ضَعْفَ^(٢) الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَاتِ !

قَالَ سَلِيمَانُ : يَا أَبَا حَازِمٍ ، فَأَشِيرُ عَلَيْهِ . فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : اتَّقِ اللَّهَ أَنْ يَرَاكَ
حِيثُ تَهَاجِكَ ، أَوْ أَنْ يَفْقَدِكَ حِيثُ أَسْرَكَ . قَالَ سَلِيمَانُ : يَا أَبَا حَازِمٍ ، ادْعُ لَنَا
بِخَيْرٍ . فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ سَلِيمَانُ وَلِيَكَ فَبَشِّرْهُ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ،
وَإِنْ كَانَ عَذَوْكَ فَخُذْهُ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِهِ ، فَقَالَ سَلِيمَانُ : عَظِيمُ يَا أَبَا حَازِمٍ ،
فَقَدْ أَوْجَرْتَ ، فَقَالَ : إِنْ كَنْتَ وَلَيَهُ خَسِبْكَ ، وَإِنْ كَنْتَ عَدُوهُ فَمَا يَنْفَعُكَ إِذَا
رَمَيْتَ بِقَوْسٍ بَغْرِ وَرَزْ .

(١) الإِنْبَاتُ : الْحَشْوَعُ (٢) أَيْ ضَعْفُ الْمَعَذَابِ حِيَا وَمِتَا .

فقال سليمان : ياغلام ، إيت بمائة دينار ، ثم قال : خذها يا أبا حازم ، فقال أبو حازم : لا حاجةَ لِبها ، إنِّي أخافُ أنْ تكون قد أعطينيه لما سمعت من كلامي ، إنَّ موسى عليه السلام لما هرب من فرعون وَوَردَ ماءً مَدْنِين ، وَجَدَ عَلَيْهِ جاريَتِين تذودان ، قال : ما خطبُكما ؟ قالتا : لا نسقي حَمَّة ، يُصْدِرُ الرَّعَاءَ (١) وأبونا شيخٌ كبيرٌ ، فسقى لهما ، ثُمَّ تولى إلى الظل ، فقال : ربَّ إِلَى مَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ : ولم يسأل على عَوْنَانَ اللَّهُ أَجْرًا عَلَى دِينِهِ ، فلَمَّا أَنْكَرَ ذَلِكَ أَبُوهُمَا ، وَقَالَ : مَا أَعْجَلَكُمَا ؟ قَالَا : وَجَدْنَا رَجُلًا صَالِحًا فَسَقَى لَنَا ، قَالَ : فَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ ؟ قَالَا : سَمِعْنَاهُ يَقُولُ : « رَبَّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » . فَقَالَ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا جَائِعًا ؟ تَنْطَاقُ إِحْدَاكُمَا ، فَتَقُولُ لَهُ : إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا .

فزع من ذلك موسى - عليه السلام - وكان طريدا في فيافي الصحراء ، فأنزله والخارية أمامه ، فهبت ريح ، فكشفتها له - وكان ذا خلق - فلما بلغ الباب ، دَخَلَ ، وإذا طعاماً موضوعاً . قال شعيب : أصب يا فتى من هذا الطعام ، قال موسى - عليه السلام : أَعُوذُ بِاللهِ . قال شعيب : ولم ؟ قال موسى : لأننا من بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهباً . قال شعيب - عليه السلام : لا والله ، لكنها عادني وعدة آباءٍ ، نظم الطعام ، ونقرى الضيف . فجلس موسى فاكلا .

فإن كانت هذه الدنانير عوضاً لما سمعت من كلامي ، فانا أرى أكل الميتة والدم في حال الضرورة أحب إلى من أخذها .

فكان سليمان أعجب بأبي حازم ، فقال بعض جلاته : يا أمير المؤمنين ؟ أيسرك أن يكون الناس كلهم مشه ! قال الزهرى : إنه بخارى منذ ثلاثة سنين

(١) الرعاء : الرعاة .

ما كُلْتُه بِكَلْمَةٍ قَطُّ ، قَالَ لَهُ أَبُو حَازِمٍ : صَدِقْتَ ، إِنَّكَ نَسِيَتَ اللَّهَ فَتَسْبِيَتَنِي ، وَلَوْ
أَحَبِبْتَ اللَّهَ لَا أَحَبِبْتَنِي ، قَالَ الزَّهْرِيُّ : أَتَشْتَمْنِي ؟ قَالَ سَلِيمَانُ : أَنْتَ شَتَّمْتَنِي فَسَكَ ،
أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لِلْجَارِ عَلَى جَارِهِ حَقًا ! قَالَ أَبُو حَازِمٍ : إِنَّ بْنَ إِسْرَائِيلَ لَمَا كَانُوا عَلَى
الصَّوَابِ كَانَتِ الْأَمْرَاءُ تَحْتَاجُ إِلَى الْعُلَمَاءِ ، وَكَانَتِ الْعُلَمَاءُ تَضَنَّ بِدِينِهَا عَنِ الْأَمْرَاءِ ،
فَاسْتَغْفَرْتُ الْأَمْرَاءَ عَنِ الْعُلَمَاءِ ، وَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْمُعْصِيَةِ ، فَشَغَلُوكُمْ وَاتَّكَسُوكُمْ ، وَلَوْ كَانَ
عَلَمَوْنَا هُؤُلَاءِ يَصْوِنُونَ عَلَيْهِمْ ، لَهَا بِهِمُ الْأَمْرَاءُ . قَالَ الزَّهْرِيُّ : كَانَكَ لَيْ تَرِيدُ ، وَبِي
تَعْرِضُ ، قَالَ : هُوَ مَا تَسْمَعُ !

* ١٦٦ — ضَعْفَهُ مِنَ النَّارِ حِيثُ شَتَّى *

لَا وَلِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْخَلَافَةَ ، أُتَى بِيْزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمَ - مَوْلَى الْحَجَاجِ ، فِي جَامِسَةٍ ^(١) ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيًّا قَبِيْعًا تَقْتَحِمُهُ ^(٢) الْعَيْنُ ، فَلَمَّا رَأَهُ سُلَيْمَانُ قَالَ : لَعْنَ اللَّهِ امْرًا أَجْرَكَ رَسَنَكَ ^(٣) ، وَوَلِيَ مُثْلَكَ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي رَأَيْتُنِي وَالْأَمْرُ عَنِّي مُدْبِرٌ ، وَلَوْ رَأَيْتُنِي وَالْأَمْرُ عَلَيَّ مُقْبِلٌ لَا سَتَعْظُمْتَ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَصْرَتَ ، وَلَا سَتَجْلَلَتَ مَا اسْتَحْرَتَ .

قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : أَيْنَ تَرَى الْحَجَاجَ ، أَيْهُوْيَ فِي النَّارِ أَمْ اسْتَقَرَّ فِي قَمَرِهِ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَقُولُ هَذَا ، إِنَّ الْحَجَاجَ قَمَعَ لَكُمُ الْأَعْدَاءَ ، وَوَطَأَ لَكُمُ الْمَنَابِرَ ، وَزَرَعَ لَكُمُ الْمَهِيَّةَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ وَبَعْدَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ بَيْنِ أَيْمَكِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَشَمَالِ أَخْيَكِ الْوَلِيدِ ، فَضَعْفَهُ مِنَ النَّارِ حِيثُ شَتَّى ! فَصَاحَ بِهِ سُلَيْمَانُ : اخْرُجْ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ! ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى جَلْسَانِهِ قَالَ : قَبِعَهُ اللَّهُ ، مَا كَانَ أَحْسَنَ تَرْبِيَّهُ لِنَفْسِهِ وَلِصَاحِبِهِ !

* الأمالي : ١ - ٢١٥ ، المقد الغريد : ١ - ١٥٠ ، مروج الذهب : ٢ - ١٦٤ ، البيان والتبيين : ١ - ٢١٠ .

(١) الجامعه : القيد (٢) تقتسمه : تزدرية (٣) أجره رسنه : يزيد تركه يصنع ما يشاء .

* ١٦٢ — مناظرة مع المخواج*

بعث هيرُ بن عبد العزيز إلى شَوَذْبَ الْهَرُورِيَّةِ^(١) وأصحابه حين خرجوا
بالجزيرة؛ فجاءوه بـ رجلين منهم : أحدهما من بنى شيبان ، وبالآخر جبى اسمه
عاصم ، وهو أشد الرجالين حِجَّةً ولسانا .

وصعدا إليه في غرفة معه فيها ابن عمه عبد الملك وكاتبه مُزَاحم ، وأعلموه مكانهما ،
 فقال : ابْحثُوهَا أَلَا يَكُونُ مَعْهُمَا حَدِيدَةً ، ثُمَّ أَدْخُلُوهَا ، فَفَعَلُوا .

فَلَمَّا دَخَلَا قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ جَلَسَا ، فَقَالَ لَهُمَا عُمَرُ : أَخْبَرَنِي مَا أَخْرَجَكُمَا
مِنْ جَنَاحِكُمَا هَذَا ؟ وَأَيْ شَيْءٍ نَقْتَمْ هُلِّيْنَا ؟ فَقَالَ عَاصِمٌ : وَاللَّهِ مَا نَقْتَمْنَا عَلَيْكَ فِي سِيرَتِكَ ،
فَهَذِنِكَ لَتَجْرِيَ الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ ، وَلَكُنْ يَبْيَنَا وَيَبْيَنِكَ أَمْرُ إِنْتَ أَعْطَيْنَا فَأَنْتَ
مَنَّا وَنَحْنُ مِنْكَ ، وَإِنْ مَنَعْتَنَا فَلَسْتَ مَنَا وَلَسْنَا مِنْكَ ! قَالَ عُمَرُ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ :
رَأَيْتَكَ خَالَفْتَ أَعْمَالَ أَهْلِ يَبْيَنَكَ ، وَسَلَكْتَ غَيْرَ طَرِيقِهِمْ ، وَسَمِّيَّتَهَا مَظَالِمٌ ؟ فَإِنْ
زَعَمْتَ أَنَّكَ عَلَى هُدَىٰ وَهُمْ عَلَى ضَلَالٍ فَابْرُأْ مِنْهُمْ وَالْفَنَّهُمْ ، فَهَذَا الَّذِي يَجْمِعُ يَبْيَنَكَ
وَيَبْيَنِكَ أَوْ يَفْرَقُ .

قَالَ عُمَرُ : إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ لَمْ تَخْرُجُوا بِالْمُطْلَبِ الدِّينِيِّ وَلَكُنْكُمْ أَرْدَمُ الْآخِرَةِ

* سيدة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم : ١٣٠

(١) المخوارجية : طائفة من المخوارج ، ينسبون إلى حروراء ، وهو موضع بظاهر الكوفة ،
كان فيه أول اجتماعهم حين خالفوا علي بن أبي طالب . وشوذب : اسمه بسطام من بنى بشكر .

فأخطأتُم سيلها ، وأنا سائلُكم عن أمر ! فبألا تصدقاني عنه فيما بلغه علمُكما .
قالا : نَعَمْ ، قال : أرأيْتُم أبا بكر وعمر ؟ أليسَا من أسلافكم ومن تقولون وتشهدون
لهم بالنجاة ؟ قالا : بِلٍ . فقال : هل تعلمون أن العرب ارتدت بعد رسول الله قاتلَهم
أبو بكر ؟ فسفك الدماء ، وسي الذارى ، وأخذ الأموال ؟ قالا : قد كان ذلك .
قال : فهل تعلمون أن عمر لما قام بعده رد تلك السبابيا إلى عشائرهم ؟ قالا : قد كان
ذلك . قال : فهل برى أبو بكر من عمر ، أو عمر من أبي بكر ؟ قالا : لا ؟ قال :
فهل تبرأون من واحد منها ؟ قالا : لا !

قال : أخبراني عن أهل النهر وان ؟ أليسوا من أسلافكم ومن تقولون وتشهدون
لم بالنجاة ؟ قالا : بِلٍ ! قال : فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا إليهم
كفوا أيديهم ، فلم يخيفوا آمنا ولم يسفكوا دمًا ، ولم يأخذوا مالا ؟ قالا : قد كان
ذلك . قال : فهل تعلمون أن أهل البصرة حين خرجوا إليهم مع عبد الله بن وهب
استعرضوا الناس قتلتهم ، وعرضوا عبد الله بن خباب صاحب النبي صلى الله عليه
وسلم : فقتلوا وقتلوا جاريته ، ثم صبّحوا حيًّا من العرب فاستعرضوه فقتلوا الرجال
والنساء والولدان ، حتى جعلوا يُنْقُنُ الأطفال في قدور الأقطٍ ^(١) وهي تَفُورُ بهم ؟
قالا : قد كان ذلك ! قال : فهل برى أهل الكوفة من أهل البصرة ، أو أهل
البصرة من أهل الكوفة ؟ قالا : لا ! قال : فهل تبرأون من طائفة منها ؟
قالا : لا !

قال عمر : أخبراني أرأيْتَ الدّين واحدا أم اثنين ؟ قالا : بل واحدا قال :

(١) الأقط : شيء يستخرج من المخيف النفسي .

فهل يسعكم فيه شيء يعجزني ؟ قال : لا ! قال : فكيف ويسعكم أن توليت أمباكرا
وغير ، وتولى كل واحداً منها صاحبها ، وقد اختلفت سيرتها ! ألم كيف وسع أهل
الكوفة أن تولوا أهل البصرة وأهل الكوفة وقد اختلفوا ، وكيف
ويسعكم أن توليت موه جيماً وقد اختلفوا في أعظم الأشياء ؟ في الدماء والأموال ،
ولا يسعني - بزعمكما - إلا لعن أهل بيتي والبراءة منهم ! فإن كان لعن أهل الذنوب
فربضاً مفروضة لا بد منها ، فأخبرني عنك أيها المتكلّم متى عدوك بلعن فرعون !
قال : ما أذكُرُ متى لعنته . قال : ويحيك ! فيجعلك ترك لعن فرعون ، ولا يسعني
بزعمك إلا لعن أهل بيتي والبراءة منهم ! وبحكم ! إنكم قوم جهال ، أردتم أمراً
فأخطأتموه ، فأنتم تقْبِلُونَ من الناس مارد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتردون
عليهم ما قبل منهم ، ويأمنون عندكم من خاف عنده ؟ ويختلف عندكم من أمن عنده .
قال : مانحن كذلك . قال : بل تقرؤون بذلك الآن .

هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس وهو عبدة أووثان ؟
فدعهم إلى أن يخلعوا الأووثان ؛ وأن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ،
فنـ فعل ذلك حـقـن دـمـه ، وأـمـنـ عـنـدهـ ، وـكانـ أـسـوـةـ بـيـنـ الـمـسـلـيـنـ ، وـمـنـ أـبـيـ ذـلـكـ
جـاهـدـهـ ؟ قال : نـعـمـ ، قال : أـنـلـسـتـ أـنـتـمـ الـيـوـمـ تـبـرـأـوـنـ مـنـ يـخـلـعـ الـأـوـثـانـ ، وـمـنـ يـشـهـدـ
أـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ ، وـأـنـ مـحـمـدـ عـبـدـهـ وـرـسـوـلـهـ ، وـتـلـعـنـوـنـهـ وـتـقـتـلـوـنـهـ ، وـتـسـتـحلـوـنـ دـمـهـ ،
وـتـلـقـوـنـ مـنـ يـأـبـيـ ذـلـكـ مـنـ سـائـرـ الـأـمـ مـنـ الـيـهـودـ وـالـنـصـارـىـ ؟ فـتـحـرـمـونـ دـمـهـ وـيـأـمـنـ
عـنـدـكـ ؟ فقال عاصم : مـاـرـأـيـتـ حـجـةـ أـبـيـنـ وـلـاـ أـقـرـبـ مـاـخـذـاـ مـنـ حـجـتكـ ؟ أـمـاـ أـنـاـ
فـأـشـهـدـ أـنـكـ عـلـىـ الـحـقـ وـأـنـىـ بـرـىـءـ مـنـ خـالـفـكـ .

وقال للشيباني : فأنت ما تقول ؟ قال : ما أحسن ماقات ؛ وأين ما وصفت ؟

ولكن أكره أن أفتات على المسلمين بأمر لا أدرى ما حجتهم فيه ، حتى أرجع إليهم ، فلعلَّ عدم حجة لا أغرهما . قال : فأنزلت أعلم ، ثم أمر لعاصم بعطائه ، وأقام عندهم خمس عشرة ليلة ثم مات ، ولحق الشيباني بقومه فقتل معهم .

* ١٦٨ - ليس الأمر بالسن *

قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق ، فنظر إلى شاب منهم يتهيأ للكلام ، فقال : أكُبروا ! أكبروا ! فقال : يا أمير المؤمنين ؟ إنه ليس بالسن ، ولو كان الأمر كله بالسن لكان في المسلمين من هو أحسن منه ، فقال عمر : صدقت ، رحلت ، الله ، تكلم !

قال : يا أمير المؤمنين ؟ إنما نأتكم رغبة ولا وحبة ؟ أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا ، وقدمت علينا بلادنا ؟ وأما الرهبة فقد أمنتنا الله بذلك من جوهركم ، قال : فمن أتم ؟ قال : وفدى الشكر .

فنظر محمد بن كعب القرظى إلى وجه عمر يتھلّل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يغلي بن جهل القوم بك معرفتك بنفسك ! فإن ناسا خدعهم الثناء ، وغرتهم شكر الناس فهلكوا . وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم ؟ فألقى عمر رأسه على صدره !

لما أتى عمرُ بن عبدِ العزيزَ على ردِّ المظالم ، وفَهَمَ عن بني أمية جوازَهُم
وأرْزَاقَ أخْرَاسَهُم ، وردَّ ضياعَهُم إلى الخراج ، وأبطل قطاعَهُم فأفقرَهُم ، ضَجَّوا من
ذلك ؛ فاجتمعوا إليه وقالوا : إنك فد أجنبيت^(١) المال لل المسلمين ، وأفقرت بني أبيك
فيما تردد من هذه المظالم ؛ وهذا أمرٌ قد ولَّهُ غيرُك قبلك ، فدعهم وما كانَ منهم ،
واشتغل أنت وشأنك ، واعلن بما رأيت .

قال لم : هذا رأيُكم ؟ قالوا : نعم ! قال : ولكنني لا أرى ذلك ، والله لو دِبَتْ
الأَنْقَافُ في الأرض مَظْلِمَةً إِلا ردَّهَا

فرجوها من عنده ، ودخلوا على عمر بن الوليد بن عبد الملك - وكان كثيراً
وشيخاً - فسأله أن يكتبَ إلى عمرَ يوْمَئِه لعلَّهُ أن يردهُ عن مَسَاءِهِم ، فكتبَ
إليه :

«أَمَا بَعْدَ فَإِنَّكَ أَزْرَيْتَ^(٢) عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْخَلْفَاءِ ، وَعَبَتْ عَلَيْهِمْ
وَسِرَّتْ بِغَيْرِ سِيرَتِهِمْ وَسَمِيتَهَا الْمَظَالِمُ ؛ نَقْصَأَلَمْ ، وَعَيْنَأَلَمْ ، وَشَنَآنَأَلَمْ كَانَ
بَعْدَهُمْ مِنْ أَوْلَادِهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَكَ ؛ فَقَطَّعْتَ مَا أَمْرَ اللَّهَ بِهِ أَنْ يُوْصَلَ ، وَعَلَّتْ
بِغَيْرِ الْحَقِّ فِي قَرَابَتِكَ ، وَعَمَدْتَ إِلَى أَمْوَالِ قَرْبَشِي وَمَوَادِيْهِمْ وَحَقْوَقَهُمْ ، فَأَدْخَلْتَهَا
بَيْتَ مَالِكَ خَلَدًا وَجَوْرًا وَعَدْنَوَانًا ، فَأَنْقَيَ اللَّهُ يَابْنَ عبدِ العزيزِ وَرَاقِيهِ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ

* سيرة عمر بن عبد العزيز : ١٥٢ ، ابن أبي الحديد : ٤ - ٧ ،

(١) أجلب : طلب (٢) أزرى عليه : عابه .

شططتَ لِمْ تطمئنَّ عَلَى مُنْبِرِكَ ، وَإِنْ خَصَّتْ ذُوِّي قِرَابَتِكَ بِالقطيعةِ والظلمِ ؟
فَوَاللهِ الَّذِي خَصَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِمَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ ، لَقَدْ ازْدَدَتْ
مِنَ اللهِ بُعْدًا فِي وَلَايَتِكَ هَذِهِ الْتِي تَزَعَّمُ أَنْهَا بِلَاهٌ عَلَيْكَ وَهِيَ كَذَلِكَ ! فَاقْصُدْ فِي
بَعْضِ مَنِيلِكَ وَتَحَمَّلْكَ . اللَّهُمَّ فَاسْأَلْ سَلِيمَانَ ^(١) بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِمَا صَنَعَ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! »

فَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنَ إِلَيْهِ :

« مِنْ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْوَلِيدِ . سَلامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْمَدِي ، أَمَّا
بَعْدَ فَإِنَّ أَوْلَ أَمْرِكَ يَا فَلَانَ أَنْ أَمْكَنْ بُنَيَّةَ كَانَتْ أُمَّةً تَدْخُلُ دُورِ حَمْصَ ، وَتَطْوِيفَ فِي
جَوَانِبِهَا ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِهَا ، فَأَنْتَرَاهَا ذُبِيَّانَ بْنَ ذُبِيَّانَ مِنْ قَبْلِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَهَدَاهَا إِلَى
أَبِيكَ خَفْلَتْ بِكَ ، فَبَنَسَ الْخَاطِلَ وَبَنَسَ الْحَمْوَلَ ، ثُمَّ نَشَأَتْ فَكَنَتْ جَبَارًا شَقِيقًا .
كَتَبْتَ إِلَى نَظَلْمَنِ ^(٢) ، وَزَعَمْتَ أَنْ حُرْمَتَكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ،
الَّذِي فِيهِ حَقُّ الْقَرَابَةِ وَالْعَصِيفَ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ كَأَحْدَمْ ؛ لَكَ
مَلْمُ ، وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ » .

وَإِنَّ أَظْلَمَ مِنِّي ، وَأَتْرَكَ لِهِمُ اللهُ ، الَّذِي أَسْتَعْمَلُكَ صَبِيًّا سَفِيًّا تَخْكُمُ فِي دَمَاهُ
الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ بِرَأْيِكَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَحْمِلَهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا حُبُّ الْوَلَدِ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَهُ
وَلَا حَقًّا لَهُ فِيهِ ، فَوَيْلَكَ ثُمَّ وَيْلَ أَبِيكَ ! مَا كَثُرَ طَلَابُكَ وَخُصُمَاءُكَ كَمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ !
وَكَيْفَ النَّجَاهَ لِمَنْ كَثُرَ خَصُمَاؤُهُ ؟ »

« وَإِنَّ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِهِمُ اللهَ مَنْ جَعَلَ لِفَلَانَةَ الْبَرِّ بِرِيَةَ سَهْمًا فِي قَبْلِ الْمُسْلِمِينَ

(١) سَلِيمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ هُوَ النَّعْلَ عَهْدُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِالْمَلْفَافَةِ (٢) ظَلَمَهُ : نَسْبُ الظَّلْمِ .

« وَصَدَقَاهُمْ . أَهَاجَرَتْ ؟ نَهَكَلَتْكَ أَمْ ! أَمْ بَاعَتْ بِعَيْةَ الرَّضْوَانَ فَتَسْتَوْجِبُ
سَهَامَ الْمُقَاتِلِينَ » !

« وَإِنْ أَظْلَمَ مَنِ وَأَنْزَلَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مِنْ اسْتَعْمَلَ قُرَةَ بْنَ شَرِيكَ أَعْرَابِيًّا جَلَّ
جَافِيًّا عَلَى مِصْرَ ، وَأَذْنَ لَهُ فِي الْمَاعِزِ وَالْبَرَابِطِ ^(١) وَالخَرِ .

« وَإِنْ أَظْلَمَ مَنِ وَأَنْزَلَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مِنْ وَلَى يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمَ ^(٢) عَلَى جَمِيعِ الْمَغْرِبِ ،
يَجْبَى الْمَالَ الْحَرَامَ ، وَيَسْفِكُ الدَّمَ الْحَرَامَ . رَوَيْدَكَ إِلَوْقَدَ التَّقْتَ عَلَيْكَ حَلَقَتَا
الْبَطَانِ ^(٣) ، وَطَالَتْ بِي حِيَاةَ ، وَرَدَّ اللَّهَ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ ، تَفَرَّغَتْ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ ،
فَاقْتَسَمْتَ عَلَى الْمَحْجَةِ ^(٤) الْبَيْضَاءِ ؛ فَطَالَتْ تَرْكَتُمُ الْحَقَّ وَرَأْمَكُمْ ، وَأَخْذَتُمْ فِي بَنِيَّاتِ
الْطَّرِيقِ ^(٥) ؛ وَمَنْ وَرَأَهُ هَذَا مَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَيْرًا إِلَيْهِ : بَيْعُ رَقْبَتِكَ ،
وَقَسْمُ ثُنُكَ بَيْنَ الْيَتَامَى وَالسَّاكِنِينَ وَالْأَرَاملِ . فَإِنْ لَكُلَّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ سَهَامِ
كِتَابِ اللَّهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْمَدِى ، وَلَا يَنَالُ سَلَامُ اللَّهِ الظَّالِمِينَ » .

(١) الْبَرَابِطُ : جَمْ بِرَبِطٍ وَهُوَ الْمُوْدُ (٢) وَلِي الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ عَلَى ثَلَاثَةِ أَخَاسِ الْمَغْرِبِ ،
يُقْتَلُ وَيُصْلَبُ وَيُقْطَعُ (٣) الْبَطَانُ : حَزَامُ الرَّحْلِ ، لَهُ حَلْقَتَانِ فِي كُلِّ طَرْفِ حَلْقَةٍ يَصْبِبُ النَّفَاؤُهُمَا ،
وَإِذَا التَّقَنَا بِلَعْنَ الشَّدَّ غَايَتِهِ ، وَهُوَ مُمْثَلٌ بِضَرْبِ حِينَ بَلوْغِ الشَّدَّةِ مِنْهُمَا . (٤) الْمَحْجَةُ : جَادَةُ الْطَّرِيقِ
(٥) بَنِيَّاتُ الْطَّرِيقِ : الْطَّرِيقُ الصَّفَارُ تَنْشَبُ مِنْ الْجَادَةِ .

١٧٠ — فِي وفاة عمر بن العزيز*

لما حضرت عمرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْوِفَاءُ دَخَلَ عَلَيْهِ مَسْلَمَةُ بْنُ عَهْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنَّكَ قَدْ فَقَرَّتْ أَفْوَاهَ وَلَدَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ ، فَلَوْ أُوصِيتْ بِهِمْ إِلَى

وَإِلَى نَظَرِي مِنْ قَوْمِكَ فَكَفُوكَ مَوْتَهُمْ !

فَلَمَّا سَمِعَ مَقَالَتِهِ قَالَ : أَجْلِسُونِي . فَأَجْلَسُوهُ فَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتِكَ يَا مَسْلَمَةً .

أَمَا قَوْلُكَ : إِنِّي قَدْ فَقَرَّتْ أَفْوَاهَ وَلَدَيِّ مِنْ هَذَا الْمَالِ فَوَاللهِ مَا ظَلَمْتُهُمْ حَتَّىٰ هُوَ لَهُمْ ، وَلَمْ

أَكُنْ لِأُعْطِيهِمْ شَيْئًا لِغَيْرِهِمْ ، وَأَمَّا مَا قُلْتَ فِي الْوِصِيَّةِ فَإِنَّ وَصِيَّقَ فِيهِمْ : (اللهُ الَّذِي

نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ) ، وَإِنَّا وَلَدُّعْرِبَ بَيْنَ أَحَدِ رَجُلَيْنِ : إِمَا

رَجُلٌ صَالِحٌ فَسُبِّغْنِيَ اللَّهُ ، وَإِمَا غَيْرُ ذَلِكَ فَلَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَعْانَهُ بِالْمَالِ عَلَى

مَعْصِيَةِ اللهِ .

ادْعُ لِي بَنِيَّ : فَأَتَوْهُ ؛ فَلَمَّا رَأَمْ تَرْقُتْ عَيْنَاهُ ، وَقَالَ : بِنْفَسِي فَتِيَّةٌ تَرْكَتُهُ

عَالَةً لَا شَيْءَ لَمْ أَوْبِكِي .

يَا بَنِيَّ ؛ إِنِّي تَرَكْتُ لَكُمْ خَيْرًا كَثِيرًا لَا تَمْرُونَ بِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ ذِمَّتِهِمْ

أَلَا رَأَوْا الْكِمَ حَتَّىٰ ؟ يَا بَنِيَّ ، إِنِّي قَدْ مَيَّاتُ^(١) بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ : إِمَا أَنْ تَسْغُنُوا وَأَدْخُلُ

النَّارَ ، أَوْ تَفْتَرُوا إِلَى آخِرِ الْآَبَدِ وَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ . فَأَرَى أَنْ تَفْتَرُوا فَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ .

قَوْمُوا عَصَمَكُمُ اللهُ ، قَوْمُوا رَزْقَكُمُ اللهُ !

* سيرة عمر : ١١٧

(١) ميل بين الأمرين : تردد في أيهما يفعل .

١٧١ — رأى خالد بن صفوان في الشعراء *

قال هشام بن عبد الملك لشَبَّةَ بن عِتَالٍ ، وعنه جريرٌ والفرزدق والأخطلُ ، وهو يومنذ أميرٌ : ألا تُخْبِرُنِي عن هؤلاء الذين قد مَرَّوا أعراضهم ، وتكلوا أستارهم ، وأغروا بين عثاثرهم في غير خبرٍ ولا يَرَ ولا نَفْع ، أيهم أشعرُ ؟
قال شَبَّةَ : أما جرير فغيره من بحر ، وأما الفرزدق ففتحت من صَخْر ، وأما الأخطل فَيَجِيدُ الدَّحَّ والغَرَّ .

قال هشام : ما فَرَّتْ لَنَا شَيْئاً نَحْصُلُه ! فقال : ما عندى غَيْرُ ما قلتُ !
قال خالد^(١) بن صفوان : صنهم لنا يابنَ الْأَهْمَ ؟ فقال : أما أعظمهم فرآ ، وأبعدُهم ذِكْرآ ، وأحسنُهم عُدْرآ ، وأسيءُهم مثلا ، وأقائمُهم غَرَّلا ، وأحلامُهم عَلَّا ، الطَّائِي^(٢) إذا زَخَر ؟ والحايى إذا زَأَرَ ، والسامِي إذا خَطَر ؟ الذي إن هَدَرَ^(٣) قال ، وإن خَطَرَ صَال ، الفصيحُ اللسان ، الطويلُ العِنَان . فالفرزدق .
واما أحسنُهم ثَمَّتا ، وأمدحُهم بَنَيتَا ، وأقليمُهم فَوْتَا ، الذي إن هجا وَضَعَ^(٤) ، وإن مدح رَقَمَ ، فالأخطل .
واما أغزرُهم بحراً ، وأرقُهم شعراً ، وأهتكُهم لعدوه سِرَا ؛ الأَغْرَ الأَبْلَقَ ،

* الأغاني : ٨ - ٨١ (طبعة دار الكتب) ، مجمجم الأدباء : ١١ - ٢٥

(١) أحد فصحاء العرب وخطيبائهم ، وهو مشهور برواية الأخبار ، وكان يجالس هشام بن عبد الملك ؟ ولكنه كان بخيلا ، وتوفي سنة ١٣٥ هـ (٢) الطائي : من طمى الماء ؟ إذا ارتفع ولا النهر ، وزخر البحر : امتلاً (٣) هدر البمير : رد صوته في حنجرته ، وهدر الحمام . كسر صوته (٤) خفن .

الذى إن طَلَبَ لَمْ يُسْتَقِنْ ، وإن طَلِبَ لَمْ يُلْحَقْ ؟ غَرِيرٌ ، وَكُلُّهُمْ ذَكَرُ الْفَوَادُ ،
وَفَيْعُ الْيَمَادُ ، وَارِى الزُّنَادُ .

فقال له مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ . مَا سَمِعْتُكَ يَا خَالِدُ فِي الْأَوَّلَيْنَ ، وَلَا رَأَيْنَا
فِي الْآخِرَيْنَ ؟ وَأَشَمَّدُ أَنْكَ أَحْسَنْهُمْ وَصَفَّا ، وَأَلَيْهِمْ عِطْفَةً ، وَأَغْهَبْهُمْ مَقَالَا ،
وَأَكْرَمْهُمْ فَعَلَا .

فقال خالد : أَتَمَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ نَعَمَّ ، وَأَجْزَلَ لَدِيكُمْ قَسْمَةً^(١) وَأَنَّسَ بَكُمُ الْفُرْبَةَ ،
وَفَرَّجَ بَكُمُ الْكُرْبَةَ . وَأَنْتَ ، وَاللَّهُ - مَا عَلِمْتُ أَيْمَانَ الْأَمِيرِ - كَرِيمُ الْفِرَاسَ ، عَلِمَ
بِالنَّاسِ ، جَوَادُ فِي الْمَحْلِ ، بَسَّامُ عَنْدَ الْبَذْلِ ، حَلِيمٌ عَنْدَ الطَّيشِ ، فِي ذِرْوَةٍ^(٢)
قَرِيشٌ ، وَلَبَابٌ^(٣) عَبْدُ شَمْسٍ ، وَيَوْمُكَ خَيْرٌ مِّنْ أَمْسٍ .

فضحَ هشام و قال : مَا رأيْتُ كَتَخْلُصِكَ يَا بْنَ صَفْوَانَ فِي مَدْحُوْلٍ وَوَصْفَهُمْ ،
حَقِّ أَرْضِيَّهُمْ جَيْمًا ، وَسَلَّمَتْ مِنْهُمْ .

(١) القسم : جمع قسمة ، وهي الرزق وما قسم — (٢) ذروة : أعلى — (٣) لباب : خلاصة .

١٧٢ — المنصور وابن طاووس *

قال مالك بن أنس : بعث إلى أبو جعفر المنصور وإلى ابن طاووس ، فدخلنا عليه وهو جالس على فرش قد نضدت له ، وبين يديه أنطاع ^(١) قد بسطت ، وجُلاد ^{بأيديهم السيف} لضرب رقاب الناس ، فأواما إلينا بالجلوس ، وأطرق عنا طويلا ، ثم التفت إلى ابن طاووس ، فقال له : حدثني عن أبيك .

قال : نعم ؟ سمعت أبي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أشد الناس عذابا يوم القيمة رجل أشرك الله في حكمه ، فأدخل عليه الجوز في عذله » : ثم أمسك ساعة ، قال مالك : فضمنت ثيابي تحفافا أن يملأني دمه .

ثم التفت إليه أبو سعفرا ، فقال ، عظني يابن طاووس ، قال : نعم ، أما سمعت الله يقول : « ألم تر كيف فعل ربكم بيعاد . إِنَّمَا ذَاتُ الْمِعَادِ ، الَّتِي لَمْ يُخْلِقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ . وَمَوْدَةُ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ ^(٢) بِالْوَادِ . وَفِرْغَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ؛ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ». »

قال مالك : فضمنت ثيابي أيضا تحفافا أن يملأني دمه ، فامسكت المنصور ساعة حتى اسود ما يبننا وينتهي ، ثم قال : يابن طاووس ؟ ناولني الدواة ، فمسك ابن طاووس ، ولم يتناوله إياها وهي في يده ، فقال : ما يمنعك أن تتناولها ؟ قال :

* العقد الفريد للملك السعيد : ٥٦

(١) الأنطاع : جم نضم وهو جلد يفرش (٢) جاءوا : خرقوا الصخر فاتخذوه بيوتا .

أخشى أن تكتبَ بها معصيةً لِهِ فَأَسْكُونَ شريكك فيها . فلما سمع ذلك المنصور
قال : قُوْمًا عَنِّي !

قال ابن طاووس : ذلك ما كنَا نبني ! قال مالك : فما زلتُ أعرفُ لابن
طاوس بعدها فضله .

* ١٧٣ - بدريهه من *

قدم معنُ بن زائده من البين ودخل على أبي جعفر المنصور ، فقال له : قد بلغ
أمير المؤمنين عنك شيء؟ ولو لا مكانك عنده ورأيه فيك لغضب عليك ، قال :
وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال : إعطاؤك مَرْوان بن أبي حفصة ألف دينار لقوله
فيك :

معن بن زائدة الذي زِيَادَتْ به شرفاً على شرف بنوشيبان
أن عُدَّ أيام الفعال فإنما يوم ندى و يوم طمان
فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أعطيته ما بفلتك لهذا الشعر ، وإنما أعطيته
لقوله :

ما زاتَ يوْمَ الْهَانِيَةِ^(١) مُعْلِنًا بالسيف دون خليفة الرحمن
فَنَعْتَ حَوْزَتَهُ وَكُنْتَ وِقَاءَهُ من وَقْعِ كل مُهَنَّد وَسِنَان
فاستحي المنصور ، وقال : إنما أعطيته ما أعطيته لهذا القول ! قال : نعم ،

* الأغاني : ١٠ : ٨٦ (طبعة الساسي) .

(١) الهانية : مدينة بناها السفاح قريباً من الكوفة .

يَا مُؤْمِنِينَ ! وَاللَّهُ لَوْلَا خَافَةُ الشَّرْمَةِ لَأُمْكِنَتْهُ مِنْ مَفَاتِيحِ الْأَمْوَالِ ، وَأَبْخَثَهُ
إِلَيْهَا ، قَالَ لِهِ النَّصُورُ : اللَّهُ دَرِكُكَ مِنْ أَعْرَابِيَّ ! مَا أَهُونُ عَلَيْكَ مَا يَعْزِزُ هُنَالِ
وَأَهْلُ الْحَزْمِ !

* ١٧٤ — رَسُولُ مَعْنٍ *

أَرَادَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ أَنْ يَوْفِدَ إِلَى أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ قَوْمًا يَسْلُوْنَ سَخِيمَتَهُ ،
وَيَسْتَطِعُونَ قَلْبَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : قَدْ أَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي طَاعَتِهِ ، وَأَنْعَبْتُ نَفْسِي ، وَأَفْنَيْتُ
رَجَالَ فِي حَرْبِ الْبَيْنِ ، ثُمَّ يَسْخَطُ عَلَى أَنْ أَنْفَقْتُ الْمَالَ فِي طَاعَتِهِ !
فَانْتَخَبَ جَمَاعَةً مِنْ عُشِيرَتِهِ مِنْ أَفْنَاءِ رِبَعَةِ ، وَكَانَ فِيهِنَّ أَخْتَارَ جَمَاعَةِ بْنِ الْأَزْهَرِ ،
فَجَعَلَ يَدْعُو الرَّجَالَ وَاحِدًا وَاحِدًا ، وَيَقُولُ : مَاذَا أَنْتَ قَائِلٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا
وَجَهْتُكَ إِلَيْهِ ؟ فَيَقُولُ : أَقُولُ وَأَقُولُ . . . حَتَّى جَاءَهُ جَمَاعَةُ بْنِ الْأَزْهَرِ ، قَالَ : أَعْزَزَ
اللهُ الْأَمِيرُ ! تَسَأَلُنِي عَنْ مُخَاطَبَةِ رَجُلٍ بِالْعَرَاقِ وَأَنَا بِالْبَيْنِ ! أَقْصِدُ لِحَاجَتِكَ حَتَّى أَنْتَ
لَهَا كَا يُمْكِنُ وَيُنْبَغِي ؟ فَقَالَ : أَنْتَ صَاحِبِي .

ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتْيقِ الْمَزْنِيِّ وَقَالَ : شُدَّ عَلَى عَصْدِ ابْنِ عَمِّكَ ،
وَقَدَّمَهُ أَمَامَكَ ، فَإِنْ سَهَا عَنْ شَيْءٍ فَتَلَاهُ . وَاخْتَارَ مِنْ أَصْحَابِهِ ثُمانِيَّةً نَفْرٌ مِعْهُمَا ، حَتَّى
تَمُوا عَشْرَةً وَوَدَّعُهُمْ وَمَضُوا ، حَتَّى صَارُوا إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ .

فَلَمَّا صَارُوا بَيْنَ يَدِيهِ تَقَدَّمُوا ، فَابْتَدَأَ جَمَاعَةُ مُحَمَّدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالشَّكْرِ لَهُ

* تَارِيخُ الطَّبرِيِّ : ٩ - ٢٩٥ .

حتى ظنَّ القومُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَصَدَ هَذَا ؛ ثُمَّ كَرَّ عَلَى ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛
وَكَيْفَ اخْتَارَهُ اللَّهُ مِنْ بَطْوَنِ الْعَرَبِ ، وَنَشَرَ مِنْ فَضْلِهِ حَتَّى تَعْجَبَ الْقَوْمُ ؟ ثُمَّ كَرَّ
عَلَى ذِكْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنْصُورِ ، وَمَا شَرَفَهُ اللَّهُ بِهِ وَمَا قَلَّدَهُ ؛ ثُمَّ كَرَّ عَلَى حَاجَتِهِ فِي
ذِكْرِ صَاحِبِهِ . فَلَمَّا اَنْتَهَى كَلَامُهُ ، قَالَ الْمُنْصُورُ : أَمَّا مَا وَصَفْتَ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ ، فَاللَّهُ
أَجْلُهُ وَأَكْبَرُ مِنْ أَنْ تَبْلُغَهُ الصَّفَاتُ ؛ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَدْ فَضَّلَهُ اللَّهُ بِأَكْثَرِ مَا قَلْتَ ، وَأَمَّا مَا وَصَفْتَ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ فَضَّلَهُ اللَّهُ
بِذَلِكَ ، وَهُوَ مَعِينُهُ عَلَى طَاعَتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صَاحِبِكَ فَكَذَبْتَ
وَلَوْمَتَ ؛ ثُمَّ أَمْرَ الْمُنْصُورِ بِإِخْرَاجِهِمْ . قَالَ : صَدَقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ
فِي صَاحِبِي .

فَأَخْرِجُوا ، فَلَا صَارُوا إِلَى آخِرِ الإِيَّوَانِ أَمْرِ بِرَدَّهُ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ ، أَعِذْ
مَا ذَكَرْتَ . فَكَرَّ عَلَيْهِ السَّكَلَامَ حَتَّى كَانَهُ فِي صُحِيفَةٍ يَقْرُؤُهُ ؛ فَقَالَ لَهُ مِثْلُ الْقَوْلِ
الْأُولُّ ؛ فَأَخْرِجُوا حَتَّى بَرَزُوا جَمِيعًا ، وَأَمْرَ بَهُمْ فَوْقُهُمْ ، ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى مَنْ حَضَرَهُ
مِنْ مُضْرِرٍ ، فَقَالَ : هَلْ تَعْرِفُونَ فِيهِمْ مِثْلَ هَذَا ؟ وَاللَّهُ لَقَدْ تَكَلَّمَ حَتَّى حَسَدَتْهُ
وَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَتُمْ عَلَى رَدِّهِ إِلَّا أَنْ يَقَالَ : تَعَصَّبَ عَلَيْهِ لَأَنَّهُ رَبَّعَيْ ، وَمَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ
رَجُلًا أَرْبَطَ جَائِشًا وَلَا أَظْهَرَ بِيَانًا ؛ رَدَّهُ يَاغْلَامًا

فَلَا صَارَ بَيْنَ يَدِيهِ أَعْادُ السَّلَامَ وَأَعْادُ أَصْحَابَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْمُنْصُورُ : أَقْصِدُ حَاجَتِكَ
وَحَاجَةِ صَاحِبِكَ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ عَبْدُكَ وَسَيفُكَ وَمَهْمُكَ ،
رَمَيْتَ بِهِ عَدُوكَ فَضَرَبَ وَطَعَنَ وَرَمَى ، حَتَّى سَهَلَ مَا حَزَنُ ، وَذَلِكَ مَا صَعَبُ ،
وَاسْتَوَى مَا كَانَ مَعْوِجًا مِنَ الْبَيْنِ ؛ فَأَصْبَحُوا مِنْ خَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَطْالَ اللَّهُ

بقاءه .. فإن كان في نفس أمير المؤمنين هنة من ساعٍ أو واسع أو حاصل فأمير المؤمنين
أولى بالفضل على عبده ، ومنْ أفنى عمره في طاعته .

قبل وفادتهم ، وقبل العذر من مَنْ ، وأسر بصرفهم إليه .

فلا صاروا إلى مَنْ وقرأ الكتاب بالرضا قبل ما بين عينيه ، وشكراً أصحابه ،
وخلع عليهم وأجازهم ، فقال مجاعة :

آلَيْتُ فِي مَجْلِسِكَ مِنْ وَائِلٍ قَسَماً
يَامَنْ إِنَّكَ قَدْ أَوْلَيْتَنِي نِعَماً
عَنْتُ لِجَنَّاً وَخَصْتُ آلَّ مَجَاعَرَ
غَلَا أَزَالُ إِلَيْكَ الدَّاهِرَ مُنْقَطِعَـاً

* ١٧٥ — كَبِيرٌ

دخل عماره^(١) بن حزنة على المهدى ، فلما استقر به الجلوس ، قام رجل كان
المهدى قد أعده ليتهكم به ، فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال : من ظلمك ؟
قال : عمارة غصّبني ضياعي - وذكر ضياعة من أحسن ضياع عمارة ، وأكثرها
خراجاً - فقال المهدى لعمارة : قم فاجلس مع خصمك ! فقال : يا أمير المؤمنين :
ما هو لي بخصم ؟ إن كانت الضياعة له فلست أنا زعه فيها ، وإن كانت لي فقد
وهبتها له ، ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين .

فلما انصرف المجلس سأله عمارة عن صفة الرجل ، وما كان لباسه ، وأين كان
موقعه جلوسه !

* نهاية الأرب : ٣ - ٣٧٣ ، مجمع الأدباء : ٥ - ٢٤٧

(١) مولى عبد الله بن العباس ، ثم مولى السفاح ، ثم مولى أبي جعفر النصور ، وكان تاماً محباً
نفسه ، جواداً كريعاً معدوداً في سرارة الناس ، وكان فصيحاً بليناً وكان أعزور دمياً . وكان النصور
والمهدى يقسمانه ويختمان أخلاقه لفضله وبلغته ووجوب حقه ، وولى لها أعمالاً كباراً .

١٧٦ — قنَاعَةُ *

قال أبو دُلُفِ الْمِجْلِي :

حجّتُ فرأيتُ أبا العناية واقفاً على أعرابٍ في ظلِّ ميلٍ^(١) ، وعليه شملة
إذا غطى بها رأسه بدتْ رِجلاه ، وإذا غطى رجليه بدا رأسه ؛ فقال أبو العناية :
يا هذا ؟ لو لا أنَّ الله أقضم بعض العبادِ بشرِ البِلَادِ ، ما وسِعَ خيرُ البِلَادِ جميعَ
الْعِبَادِ ؟ ثم قال له : من أين معاشكم ؟ فقال : منكم معاشرَ الْحاجَ ؟ ترونَ بنا
فتـالـ من فضـولـكم^(٢) ، وتنـصـرـونـ فـيـكـوـنـ ذـلـكـ ؟ فقال له : إنـماـ نـمـرـ وـنـصـرـ فـيـ
وقـتـ مـنـ السـنـةـ ، فـنـ أـيـنـ مـعـاشـكـ ؟ فـأـطـرـقـ الأـعـرـابـ ثـمـ قالـ لـهـ : لـاـ وـالـهـ لـأـدـرـىـ
مـاـ أـقـولـ إـلـاـ أـنـاـ نـزـقـ مـنـ حـيـثـ لـاـ تـخـسـبـ^(٣) ! كـثـرـ مـاـ نـزـقـ مـنـ حـيـثـ نـخـسـبـ ؟
فـوـلـيـ أـبـوـ الـعـنـاهـيـهـ وـهـ يـقـولـ :

ألا يا طالبَ الدِّينِا دَعِ الدِّينِا لشَانِيكَا !
ومَا تَصْنَعُ بالدِّينِا وَظَلِلَ اللَّيْلَ يَكْنِيَكَا ؟

* الأغانى : ٤ - ٨٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) الميل : منار يبني للمسافر (٢) فضول القنائم : ما يفضل منها (٣) أي من حيث لا تقدر .

١٧٧ - الرشيد وعبد الملك بن صالح*

رُفِعَ إِلَى الرشيد أَنْ عَبْدَ الْمَلِكِ^(١) بْنَ صَالِحَ بْنَ طَلْبٍ اخْلَاقَةً لِنَفْسِهِ، وَيَطْسُعُ
فِيهَا، وَأَنَّ الْبَرَامِكَةَ كَانُوا لِهِ فِي ذَلِكَ عَوْنَاءً، وَأَيَّدَ هَذِهِ السَّعَايَةِ أَبْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ وَخَادِمِهِ قُوَّامَةً. فَأَحْضَرَ إِلَى الرشيدِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: أَكُفَّرًا بِالنَّعْمةِ
وَجُحْودًا بِلَحْلَلِ اللَّهِ وَالتَّكْرِيمَةِ! فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَقَدْ بُوتُتُ إِذْنَ بِالنَّدَمِ،
وَتَعْرَضْتَ لِاِسْتِحْلَالِ النَّفَمِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَنْيُ حَاسِدٍ نَافَسَنِي فِيَكَ الْمَوْدَةَ وَالْقِرَابَةَ،
وَتَقْدِيمَ الْوَلَايَةِ؛ إِنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ فِي أُمَّتِهِ، وَأَمِينُهُ عَلَى عِزْرَتِهِ^(٢)،
لَكَ عَلَيْهَا فَرْضُ الطَّاعَةِ وَأَدَاءُ النَّصِيحةِ، وَلَمَا عَلَيْكَ الْعَدْلُ فِي حُكْمِهَا
وَالْفَرَانِ لِذَنْبِهَا.

فَقَالَ الرشيدُ: أَنْصَعَ لِي مِنْ لِسَانِكَ، وَتَرْفَعُ لِي مِنْ جَنَانِكَ! هَذَا كَاتِبُكَ
قَامَةٌ يَخْبِرُ بِنَلَكَ وَفَسَادِ نِيَّتِكَ، فَاسْمُ كَلَامِهِ!

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: أَعْطَاكَ مَا لَيْسَ فِي عَقْدِهِ، وَلَمَّا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَمْضِيَنِي^(٣) أَوْ
يَنْهَنِي بِمَا لَمْ يَعْرُفْهُ مِنِي. وَأَخْضَرَ قَامَةً. فَقَالَ لِهِ الرشيدُ: شَدَّمْ غَيْرُ هَابِ وَلَا
خَائِفٍ. قَالَ قَامَةً: أَقُولُ: إِنَّهُ عازِمٌ عَلَى الفَدْرِ بِكَ وَالْخَلَافِ عَلَيْكَ! فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ:

* المحسن والمساوي: ٤٦٠ (طبع ليزج)، تاريخ الطبرى: ٨٩ - ١٠٠، العقد الفريد: ١ - ١٤٣، الكامل لابن الأثير: ٦ - ٧٢، زهر الأدب: ٢ - ٢٨٣.

(١) هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، ورفق العباسيين في درجة السفاح والنصرور نسأ. ولهم الرشيد المروب في التثور؟ فقام بذلك خير قيام، إلى أن هزله الرشيد، وحبسه بعد نكبة البرامكة سنة ١٨٧هـ (٢) المرة: نسل الرجل ورمه وعشيرته الأولون من مضى وغاب. (٣) يقال: عشه فلاناً؟ أى بهته وقال فيه ما لم يكن.

أهُوَ كذلِكَ يَا قُمَامَة؟ قال : نَم ، لَقَدْ أَرْدَتَ خَنْلَل^(١) أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : كَيْفَ لَا يَكْذِبُ عَلَيَّ مِنْ خَلْفِي ، وَهُوَ يَبْهَتُنِي فِي وِجْهِي !

فَقَالَ لِهِ الرَّشِيدُ : وَهَذَا ابْنُكَ عَبْدُ الرَّحْمَنَ يَخْبُرُنِي بِعَطْوُكَ ، وَفَسَادِ نِيَّتِكَ ؟ وَلَوْ أَرْدَتُ أَنْ أَحْتَاجَ إِلَيْكَ بِحِجَّةٍ لَمْ أَجِدْ أَعْدَلَ مِنْ هَذِينَ لَكَ ، فَبِمِنْ تَدْفِعُهُمَا عَنْكَ ؟ فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : هُوَ مَأْمُورٌ ، أَوْ عَاقٍ مُجْبُورٌ ، فَإِنَّمَا كَانَ مَأْمُورًا فَعَذْرُوا ، وَإِنْ كَانَ عَاقًّا فَفَاجِرٌ كُفُورٌ ، أَخْبَرَ اللَّهُ بِعِدَّاتِهِ وَحَدَّرَ مِنْهُ بِقَوْلِهِ : « إِنَّمَا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » . فَنَهَضَ الرَّشِيدُ وَهُوَ يَقُولُ : أَمَا أَمْرُكَ فَقَدْ وَضَعَ ، وَلَكُنِّي لَا أَغْبَلُ حَتَّى أَعْلَمَ الَّذِي يَرْضِي اللَّهَ فِيهِ ، فَإِنَّهُ الْحُكْمُ يَنْهَا وَيَدِنُكَ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : رَضِيتُ بِاللَّهِ حَكَمًا ، وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَاكَ ، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ يُؤْزِرُ كِتَابَ اللَّهِ عَلَى هَوَاهُ ، وَأَمْرَ اللَّهِ عَلَى رَضَاهُ .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ جَلْسٌ مُجْلِسًا آخَرَ ، وَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكَ عَلَيْهِ فَسْلَمَ ، فَلَمْ يَرَهُ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ ! فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : لَيْسَ هَذَا يَوْمًا أَحْتَاجُ فِيهِ ، فَقَالَ الرَّشِيدُ : لِمَهُ ؟ قَالَ : لِأَنَّ أَوْلَهُ جَرِي عَلَى غَيْرِ السُّنَّةِ فَأَنَا أَخَافُ آخَرَهُ ، قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : لَمْ تَرِدْ عَلَى السَّلَامِ . أَنْصِفْ نَصْفَةَ الْعَوَامِ . فَقَالَ الرَّشِيدُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ اتَّقِدَاءُ بِالسُّنَّةِ ، وَإِيَّاكُمْ لِلْعَهْدِ ، وَاسْتَعْمَلَا لِلتَّحْمِيَةِ ، ثُمَّ التَّفَتَ نَحْوَ سَلِيمَانَ بْنَ أَبِي جَعْفَرٍ وَقَالَ :

* أَرِيدُ حَيَاةَ وَيُرِيدُ قَتْلِي *

أَمَّا وَاللهِ لَكَانِي أَنْظَرَ إِلَى شُوُّبِهَا^(٢) قَدْ هَمَّ ، وَعَارَضَهَا^(٣) قَدْ لَمَّ ، وَكَانَ

(١) خَنْلَلَهُ : خَدَعَهُ (٢) الشُّوُّبُوبُ : الدَّفْعَةُ مِنَ الطَّرَفِ ، وَهُمْ : سَالَ (٣) الْعَارِضُ .
الْحَسَابُ الْمُتَرَضُ فِي الْأَفْقَ .

بالوعيد قد أورى ناراً تستطع فاقلع عن برَاجم^(١) بلا معاصر؛ ورموس بلا غلام^(٢). فهلا مهلا، بِي وَالله سَهْلَ لَكُم الْوَغْرُ، وَصَنَا لَكُم السَّكِنِرُ، وَأَلْقَتْ إِلَيْكُمُ الْأَمْرُ أَزِمَّتْهَا، فَنَذَارٍ لَكُم نَذَارٍ اقْبَلَ حُلُولَ دَاهِيَة، خَبُوطَ بِالْيَدِ، لَبُوطَ^(٣)
بِالرَّجْلِ!

قال عبد الملك : أتَقَ الله يا أمير المؤمنين فيما وَلَأَكَ وفي رعيتك التي استرعاك ، ولا تجعل السُّكْنَرَ مَكَانَ الشُّكْرِ ، ولا المَقَابَ مَوْضِعَ التَّوَابِ؟ فقد نَخَلَتْ لَكَ النُّصِيحةُ وَمَحْضَتْ لَكَ الطَّاعَةُ ، وَشَدَّدْتُ أَوْاخِيَ^(٤) مُلْكَكَ بِأَنْقَلَ من رُكْنِي يَلْمَلِمَ^(٥) ، وَرَحَكَتْ عَدُوكَ مُشْتَفِلًا؛ فَاللهُ اللَّهُ فِي رَحْمَكَ أَنْ تَنْطَعِهِ بعدَ أَنْ بَلَّتْهُ^(٦) ، يَظْنَنُ أَفْصَحَ الْكِتَابَ يَعْصِمُهُ^(٧) ، أَوْ يَبْغِي بَاغِيَ يَنْهَا اللَّمُ ، وَيَلْبَغُ فِي الدَّمِ! فَقَدْ وَالله سَهَلْتُ لَكَ الْوَعُورَ ، وَذَلَّتُ لَكَ الْأَمْرُورَ ، وَجَعَتْ عَلَى طَاعُوكَ الْقُلُوبُ فِي الصُّدُورِ . فَكُمْ مِنْ لَيلٍ تَعَامِي فِيكَ كَابَدْتُهُ ، وَمَقَامٌ ضَيِيقٌ لَكَ قُتْهَ! كَمَا قَالَ أَخُو بْنِ جَمْرَفَ بْنَ كَلَابَ :

وَمَقَامٌ ضَيِيقٌ فَرَجَجْتُهُ بَيْنَانَ وَلَسَانَ وَجَدَلَنَ
لَوْ يَقُومُ الْفَيْلُ أَوْ فَيَالَهُ^(٨) زَلَّ عَنْ مَثْلِ مَقَائِمِي وَزَحَلَ^(٩)

قال له الرشيد : أَمَّا وَالله لَوْلَا الإِبْقاءُ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ لَضَرَبَتْ عَنْقَكَ؛ ثُمَّ أَمَرَ بِجَبْسِهِ، فَحُبِيسَ عَنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ.

ثُمَّ بَعَثَ الرَّشِيدَ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ وَهُوَ فِي السَّجْنِ : « إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكَ بْنَ صَالِحٍ

(١) البراجم : مفاصل الأصابع (٢) الغلام : جم غلصة ، وهي اللحم بين الرأس والعنق

(٣) يقال : لبط به الأرض ؟ أى ضرب (٤) أواخى : جم آحية : عروة تربط إلى وتد مدقوق

وتشد في الدابة (٥) يلملم : جبل من الطائف على ليلتين (٦) بلته : لزمته (٧) العضه :

الكذب والنفيمة (٨) الفيال : صاحب الفيل (٩) زحل : زال عن مكانه .

أراد الخروج على منازعى ف الملك ، وقد علمت ذلك ، فأعلمك ما عندك فيه ، فإنك إن صدّقني أعدتك إلى حالك » .

قال يحيى : والله يا أمير المؤمنين ما اطلعت من عبد الملك على شيء من هذا ، ولو اطلعت عليه ل كنت صاحبه دونك ؛ لأن ملكك كان ملكي ، وسلطانك سلطاني والنبي والشر كانوا فيه على ولـي ؛ فكيف يجوز لم عبد الملك أن يطمع في ذلك مني ! وهل كنت إذا فعلت ذلك به يفعل بي أكثر من فعلك ! أعيذك بالله أن تظن بي هذا الفتن ؛ ولكن كانت رجلا محتملا ، يسرني أن يكون في أهلك مثله ، فوليته لما أحدثت^(١) من مذهبـه ، وملـت إليه لأدبـه واحـمالـه .

فـلما آتـي الرسـول الرـشـيد بـهـذا أـعـادـه عـلـيـه وـقـالـ: إـنـ أـنـتـ لـمـ تـقـرـ عـلـيـ عبدـ الـمـلـكـ قـتـلـتـ اـبـنـكـ الـفـضـلـ ؛ فـقـالـ لـهـ يـحـيـيـ: أـنـتـ مـسـلـطـ عـلـيـنـاـ فـأـفـعـلـ مـاـ شـتـتـ ، عـلـيـ أـنـهـ إـذـاـ كـانـ مـنـ هـذـاـ الـأـمـرـ شـيـءـ ؛ فـالـذـنـبـ فـيـهـ لـيـ، فـمـ يـدـخـلـ الـفـضـلـ فـيـ ذـلـكـ ؛ فـقـالـ الرـسـولـ لـلـفـضـلـ: قـمـ ، فـإـنـهـ لـاـ بـدـ لـيـ مـنـ إـفـاقـذـ أـمـرـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ فـيـكـ ؛ فـلـمـ يـشـكـ فـيـ أـنـهـ قـاتـلـهـ ؛ فـوـدـعـ أـبـاهـ وـقـالـ لـهـ: أـلـسـتـ رـاضـيـاـ عـنـ ؟ فـقـالـ: بـلـيـ ، فـرـضـيـ اللـهـ عـنـكـ ، وـفـرـقـ يـنـهـماـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ ؛ فـلـمـ يـجـدـ عـنـهـاـ مـنـ ذـلـكـ شـيـئـاـ جـمـعـهـماـ كـاـ كـانـاـ .

(١) يـقـالـ: أـحـدـتـ فـلـانـاـ ، أـيـ رـضـيـتـ مـذـهـبـهـ .

١٧٨ — هارون الرشيد ومسلم بن الوليد*

كان هارونُ الرشيد يقتلُ أولادَ فاطمة وشيعتهم ، وكان مسلمُ بن الوليد—صربيع الغواني — قد رُمِيَ عنده بالتشييع ؛ فأمر بطلبه ، فهرب منه ، ثم أمر بطلب أنس بن أبي شيخ كاتبِ البرامكة ، فهرب منه .

ثم وُجِدَ هو ومسلمُ بن الوليد عند قَيْنَةَ ببغداد ؛ فلما أتَى بهما ، قيل له : يا أمير المؤمنين ؟ قد أتَى بالرَّجَائِنَ ، قال : أى الرجالين ؟ قيل : أنس بن أبي شيخ ، ومسلم بن الوليد . فقال : الحمد لله الذي أظفَرَنِي بهما . ياغلام ؟ أَخْضِرْهَا .

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ نَظَرًا إِلَى مُسْلِمٍ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، فَرَقَّ لَهُ ، وَقَالَ : إِيهِ يَا مُسْلِمَ ! أَنْتَ الْقَائِلُ :

أَنِسَ الْمُوْيِي بْنُ عَلَيٍ فِي الْحَشَّا وَأَرَاهُ يَطْمَحُ عَنْ بْنِ الْعَبَّاسِ
قال : بل أنا الذي أقول — يا أمير المؤمنين :

أَنِسَ الْمُوْيِي بْنُ الْعَوْمَةِ فِي الْحَشَّا مُسْتَوْحِشًا مِنْ سَائِرِ الْأَنْاسِ^(١)
وإِذَا تَكَامَلَتِ الْفَضَائِلُ كُنْتُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ يَا بْنَ الْعَبَّاسِ

فِي حِبِّ هَارُونَ الرَّشِيدِ مِنْ سُرْعَةِ بَدِيهِتِهِ ، وَقَالَ لَهُ بَعْضُ جَلْسَائِهِ : اسْتَبَقْهُ
يا أمير المؤمنين ، فإنه من أأشعر الناس ، وامتخته فسترى منه عجبًا ! فقال له : قل :
 شيئاً في أنس . فقال : يا أمير المؤمنين : أَفْرَخَ^(٢) رَوْعِي أَفْرَخَ اللَّهُ رَوْعَكَ

* العقد الفريد : ١ - ٤٢٩ ، ديوان مسلم ٣٠١ (طبعة أوربا)

(١) الأناس : الناس (٢) أذهب رواعي وفرعى .

يُوْمَ الْحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَدْخُلْ عَلَى خَلِيفَةِ قَطْ ، ثُمَّ أَنْشَأْ يَقُولُ :

تَلَهُظُ^(١) السِّيفِ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنْسٍ فَالْمَوْتُ يُلْهَظُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَهُ
فَلَيْسَ يَلْهَظُ مِنْهُ مَا يَؤْمِلُهُ حَتَّى يُؤْمِرَ فِيهِ رَأْيُكَ الْقَدْرُ
أَنْفَى مِنَ الْمَوْتِ ؟ يَعْفُوُ عَنْدَ قَدْرِهِ وَلَيْسَ لِلْمَوْتِ غَوْٰ حِينَ يَقْتَدِرُ
فَأَجْلَسَهُ هَارُونَ وَرَاهُ ظَهِيرَهُ ، لَثَلَا بَرِيًّا مَاهِمْ بِهِ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ قَتْلِ أَنْسٍ
قَالَ لَهُ : أَنْشَدْنِي أَشْعَرْ شِعْرِكَ ، فَسَكَلَاهُ فَرَغَ مِنْ قَصِيدَتِهِ قَالَ : إِنِّي تَقُولُ فِيهَا «الْوَحْل»
فَإِنِّي رَوَيْتُهَا وَأَنَا صَغِيرٌ ، فَأَنْشَدْهُ شِعْرَهُ الَّذِي أَوْلَاهُ :

أَدِيرَ أَعْلَى الرَّاحَ لَا تَشَرِّبَا قَبْلِي ولا تَنْطَلِبَا مِنْ عَنْدِ قَاتِلِي ذَحْلِي^(٢)
حَتَّى اتَّهَى إِلَى قَوْلِهِ :

إِذَا مَاعَلْتَ مِنْ سَادُوا بَةَ شَارِبٍ تَمَشَّتْ بِنَا مَشْيَ الْمَقْيَدِ فِي الْوَحْلِ
فَضَحَّكَ هَارُونَ ، وَقَالَ : عَلَيْكَ ! أَمَا رَضِيتَ أَنْ قِيدَتْهُ حَتَّى يَمْشِيَ فِي الْوَحْلِ ؟
ثُمَّ أَسْرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ وَخَلَى سَبِيلِهِ .

(١) أصل التلهظ تحريك اللسان في الفم بعد الأكل ، كأنه يتبع بقية الطعام بين أسنانه ، ويقال تلهظت الحياة : إذا أخرجت لسانها لتهظ الأكل (٢) الذحل : الشلل .

١٧٩ — شاعر باهلي في حضرة الرشيد *

أوفد سعيد بن سالم على الرشيد شاعراً باهلياً ؛ فأنشده قصيدة حسنة ؟
فاستَرَابَ به^(١) الرشيدُ ؛ وقال : أَنْسَمْكَ مُسْتَحْسِنَا ، وَأَكْرَمْكَ مُتَهِّمَا ! فَإِنْ كُنْتَ
صاحبَ هذا الشِّعْرِ ؛ فقلْ فِي هذِينِ - وَأَشَارَ إِلَى الْأَمِينِ وَالْمُؤْمِنِ ، وَكَانَا جَالِسِينِ .
فقال : يا أمير المؤمنين ؟ تَحَلَّنِي عَلَى غَيْرِ الْجَدَدِ^(٢) هِيَةُ الْخَلَافَةِ ، وَوَحْشَةُ
الْغُرْبَةِ ، وَرَوْءَةُ الْمَلَاجَأِ ، وَجَلَالُهُ الْمَقَامُ ، وَصَعْوَدُ الْبَدِيهَةِ ، وَشَرُودُ الْقَوْافِيِّ عَلَى
غَيْرِ الرَّوْيَةِ ، فَلَيُمْهَلَنِي أمير المؤمنين حتى يتألف نافر القول !

قال الرشيد : لا عليك ألا تقول ، قد جلت^{*} اعتذارك عوض امتحانك !
قال : يا أمير المؤمنين ، نفست^(٣) الخناق ، وسهلت^(٤) ميدان السباق ، ثم قال :
بنَيَّتَ لِعَبْدِ اللَّهِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ذُرَّاً قَبْيَةَ الإِسْلَامِ فَأَخْضَرَ عُودَهَا
هَا طَنَبَاهَا^(٥) بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمُودُهَا
قال الرشيد : بارك الله فيك - سل ، ولا تكن مسؤلتك دون إحسانك .
قال : التَّهِيَّةَ^(٦) يا أمير المؤمنين ! فأمر له بها وبخليع^{*} نفيسة ، وصلة^{*} جزيلة !

* زهر الآداب : ٤ - ١٥٣ .

(١) استراب به : رأى منه ما يربه (٢) الجدد : ما استوى من الأرض وأحمر ، والمراد هنا
الأمر السهل (٣) نفست : فرجت (٤) الطنب : جبل الحباء (٥) المبندة : اسم المائة
من الإبل ..

١٨٠ — أَبْاَنُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ يَدْعُ نَفْسَهُ *

قال العتابي : كنا بباب الفضل بن يحيى البرمكي أربعة آلاف ؛ ما بين شاعر وزائر ، وفيما فتى (١) يحدّنا ونجمّع إليه ؛ فيئما هو ذات يوم قاعد إذ أقبل إليه غلام له ! فقال له : يا مولاي ؟ أخرجتني من بين أبوى ، وزعمت أن لك صلة بالملوك ! فقد صرنا إلى أسوأ ما يكون من الحال . فإن رأيت أن تاذن لي فأنصرف إلى أبوى فلت !

فاغرورقت عينا الفتى ، ثم قال : اثنى بدوابة وقرطاس ، فأنا بهما فقعد ؛ فكتب رقمة ، ثم عاد إلى مجلسه ، ثم قال للغلام : انصرف إلى وقت رجوعي إليك .

فيينا نحن كذلك إذ جاء رجل يستاذن على الفضل ، قام إليه الفتى ، فقال : توصل رقعتي هذه إلى الأمير ؟ قال : وما في رقعتك ؟ قال : أمدح نفسي ، وأحدث الأمير على قبولي ، قال : هذه حاجة لك دون الأمير ، فإن رأيت أن تعفيني فعلت أ قال : قد فعلت .

فعاد إلى مجلسه ، نخرج الحاجب قمام إليه ، فقال له مثل مقالته الأولى .

* الأوراق لصوى : ٤

(١) هو أبان بن عبد الحميد اللاحق الذي نظم كليلاً ودمنة شعراً . وقد أعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار .

فاستظرفه الحاجب وقال : إن رجلاً يمدح نفسه ، ولا يمدح الفضل عجيب !

فأخذ منه الرقة ، ثم دخل فلوحها للفضل ، فقرأ منها سطرين وهو مستلق على فراشه ، ثم استوى قاعداً ، وتناول الرقة قرأها ، فلما فرغ قال للخاجب : أين صاحب الرقة ؟ قال : أعز الله الأمير ؛ والله لا أعرفه لكثرة من بباب؟ فقال الفضل : أنا أعرفه لك الساعة ؟ ياغلام اقصد القصر فناد أين مادح نفسه ؟ فقام السلام فصاح ؛ فقام الفتى من يبتنا بغير رداء ولا حذاء !

فلما مثلَ بين يدي الفضل ، قال له : أنت القائل ما فيها ؟ قال : نعم ! قال : أنشدني ، فأنشأ الفتى يقول :

أنا من بنية^(١) الأمير وكنز من كنوزِ الأميرِ ذو أرباح
كاتب حاسب خطيب أديب ناصح زائد على النصائح
شاعر مقلق أخف من الري شة ما يكون تحت الجناح^(٢)
لي في النحو فطنة وانقاد أنا في قلادة بوشاح
نم أزوي من ابن سيرين لعلتكم يقول منور الإفصاح
نم أروي من ابن سيرين للشعر وقول النسب والأدماح
وطريف الحديث في كل فن وبصیر بترهات الملاح
كم قد خبأت عندي حديثا هو عند الملك كالتماح

(١) من بيته : من مطالبه ، يريد أن الأمير لو اصطنه واصطفاه لرأى فيه خيراً كثيراً ، وقد عدد مزايا نفسه في البيتين بعده . (٢) الشاعر الملق : المبدع ، وأخف الريش وأدقه : ما يكون تحت الجناح ، وأراد بالحمة خفة الروح .

فَيُمثِّلِي تَجْلُو الْمُلُوكُ وَتَلْهُو وَتَنَاجِي فِي الْمُشَكْلِ الْفَدَاحِ
أَيْمَنُ النَّاسِ طَائِرًا يَوْمَ صَيْدِهِ لَغَدَوْ دُعْيَتُهُ أَوْ لَرَواحِ
أَبْصَرَ النَّاسَ بِالْجَوَاهِرِ وَأَنْلَمَهُ وَبِالْخَرَادِ الْحَسَانِ الصَّبَاحِ
كُلُّ ذَا قَدْ جَمِعَتُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنِّي ظَرِيفُ الْمَزَاحِ
لَسْتُ بِالنَّاسِكَ الْمُشَمَّرَ ثُوِيْهِ وَلَا الْمَاجِنَ الْخَلِيلَ الْوَقَاحِ
إِنْ رَمَى بِي الْأَمِيرُ أَصْلَحَهُ اللَّهُ رِمَاحًا ثَلَتُهُ حَدَّ الرَّمَاحِ
مَا أَنَا وَاهِرٌ وَلَا مَسْكِينٌ لَسْوِيْ أَمْرِ سَيِّدِي ذِي السَّماحِ
حَتَّى أَنِّي عَلَى آخِرِهَا .

فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ :

كَاتِبٌ، حَاسِبٌ، خَطِيبٌ، أَدِيبٌ، نَاصِحٌ زَانِدَ عَلَى النَّاصِحَةِ؟
قَالَ : نَمْ ! أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرًا؟ فَقَالَ الْفَضْلُ : يَاغَلَامُ ؟ الْكِتَبَ الَّتِي وَرَدَتْ
مِنْ فَارِسَ ! فَأَنَّى لَهَا ، فَقَالَ لِلْفَتِي : خَذْهَا فَاقْرَأْهَا وَأَجْبِعْ عَنْهَا ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدِي
الْفَضْلِ يَكْتُبُ ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : اعْتَزِلْ يَكْنُونُ خَيْرًا لَكَ ؟ فَقَالَ : هَهُنَا الرَّأْيُ
أَجْمَعُ ؛ يَحْيَيْ الرَّغْبَةَ وَالرَّهْبَةَ .

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ الْكِتَبِ عَرَضَهَا عَلَى الْفَضْلِ ، فَكَانَ مَا شَقَّ عَنْ قَلْبِهِ ! فَقَالَ
الْفَضْلُ : يَاغَلَامُ : بَدْرَةُ ، بَدْرَةُ ^(١) . فَقَالَ لِلْفَتِي لِلْفَلَامُ : أَعْزَزَ اللَّهُ أَمِيرًا !
دَنَانِيرُ أَوْ دِرَاهَمُ ؟ قَالَ : دِرَاهَمٌ . قَالَ : دَنَانِيرُ يَاغَلَامُ !

فَلَمَّا وَضَمَّتِ الْبَدْرَةَ بَيْنَ يَدِيهِ قَالَ الْفَضْلُ : احْلِهَا بَارِكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا . قَالَ
الْفَتِي : وَاللَّهِ - أَيْهَا الْأَمِيرُ : مَا أَنَا بِحَمَّالٍ ، وَمَا لِلْعَمَلِ خَلْقَتْ . فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرَ أَنْ

(١) الْبَدْرَةُ : كَبِيرٌ فِيهِ عَشْرَةُ آلَافٍ .

يأمر بعضَ غلمانه بمحملها على أن الغلام لي ! فأشار الفضل إلى بعض الغلمان ، فأشار الفتى إليه : مكانك أنت قال : إن رأى الأمير - أيده الله أن يجعل اختيارك إلى في الغلمان كافل بين البدرتين فعل . فقال : اختر . فاختار من أحسنهم غلاما ، فقال : أحبل ، فلما صارت البدرة على منكب الغلام بكى الفتى ؟ فاستفظع الفضل ذلك ، وقال : ويلك . أستقللا ؟ قال : لا - والله - أيدك الله ، ولقد أكثرت ، ولكن أسفًا أن الأرض توارى مثلك . قال الفضل : هذا أجود من الأول ، يا غلام زده كسوة .

١٨١ — العتابي عند المؤمن *

كان كثيرون العتابي^(١) واقفًا بباب المؤمن ، فجاءه يحيى بن أكثم ، فقال له العتابي: إن رأيتَ أن تعلمَ أميرَ المؤمنين بمكاني ! قال : لستُ بمحاجب ! قال : قد علمتُ ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معاون ! قال : سلكتَ بي غيرَ طريق ! قال : إن الله قد ألحقك بجاهِ ونعمة منه ، فهما مقيمان عليك بالزيادة إن شكرتَ ، وبالتفير إن كفرتَ ! وأنا لك اليوم خيرٌ منك لنفسك ؟ أدعوك لما فيه زيادة نعمتك وأنتَ تابي ذلك ، ولكلّ شيء زكاة ، وزكاة الجاه بذله للمستعينين .

دخل يحيى فأخبر المؤمن بان الخبر ؟ فأدخل عليه العتابي ، وفي المجلس إسحاق ابن إبراهيم الموصلي ، فأمره بالجلوس ، وأقبلَ يسأله عن أحواله و شأنه ؟ فيجيبه بلسان ناطق ، فاستظرفه المؤمن ، وأخذ في مداعبته .

فظن الشيخ أنه قد استخفَ به ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؟ الإيناس^(٢) قبل الإباس ، فاشتبه عليه قوله ، فنظر إلى إسحاق ، ثم قال : ألف دينار ، فأنهى بها فوضعت بين يدي العتابي .

* المسعودي : ٢ - ٣٢٣ .

(١) كان العتابي من أرض جند قنسرين ، وسكن الرقة ، وكان من العلم والقراءة والأدب والمعونة والتسلل ، وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان ، وحلوة الخطابة وجودة الحفظ وصحة الترميم على مالم يكن ل كثير من الناس في عصر مثله .
(٢) الإيناس : ضد الإيعاش . والإباس : الرفق بالنافقة عند الملبي ، وهو أن يقال : بس بس ، وهو مثل بضرب في المداراة عند الطلب .

ثم دعا إلى المعارضه ، وأغرى المؤمن إسحاق بالبحث به ، فأقبل إسحاق
يمارضه في كل باب يذكّره ويزيد عليه ؟ فمجب منه ، وهو لا يعلم أنه إسحاق ،
ثم قال العتaby : أياً ذن أمير المؤمنين في مسألة هذا الرجل عن اسمه ونسبة ؟ فاذن له .
فقال العتaby : من أنت ؟ وما اسمك ! قال : أنا من الناس ، واسمي : « كل بصل » !
فقال له العتaby : أَسَّا النسبةُ فقد عرِفتْ ، وأما الاسم فنذكر ! وما « كل بصل »
من الأسماء ! فقال له إسحاق : ما أقل إنصافك ! وما « كلنوم » ؟ والبصل أطيب
من الثوم !

قال العتaby : قاتلَكَ الله ! ما رأيتُ كالرجل حلاوة ، أفياذن أمير المؤمنين في
صلته بما وصلني به . فقد - والله - غلبني !

فقال له المؤمن : بل ذلك مُوفّر عليك ، ونَأْمُرُ له بِئْنَاهـ ؟ فانصرف إسحاق
إلى منزله ، ونادَاه بقية يومـه .

١٨٢ — أبو عام والأعراب*

قال أبو عام الطافى : بَرَجْتُ يَوْمًا إِلَى سُرَّ مِنْ رَأْيِ ، حِينَ وَلَى الْوَاقِفُ ، فِلَقِينِي أَعْرَابِي وَقَدْ قَرَبَتُ مِنْهَا ، فَأَرْدَتْ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ بِهَا ، خَاطَبَتُهُ ، فَإِذَا أَنْصَحُ النَّاسَ أَنْفَطْتُهُمْ .

فَقَلَتْ : مَنْ الرَّجُلُ ؟ قَالَ : مِنْ بَنِي عَامِرٍ ، قَلَتْ : كَيْفَ عَلِمْتَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : قُتِلَ^(١) أَرْضًا عَالَمُهَا ؟ قَلَتْ : فَمَا تَقُولُ فِيهِ ؟ قَالَ : وَثِيقَ بِاللَّهِ فَكَفَاهُ ، أَشْجَى^(٢) الْعَاصِيَةِ ، وَقَمَعَ الْعَادِيَةِ ، وَعَدَلَ فِي الرَّعِيَّةِ .

فَقَلَتْ : فَمَا تَقُولُ فِي أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَوَادَ^(٣) ؟ قَالَ : هَضْبَةُ لَا تُرَامُ ، وَجَنَدَلَةُ^(٤) لَا تُضَامُ ، تُشَحَّذُ لِهِ الْمُدَى ، وَتُحَبَّلُ^(٥) لِهِ الْأَشْرَاكُ ، وَتُبَنَّى لِهِ الْغَوَائِلُ ، حَتَّى إِذَا قَيْلَ : كَانَ قَدْ ، وَثَبَ وَثَبَةَ الدَّثَبِ ، وَخَتَّلَ^(٦) خَتْلَ الضَّبِ .

فَقَلَتْ : فَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ قَالَ : وَسَعَ الْمَانِيَّ شَرَهُ ، وَقُتِلَ الْبَعِيدُ

* أخبار أبي عام لاصولى : ٨٩

(١) أصل القتل التذليل ، وهذا مثل معناه : أن الرجل العالم بالأرض عند سلوكيها ويغلبها بعلمه ؛ يضرب في مدح العلم . (٢) أشجعاته : أشجعه في حزن ، وفخرته . (٣) أحمد بن أبي دواد : كان فصيحاً مفوهاً ، شاعراً جواداً ممدحاً ، رئيساً في التجهم ، وهو الذي شفب على الإمام أحمد بن حنبل وأفني بقتله ، وكان معتزلياً ، له القبول التام عند المؤمن والمتضمر ، وهو أول من بدأ الخلفاء بالكلام؛ وكان بينه وبين ابن الزيات شحناء ومهاجة . توفى بالبصرة سنة ٢٤٠ هـ .

(٤) المبندل : ما يقتل الرجل من الحجارة . وقيل : الحجر كله ؛ الواحدة جندلة .

(٥) جبل الصيد حبلاً : أخذه وصاده بالحبالة أو نصنه له ، (٦) ختل : خدع .

ضرأه ، له كل يوم صريح لا يرى فيه أثر ناب ، ولا ندب مخلب ^(١) .

قلت : فما تقول في عمرو ^(٢) بن فرج ؟ قال : ضخم لهم ^(٣) ، مستعدب للذم ^(٤) .

قلت : فما تقول في الفضل بن مروان - واستعذبت خطابه - قال : ذا الكرجل ^(٥) نُشر بعد ما قُبِّر ، فعليه حياة الأحياء وخفقة الموتى .

قلت : فما تقول في أبي الوزير ؟ قال : كبش الزنادقة ^(٦) ؛ ألا ترى أن الخليفة إذا أمهله سبع ورقع ، فإذا هزه أمطر فأسرع .

قلت : فابن الحصيب ؟ قال : أكل كلة لهم ، فذرق ذرقة يشم ^(٧) .

قلت : فما تقول في إبراهيم أخيه ؟ قال : أموات غير أحياء وما يشرف أيان يبعثون .

قلت : فما تقول في ابن إسرائيل ؟ قال : الله دره ! أى فقل ^(٨) هو اغرين في منابت الكرم ، حتى إذا اهتز لم حصدوه .

قلت : فما تقول في إبراهيم بن رباح ؟ قال : أوبقه ^(٩) كرمه ، وأسلمه حسبه ، وله معروف لا يُنسِّمه ، ورب لا يحدُّله ، وخليفة لا يظلمه .

قلت : فما تقول في نجاح بن سلامة ؟ قال : الله دره ! أى طالب وتر ومدرك ثار يتلبب كأنه شعلة نار ، له من الخليفة جلسة تزيل نعما ، وتحيل نعما .

(١) الندب : جم ندية ، وهي أثر المجرح الباقي على الجلد . (٢) عمرو بن فرج : كان من عليه الكتاب ، وسخط عليه التوكل سنة ٢٣٣ هـ . (٣) اللهم : الرغب الرأي ، الجواب ، العظيم السفراية . (٤) البشم : التخمة . (٥) القفل : المعوان السريع التقفل وهو التعرك .

(٦) أوبقه : ذله وأهلكه .

قلت : يا أَعْرَابِي ؟ أَبْنَ مَنْزِلَك ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ غَفِرًا ، إِذَا اشْتَمَلَ الظُّلْمَامُ فِيمَا
أَدْرَكَنِي الرِّقَادُ رَقِدْتُ !

قلت : فَكَيْفَ رَضَاكَ عَنْ أَهْلِ الْعَسْكَرِ ؟ قَالَ : لَا أُخْلِقُ وَجْهِي بِسَأْلَتِهِ ،
أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ هَذَا الْفَتِي الطَّائِي ، الَّذِي قَدْ مَلَأَ الدُّنْيَا شِعْرَهُ :

وَمَا أَبَالِي - وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ - حَفِنْتَ لِي مَاهِ وَجْهِي أَوْ حَفِنْتَ دَمِي

قلت : فَأَنِي الطَّائِي قَائِلُ هَذَا الشِّعْرِ إِفْدَانًا مُبَادِرًا فَعَاقَنِي ، وَقَالَ : اللَّهُ أَبُوكَ !
أَلْسَتَ الَّذِي يَقُولُ :

مَاجُودٌ كَفُلْكَ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخْلَتْ مِنْ مَاهِ وَجْهِي إِذَا أَخْلَقْتَهُ عِوْضَنْ

قلت : نَعَمْ ، قَالَ : أَنْتَ وَاللَّهُ أَشْعَرُ أَهْلُ الزَّمَانِ .

فَرَجِمْتُ بِالْأَعْرَابِي مَعِي إِلَى ابْنِ أَبِي دَوْادَ ، وَحَدَّثْتُهُ بِمَحْدِيَّتِهِ ، فَأَدْخَلَهُ إِلَى
الْوَاتِقَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ خَبْرِهِ مَعِي ، فَأَخْبَرَهُ بِهِ ؛ فَأَمْرَرَ لَهُ بِهَالَ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَوَهَبَ لَهُ
أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دَوْادَ ، فَكَانَ يَقُولُ : قَدْ عَظِمَ اللَّهُ بَرَكَتُكَ عَلَيْهِ !

* ١٨٣ — امتحان شاعر *

كان صاعد^(١) بين يدي المنصور بن أبي عامر ، فأخضرت إليه وردة في غير وقتها لم يستشم فتح ورقها ، فقال صاعد مرتجلًا :

أنتك أبا عامر وردة يذ كرمل المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر فقطت بأكمامها راسها

فسر بذلك المنصور ، وكان ابن العريف حاضرًا فحسده ، وقال ابن أبي عامر :
هذا البيتان لغيره ، وقد أنشدناهما بعض البغداديين لنفسه بعمر ، وما عندى على
ظاهر كتاب بخطه !

قال له المنصور : أرنيه . فخرج ابن العريف ، وركب ، وحرك دابته ، حتى أتى
مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة ، فوصف له ماجرى ، فقال هذه
الآيات ودس فيها بيتي صاعد :

غدوت إلى قصر عبادة	وقد جدل ^(٢) النوم حرّاسها
فالنفيتها وهي في خدرها	وقد صرخ ^(٣) السكر أناسها
فقلت : أساير على هجمة ^(٤)	فقلت : بلى فرمّت كاسها
ومدت يديها إلى وردة	بحاكى لك الطيب [*] أنفاسها

* فتح الطيب : ٢ - ٨٩

(١) هو أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي التورى ، وأصله من الموصل ، وهو من المؤمنين إلى الأندلس ، وكان شديد البدية في ادعاء الباطل ، وكان مم ثلك عالماً . توفي سنة ٤١٧.

(٢) جمله : صرخه (٣) صرخ فلاناً : ضربه شديداً (٤) المجمعة : طائفة من الليل .

كَمَذْرَاهُ أَبْصَرَهَا مِبْصُرٌ فَطَّتْ بِأَكْلَمْهَا رَاسَهَا
فَسَارَ ابْنُ الْعَرِيفِ بِهَا ، وَعَلَقَهَا عَلَى ظَهَرِ كِتَابٍ بِخُطٍّ مَصْرُىٰ (١) وَمِدَادٍ أَشْقَرٌ
وَدَحْلٌ بِهَا عَلَى الْمُنْصُورِ .

فَلَمَّا رَأَاهَا اشْتَدَّ غَيْظُهُ عَلَى صَاعِدٍ ، وَقَالَ لِلْحَاضِرِينَ : غَدًا أَمْتَحْنُهُ ، فَإِنْ فَضَحَهُ
الْأَمْتَحَانُ أَخْرَجَهُ مِنَ الْبَلَادِ ، وَلَمْ يَبْقَ فِي مَوْضِعٍ لَّيْلَةَ سُلْطَانٍ .
فَلَمَّا أَصْبَحَ وَجْهُ إِلَيْهِ ، فَأَحْضَرَ وَأَحْضَرَ جَمِيعَ النَّدَمَاءِ ، فَدَخَلَ بَهْمَ إِلَى مَجْلِسٍ ،
قَدْ أَعْدَّ فِيهِ طَبِقًا عَظِيمًا ، فِيهِ سَقَافٌ مَصْنُوعٌ مِنْ جَمِيعِ النَّوَافِيرِ . وَوُضِعَ عَلَى السَّقَافِ
لَعْبٌ مِنْ يَاسِمِينٍ فِي شَكْلِ الْجَوَارِيِّ ، وَتَحْتَ السَّقَافِ بِرْكَةٌ مَاءٌ ، قَدْ أَلْقَى فِيهَا اللَّالَىُّ
مِثْلَ الْحَصَبَاءِ ، وَفِي الْبَرْكَةِ حَيَةٌ تَسْبِعُ .

فَلَمَّا دَخَلَ صَاعِدٌ وَرَأَى الطَّبِقَ ، قَالَ لِهِ الْمُنْصُورُ : إِنْ هَذَا يَوْمٌ إِما أَنْ تَسْعَدَ فِيهِ
مَعْنَا ، وَإِما أَنْ تَشْقَى بِهِ عِنْدَنَا ، لَأَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنْ كُلَّ مَا تَأْتَى بِهِ دُعَوْيٌ ، وَقَدْ وَقَتَ
مِنْ ذَلِكَ عَلَى حَقِيقَةٍ ؛ وَهَذَا طَبِقٌ مَا تَوَهَّمْتُ أَنَّهُ حَضَرَ بَيْنَ يَدَيِّ مَلِكٍ قَبْلَ شَكْلِهِ ؛
فَصِفِّهِ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ ، قَالَ صَاعِدٌ بِدِيْهَةٍ :

أَبَا عَاصِمٍ هَلْ غَيْرُ جَدْوَاكَ وَأَكْفَ (٢) وَهُلْ غَيْرُ مَنْ عَادَكَ فِي الْأَرْضِ خَافِ
يَسْوَقُ إِلَيْكَ الدَّهْرُ كُلُّ غَرِيبَةٍ وَأَعْجَبُ مَا يَلْقَاهُ عَنْدَكَ وَاصِفٌ
وَشَائِعٌ (٣) نُورٌ صَاغَهَا هَامِرٌ الْحَيَا (٤) وَرَفَارِفُ (٥)
وَلَا تَنَاهِي الْحَسْنُ فِيهَا تَقَابِلَتْ عَلَيْهَا بِأَنْوَاعِ الْمَلَامِيِّ الْوَصَافِ

(١) وَكْ : قَطْرٌ (٢) الْوَشِيشَةُ : كُلُّ لَفْيَةٍ وَجَمِيعُهَا وَشَائِعٌ (٣) الْحَيَا : الْطَّرِ

(٤) الصَّبَرُ : الْيَاسِمِينُ (٥) الرَّفَرَفُ : الرَّفُ يَوْضِعُ عَلَيْهِ طَرَاطِقَ الْبَيْتِ وَجَمِيعَ رَفَارِفَ .

كِنْتُ الظباءُ لِسْكَنَةً كُنَّا
نُتَلَّمُ بِالِيَاسِينِ السَّقَافَ
وَأَعْجَبَ مِنْهَا أَنْهُنَّ نَوَاطِرَ
إِلَى بُرْكَةِ صُمُّتِ إِلَيْهَا الطَّرَافَ
حَصَاهَا الْلَّالِي ، سَابِعُ فِي عَبَابِهَا
مِنْ الرُّقْشِ مَسْوُومٌ التَّعَابِينَ زَاحِفٌ
تَرَى مَا تَهْدِيَهَا مِنَ الْوَحْشِ حَتَّى يَنْهِنَ السَّلاَحِفَ
فَاسْتُغْرِبَتْ لَهُ يَوْمَنْذِ تِلْكَ الْبَدِيهَةِ فِي مَثْلِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، وَكَتَبَهَا الْمُنْصُورُ
بِخَطِهِ . وَكَانَ إِلَى نَاحِيَةِ مِنْ تِلْكَ السَّقَافَ سَفِينَةٌ ، فِيهَا جَارِيَةٌ مِنَ النَّوَارِ ، بِمَجَازِيفِ
مِنْ ذَهَبٍ لَمْ يَرَهَا صَاعِدٌ ، قَالَ لَهُ الْمُنْصُورُ : أَحْسَنْتِ إِلَّا أَنْكَ أَغْفَلْتَ ذِكْرَ الْمَرْكَبِ
وَالْجَارِيَةِ ، قَالَ لِلْوَقْتِ :

وَأَعْجَبَ مِنْهَا غَادَةُ فِي سَفِينَةٍ
مَكْلَةَ نَصْبُو إِلَيْهَا الْمَهَافَ (١)
إِذَا رَاعَهَا مَوْجٌ مِنَ الْمَاءِ تَتَقَقَّ
بِسَكَانِهَا مَا أَنْزَرَتْهُ الْمَوَاصِفَ
مَتَّ كَانَتِ الْحَسَنَاءِ رُبَّانَ مَرْكَبَ
تُصَرِّفُ فِي يَمْنِي بِدِيَهِ الْجَمَادِيفَ
وَلَمْ تَرَ عَيْنِي فِي الْبَلَادِ حَدِيقَةَ
مَسْوُؤُلُهَا فِي الرَّاحِتَيْنِ الْوَاصِفَ
وَلَا غَرُونَ أَنْ سَاقَتِ مَعَالِيكَ رَوْضَةَ
تَنْقِلُهَا فِي الْرَّاحِتَيْنِ الْوَاصِفَ
إِذَا قَلَتْ قَوْلًا أَوْ بَدَهَتْ بِدِيَهَةَ
فَكَلَنَّتِي لَهُ ، إِنِّي لِجَدْكَ وَاصِفَ
فَأَمْرَ لَهُ الْمُنْصُورُ بِالْفِدِيَارِ ، وَمَائَةِ ثُوبٍ ، وَرَتَبَ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَيْنِ دِينَارًا
وَأَلْقَهَ بِالنَّدَمَاءِ .

.....

(١) فَلَاتَةٌ يَهْتَفُ بِهَا : يَذْكُرُ جَالِماً .

فهرس القصص

الباب الأول

في القصص التي تشرح ما أثر عنهم من عادات وشمائل في الأسباب الدائرة بينهم ، وتبيّن ما تهجوه في مواسمهم وأعيادهم ، وأفراحهم وأعراصهم ؛ مما يمثل حياتهم الاجتماعية أصدق تمثيل :

العنوان	رقم الصفحة
شب عمرو عن الطوق	١
الحديث ذو شجون	٢
جوع كلبك يتبعك	٣
عند جهينة الخبر اليقين	٤
يحمى الصحاب إذا تكون كريهة	٥
تأبّط شرًا وابن براق	٦
أنتك بمحان رجاله	٧
السليك بن السلكة ورفيقاه	٨
السليك يقتل وينهب	٩
السخني العداء	١٠
زيد الخليل	١١
وأد البنات	١٢
أعجب السرقات	١٣
أعرابي في عرس	١٤
أطيب الطعام	١٥
جحدر	١٦

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
١٧	٤٥	صديقا ابن مُرِيج على قبره
١٨	٤٨	قوة وبطش
١٩	٥٠	لا تعرضا هذا الشيطان
٢٠	٥٢	هلال يصارع عبداً جباراً
٢١	٥٤	حديث عن الفريّين
٢٢	٥٧	العصا
٢٣	٦٠	ضرار بن القماع

الباب الثاني

القصص التي تصف أحوال المرأة العربية ، وما تجرى عليه في تربية أطفالها ومعاشرتها زوجها ، ومعاونتها له في حياتهين : الاجتماعية والمدنية ، بالسى في سبيل الرزق ، والاشتراك في خوض معايم الحروب ، والأخذ بقسط من الثقافة الأدبية السائدة في ذلك العهد :

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
٢٤	٦٢	نصرع الزباء
٢٥	٦٦	قبح الله جحلا لا نعم فيه
٢٦	٧١	أفضل النساء وأفضل الرجال
٢٧	٧٣	نكبة جليلة
٢٨	٧٥	كأنما تزوجت بنت قيس بن خالد
٢٩	٧٨	ماوراءك يا عاصم ؟
٣٠	٨١	لأنزوج إلا من كريم
٣١	٨٤	سبيبة عروة بن الورد
٣٢	٨٦	لو كان النساء كمثل هذى !
٣٣	٨٩	بلت حاتم الطائنى

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصيدة
أيتها أعلم العرب مصيبة؟	٩٠	٣٤
شجاعة صفية بنت عبد المطلب	٩٢	٣٥
الخنساء عند عائشة	٩٣	٣٦
إله عمر يعلم!	٩٤	٣٧
كذلك لدهر!	٩٥	٣٨
لا تذهبي بنفسك عن الحق	٩٦	٣٩
المفيرة يخطب بنت النعمان	٩٨	٤٠
ولقد أيدت على الطوى	٩٩	٤١
أبو الأسود الدؤلي وزوجها	١٠٢	٤٢
إن قريشاً تحدث أنك من أحسلها	١٠٦	٤٣
سودة بنت عمارة عند معاوية	١١١	٤٤
مثلك من قدر فقنا	١١٤	٤٥
نبهكم على:	١١٧	٤٦
وهل أحل عندك محل على؟	١١٩	٤٧
نبحثنى كلابك!	١٢١	٤٨
أروى بنت الحارث	١٢٣	٤٩
أم سنان تشكو مروان	١٢٦	٥٠
ليل الأخيلية عند مروان	١٢٩	٥١
أم	١٣٢	٥٢
التلطف في السؤال	١٣٤	٥٣
نساء بني نعيم	١٣٥	٥٤
ليل الأخيلية عند اخجاج	١٣٨	٥٥
الحجاج يخالف سعيده	١٤٤	٥٦

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
٥٧	١٤٥	أسد علىٰ وف الحروب نعامة
٥٨	١٤٧	الشراة عند سكينة بنت الحسين
٥٩	١٥٢	الفرزدق وسکينة بنت الحسين
٦٠	١٥٤	يوم عند أمراة من بنى أمية
٦١	١٥٨	حديث عائشة بنت طلحة مع الميرى
٦٢	١٦١	أتريد أن تقتلني !
٦٣	١٦٥	بعد أن ذهب الملك
٦٤	١٦٨	أم أمير المؤمنين بالباب
٦٥	١٧٢	كريم يجمع بين زوجين
٦٦	١٧٤	أعرابية على قبر زوجها
٦٧	١٧٥	على قبور الذاهبين
٦٨	١٧٦	الحق أنطقها وأخرسه
٦٩	١٧٩	أجارها نعم تزوجها
٧٠	١٨٤	كيف ربت ابنتها
٧١	١٨٥	خائف وجد مأمناً
٧٢	١٨٧	تحن إلى وطنيها
٧٣	١٨٨	سُمِت حياني حين فارقت قبره
٧٤	١٩٠	الكلمة بالقرآن
		الباب الثالث

القصص التي تمثل ذلةة ألسنتهم ، وحكمة منطقهم ، وما ينضاف إلى ذلك من فضاحة اللفظ ، وبلاهة المعنى ، وجمال الأسلوب ، وحسن التصرف في الإبهان والتعبير :

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
٧٥	١٩٤	بني أسد وامرأة القيس

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
خاتمة الأعشى	١٩٧	٧٦
رثاء فوق قبر	١٩٩	٧٧
يمثل هذا فليثن على الملوك	٢٠٠	٧٨
عتبة وأعرابي	٢٠٤	٧٩
إن من البيان لسحراً	٢٠٥	٨٠
عبد الله بن عباس والخطيبة	٢٠٦	٨١
طريد لسانه	٢٠٨	٨٢
عبد الله بن الزبير ومقتل أخيه مصعب	٢١٦	٨٣
عمر بن أبي ربيعة وجليل	٢١٨	٨٤
لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطنة بالقلب	٢٢٠	٨٥
ابن المسيد يفخر بصاحبه	٢٢٢	٨٦
أعشى هدان يهجو ويمدح	٢٢٣	٨٧
أشجع الناس شرعاً	٢٢٥	٨٨
المجاج على قبر ابنه	٢٢٧	٨٩
إن صدقناك أغضبناك	٢٢٨	٩٠
المجاج يخطب	٢٢٩	٩١
جييل أشهر الناس	٢٣١	٩٢
من أشهر الناس	٢٣٢	٩٣
الشعبي عند عبد الملك بن مروان	٢٣٦	٩٤
تلطف عبد الله بن المجاج	٢٣٨	٩٥
نصيب عند عبد العزيز بن مروان	٢٤١	٩٦
سلتان بن عبد الملك وسميه	٢٤٥	٩٧
عبيد الندى	٢٤٦	٩٨

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
الخليفة يعطي الفقراء وينع الشراء	٢٤٨	٩٩
الشureau عند عمر بن عبد العزيز	٢٥٢	١٠٠
إيجاز في المقال وبلاحة في البيان	٢٥٧	١٠١
سعيت فأكذبتي ، وترجمت فرزقت	٢٥٩	١٠٢
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	٢٦٠	١٠٣
واعظ الملوك	٢٦٢	١٠٤
إن خالداً أدل فامل	٢٦٦	١٠٥
أبو النجم عند هشام بن عبد الملك	٢٦٧	١٠٦
لا يُعرف الكلام إلا بشره	٢٧١	١٠٧
أنجحت وقادتك ، ووجبت صيافتك	٢٧٣	١٠٨
شاعر بنى هاشم	٢٧٤	١٠٩
إن يُعنى بغلب شؤمك	٢٧٨	١١٠
قتلهم الشعر	٢٨٠	١١١
المنصور أحقر بشعر طريف	٢٨٢	١١٢
الحبة مفتاح كل خير	٢٨٤	١١٣
المنصور والشureau	٢٩٥	١١٤
المؤمل يمدح المهدى	٢٩٧	١١٥
مدانع وعطايا	٢٩٠	١١٦
فصاحة نصيب العباسى	٢٩٦	١١٧
أنتم الخلافة منقادة	٢٩٨	١١٨
صربيع الغوانى	٣٠٠	١١٩
الرشيد وابن متاذر	٣٠٣	١٢٠
ريمة الرقى يمدح فلا يثاب	٣٠٥	١٢١

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
شاعران بين يدي الرشيد	٣٠٨	١٢٢
بابك أرزلت حاجتي	٣١٠	١٢٣
النَّكُثُ فِي الْبَيْعِ خَيْرٌ مِّنْ خِيَانَةِ الشَّرِيكِ	٣١٢	١٢٤
باتت تعيرني الإفتار والعدما	٣١٣	١٢٥
سكنت عنى والله الحمى !	٣١٥	١٢٦
عموز تنشد الأصمعى	٣١٦	١٢٧
الأصمعى وبعض الأعراب	٣١٨	١٢٨
شعر مرتجل	٣٢١	١٢٩
هونَتْ عَلَىَّ العَزْلِ	٣٢٣	١٣٠
أرى الأيام لا تُذْنِي الذي أرجو	٣٢٥	١٣١
حديث عن دعبدل	٣٢٧	١٣٢
دعبدل عند والي مصر	٣٢٩	١٣٣
دعبدل وعلى الرضا	٣٣٢	١٣٤
سجدوا شعره	٣٣٤	١٣٥
إنما الدنيا أبو دلف	٣٣٦	١٣٦
مدحه شاعر وعطيه أمير	٣٣٩	١٣٧
بين أولى تمام وعبد الله بن طاهر	٣٤١	١٣٨
لا يجبنك من يصون ثيابه خوف الفبار وعرضه مبذول	٣٤٣	١٣٩
مساية	٣٤٧	١٤٠
أشعر من بالشام والعراق	٣٤٩	١٤١
ابن جاخ ينشد المتضدد شعره	٣٥١	١٤٢

الباب الرابع

فِي الْقُصُصِ الَّتِي تَسْرِدُ بارِعَ ملْحَمِهِ، وَرَائِعَ طَرْفِهِ، فِي جَوَابَاتِهِمُ الْمُسْكَنَةِ،
وَتَصْرِفَاتِهِمُ الْحَكِيمَةِ، وَتَخْلُصَاتِهِمُ الْلَّبْقَةِ، مَا يَدْلِي عَلَى حُضُورِ الْذَّهَنِ، وَسُرْعَةِ الْبَدِيهَةِ،
وَشَدَّةِ الْعَارِضَةِ :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
حسان بن ثابت والنابة	٣٥٤	١٤٣
آية أخلاق كانت للعرب في الجاهلية!	٣٥٦	١٤٤
مسلم يحتال على قريش	٣٦٠	١٤٥
إذا أناكم كرِيم قوم فأَكْرِمُوهُ	٣٦٢	١٤٦
ما رأيَتْ لاهي أحداً إلا غلبَهُ	٣٦٣	١٤٧
المغيرة بن شعبة وأحد الأعراب	٣٦٦	١٤٨
دهاء عمرو بن العاص	٣٦٨	١٤٩
بين معاوية وهاني بن عروة	٣٧٢	١٥٠
إن هذا العبد غلبني وغلبك	٣٧٣	١٥١
ماعليه لو عرض	٣٧٤	١٥٢
لا يأتيانا غير طالب فقه أو طالب فضل	٣٧٦	١٥٣
ابن أبي محجن عند معاوية	٣٧٨	١٥٤
ذكرتني يوم النفح في الصور	٣٨٩	١٥٥
أعرابي عند الحجاج	٣٨٢	١٥٦
دعاني من هو خير منك	٣٨٣	١٥٧
أنت إلى القبر أقرب منك إلى الغزو	٣٨٤	١٥٨
ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب	٣٨٥	١٥٩
الحجاج وأنس بن مالك	٣٨٦	١٦٠
الحجاج والفضيان بن القعبي	٣٨٧	١٦١

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
١٦٢	٣٩٧	حسن تخلص
١٦٣	٣٩٨	بئينة وعزة عند عبد الملك
١٦٤	٣٩٩	من أشعر الناس؟
١٦٥	٤٠٠	سلیمان بن عبد الملك وأبو حازم
١٦٦	٤٠٤	ضمه من النار حيث شئت
١٦٧	٤٠٥	مناظرة مع الخوارج
١٦٨	٤٠٦	ليس الأمر بالسن
١٦٩	٤٠٩	بنو أمية وعمر بن عبد العزيز
١٧٠	٤١٢	في وفاة عمر بن عبد العزيز
١٧١	٤١٣	رأي خالد بن صفوان في الشهراة
١٧٢	٤١٥	المنصور وابن طاوس
١٧٣	٤١٦	بديهية منع
١٧٤	٤١٧	رسول منع
١٧٥	٤٢٠	كبير!
١٧٦	٤٢١	قناعة
١٧٧	٤٢٢	الرشيد وعبد الملك بن صالح
١٧٨	٤٢٦	هارون الرشيد ومسلم بن الوليد
١٧٩	٤٢٨	شاعر باهلى في حضرة الرشيد
١٨٠	٤٢٩	أبان بن عبد الحميد يمدح نفسه
١٨١	٤٣٣	العتابي عند المأمون
١٨٢	٤٣٥	أبو تمام يستذبح خطاب أغراي
١٨٣	٤٣٨	امتحان شاعر

فهرس الأعلام

أبو بكر بن أبي شحافة (الصديق) :

٣٥٦

أبو تمام : ٤٣٥ ، ٣٣١

أبو حازم : ٤٠٠

أبو حردبة : ٣٢

أبو دلف العجلاني : ٣٣٦ ، ٣٢٧

٤٢١ ، ٣٣٩

أبو دلامة : ٢٧٨

أبو سفيان بن حرب : ١٩٧

أبو الشيhs : ٣٣٤

أبو العباس السفاح (خليفة القياسي) :

٢٨٠ ، ١٦١

أبو العناية : ٣٢٣ ، ٣٢١ ، ٢٩٨

أبو العلاء المعري : ٣٤٩

أبو العبيش : ٣٤١

أبو كبير المذلي : ٤١

أبو النجم العجلاني : ٢٦٧

أبو نصر المنذري : ٣٤٩

(١)

إبراهيم بن رباح : ٤٣٦

إبراهيم بن محمد الإمام : ١٦٦

إبراهيم بن المدبر : ١٧٨

إبراهيم بن المهدى : ٣٢٥

إبراهيم بن ميمون : ١٧٢

إبراهيم بن هرمة : ٢٧٥

أبان بن الحجاج : ٢٢٧

ابن أبي دبائل : ٤٥

ابن أبي خجع : ٣٧٦

ابن جاخ : ٣٥١

ابن سريح المغنى : ٤٥

ابن طالوت : ٣٤٣

ابن طاووس : ٤١٥

ابن العريف : ٤٣٨

أبو الأسود الدؤلي : ١٠٣

أبو أيوب الخازن : ٢٧٨

أمامة بنت الحارث : ٧٩	أبو نواس : ٣٠٤ ، ٣٣٤
أمامة بنت خزرج : ١٨٥	أحمد بن أبي خالد : ١٧٨
اسرو القيس بن حجر : ١٩٤	أحمد بن أبي داود : ٤٣٥
أم البنين بنت عبد الملك بن مروان : ١٤٥	أحمد بن السراج : ٣٢٩
أم الخير بنت الجريش : ١٠٦	الأحنف بن قيس : ٢١٢
أم سلمة بنت يعقوب : ١٦١	الأحوص : ١٥٤ ، ٢٤٩
أم سنان بنت خيثمة المذحجية : ١٢٩	الأخطل : ٢٣٢ ، ٢٥٠
أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب : ٩٤	الأئننس بن كعب : ١٢
أنس بن أبي شيخ : ٤٢٦	الأراكة (قينة ابن مفرغ) : ٢١٠
أنس بن مالك : ٣٨٦	أروى بنت الحارث : ١٢٣
أنمار (قبيلة) : ١٣	إسحاق بن إبراهيم الموصلى : ٤٣٣
أوش بن حارثة : ٨٦ ، ٨١	أسماه بنت أبي بكر : ١٤٦ ، ١٣٤
أيمن بن خزيم الأسدى : ٢٤٣	إسماعيل بن عبد الله : ٤٨٦
أيوب بن القرية : ٣٨٤	الأسود بن قنان : ١٨٥
(ب)	أشجع السلمى : ٢٩٨ ، ٣٠٨
بثينة (صاحبة جليل) : ٣٩٨	٣٢٣ ، ٣٢١
مجيلة (قبيلة) : ١٧	الأصمى : ٦٠ ، ١٧٥ ، ٣١٣ ، ٣١٨ ، ٣١٦ ، ٣١٥
برد (غلام ابن مفرغ) : ٢٠٨	أعشى قيس : ١٩٧
بسر بن أرطاء : ١١٣	أعشى هدان : ٢٢٣

(ث)

ثابت بن جابر = تأبطن شرا

(ج)

جامع الحاربي : ٢٢٨

جحدر بن ربيعة : ٤٤ ، ٤٣

جذيبة بن الأبرش : ٦٢ ، ٨

جرير بن عطية الخطيق : ٤٢ ، ٤١

٣٩٩ ، ٢٤٨ ، ١٤٧

جمفر بن يحيى البرمكي ٣٢١ ، ٣٠٠

جليلة بنت سرة : ٧٣

جميل بن معمر : ٢١٨ ، ١٤٧

٢٣١

(ح)

خاتم بن عبد الله : ٨١

الحارث بن خالد : ١٥٩ ، ٢٢٠

الحارث بن عمرو : ٨٨

الحارث بن عوف : ٨٦

الحارث بن كعب : ١٠

الحجاج بن علاط السلى : ٣٦٠

الحجاج بن يوسف الثقفي : ٣٤ ، ٣٣

٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٣٨

بشار بن برد : ٢٩٨

بشر بن المنذر : ٢٩٠

بكارة الملالية : ١٢١

بكر بن وائل (قبيلة) : ٣٦٦

بنو أسد : ١٩٤

بنو أمية : ٤٠٩ ، ٢٨٠

بنو قيم الله : ٣٦٦

بنو نعلبة : ١٧٩

بنو ذهل : ٣٦٦

بنو شيبان : ٣٦٦ ، ٢٨ ، ٢٤

بنو مالك بن غفيلة : ٦٨

بنو النضير : ٨٤

بنو نمير : ٣٠

بنو هاشم : ٤٨٠ ، ٣٦٤

بنو بشكر : ٣٦٦

بهيسة بنت أوس بن حارثة : ٨٧

(ت)

تأبطن شراً : ١٤

تميم بن عدى اليربوعي : ٩٩

تميم (قبيلة) : ٩٩

توبه بن الحمير : ١٢٩

داود بن علي : ٢٨١	٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٣٤٣ ، ٢٩٣
درواس بن حبيب : ٢٧١	٣٩٧ ، ٣٨٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٤
عبدال الخزاعي : ٣٢٩ ، ٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣١	حرقة بنت النعمان : ٩٥
(ذ)	حسان بن ثابت : ٣٥٤ ، ٢٠٠
ذبيان بن ذبيان : ٤١٠	الحسين بن عمرو <u>الكلابي</u> :
الذلفاء بنت الأبيض : ١٧٨	١٣ ، ١٢
ذهب : ٤٤٣	الخطيبة : ٢٠٦
(ر)	حدونة بنت عيسى : ١٧٩
الريهم بن يونس : ٢٨٥ ، ٢٨٤	حنيفة (قبيلة) : ٣٦٦
٢٩٠	حيان بن سلى : ١٩٩
ربيعة الرق : ٣٠٥	(خ)
رزين الخزاعي : ٣٢٩	خارجية بن سنان : ٨٦
رقاش (أخت جذيمة بن الأبرش) : ٨	خالد بن صفوان : ٢٦٢ ، ١٦١
(ز)	٤١٣ ، ٢٦٦
الزباء : ٦٢	خالد بن عبد الله القسرى : ٣٩٧ ، ٣٦٦
الزبرقان بن بدر : ١٠٥	خالد بن عتاب : ٣٢٢
الزبير بن العوام : ١٠٩	خالد بن المضلل : ١٧
زراة بن عدس : ٧٥	خالد بن يزيد : ٣٩٠ ، ٣٠٦
زيد الخيل : ٨١ ، ٢٨	خراءة : ٤٤٢
زينب بنت حمير : ١٣٥	الخنساء : ٩٣ ، ٩٠
	الخيزران (أم المادى والرشيد) : ١٦٥
	(د)
	دارمية الحجوبية : ١١٩

<p>سلیمان بن مجالد : ٢٧٩ السلیک بن السلکة : ٢٢ سودة بنت عماره : ١١٢</p> <p>(ش)</p> <p>شبة بنت عقال : ٤١٣ شریح بن الحارث : ١٣٥ شرف بن القطاوی : ٥٧ ، ٥٤ شظاظ (اللص) : ٣٣ الشعبي : ٢٧٢ ، ١٣٥ شودب الحروری : ٣٤٥ شيبة بن ربيعة : ٩٠</p> <p>(ص)</p> <p>صاعد بن الحسن : ٤٣٨ صغر بن عمرو : ٣١ صخرة (أخت الحصین بن عمرو الكلابی) : ١٢ صعصعة بن ناجیة : ١٢ صفپة بنت عبد المطلب : ٩٢</p> <p>(ض)</p> <p>ضبة بن أد : ١٠</p>	<p>زینب بنت سلیمان : ١٦٦ زینب بنت یوسف (أخت الحجاج) : ١٥٨</p> <p>(س)</p> <p>سدیف (مولی أبي العباس) : ٢٨٠ سعد بن أبي وقاص : ٩٥ سعد بن ضبة : ١٠ سعد بن مرہة بن جبیر : ٢٧٣ سعید بن جبیر : ٣٧٩ سعید بن خالد : ٢٤٦ سعید بن سالم : ٤٢٨ سعید بن ضبة : ١٠ سعید بن عنان : ٢٠٨ سعید بن المسیب : ٢٢٢ سکپنۃ بنت الحسین : ١٥٢ ، ١٤٧ سلیم بن کیسان الكلابی : ٢٦٧ سلیمان بن عبد الملک (الخلیفة) : ٣٩٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٤٠٠ ، ٤١٠ ، ٤٠٤ سلیمان بن عبد الملک (فتی من بني عبس) : ٢٤٥</p>
----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

عبد الله بن أبي بكرة : ١٣٤	ضرار بن القعقاع : ٦٠
عبد الله بن الحجاج : ٢٧٨	(ط)
عبد الله بن الحسن بن علي : ٢٧٦	طلحة بن عبيد الله : ١٠٩
عبد الله بن الزبير : ١٤٥ ، ١٣٢	(ع)
٢٧٦ ، ٢١٦	
عبد الله بن زياد : ٢٠٨	عاشرة بنت أبي بكر : ٩٣
عبد الله بن سعيد بن عبد الملك : ٤٥	عاشرة بنت طلحة : ١٥٨
عبد الله بن صفوان : ٣٧٠	العاصم بن عمر بن الخطاب : ٩٤
عبد الله بن العباس : ٢٠٦ ، ٩٩	العاصم بن جذيمة : ١١
٣٧٦ ، ٣٦٣	
عبد الله بن عمرو بن العاص : ٣٦٨	عامر بن الطفيلي : ١٩٩
عبد الله بن قيس الرقيات : ٢٢٢	عامر بن وائلة : ٣٧٦
عبد الله بن المنشري : ٤٦	العباس بن عبد المطلب : ٣٦٠
عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جمفر : ٢٧٦	العباس بن المأمون : ١٧٨
عبد الملك بن صالح : ٤٢٢	العباس بن محمد بن علي : ٣٠٥
عبد الملك بن الفضل : ١٦٨	عبد الرحمن بن الأشعث : ٣٨٤ ، ١٩٩
عبد الملك بن مروان : ٤١ ، ٤٠	٣٨٥
٢٣٦ ، ٢٣٢ ، ٢٢٥ ، ١٤٤ ، ٤٢	
٢٩٨	عبد الرحمن بن سيفان الحاربي : ٢٠٦
عبيد بن الأبرص : ١٩٤ ، ٢٠ ، ١٩	عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح : ٤٢٢
عبيد الله بن زياد : ٢٠٨	عبد الرحمن بن عتيق المزني : ٤١٦
	عبد العزيز بن عمرو بن مروان : ٢٨١
	عبد العزيز بن مروان : ٢٤٠

عمارة بن حزرة : ٤٢٠	فتهة بن أبي سفيان : ٢٠٤ ، ٩٠
عمر بن أبي ربيعة : ٢٢٢ ، ٢٢٠ ، ٢١٨	٣٦٨
٤١٢ ، ٤٠٩ ، ٤٠٨ ، ٢٣٩	عثمان بن عفان : ١١٩
عمر بن الخطاب : ٣٦٣ ، ٩٤	عثمة بنت مطروود : ٦٨
عمر بن عبد العزيز : ٢٥٢ ، ٢٤٨	المجفناه بنت حلقة السعدي : ٧١
٣٤٥	عدي بن أرطاة : ٢٤٨
عمر بن الوليد بن عبد الملك : ٤٠٩	عدي بن الزير : ٩٥
عرو بن الأهم : ٢٠٥	عدي بن نصر : ٨
عرو بن براق : ١٧	عروة بن أذينة : ٢٥٩
عرو بن بسطام : ٢٦٨	عروة بن الورد : ٨٤
عرو بن الحارث : ٢٠٠	عزة (صاحبـة كثـير) : ٣٩٨
عرو بن الشريـد : ٩٠	عصـام بن شـهـير : ٣٥٤
عروـنـبـالـعـاصـ: ١٢٣ ، ٣٦٨ـ، ٣٧ـ٣	علـقـمـةـبـنـعـبـدـةـ: ٤٠٠
٣٧ـ٤	علـىـبـنـأـبـيـطـالـبـ: ٣٥٦ ، ٩٦ ، ٨٩
عروـنـبـعـيـدـاـلـهـ: ٣ـ٢ـ	٣٦٨ ، ٣٦ـ٢
عروـنـبـعـدـىـ: ٦ـ٣ـ ، ٨ـ	علـىـبـنـجـبـلـةـ: ٣٣ـ٩ـ ، ٣٣ـ٦ـ
عروـنـبـفـرـجـ: ٤ـ٣ـ٦ـ	علـىـبـنـالـحـسـينـ(ـزـيـنـالـعـابـدـينـ): ٢ـ٦ـ٠ـ
عروـنـبـمـسـعـدـةـ: ٣ـ٢ـ٧ـ	علـىـبـنـرـافـعـ: ٩ـ٦ـ
عنـبـسـةـبـنـسـعـيـدـ: ١ـ٣ـ٨ـ	علـىـبـنـمـحـمـدـالـعـوـىـ: ٣ـ٤ـ٧ـ
(غ)	علـىـبـنـمـوسـىـالـرـضـاـ: ٣ـ٣ـ٢ـ
الفضـانـبـنـالـقـبـعـرـىـ: ٣ـ٦ـ٤ـ	عـكـرـشـةـبـنـالـأـطـرـشـ: ١ـ١ـ٧ـ

<p>كلثوم العتابي : ٤٣٣</p> <p>الكيميت الأسدى : ٢٧٤</p> <p>(ل)</p> <p>لقيط بن زراره : ٧٥</p> <p>ليلي الأخيلية : ١٣٨، ١٢٩</p> <p>(م)</p> <p>المأمون (الخليفة) ، ٣٢٧، ١٧٧</p> <p>٤٢٧، ٣٣٦</p> <p>الئومل بن أميل : ٢٨٧</p> <p> مؤنسة (مغنية) : ٣٤٤</p> <p>مالك بن أنس : ٤١٥</p> <p>مالك بن الريب : ٣٢</p> <p>مللك بن طوق : ٣١٢، ٣١٠</p> <p>مانى الموسوس : ٣٤٣</p> <p>التوكل (الخليفة العباسى) : ١٤٧</p> <p>المنى بن حارثة : ٣٥٦</p> <p>مجاعة بن الأزهـ : ٤١٧</p> <p>محصن الفقعنـى : ١٤٢</p> <p>محمد بن أبي الجهم : ٢٥٧</p> <p>محمد بن أمية : ٣٢٥</p> <p>محمد بن صالح : ١٧٩</p>	<p>(ف)</p> <p>فاطمة بنت محمد بن الحسين : ١٦٨</p> <p>الفرزدق : ٢٦٠، ٢٤١، ١٥٢، ١٤٧</p> <p>٢٧٤</p> <p>الفضل بن الربيع : ٢٦٣</p> <p>الفضل بن يحيى : ٤٢٩، ٤٢٥</p> <p>الفضل بن يزيد : ١٨٢</p> <p>(ف)</p> <p>القاسم بن عيسى : أبو دلف</p> <p>قيصمة بن نعيم : ١٩٤</p> <p>قراد بن إهاب : ٧٥</p> <p>قربيش (قبيلة) : ١٩٧، ٣٦٠</p> <p>٣٦٤</p> <p>قصير بن سعد : ٦٢</p> <p>قامة (خادم عبد الملك بن صالح) : ٥٢</p> <p>قبر (مولى علي بن أبي طالب) : ٣٦٢</p> <p>قيس بن ثعلبة (قبيلة) : ٣٦٦</p> <p>قيس بن خالد : ٧٦</p> <p>(ك)</p> <p>كثير بن عبد الرحمن : ١٤٧، ١٥٤</p> <p>٣٥٢، ٣٤٩، ٢٣١</p>
--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

المتضد بن عباد : ٣٥١	محمد بن عبد الله بن طاهر : ٣٤٣
معقل بن عيسى : ٣٣٩	محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
معن بن زائدة : ٤١٧	(الرسول ﷺ) : ٨٩، ٣١
المغيرة بن شعبة : ٩٨، ٣٦٦	٣٦٠، ٣٥٦، ٢٠٥
مغروف بن عمرو : ٣٥٦	محمد بن عبد الملك : ٤٣٥
المنذر العبدي : ٢١٢	محمد بن علي بن الحسين : ٢٧٥
المنذر بن ماء السماء : ١٩، ٢٠، ٢٠	محمد بن عمرو بن العاص : ٣٦٨
	محمد بن كعب القرظي ٤٠٩
	محمد بن مناذر ٣٦٣
النصرور بن أبي عامر : ٤٣٨	مروان بن أبي حفصة ٤١٦، ٢٩٠
النصرور العباسى (الخليفة) : ٢٧٨	مروان بن الحكم ١٢٦، ١٢١
٢٩٠، ٢٨٧، ٢٨٥، ٢٨٤، ٢٨٢	مزاحم (مولى عمر بن عبد العزيز) : ٤١٧، ٤١٦
٤١٧، ٤١٦، ٤١٥	مزنة (زوج مرwan بن محمد) ١٦٥
منصور التمري : ٣٠٨	مسلم بن الوليد : ٤٢٦، ٣٣٤، ٣٠٠
المهاجر بن خداش : ١٩٤	مسلمة بن عبد الملك ٤١٤، ٤١٢، ٢٧٠
المهاجر بن عبد الله : ٢٥	مصعب بن الزبير ٢١٦
المهدى العباسى (الخليفة) : ١٦٦، ٥٤	مطلب بن عبد الله ٣٢٩
٤٢٠، ٢٩٨، ٢٩٦، ٢٩٠، ٢٨٧	معاوية بن أبي سفيان ١٠٦، ١٠٣
موسى شهوات : ٢٤٦	١٢٣، ١١٩، ١١٧، ١١٤، ١١١
(ن)	٣٧٢، ٣٦٨، ٢١١، ٢١٠، ١٢٩
النابغة الجعدي : ١٤٣	٣٩٣، ٣٧٤
النابغة الذبياني : ٢٠٠	
ناهض بن ثومة : ٣٦	

هند بنت النعمان : ٩٨	مجاج بن سلامة ٤٣٦
(و)	نجدة بن الأسود ١٨٢
وردان (غلام عمرو بن العاص) :	نصيب بن رباح ٢٤١ ، ١٥٤ ، ١٤٧ ٢٥٢
٣٧٣ ، ٣٦٩	نصيب (العباسى الشاعر) ٢٩٦
الوليد بن عبد الملك ٤٣ ، ١٤٦	النعمان بن شريك ٣٥٦
الوليد بن عتبة ٦٠	النعمان بن المنذر ٣٥٤
الوليد بن يزيد ٢٧٢	النميرى ١٥٨
وهب بن ناجية الرصافى ١٨٥	(ه)
(ه)	هارون الرشيد (الخليفة) ٢٠٠ ، ١٦٨
يعيى بن أكمن ٤٣٣	٣٢٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٦ ، ٣٠٣
يعيى بن خالد ٤٢٤	هانىُ بن عروة المرادي ٣٧٢
يزيد بن أبي مسلم ٣٨٥ ، ٤٠٤	هانىُ بن مسعود ٣٥٠
يزيد الشيبانى ٢٤ ، ١٤٤	هشام بن عبد الملك ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠
يزيد بن مزيد ٢٩١	٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٤١٣ ، ٤٢٢
يزيد بن مفرغ ٢٠٨	٤٢٨ ، ٤٢٦ ، ٤٢٢
يعقوب بن داود ٢٩٠	هلال بن الأسرع ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢
يوسف بن عمرو الثقفى ٢٦٢	هند بنت عتبة ٩٠

فهرس الأماكن

(ق)	(ر)	(ا)
قومس : ٢٣٢ ، ١٤٣	الرصافة : ١٨٥	أسوان : ٣٢٠
(م)	(س)	(ب)
محلة بني فزارة : ٤٥	السراء : ١٧	البحرين : ٤٨
المحصب : ١٥٨	سر من رأى : ٤٣٥	بدر : ٩٠
المدينة المنورة : ٨٤	السفد : ١٥٥	البصرة : ٤٩
المربد : ٤٩	السماوة : ٩	بطن نعان : ١٥٨
مصر : ٣٢٩	(ص)	بقة : ٦٢
مكة : ٨٤	الصالحة : ٣٢١	(ج)
ملحوب : ٢٠	الصعب : ٤٨	الجوف : ٢٣
(ه)	(ط)	(ح)
مني : ١٥٨	صفين : ١١٧	الحجون : ١١٩ ، ٤٦
منفوجة : ١٩٨	الطاائف : ١٥٨	الحصاب : ٤٦
(ه)	(ع)	حلب
هجر : ٤٠	المذيب : ١٨٧	الحيرة : ٥٤ ، ٣٠ ، ٢٨
(و)	(ع)	(خ)
الوهط : ١٧	القيق : ١٥٤	خراسان : ٣٢٣
(ئ)	(ف)	خمير : ٣٦٠
اليامة : ٢٥	عكاظ : ٩٠ ، ١٠	(ذ)
	فارع : ٩٢	ذنوب : ٢٠
	فح : ١٥٨	

مراجع هذا الجزء

: للصولي	أخبار أبي تمام
: لأبي الفرج الأصفهاني	الأغاني
: لأبي على القالي	الأمالى
: للزجاجى	الأمالى
: للشريف المرتضى	الأمالى
: للصولى	الأوراق
: لابن كثير	البداية والنهاية
: لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر	بلاغات النساء
بلغ الأرب في معرفة أحوال العرب: للألوسي	
: للجاحظ	البيان والتبيين
: لابن جرير الطبرى	تاريخ الأمم والملوک
: للبكرى	النبیمات
: للحسوى	نمرات الأوراق
: لأبي زيد الخطابي	جمهرة أشعار العرب
: لأبي هلال العسكري	جمهرة أمثال العرب
: للبغدادى	خزانة الأدب
: لأبي على القالى	ذيل الأمالى والنواادر
: للحضرى	ذيل زهرة الأدب

: للحموى	ذيل ثمرات الأوراق
: للسهل	الروض الأنف
: للحمرى	زهر الآداب
: لابن نباتة المصرى	سرح العيون
: لابن هشام	السيرة النبوية
: لابن عبد الحكيم	سيرة عمر بن عبد العزيز
: للمرصنى	شرح ديوان الحماسة
: لابن أبي الحميد	شرح نهيج البلاغة
: لابن قتيبة	الشعر والشعراء
: للقلقشندى	صبح الأعشى
: للدكتور فريد رفاعى	عصر المؤمنون
: لابن عبد ربہ	المقد فريد
: لأبى سالم محمد بن أبى طلحة	المقد فريد للملك الشهيد
: لأبى حسن على بن هذيل	عين الأدب والسياسة
: لابن قتيبة	عيون الأخبار
: لأبى إسحاق الوطواط	غر المصادص الواضحة
: للتنوخى	الفرج بعد الشدة
: لابن شاكر الكتبى	فوات الوفيات
: لابن الأثير	الكامل فى التاريخ
: للمبرد	الكامل فى الأدب
: للميدانى	مجمع الأمثال
: للجاحظ	المحاسن والأضداد

: للبيهقي	المحاسن والمساويٌ
: لابن عربي	محاضرات الأبرار
: لابن منقذ	باب الآداب
: للسعودي	مروج الذهب
المستطرف في كل فن مستطرف : للأبيشى	
: لأبي جعفر بن أحمد السراج	مصارع العشاق
: لياقوت الحموي	مجم الأدباء
: لياقوت الحموي	معجم البلدان
: لبدر الدين العباسي	معاهد التصييف
: للشيخ الخضرى	مهرذب الأغاني
: للمرزبانى	الموشح
: للمقرئ	فتح الصيغ
: للتويروى	نهاية الأرب
: لابن خلkan	وفيات الأعيان



مراجعة الضبط والشرح والتحقيق والترجم

: لذخنرى	أساس البلاغة
: المرزباني	أشعار النساء
: شير الدين الزركلى	الأعلام
: للتزيىدى	تاج المروض
: جبورجى زيدان	تاريخ آداب اللغة العربية
: للخضري	تاريخ الأمم الإسلامية
: لابن حجر	تبصير النبه
	دواوين الشعراء
: للمرصنى	رغبة الآمل من كتاب الكامل
: للمرصنى	شرح ديوان الحماسة
: للبكرى	شرح الأمالى
: لابن سلام	طبقات الشعراء
: لابن قتيبة	طبقات الشعراء
: للقى	الفاخر في الأمثال
: لأمين واصف	فهرس خريطة الملك الإسلامية
: للنبروز أبادى	قاموس المحيط
: لابن منظور	لسان العرب
: لابن عبد الحق البغدادى	مراصد الاطلاع
: الذهبي	المشتبه
: لابن قتيبة	العارف
: لياقوت	معجم البلدان
: لابن خلkan	وفيات الأعيان